



معالم المدرستين

الجزء الأول

السيد مرتضى العسكري



مَعَالِمُ الْمِلَّةِ السَّائِغَةِ

لِلْإِمَامِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ

شبكة كتب الشيعة

تأليف
السَّيِّدِ رُضْوِيِّ الْعِيسَاوِيِّ



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net



اسم الكتاب: معالم المدرستين (الجزء الأول)

المؤلف: العلامة السيد مرتضى العسكري

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)

الطبعة الاولى: ١٤٢٤ هـ ق

الطبعة الثانية: ١٤٢٦ هـ ق

المطبعة: ليلى

الكمية: ٥٠٠٠

ISBN: 964-7756-45-3

شابك: ٩٦٤-٧٧٥٦-٤٥-٣

«حقوق الطبع محفوظة»

www.ahl-ul-bayt.org

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلام عليك يا إمام العصر ورحمة الله وبركاته
سَيِّدِي يا ابن رسول الله (ص) إليك أهدي هذا المجهود الضئيل .
﴿يا أيُّها العزيز مَنَّا وأهلنا الضَّرَّ وجثنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل
وتصدق علينا إنَّ الله يجزي المتصدقين﴾ .
أيُّها الجواد الكريم ، اشفع لنا عند الله ليغفر ذنوبنا ويكشف عنا وعن قومنا
الضَّرَّ؛ إنَّه أرحم الراحمين .

صغير خدامكم
مرتضى العسكري



مرکز تحقیقات کتاب و توثیر علوم اسلامی

بسمك

«من وقرّ عالماً فقد وقرّ ربّه»

الإمام علي عليه السلام «غرر الحكم»

كان العلماء الرساليون ورثة حقيقيين للأنبياء والمعصومين عليهم السلام ، في حفظ المعالم الرسالية للإسلام العظيم، وحصوناً منيعة أمام طغيان الطواغيت واستكبار المستكبرين من أن يسلبوا الأمة هويتها الإسلامية وانتماؤها لله سبحانه.

ومن هذا المنطلق انبرى المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام لأداء مسؤوليته الرسالية في تعريف وتجلييل علم بارز من هؤلاء الأعلام من خلال مؤتمر يسلط الضوء على دوره الرسالي، هو المفكر الإسلامي المحقق المجدد العلامة السيد محمد قاضي العسكري (دام ظله)، وذلك تعميقاً لدوره الرائد في الأمة ونعيمياً لعطائه النثر، وهي تبحث عن الحق لتستهدي به، وعن العدل لتستظل في رحابه. وتنفيذاً لما استهدفه قائد الأمة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) من احياء الفكر الإسلامي الأصل المتمثل في كتاب الله المنزل وخط الرسول وأهل بيته الطاهرين والدفاع عن كتاب الله وسنة نبيه وحقوق أهل البيت عليه السلام واتباعهم.

وقد تزامن هذا التكريم مع المؤتمر الثالث الذي يعقده المجمع العالمي كل أربع سنوات لأعضاء الجمعية العامة للمجمع حيث يجتمعون في ذكرى ميلاد الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عج) وذلك في النصف من شعبان ١٤٢٤ هـ في طهران وفي الثامن عشر منه في مدينة ساوة، البلدة التي يتنسب لها سماحة العلامة العسكري (دام ظله).

وقد تكوّنت اللجنة العليا لمؤتمر التكريم من أصحاب الفضيلة: السيد منذر الحكيم والشيخ وحيد الأحمد والشيخ حافظ النجفي والسيد محسن الموسوي والدكتور السيد كاظم العسكري وكاتب هذه السطور (المعاون الثقافي للمجمع

العالمي لأهل البيت (عليه السلام) تحت رعاية الأمين العام للمجمع ساحة آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي.

وقد قدمت اللجنة العلمية لمؤتمر التكريم هذا ما يلي:

١ - كتاب عن حياة العلامة العسكري باللغة العربية تحت عنوان «العلامة العسكري بين الأصالة والتجديد» بقلم كامل خلف الكناي.

٢ - كتاب عن حياته باللغة الفارسية تحت عنوان «مصلح بيدار» .

٣ - تلخيص كتاب دور الأئمة في إحياء الدين باللغة الفارسية تحت عنوان «نگاهی به نقش ائمه در احیاء دین».

٤ - حوارات و مقالات تخصّ المؤتمر.

٥ - اقتراح طباعة كتاب «الأسطورة السبئية» للعلامة العسكري.

٦ - اقتراح طباعة كتاب «افتراءات وأكاذيب عثمان الخميس» للعلامة العسكري.

٧ - اقتراح طباعة كتاب «معالم المدرستين» وترجمته باللغة الفارسية.

٨ و ٩ - واقتراح طباعة كتاب «ولاية الإمام علي (عليه السلام) في الكتاب والسنة» باللغتين العربية والفارسية.

١٠ - اقتراح اعداد عدة أفراس تحتوي على محاضرات السيد العسكري ومجموعة كتبه وكل ما أعدّه مؤتمر التكريم من مقالات ولقاءات.

من هنا أقدم بالشكر الجزيل لأعضاء اللجنة العليا لمؤتمر التكريم ولا سيّما الأمين العام للمؤتمر ساحة السيد منذر الحكيم وإمام جمعة ساوة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حافظ النجفي وسكرتارية المؤتمر الأستاذ صادق جعفر الزوازي وسائر العاملين في مؤتمر التكريم هذا سائلاً لهم من الله كمال التوفيق وطول العمر ودوام الصحة والتأييد للسير على خطى أهل البيت الطاهرين ولا سيما المهدي المنتظر الذي وعد الله به الأمم ان يجمع به الكلم إنه ولي التوفيق.

محمد حسن تشيع

المعاون الثقافي للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ .

الزمر/ ١٧ - ١٨



مرکز تحقیقات کلام و تفسیر علوم اسلامی

مقدمة الطبعة الخامسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين
والسلام على أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه البررة الميامين،
وبعد:

لما كان هذا الكتاب في بحوثه نسيج وحده، شأنه في ذلك شأن كتابي «عبد
الله بن سبأ» و«خسون ومائة صحابي مختلف» ولم تُنسخ على منوال سابق، كان
لابدُ لبحوث كلِّ منها أن تتكامل تدريجياً، لذا صدر:
الجزء الأول منه:

في طبعته الأولى، عام	١٤٠٥	في	٢١٥	صفحة
وفي طبعته الثانية، عام	١٤٠٦	في	٣٧١	صفحة
وفي طبعته الثالثة، عام	١٤٠٩	في	٥١٩	صفحة
وفي طبعته الرابعة، عام	١٤١٢	في	٦١٦	صفحة
وفي طبعته الخامسة هذه عام	١٤١٦	في	٥٩٢	صفحة

والجزء الثاني منه:

في طبعته الأولى عام	١٤٠٥	في	٣٧٨	صفحة
وفي طبعته الثالثة، هذه عام	١٤١٢	في	٤٠٥	صفحة

وأجري على طبعتهما في سنة ١٤١٦ تصويبات واستدراكات.

ولو فسح الله تعالى في الأجل ، وشاء لي - عزّ اسمه - ان استدرك على بعض بحوث هذا الكتاب بعد هذه الطبعة فسوف ألحق المستدرك في طبعاته القادمة بآخر الكتاب ولا أُغیر وضع البحوث عما هو عليه في هذه الطبعة إن شاء الله تعالى ، هذا والكمال لله وحده .
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

مرتضى العسكري

نجل السيد محمد الحسيني

نجل السيد اسماعيل آل شيخ الإسلام

مخطّط بحوث الكتاب

بحوث تمهيدية تبين منشأ الخلاف بين مدرستي الإمامة والخلافة وتنقسم بحوث الكتاب بعدها إلى قسمين :

القسم الأول : بحوث مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين وسبل الوصول إليها، وعليها تبنى العقيدة الإسلامية وأحكامها وتشمل البحوث الخمسة الآتية :

أولاً - بحوث المدرستين في الصّحبة والصّحابة .

ثانياً - بحوث المدرستين في الإمامة والخلافة، وهما من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلامية وتكوين الرؤية الصحيحة للإسلام .

ثالثاً - بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية، وتنقسم إلى مجموعتين : أ - دراسة روايات المدرستين حول القرآن الكريم . ب - بحوثهما حول سنة الرسول (ص)، وبيان كيفية اتّخاذ مدرسة الخلفاء الاجتهاد والعمل بالرأي من مصادر الشريعة الإسلامية في عداد كتاب الله وسنة رسوله (ص). وبها يتم بحث مصادر الشريعة الإسلامية وسبل الوصول إليها لدى مدرسة الخلفاء .

رابعاً - قيام الإمام الحسين (ع) ضد الانحراف عن سنة الرسول بسبب الاجتهاد والعمل بالرأي .

خامساً - تمكّن أئمة أهل البيت (ع) من إعادة سنة الرسول إلى المجتمع بعد قيام الإمام الحسين (ع)، وتمكّن مدرستهم من نشر سنة الرسول (ص)

بعد ذلك . وهذا يتم بحث مصادر الشريعة الإسلامية وسبل الوصول إليها لدى مدرسة أهل البيت ، وتتم بذلك بحوث الأسس الفكرية لدى المدرستين .

بحوث غهيدية



مركز بحوث غهيدية

توطئة .

من آثار الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية .

بعض صفات الله ومنشأ الخلاف حولها .

الخلاف في صفات الأنبياء ومنشأها .

الخلاف حول الإحتفال بذكرى الأنبياء .

الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء .

الخلاف في البكاء على الميت ومنشأه .

الخلاف في تأويل آيات من كتاب الله .

خلاصة وحائمة .

- ١ -

توطئه

شرع الله للإنسان، بمقتضى ربوبيته، من الدين ما ينظم حياته ويسعده ويوصله إلى درجة الكمال الإنساني، وهدهد بواسطة أنبيائه إليه وسماه الإسلام^(١). كما سنّ لجميع مخلوقاته أنظمة تتناسب وفطرتهم وتوصلهم إلى درجة الكمال في وجودهم، وهدهدهم إلى السير بموجبها إلهامياً أو تسخيراً^(٢).

وكان النوع الإنساني كلّما توفّي رسول من رسل الله في أمة منه، قام أصحاب الطول والسلطان من تلك الأمة بتحريف ما يخالف هوى أنفسهم من شريعة نبيهم أو كتابه، ثم ينسبون ما لديهم من الشريعة المحرفة إلى الله ورسوله^(٣).

(١) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران/ ١٩. وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران/ ٨٥.

(٢) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْحَى فَجَعَلَ ثَنَاءً لَهُ الْحَمْدُ﴾ الأهل/ ١ - ٥.

وقال: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه/ ٥٠.

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾ النحل/ ٦٨.

وقال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ مَسْجُرَاتٍ بِأَمْرِ﴾ الأعراف/ ٥٤.

(٣) قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقٌ يَلْعَنُونَ أَلَيْسَتْهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ

ثم يجتد الله دين الإسلام بإرسال نبيّ جديد ينسخ بعض الشعائر والطقوس التي لامسها التحريف. ولما أرسل الله خاتم أنبيائه محمداً (ص) بالقرآن، أنزل فيه أصول الإسلام من عقائد وأحكام في آيات محكمة وأوحى إليه تفصيل ما أنزل في القرآن ليبيّن للناس ما نزل إليهم^(٤)، فعلمهم الرسول شرائع الإسلام من كيفية ركعات الصلاة وتعدادها، وما يمسون عنه في الصوم وشرائطه، والطواف وأشواطه وبدائته ونهايته، إلى غيرها من أحكام واجبة ومستحبة ومحرمة، فتكون منها لدى المسلمين الحديث النبوي الشريف. وكذلك جعل الله تجسيد الإسلام في سيرة رسول الله (ص) وأمر الناس باتباعه في قوله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ الأحزاب/ ٢١.

وسمي مجموع السيرة والحديث النبوي في الشرع الإسلامي بالسنة، وأمرنا الله ورسوله باتباع سنة الرسول (ص)^(٥).

وهكذا أكمل الله تبليغ الإسلام إلينا في القرآن والسنة النبوية، وتوفي

يعلمون﴾ آل عمران/ ٧٨.

وقال: ﴿أقطعهم أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ البقرة/ ٧٥.

وراجع الآيات: البقرة/ ٤٢ و ١٤٦ و ١٥٩ و ١٧٤، وآل عمران/ ١٨٧، والنساء/ ٤٦، والمائدة/ ١٣ - ١٥، ٤١، ٥٩ - ٦١.

٤) قال سبحانه: ﴿وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ النحل/ ٤٤.

٥) أمر الله في آية: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ بالافتداء بسيرة الرسول (ص)، وفي آية: ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر/ ٧، أمر بالعمل بحديث الرسول (ص) والسنة عبارة عنها.

الرسول (ص) بعد أن أخبر أمته وحذرها بأنه يجري في هذه الأمة ما جرى في الأمم السابقة حذو النعل بالنعل والقُذَّة بالقُذَّة، وأنه لو دخل من الأمم السابقة أحدهم في جحر ضب لدخل من هذه الأمة أحدهم كذلك في جحر ضب^(٦).



وكان من أمر التحريف في هذه الأمة أن الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن

٦- محمد تفصيل الأحاديث الواردة في هذا الشأن في البحث الخامس من البحوث التمهيدية بالجزء الثاني من «خسون ومائة صحابي مختلف». وراجع - أيضاً - نصوص الأحاديث في المصادر التالية:

أ - إكمال الدين للصدوق ص ٥٧٦، وروى المجلسي عنه في البحار ٣/٨، وفي تفسير الآية: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ في كل من مجمع البيان للطبرسي. وجملاء الأذعان لكازر.

ب - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٧١/٢، ح ٣، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي (ص): «لَتَبْعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» الحديث، ١٧٦/٤، ح ١ و ٢.

وفتح الباري بشرح البخاري ١٧/٦٣ و ٦٤.

ج - صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٩/١٦ كتاب العلم.

د - صحيح الترمذي ٢٧/٩ - ٢٨ و ١٠٩/١٠.

هـ - سنن أبن ماجه ح ٣٩٩٤.

و - مسند الطيالسي ح ١٣٤٦ و ٢١٧٨.

ز - مسند أحمد ٣٢٧/٢ و ٣٦٧ و ٤٥٠ و ٥١١ و ٥٢٧ و ٨٤/٣ و ٩٤ و ١٢٥/٤ و ٢١٨/٥ و ٣٤٠ و ٣٤١.

ح - مجمع الزوائد ٢٦١/٧ عن الطبراني.

ط - كنز العمال ١٢٣/١١ عن الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک.

ي - في تفسير الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ من سورة آل عمران في الدر المنثور للسيوطي عن المستدرک للحاكم.

من أن تناله يد التحريف وقال :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر/ ٩ .

وقال : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت/ ٤٢ .

وأما السنة التي رويت لنا سيرة وحديثاً في روايات كثيرة ، فإنَّ الله لم يحفظها من التحريف ، كما يتضح ذلك جلياً في اختلاف الروايات النبوية التي بأيدي جميع المسلمين اليوم ، ولتعارض بعضها مع بعض . وأدى الاختلاف في الحديث الشريف إلى أن يهتم بعض العلماء بمعالجته ، وألفوا كتباً مثل : تأويل مختلف الحديث^(٧) ، وبيان مشكل الحديث^(٨) ، وبيان مشكلات الآثار^(٩) .

ومن جرّاء اختلاف الأحاديث ، اختلف المسلمون في فهم القرآن وتشتتت كلمتهم أبد الدهر . أضف إليه وجودهم في بيئات مختلفة ، ومعاشرتهم أهل الآراء والملل والنحل الأخرى . كل ذلك أدى إلى اختلاف رؤيتهم للإسلام ، وبادر بعضهم إلى تأويل الآيات الكريمة والصحيح مما بأيديهم من الحديث الشريف ، وفقاً لرأيهم ورؤيتهم للإسلام . وأدى بهم ذلك إلى القطيعة في ما بينهم وعدم استماع بعضهم إلى آراء الآخرين ، وإلى تكفير بعضهم بعضاً . كان ذلكم عوامل التشويش الداخلي ، كما كان ثمت عوامل خارجية عملت في الداخل بواسطة عملاتها كالآتي ذكره :

عوامل التخريب الخارجي

من عوامل التخريب والتحريف في مصادر الدراسات الإسلامية (كتب

(٧) تأليف ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت : ٢٨٠هـ أو ٢٧٦هـ) .

(٨) تأليف ابن فورك محمد بن الحسن (ت : ٤٠٦هـ) .

(٩) تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي المعروف بالطحاوي (ت : ٣٣١ أو ٣٣٢هـ) .

الحديث والسيرة والتفسير) وغيرها، عوامل التخريب الخارجي وهي :
أولاً - أخبار أهل الكتاب التي أنتشرت في مصادر الدراسات الإسلامية من قبل أمثال : كعب الأحبار وتميم الداري .
ثانياً - روايات وأخبار وضعتها زنادقة أمثال : أبن أبي العوجاء وسيف ابن عمر، وأنتشرت في تلك المصادر^(١٠) .
ثالثاً - وأخيراً، عندما غزت قوى الكفر (المستعمرون) بلاد المسلمين، حاربت الإسلام بأفكك سلاح هدام، حين وظفت المبشرين من علماء اليهود والنصارى والمروفين باسم المستشرقين لئيمعنوا في طلب مواطن الضعف بمصادر الدراسات الإسلامية، ومحاربوا الإسلام بها . فاجتهد هؤلاء في وضع فهارس للمصادر الإسلامية وتنظيمها وتنسيقها ونشرها بكل إتقان، وأشرفوا بواسطتها على كل ما فيها، وألنقظوا من شتى الكتب كل خبر موضوع ومدسوس يشوه الإسلام، مثل أسطورة الغرائق، وغيرها، وألقوا نماً النقطوا منها بأسلوب عصري بديع، كتباً مثل : (دائرة المعارف الإسلامية) و(محمد النبي السياسي)^(١١) .

وعمل الغزاة (المستعمرون) أخطر من ذلك في حربه للإسلام، حين دفعوا إلى الواجهة في بلاد المسلمين تلاميذ أولئك وخريجي مدارسهم الفكرية ودعاة أفكارهم ومروجي حضارتهم، وسلطوا عليهم الأضواء وعرفوهم باسم المصلحين للإسلام ومنوري الفكر والتقدميين، فاستورد هؤلاء نتيجة

(١٠) درسنا انتشار أخبار أهل الكتاب في مصادر الدراسات الإسلامية في الجزء السادس من سلسلة (قيام الأئمة بإحياء السنة) وتخريب المستشرقين في الجزء الثالث والرابع منه، وتخريب الزنادقة في الجزء السادس منه، والبحوث التمهيدية من الجزء الأول من (خسون ومائة صحابي مخنلق) . ودرسنا تحريف سيف منهم خاصة فيه وكذلك فعلنا في كتاب عبد الله بن سبأ .
(١١) وشذ من المستشرقين في كل عصر آحاد خضعوا للحق .

أفكار أولئك إلى بلاد الإسلام، ونشروها بشتى وسائل النشر وبأسماء مختلفة وعناوين مشوّقة للنفوس.

وكان من هؤلاء: السير سيّد أحمد مؤسس جامعة عليكره الإسلامية في الهند، وأحمد لطفي السيّد أستاذ الجليل، وقاسم أمين نصير المرأة في مصر. وكذلك فعلوا في العراق وإيران وغيرها من البلاد الإسلامية^(١٢).

وكان من الطبيعي أن تقوم بين هؤلاء وبين حفظة الفكر الإسلامي الأصيل حربٌ يعين فيها المستعمر وعملاؤه والمغرر بهم تلاميذ المستشرقين.

وكان أفكك سلاح بأيدي هؤلاء ما تذرّعوا به في حرب الإسلام باسم تعريف الإسلام وتاريخه وتعريف الشخصيات الإسلامية، مثل ما فعل السير سيّد أحمد حين كتب تفسير القرآن حسب زعمه، وجرجي زيدان في قصصه. وجلّ محاولات هؤلاء وأساتذتهم المستشرقين ترمي إلى شيء واحد وتستهدفه، وهو ما قاله أحدهم: (لا يُقتل الدين إلّا بسيف الدين)!

وفي سبيل تحقيق هذه الخطة أخذوا يفسّرون القرآن ويشرحون الحديث النبوي الشريف ويكتبون سيرة الرسول (ص) وألائمه، يحاولون في كلّ ما يعملون أن يجرّدوا الجميع من الاتصال بالغيب، وعرضها على أنها من طبيعة البشر، ثمّ يلوّحون من طرف خفيّ، وأحياناً بصريحون جلياً: أن كلّ فرد منهم وكلّ شيء من الإسلام كان متناسباً مع زمانه وكان تقديمياً في عصره ونافعاً للبشر

(١٢) هؤلاء، وأماهم من دعاة الحضارة الغربية في البلاد الإسلامية ومهذّمي الأعراف الإسلامية ومخالفي أحكامها. وقد ناقشنا بعض ما نشره هؤلاء من الفكر الغربي المستورد، وأصدرنا الجزء الأوّل منه في العراق، وأمتنعت دور النشر من نشره، كما منعت الحكومة المارونية اللبنانية يومذاك من دخول الكتاب إلى لبنان، فلم نتمكن من إصدار بقية أجزاءه، ووجدنا أفضل ما نشر في هذا الصدد كتاب (أجنحة المكر الثلاثة) تأليف عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني، من سلسلة (أعداء الإسلام)، ولنا بعض الملاحظات على الكتاب.

في حينه، أما اليوم فنحن بحاجة إلى تطوير الإسلام وتجديده ليطابق مقتضيات العصر وحاجة أهله.

وهؤلاء مع سلاحهم هذا، الخفي أثره على الكثير، أضرب على الإسلام والمسلمين من بعض السياسيين العملاء للفتنة الكفرة في بلادنا والأذين نصبوهم حكماً لبلاد المسلمين، بما قاموا به في الحرب الفكرية من تحريف لحقائق الإسلام باسم تعريف الإسلام أحياناً، والإسلام المتطور الملبي لحاجات العصر تارة أخرى.

من كل ما ذكرنا، يظهر جلياً أن المسلمين في هذا اليوم وبعد كل ما مر على الإسلام من تيارات فكرية، بحاجة شديدة إلى دراسات مستفيضة لأقوال الفرق الإسلامية وتمحيص ما لديها، خلافاً لما يراه بعض المسلمين الغياري الذين يرون السكوت عن كل ذلك أولى، حفظاً لوحدة المسلمين!

ولست أدري كيف يتم ذلك مع وجود الخوارج^(١٣) الذين بنيت أصول عقائدهم على تكفير عامة المسلمين وأنهم هم وحدهم المسلمون وما عداهم مشركون، وعلى التبري من الخليفة عثمان والإمام علي وأمة المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن كان معهم، ثم لعن أولئك ولعن جميع المسلمين.

كيف يتم ذلك وفي المسلمين من تنوق نفسه إلى زيارة قبر الرسول الأكرم (ص) وقبور أئمة المسلمين والتبرك بها والاستشفاع والتوسل بهم إلى الله، وفيهم من يرى كل ذلك شركاً لله وخروجاً على الإسلام وبدعة محرمة، وبذلك يرون أن جميع المسلمين بعد القرن الثالث الهجري إلى اليوم مشركون. وقد هدموا مساجد المسلمين التي بنيت في طريق غار حراء وأمثاله من الأماكن

(١٣) منتشرون في الجانب الشرقي من جزيرة العرب وشمال أفريقيا.

المتبركة إلى جانب تهديمهم قبور أئمة المسلمين وأمهات المؤمنين وعمّ الرسول (ص) وآبن الرسول (ص) وصحابته وشهداء أحد؟!؟

ولا يفعل مثل ذلك من اليهود وتوراتهم وبيعهم والنصارى وكنائسهم، وفيها ما فيها من الصلبان وتماثيل عيسى ومريم (ع) وهم يعلنون أنّ عيسى ربهم وأنّ الله ثالث ثلاثة - معاذ الله - وإنّما يُعاهدون ولا يقال لهم: أنتم مشركون!

ثم إنّ المسائل المذكورة ونظائرها ليست ميّاتل تخصّ الفرد المسلم - مثل إسبال الّدين في الصّلاة، الّذي تراه مدرسة أهل البيت والمالكية، خلافاً للأحناف والحنابلة الّذين يرون وجوب التكتف؛ ومثل الاختلاف في غسل الرجلين أو مسحهما في الوضوء ممّا يّيسر للفرد المسلم أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه آجتهداً أو تقليداً، ويستطيع الفرد الآخر المخالف له في الرّأي أيضاً أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه، ويمكن لهما مع ذلك أن يعيشا في وفاق في مجتمع إسلامي واحد - وإنّما هي ممّا يّبنى المجتمع الإسلامي عليها، فإنّما أن يّبنى المجتمع على هذه العقيدة وتزول تلك، وإنّما أن يّبنى على تلك وتزول هذه.

وهي ليست بعد قضايا سياسية غير دينيّة يمكن التفاوض عنها حفظاً لوحدة المسلمين، وإنّ نشر ملايين النسخ من أمثال كتاب (وجاء دور المجوس) بأسماء مستعارة وغير مستعارة، وإنفاق بعض الحكومات على أمثالها، لتنسب إلى أمة كبيرة من المسلمين الخروج عن الإسلام، وإنفاقها ملايين الملايين في نشر دعايتها في آلاف المعاهد والمساجد والمدارس بجميع أقطار الأرض: أنّ ما عداهم من المسلمين مشركون، إضافة إلى إيفاد آلاف المبعوثين كذلك إلى جميع أقطار الأرض لنشر دعايتها من جانب واحد، فإنّ كلّ ذلك لم يكن بدافع سياسي غير ديني.

كما أنها ليست من قضايا أوجدها الاستعمار لإيجاد التفرقة بين المسلمين ليحسن السكوت عليها، بل هي قضايا كانت قائمة ومنتشرة في المجتمع الإسلامي منذ عصر إمام الحنابلة أحمد (ت: ٢٤٠هـ) وعصر الشيخ أبْن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) من أتباع مدرسته، بل قبلهما ويعدّهما إلى اليوم. وإن قتل مئات الألوف من المسلمين وإحراق مكباتهم في شتّى العصور ومختلف البلاد خير دليل على ما نقول. فهي إذن مما يستفاد منها سياسياً من قبل تلك الحكومة أو ذلك الاستعمار، متى ما شاءت تلك أو شاء هذا، فيما إذا لم تعالج. ثم إنها، كما ذكرنا، عقائد راسخة والسكوت عنها على مضض لن يحقق وحدة بين المسلمين ولا تقارباً ولا تفاهماً، بل يعمّق الجرح ويوسع شقّة الخلاف ويطيل أمدها، ولمزيد التوضيح وإقامة الدليل على ما بينت، أذكر بعض مشاهداتي من آثار مسائل الخلاف بين أبناء الأُمّة الإسلاميّة في ما يأتي:

- ٢ -

من آثار الخلاف بعض ما شاهدت بين أبناء الأمة الإسلامية

اعتمدت في ما أشرت آنفاً من تكفير المسلمين بعضهم بعضاً، وما سأذكره منها في ما يأتي، مع أنواع من استدلالهم، إضافة إلى ما ورد في الكتب المطبوعة، على مشاهداتي في أسفاري إلى البلاد الإسلامية واجتماعي بعلماء فرق المسلمين ومفكرهم وأبناء شعوبهم، وخاصة في سفرتي العشر الحج بيت الله الحرام.

في السفارة الأولى :

وكان مما رأيت في سفري الأول للحج على عهد الملك عبد العزيز آل سعود : أن ركبنا - ركب الحاج العراقي - عندما بلغ مدينة الرماح من بلاد الحكومة السعودية، مكثنا فيها أربعاً وعشرين ساعة، واشتركتنا جميعاً في أداء الفرائض جماعة بمسجدهم. ولما دنت ساعة الرحيل، اجتمع علينا لفيف من أهالي المدينة يشاهدون رحيلنا، فحضر حشدهم من بدا عليه أنه كان من ذوي معرفتهم، وخطب فيهم وأشار إلى أفراد الحاج وقال :

وهؤلاء مشركون. وقال أيضاً : هؤلاء يبيكون على الحسن والحسين. ثم أشار إلي وقال :

هذا مطوعهم لو يطيح بيدي أذبحو والطع ذوو. . فانبرى له أحد الحجاج

وقال :

لماذا نحن مشركون نحن حجبنا بيت الله ، زرنا قبر النبي . . . ؟! فإذا به يردد ويكرر ويقول له :

أشركت ، لو يجي أبو أبو سعود ما يحامي عنك . ويش محمد ؛ محمد رجلاً مثلي . (أي لا يستطيع الملك بسلطته ولا يستطيع جدّه سعود أن ينجيك مني . وأي شيء كان محمداً ، محمداً كان رجلاً مثلي وقد مات وانتهى أمره) .

فارتعد الحاج العراقي وقال :

ماذا أقول؟ ماذا أقول؟ فقال له :

قل ما هو ضار إلا الله ، ما هو نافع إلا الله . فردّد الحاج ما لقّنه إياه .

فانبرى له حاج عراقي آخر وقال له :

محمد رجلاً مثلك؟! فأكد قوله ثانية وقال :

محمد رجلاً مثلي ، مات! فقال له الحاج :

محمّد نزل عليه القرآن فهل ينزل عليك القرآن؟ فلم يحمر جواباً ، وبادرنا ركوب السيّارات وتحركت بنا .

وكان في ركبنا حاج يحمل جواز سفر سعوديّاً ويسكن العراق . فلمّا بلغنا الحدود وشاهده موظف الجوازات السعوديّ ، أنهّره وقال له مستهزئاً ومستنكراً :

تترك بلاد الإسلام وتسكن بلاد الشرك؟!

فأخذ الحاج السعودي يتذلل له ويتخشّع له ويطلب جواز سفره ، حتّى

أعاده إليه!!

في السفرة الثانية :

كان علماء العراق يومذاك يحملون همّ إعادة الأحكام الإسلاميّة إلى

المجتمع، يوقظون أبناء الأمة الإسلامية في سبيل المطالبة بها، في مساجدهم وأحتفالاتهم ومهرجاناتهم، ويعارضون السلطة في تشريعها قوانين مخالفة للأحكام الإسلامية. وكنا ننسّم أخبار تحركات المسلمين في هذا السبيل في أي مكان كان، نؤيد ثورة الجزائر على فرنسا ونُدعم الثورة الفلسطينية بكل ما أوتينا من حول وقوة، ونستطلع أخبار الثورة الأريترية على الأحباش، ونرى من لوازم نجاح المعركة في سبيل إعادة الأحكام الإسلامية توعية المسلمين في هذا السبيل ثم تكاتفهم وتعاونهم في هذا الصدد ونسيان مسائل الخلاف في ما بينهم.

ولمّا نشبت المعركة الإسلامية في إيران بين سلطة الطاغوت وعلماء المسلمين يومذاك بدءاً بمعركتهم من المدرسة الفيضية في الجامعة الإسلامية الكبرى بقم، في اليوم الخامس والعشرين من شوال سنة ١٣٨٢هـ، استبشرنا بها خيراً، وحشدنا كلّ طاقاتنا لمساعدتها، وجئنا أنفسنا لخدمتها؛ فقام علماء العراق بكل ما أوتوا من حول وقوة بتأييدها، جزاهم الله جميعاً خيراً.

وكنّت ممّن أقام الحفلات التأيينية، وأقمّت ثلاث ليالٍ حفلة تأيينية كبرى في بغداد، أُلقيت فيها خطب توجيهية توضّح أبعاد المعركة الإسلامية في إيران وأثارها ومغزاها.

في مثل هذا الظرف سافرت إلى الحج وأنا أحمل معي أشعاراً وأطروحة، شعاري الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين في سبيل إعادة حياة إسلامية في البلاد الإسلامية، وأطروحتي: النهضة الإسلامية المتمثلة بالنهضة الإسلامية التي بدت طلائعها في إيران من قبل علماء المسلمين. وكنّت أبذل الجهد في شرح دوافعها لقادة المسلمين ومفكرهم وأستباضهم لمساعدتها وبيان أنّ معركة المسلمين في سبيل إعادة الأحكام الإسلامية واحدة، وأنّه إذا نجحت المعركة في أي بلد إسلامي، فإنّه ستنشر آثارها إلى غيرها، ويعمّ المسلمين خيرها، وكلّي أمل ورجاء أنّي سوف أجد أذنّاً صاغية لما أعرض من مأساة المسلمين في إيران،

مع بيان وحدة القضية ووحدة المصير.

اجتمعت في هذه السفارة بقيادة الإخوان المسلمين في سوريا وسعيد رمضان بمكة، ومحمد آدم رئيس الثورة الأريترية، في موقف عرفات، ومثقي الفلسطينيين في الأردن وبيت المقدس ومحرمي الصحف الإسلامية وعلماء المسلمين وخطبائهم وقادة الحركات الإسلامية، أمثال أبي الحسن الندوي وأبي الأعلى المودودي رئيس الجماعة الإسلامية بباكستان يومذاك، إلى غيرهم.

بدأت عملي في المدينة بالمساهمة في كتابة النشرات التي كانوا يعدونها للتوزيع على الحجيج، فأجريت تعديلات على صيغ النشرات، شرحنا فيها أبعاد النهضة الإسلامية في إيران وبيننا ظلم حكومة الطاغوت وعمالها لدول الكفر، نستنهض فيها المسلمين لإعانة أبناء الأمة الإسلامية في إيران، ورجّحت توزيعها ليلة العيد على الحجّاج في المشعر الحرام، غير أنّي بوغت مساء السابع من ذي الحجة في مكة المكرمة بأنّ الشيخ المسؤول عن توزيعها وزّع بعضها في الحرم المكي الشريف فألقي القبض عليه وزجّ في السجن وحُجزت النشرات كافة. فاجتمعنا نحن علماء العراق وإيران يوم العيد بوليّ العهد فيصل، يومذاك، نطلب منه إطلاق سراح الموقوف والنشرات المحجوزة، فاغتنمت الفرصة وقلت: إنّ حكومتهم رفعت شعار تنفيذ أحكام القرآن في هذا البلد، وعليه يقتضي أن تعينوا المسلمين الذين يجاهدون في سبيل تطبيق أحكام القرآن في بلادهم ويصطدمون بحكومات بلادهم الذين يريدون تنفيذ أحكام الكفر، وأن تجعلوا من البلد الحرام ملجأ للمشردين منهم وتساعدوهم في شرح ظلامتهم لإخوانهم الحجيج، وذلك هو مصداق قوله تعالى:

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

ثم ذكرت قيام علماء المسلمين في الجامعة الإسلامية الكبرى بقم وأسهبُ

في شرح أبعاد النهضة الإسلامية الطالعة بـإيران، وواجب قادة المسلمين خاصّة الحكومة السعودية تجاهها، وختمت حديثي بشرح قضية العالم الذي ورّع نشرات التظلم على المسلمين وتوقيفه، وجرت حول ذلك بيننا مناقشات، أدت إلى إطلاق سراح الموقوف.

ونشرت الصحف بعد أداء المناسك ورجوعنا إلى مكّة دعوة للحضور في المسجد الهندي بمكّة مساء الجمعة للاستماع إلى خطبة الأستاذ المودودي. فحضرنا الاحتفال بعد صلاة العشاء وألقى الأستاذ المحاضر خطبة^(١) ذكر فيها ثمانية أمور تلزم المسلمين لإعادة الحياة الإسلامية إلى المجتمع، وتقدّمت بعده خلف المذبح وخطبت معلقاً على خطابه وقلت:

إن المسلمين في نهضتهم اليوم بحاجة إلى ثلاثة أمور:

أولاً - إن المسلمين بعد مضي أربعة عشر قرناً من بعثة الرسول الأكرم (ص) والظروف التي مرّت عليهم بحاجة إلى دراسة موضوعية مستوعبة لكيفية استنباط الأحكام من مصادر الشريعة الإسلامية ودراية الحديث وفقه السنّة وترك البقاء على تقليد العلماء السلف في كلّ ذلك.

ثانياً - إن الغزاة الكفرة لبلاد الإسلام - المستعمرين - استطاعوا أن يُشتتوا كلمة المسلمين وبذلك استطاعوا أن يقضوا على كلّ حركة إسلامية في أي مكان تظهر. ثم شرحت ثورة الجزائر ضدّ الفرنسيين، والأربريتيين ضدّ الأحباش، وعلماء إيران ضدّ الطاغوت العميل، وأسهب في الشرح وأسنتهضت هم المسلمين لمساعدتهم.

وذكرت ثالثاً أننا اليوم بحاجة إلى إيمان كليّان أبي ذرّ وعمار وسمية،

(١) كان قد أعدّها ليقها في ندوات رابطة العالم الإسلامي التي دعي للاشتراك في جلسات تأسيسها، ولما لم يسمح له بذلك ألقاها في ذلك المسجد.

وشرحت ما تحمّلوا من الأذى على أرض مكّة التي نحن عليها في سبيل الإسلام.



وفي المدينة المنورة بلغ عميد الجامعة الإسلامية الشيخ عبد العزيز بن باز خبر لقاءاتي بالوفود الإسلامية وأن أحد علماء بغداد من وصفه كذا وكذا في المدينة المنورة، فظنّني من أتباع مدرسة الخلفاء ورغب في أن أزور الجامعة الإسلامية بالمدينة، وكانت جديدة التأسيس، وأرسل إلينا من سيّارات الجامعة ما حملتنا إليها مع بعض علماء بغداد ومثقفها وجهائها، وكان أساتذتها قد اجتمعوا في بهو كبير بانتظارنا واستقبلونا فيه وأحتشد على نوافذ البهو فريق من الطلاب لمشاهدتنا. ولما استقرّ بنا المقام، بدأت بعد حمد الله والثناء عليه بتقديم تحايا علماء المسلمين في العراق لهم وتهانيهم بتأسيسهم الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ثم قلت:

إن رسول الله (ص) لما حلّ بهذا البلد بدأ بعقد التآخي بين المسلمين المهاجرين والأنصار، وبنى على ذلك التآخي مجتمعه الإسلامي المجيد. وأنتم بوجود طلبة من خمس وأربعين دولة عندكم تستطيعون أن تقتنوا به وتقدّموا هذه الخدمة الجليلة للإسلام والمسلمين. والمسلمون اليوم بأمر الحاجة إليها، فإنهم في شتّى أصقاع الأرض آبتلوا بالاستعمار الغازي الكافر؛ منهم من يشنّ تحت وطلّاته مباشرة، ومنهم من يسيطر عملاؤه عليهم وبدأوا اليوم يجاهدون الاستعمار وعملاؤه. فهذه الجزائر يجاهد مسلموها فرنسا ويجري عليهم ما يجري وفي أريتيريا يجاهد ثوارها هيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة ويجري عليهم ما يجري وعلماء المسلمين في إيران يجاهدون الطّاغوت وسيّده المستعمر ويكافحون لطرده أقسى استعمار كافر على وجه الأرض لإعادة الأحكام الإسلامية إلى البلد الإسلامي وجري عليهم كذا وكذا . . .

قلتُ هذا بعد أن أفضتُ في الحديث عن مآسي التفرقة بين المسلمين، وضربت الأمثال لذلك وأتممت الحديث، وجاء دور مضيفي الشيخ بن باز للحديث - وكان قد أنبئني بأنِّي من أتباع مدرسة أهل البيت، وكان ضريباً لا يبصر - فإذا به يتنحى ثم يقول بالحرف الواحد:

أنتم مشركون! أسلموا، ثم أطلبوا من المسلمين أن يتحدوا معكم.
فثار الدَّم في عروقي واشتركت معه في نقاش طويل وذكره خارج عن الصدق^(٢).



استمعتُ في سفرتي إلى الحجِّ إلى خطباء الجمعة والجماعة في مكَّة والمدينة، واشتركت في النقاش أحياناً مع الخطباء بين صلاتي المغرب والعشاء بمسجد الخيف، وحضرت ندوات رابطة العالم الإسلامي بمكَّة مستمعاً وأجتمعت في أسفاري بعلماء مصر وخاصة الأزهر الشريف وسائر بلاد المسلمين في لبنان وبلاد الخليج والهند وباكستان وكشمير وغيرها وطارحتهم الحديث. وسمعت أحياناً ما لا يصلح نقله اليوم وأدركت من خلال مطارحاتي مع مفكرين المسلمين وعلمائهم وقادتهم - ولا ينبتك مثل خير - أنه لن يتحقَّق أيُّ تقارب أو تفاهم بين المسلمين دون تدارس مسائل الخلاف والبحث عن منشأها ثم المبادرة إلى علاجها، وإذا كان لابد لنا من معرفة منشأ الخلاف في مسائل الخلاف من أجل علاجها، فسندكر في ما يأتي أمثلة منها، ثم نختم البحوث بما ينبغي أن نعمله في سبيل علاج مسائل الخلاف بحوله تعالى.

ونبدأ بذكر مسائل الخلاف حول بعض صفات الله عزَّ اسمه.

(٢) إنها أشرت إلى أحاديثي في هذه السقرة ليعلم مدى إخلاصي للشعار الذي كنت أرفعه والأطروحة التي كنت أطرحها، وأحياناً كان الألم يعصر قلبي حين التحدُّث والدعم ينحدر من عيني، وإذا بي أجابه تلك المجابهة القظة من ذلك الشيخ.

- ٣ -

بعض صفات الله جل اسمه ومنشأ الخلاف حولها

في المسلمين من يرى أن الله :
خلق آدم على صورته^(١)، وأن له أصابع^(٢) وساقاً^(٣) وقدماً.
وأنه يضع قدمه يوم القيامة على نار جهنم أو على جهنم فتقول : قط ، قط ،
قط^(٤).

وإن له مكاناً، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان، وذلك لما رووا أن رسول

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام.
وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة
الطير، ح ٢٨، وكتاب البر، باب النبي عن ضرب الوجه، ح ١١٥. ومسنند أحمد ٢٤٤/٢
و٢٥١، ٣٢٣، ٣٦٥ و٤٢٤ و٤٦٢ و٥٦٩.

(٢) صحيح البخاري، تفسير سورة الزمر ١٢٢/٢. وكتاب التوحيد، باب قول الله : ﴿لما
خلقت بيدي﴾ ١٨٦/٤. وباب ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ ١٩٢/٤. وصحيح مسلم، كتاب صفة
القيامة والجنة والنار، ح ١٩، ٢١، ٢٢.

(٣) صحيح البخاري، تفسير قوله تعالى : ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ من سورة ن والقلم،
الآية ٤٣، وكتاب التوحيد، باب قوله الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ ١٨٩/٤.

(٤) صحيح البخاري، تفسير سورة ق، وكتاب التوحيد، باب ﴿إن رحمة الله قريب من
المحسنين﴾ ١٩١/٤. والترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل
النار. وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة
يدخلها الضعفاء، ح ٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨.

الله قال :

كان ربنا قبل أن يخلق خلقه في عماء - أي ليس معه شيء - ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، وما ثم خلق عرشه على الماء^(٤) .

وأنه قال :

إن عرشه على سماواته كهكذا - وقال بأصابعه مثل القبة عليه - وأنه ليسط به أطيح الرجل بالراكب^(٥) .

وأنه قال : ينزل الله في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول : من يسألني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه...^(٦) .

وأنه قال : ينزل في ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر...^(٧) .

(٥) سنن أبين ماجدة ، المقدمة ، باب في ما أنكرت الجهمية ، ح ١٨٢ . وسنن الترمذي ، تفسير سورة هود ، الحديث الأول وفيه : العماء - أي ليس معه شيء . وسنن أحمد ١١/٤ و ١٢ .
(٦) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في الجهمية ، ح ٤٧٢٦ . وسنن أبين ماجدة ، المقدمة ، باب في ما أنكرت الجهمية . وسنن الدارمي ، كتاب الرقائق ، باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى .

وراجع كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ت : ١٢٠٦هـ) ومنهاج السنة لابن تيمية .
(٧) صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ، وكتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ . وكتاب الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل . وصحيح مسلم ، كتاب الدعاء ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل . وسنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في الرد على الجهمية ، ح ٤٧٣٣ . وسنن الترمذي ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة ، ٢/٢٣٣ و ٢٣٥ . وكتاب الدعوات باب حدثني الأنصاري ، ١٣/٣٠ . وسنن أبين ماجدة ، كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل ، ح ١٣٦٦ . وسنن الدارمي ، كتاب الصلاة ، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا . وموطأ مالك ، كتاب القرآن ، باب ٣٠ . وسنن أحمد ٢/٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٤١٩ ، ٤٣٣ ، ٤٨٧ ، ٥٠٤ ، ٥٢١ ، و ٣٤/٣ و ١٦/٤ .

(٨) سنن الترمذي ، أبواب الصوم ، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان . وسنن أبين

وأنه قال عن يوم القيامة :

يقال لجهنم : هل أمتلأت؟ وتقول : هل من مزيد؟ فيضع الربّ تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول : قطّ قطّ .
وفي رواية :

فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول : قطّ قطّ . فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض^(٩) .

حول رؤيته :

رووا أن رسول الله (ص) يرى ربّه يوم القيامة . فقد قال (ص) : يأتيني المؤمنون للشفاعة بعد إباء الأنبياء من الشفاعة . فأنطلق فأستأذن على ربّي ، فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجداً . . . إلى قوله : - ثم أشفع فيحدّ لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع ، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجداً - الحديث^(١٠) .
وأنه قال :

إن الله تبارك وتعالى ينزل يوم القيامة إلى العباد ليقضي بينهم^(١١) .

ماجة ، كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان . ومسنّد أحمد ٤٣٣/٢ .
(٩) كلنا الروايتين عن الصحابي أبي هريرة في تفسير سورة ق من صحيح البخاري ١٢٨/٣ ، وفي باب ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ من كتاب التوحيد منه ، ١٩١/٤ .
وعن أنس حديث القدم في باب قول الله تعالى : ﴿وهو العزيز الحكيم سبحانه ربك . . .﴾ من كتاب التوحيد منه ، ١٢٩/٤ .
وراجع سنن الترمذي ، كتاب الجنة ، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ، ٢٩/١٠ .
ومسنّد أحمد ٣٩٦/٢ .

(١٠) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿لما خلقت بيدي﴾ ١٨٥/٤ وفي باب قول الله تعالى : ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ بتفصيل أوفى ، راجع ١٩٠/٤ منه .
(١١) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في الرياء والسمعة ٢٢٩/٩ .

وأنه قال:

إنكم سترون ربكم عياناً^(١٢).

وإن المسلمين يرون ربهم يوم القيامة كما يرون القمر لا يضامون في رؤيته^(١٣).

وإن الله يقول يومئذ:

من كان بعد شيئاً فليتبّع. فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه...^(١٤).

وفي رواية:

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: ... نحن نتظر ربنا الذي نعبد. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً... فيقول: هل ينكم وبينه علامة

(١٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾

١٨٨/٤.

(١٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾. وكتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وباب وقت العشاء إلى نصف الليل، وكتاب التفسير، باب سورة في. وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. والترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الربّ تبارك وتعالى، ١٨/١٠ و٢٠.

(١٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ١٨٨/٤، وراجع تفسير سورة في منه.

فتمصرفونه بها؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساق (ثم يسجدون) (١٦) ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في صورته ألّتي راوه فيها أوّل مرّة، فقال: أنا ريكم. فيقولون: أنت ربّنا (١٧).

في الجنّة

وأنه قال عن المؤمنين في الجنّة:

ما بينهم وما بين أن ينظروا إلى ربّهم إلّا رداء الكبر على وجهه في جنّة عدن (١٨).

وأنّ أهل الجنّة إذا دخلوها يقول الله تبارك وتعالى:

تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنّة وتنجنا من النّار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربّهم عزّ وجلّ (١٩).

وأنّ رسول الله (ص) قال:

بينا أهل الجنّة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربّ

(١٥) ما بين القوسين ملخّص من لفظ الحديث في السجدة.

(١٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح ٢٢٩، واللفظ منه. وصحيح البخاري في تفسير سورة النساء، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ٨٠/٣، واللفظ فيه مختصر، وكذلك في كتاب التوحيد منه، باب قول الله تعالى ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ ١٨٩/٤.

لو تفضّل الراؤون ربّهم ووصفوا لنا صورة ربّهم ألّتي راوه عليها وساقه ألّتي هي علامة بينهم وبين ربّهم لكان ذلك فضلاً منهم كبيراً يشكرون عليه ويحمدون.

(١٧) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ ١٩١/٤. وفي صحيح مسلم. كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم، ح ٢٩٦.

(١٨) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم، ح ٢٩٧.

قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة!! قال: وذلك قول الله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾. قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته^(١٩).
وأنه قال:

... أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيًا. ثم قرأ رسول الله (ص): ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٢٠)
وأن رسول الله (ص) أخبر وقال: إن أهل الجنة يزورون الله عز وجل ويزرهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل معاصرة حتى أنه يقول للرجل منكم ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا؟ فيقول:
يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول:

بلى... ثم نصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن:
أهلاً ومرحباً، لقد جئْتِ وإن بك من الجمال والنور والطيب أفضل مما
فارقنا عليه. فنقول:

إنّا جالسنا اليوم ربنا عز وجل ومحققنا أن ننقلب بمثل ما آنقلبنا^(٢١).



نكتفي بإيراد ما أوردنا من الأحاديث الكثيرة الوفيرة في صفات أعضاء الله ورؤية العباد ربهم يوم القيامة، لأننا بصدد ضرب المثل لبيان منشأ الخلاف،

(١٩) سنن أبين ماجه، كتاب المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية، ح ١٨٤.
(٢٠) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب رؤية الرب، ١٨/١٠ - ١٩.
(٢١) سنن أبين ماجه، كتاب الزهد، باب صفة أهل الجنة، ح ٤٣٣٦، ص ١٤٥١ - ١٤٥٢، وسنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، ١٧ - ١٦/١٠.

ولسنا بصدد الإحصاء. وندرس في ما يأتي الخلاف حول تأويل هذه الأحاديث.

الخلاف على تأويل تلکم الأحاديث

في المسلمين من يؤمن بظواهر تلك الأحاديث ويرى الإيمان بها إيماناً بالله ودليلاً على القول بتوحيده تعالى، ويسمّون من يؤوّلها إلى غير معنى الجسميّة بمعطلة الصفات، أي معطلة صفات الله.

وقد دَوّن مسلم تلك الأحاديث في كتاب الإيمان من صحيحه والبخاري في كتاب التوحيد من صحيحه.

وألف ابن خزيمة كتاباً سمّاه: (التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ) التي وصف بها نفسه في تنزيله وعلى لسان نبيّه، نقل الأخبار الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير قطع في إسناد ولا جرح في ناقل الأخبار الثقات^(٢٢).

وهذا فهرس بعض أبواب الكتاب كما جاء في آخره:

أبواب كتاب ابن خزيمة

إثبات النفس لله.

إثبات الوجه لله.

باب ذكر صورة ربّنا جلّ وعلا.

باب ذكر إثبات العين لله جلّ وعلا.

باب إثبات السّماع والرؤية لله جلّ وعلا.

(٢٢) هو الحافظ الكبير إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١هـ) أسناده البخاري ومسلم في الحديث، طبع الكتاب سنة ١٣٧٨هـ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بميدان الأزهر في القاهرة. راجع ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب.

باب إثبات اليد للمخالق البارئ جلّ وعلا.

باب ذكر إثبات الرجل لله عزّ وجلّ.

باب ذكر البيان أنّ الله عزّ وجلّ ينظر إليه جميع المؤمنين.

باب ذكر البيان أن جميع المؤمنين يرون الله يوم القيامة مخلّياً به.

وألّف الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠هـ) كتاب: الردّ على الجهميّة، ومن أبوابه:

باب استواء الرّبّ على العرش وأرتفاعه إلى السماء وبينوته من الخلق.

باب النزول ليلة النصف من شعبان.

باب النزول يوم عرفة.

باب نزول الرّبّ يوم القيامة للحساب.

باب نزول الله لأهل الجنة.

باب الرؤية^(٢٣).

وألّف الذهبي كتاب (العلوّ العال للعلّي الغفّار^(٢٤)) أورد فيه الآيات والأحاديث التي يفهمون منها أنّ مكان الله في العلوّ المكاني، ثمّ ذكر أقوال الصّحابة والتابعين والعلماء والمحدّثين في تأييد ذلك.

منشأ الخلاف حول بعض صفات الله ورؤيته

في المسلمين من درسنا آراءهم في صفات الله المذكورة. وفيهم من يتلوفى ردّ تلکم الأقوال قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾

(٢٣) ط. ليدن، سنة ١٩٦٠م.

(٢٤) الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّاز الذهبي (ت:

٧٤٨هـ)، نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة، باب الرحمة، ط: الثانية، سنة ١٣٨٨هـ.

ويقول: إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاضِرِينَ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرِينَ﴾، أي: إلى أمر ربِّها ناظرة، أي: منتظرة، وذلك مثل قوله تعالى في حكاية قول أولاد يعقوب لأبيهم: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يوسف/ ٨٢. أي: وأسأل أهل القرية، قَدَّرَ في تلك الآية (أمر) وفي هذه الآية (أهل)، وهكذا تَوَوَّلَ سائر الآيات الَّتِي ظاهرها يدلُّ على أَنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى جسم .

وَيَسْمُونَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَقْوَالِ بِالْمَجْسَمَةِ وَالْمُشَبَّهَةِ أَيِ الَّذِينَ يَشْبَهُونَ رَبَّهُمْ بِمَخْلُوقَاتِهِ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ جَسَمٌ .

ويروون عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) أَنَّهُ قَالَ:
 مِنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَقَدْ صَبَّرَ اللَّهُ مَحْمُولًا وَلِزِمَهُ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَحْمِلُهُ أَقْوَى مِنْهُ . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ ، أَوْ يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ ، أَوْ يَشْغُلُ بِهِ شَيْءٌ فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ ؛ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، لَا يَفَاسُ بِالْقِيَاسِ ، وَلَا يَشَبُّهُ بِالنَّاسِ ، لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ ، وَلَا يَشْغُلُ بِهِ مَكَانٌ (٢٥) .

وَيَسْتَشْهَدُونَ بِقَوْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع) :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ ، وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يَنْزَلَ ؛ وَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَنْسِبُهُ إِلَى نَقْصٍ وَزِيَادَةٍ ، وَكُلُّ مَتَحَرِّكٍ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَحْرُكُهُ أَوْ يَتَحَرَّكُ بِهِ ، فَأَحْذَرُوا فِي صِفَاتِهِ مِنْ أَنْ تَقْضُوا لَهُ عَلَى حَدِّ تَحْدُونِهِ بِنَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ ، أَوْ تَحْرِيكِ أَوْ تَحَرُّكِ ، أَوْ زَوَالٍ أَوْ

(٢٥) الكافي، الجزء الأول، كتاب التوحيد باب العرش والكرسي، ح ٧، وباب الحركة والانتقال، ح ٣ و ٩. والتوحيد للشيخ الصدوق، باب نفى المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ٩ و ١٠ و ١٢، وباب ﴿وَكُنْ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ح ١١، وباب معنى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ح ٥ و ٦ و ٧ و ٨. البحار للمجلسي، ط. الجديدة، كتاب التوحيد، باب نفى الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد، ح ٢٣، ٨٧/٣ .

استنزال، أو نهوض أو قعود^(٢٦).

وقال الراوي للإمام علي بن موسى الرضا (ع):

إِنَّا رَوَيْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمَ لِمُوسَى الْكَلَامَ وَلِمُحَمَّدٍ الرَّؤْيَةَ. فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا (ع): فَمَنْ الْمُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أَلَيْسَ مُحَمَّدًا (ص)؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَكَيْفَ يَجِيءُ رَجُلٌ إِلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَيَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ - الْآيَاتِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي وَأَحْطَيْتُ بِهِ عِلْمًا وَهُوَ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ! أَمَا تَسْتَحُونَ؟ مَا قَدَرْتَ الزِّنَادَةَ أَنْ تَرْمِيَهُ بِهَذَا، أَنْ يَكُونَ يَأْتِي عَنِ اللَّهِ بِشَيْءٍ ثُمَّ يَأْتِي بِخِلَافِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ.

قال الراوي: فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿لَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى﴾ فقال أبو الحسن (ع): إِنَّ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا رَأَى حَيْثُ قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ يقول: مَا كَذَبَ فُؤَادُ مُحَمَّدٍ (ص) مَا رَأَتْ عَيْنَاهُ. ثُمَّ أَخْبَرَنَا بِمَا رَأَى فَقَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ فَأَيَّاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرِ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ فَإِذَا رَأَتْهُ الْأَبْصَارُ، فَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ الْعِلْمُ، وَوَقَعَتِ الْمَعْرِفَةُ. فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَتَكْذِبُ بِالرَّوَايَاتِ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ (ع): إِذَا كَانَتِ الرَّوَايَاتُ مُخَالِفَةً لِلْقُرْآنِ كَذَّبْتُ بِهَا...^(٢٧).



٢٦) الكافي، كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، ح ١. والتوحيد للصدوق، باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ١٨. والبحار للمجلمي، كتاب التوحيد، باب نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى ح ٢٥، ٣/٣١١.

٢٧) توحيد الصدوق، ط. طهران سنة ١٣٨٧ هـ، ص ١١١-١١٢. وأحاطت به العلم، أي: أحاطت به الأبصار علمًا، وقد أوردنا الحديث موجزًا، والبحار، كتاب التوحيد، باب نفي الرؤية وتأويل الآيات، ح ١٤، ٣١/٤. والكافي، كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية ح ٢.

وهكذا بين أئمة أهل البيت (ع) تفسير الآيات وكشفوا عن المقصود من السَّاق واليد والعرش ونظائرها في الآيات الكريمة، وأنَّ الله خلق آدم على صورته في الحديث^(٢٨) وتركنا لإيرادها لأننا لسنا بصدد لإيراد أدلة المدرستين وأستقصاء أدلتها في ما أرتأيا، بل أردنا أن نورد أمثلة مما ورد من الأحاديث المتعارضة في صفات الله لدى المدرستين، وأنَّ أحاديث كل مدرسة تؤوّل آيات القرآن بأنجاءها الخاص، وأنّه هكذا نشأ الخلاف حول صفات الله .
ثم ندرس في ما يأتي منشأ الخلاف في بعض صفات الأنبياء بحوله تعالى .

(٢٨) يراجع بشأن صفات الله كتب: الكافي للشيخ الكليني، كتاب التوحيد. والنوحيد للشيخ الصدوق. وعيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، الباب رقم: ١١، ما جاء عن الرضا من الأخبار في التوحيد.

- ٤ -

الخلاف في صفات الأنبياء وما خصَّهم الله بها ومنشأها

يرى البعض حول صفات الأنبياء :
أن التبرك بآثار الأنبياء وأخذ قبورهم محلاً للعبادة شرك .
وأن البناء على قبورهم في حدّ الشرك .
وأن الاحتفال بأيام مواليدهم ومواليد الأولياء معصية وبدعة محرمة .
وأن التوسّل إلى الله بغيره في حدّ الشرك ، والاستشفاع برسول الله (ص)
بعد وفاته مخالف للشرع الإسلامي .
ويستدلّ مخالفوهم بما يأتي :

أ - التبرك بآثار الأنبياء

يستدلّون على مشروعية التبرك بآثار الأنبياء بما تواتر نقله في جميع كتب
الحديث أن الصحابة تبرّكوا برسول الله (ص) وآثاره في حياة الرسول (ص)
بمباشرته ، ودعوته بذلك ، وتبرّكوا - أيضاً - بآثاره بعد وفاته ، وفي ما يأتي بعض
ما يستدلّون به :

التبرك ببصاق النبيّ (ص)

في صحيح البخاري عن سهل بن سعد في باب ما قيل في لواء

النبي (ص) من كتاب المغازي^(١): «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: لَا أُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَنَّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) كُلَّهُمْ يَرْجَوْنَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. فَأَرْسَلَ فَأَتَى بِهِ . . . وَلَفْظُهُ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ^(٢): فَأَمَرَ فِدْعِي لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَانَتْهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ . . . - الْحَدِيثُ.

وفي لفظ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْرَعِ بِصَحِيحِ مُسْلِمٍ:
قال: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقْوَدَهُ وَهُوَ أَرْمَدُ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ (ص) فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ - الْحَدِيثُ^(٣).

التبرك بوضوء النبي (ص)

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله (ص) وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه. فأتي رسول الله (ص) بوضوء فوضع رسول الله في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضأوا منه. فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضأوا من عند آخرهم^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣/٣٥. وكتاب الجهاد والسير، الباب رقم: ١٠٢، ٢/١٠٨، وباب ما قيل في لواء النبي، ٢/١١١، وباب فضل من أسلم على يديه رجل، ٢/١١٥. وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي بن أبي طالب، ٢/١٩٩. وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (رض)، ح ٣٢ و ٣٤، وباب غزوة ذي قرد وغيرها، ح ١٣٢. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، ١٣/١٧٢.

(٢) صحيح البخاري، باب دعاء النبي إلى الإسلام، ٢/١٠٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، ح ١٣٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، ١/٣١.

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله أنه قال :
 قد رأيته مع النبي (ص) وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة ،
 فجعل في إناء فأتي النبي (ص) به ، فأدخل يده فيه ، وفرج أصابعه ثم قال :
 حي على أهل الوضوء ، البركة من الله . فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ،
 فتوضأ الناس وشربوا . فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمت أنه بركة
 - ف قيل لجابر : - كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألفاً وأربعمائة . وفي رواية : خمس عشر
 مائة^(٥) .

التبرك بنخامة النبي (ص)

روى البخاري في صلح الحديبية عن عروة بن مسعود قال عن رسول
 الله (ص) وأصحابه :
 والله ما نتخّم رسول الله (ص) نخامة إلّا وقعت في كف رجل منهم فذلك
 بها وجهه وجلده ، وأنه إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه^(٦) .

التبرك بشعر النبي (ص)

روى مسلم في صحيحه : أنّ رسول الله (ص) أتى منى وحلق رأسه بعد
 أن رمى ونحر (ثم جعل يعطيه الناس) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الأشربة ، باب شرب البركة والماء المبارك ، ٢١٩/٣ . وسنن
 النسائي ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء من الإناء ٢٥/١ . ومسنند أحمد ٤٠٢/١ . وسنن
 الدارمي عن عبد الله بن عمر ، المقدمة ، باب ما أكرم الله النبي (ص) من تفجير الماء من بين
 أصابعه ، ١٥/١ .

(٦) صحيح البخاري كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب
 وكتابة الشروط ، ٨٢/٢ ، وكتاب الوضوء منه ، باب البزاق والمخاط ونحوه . . . ، ٣٨/١ ، وباب
 استعمال فضل وضوء الناس . . . ، ٣٣/١ . ومسنند أحمد ٣٢٩/٤ ، ٣٣٠ .

وفي رواية أخرى: أنه دعا الخالق فخلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: أقسمه بين الناس^(٧).

وروى أيضاً عن أنس قال:

لقد رأيت رسول الله (ص) والخلق يخلقه وأطاف به أصحابه. فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل^(٨).

وفي ترجمة خالد بأسد الغابة: أن خالد بن الوليد كان له الأثر المشهور في قتال الفرس والروم، وأفتح دمشق، وكان في قلنسوته التي يقاتل بها شعر من شعر رسول الله (ص) يستنصر به وبركته، فلا يزال منصوراً.

وفي ترجمته - أيضاً - بأسد الغابة والإصابة ومستدرك الحاكم - واللفظ له - :

أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: أطلبوها. فلم يجدوها. ثم طلبوها فوجدوها، وإذا قلنسوة خلقة، فقال خالد: إعتمر رسول الله (ص) فخلق رأسه وأبتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصر^(٩).

(٧) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يخلق، والابتداء في الخلق بالجانب الأيمن من رأس المخلوق، ح ٣٢٣ و ٣٢٦.

وراجع ح ٣٢٤ و ٣٢٥ منه في سنن أبي داود بكتاب المناسك، باب الخلق والتقصير ح ١٩٨١، ٢٠٣/٢. وطبقات ابن سعد ١/١٣٥. ومسند أحمد ٣/١١١ و ١٣٣ و ١٣٧ و ١٤٦ و ٢٠٨ و ٢١٤ و ٢٣٩ و ٢٥٦ و ٢٨٧، و ٤٢/٤. ومغازي الواقدي ص ٤٢٩.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبي (ص) من الناس وتركهم به، ح ٧٤ ص ١٨١٢.

(٩) المستدرك للحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد، ٢٩٩/٣. واللفظ له وبترجمة خالد في أسد الغابة والإصابة. وموجز الخبر بعمتخب كنز العمال ج ١١٣/٧. أحمد ٥/١٧٨.

وروى البخاري: أنه كان عند أم سلمة زوج النبي (ص) شيء من شعر النبي فإذا أصاب إنساناً عين أرسلوا إليها قدحاً من الماء تغمس الشعر فيه، فيداوئى من أصيب^(١٠).

قال عبيدة: لأن تكون عندي شعرة منه - أي النبي (ص) - أحب إلي من الدنيا وما فيها^(١١).

التبرك بسهم النبي (ص)

روى البخاري في صلح الحديبية وقال:

نزل الرسول (ص) بجيشه في أقصى الحديبية على ثمد قليل الماء تبرّضه الناس تبرّضاً، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكوا إلى رسول الله (ص) العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يمحلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه^(١٢).

التبرك بموضع كف النبي (ص)

في ترجمة حنظلة من الإصابة ومسنند أحمد ما مرّجه:

قال حنظلة: دنا بي جدّي إلى النبي (ص) فقال:

١٠) أوردناه ملخصاً من صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب،

٢٧/٤.

١١) طبقات ابن سعد ٦/٦٣. وصحيح البخاري، كتاب الرضوء، باب الماء الذي يغسل

به شعر الإنسان، ٣١/١.

١٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب

وكتابة الشروط، ٨١/٢. وراجع كتاب المغازي منه، باب غزوة الحديبية، وراجع طبقات ابن

سعد ٣/٢٩، وباب ذكر علامات يعد نزول الوحي ١/١١٨، ومغازي الواقدي

ص ٢٤٧.

إِنَّ لِي بَنِينَ ذَوِي لَحْيٍ وَدُونَ ذَلِكَ ، وَإِنَّ ذَا أَصْغَرِهِمْ ، فَأَدَعَ اللَّهُ لَهُ . فَمَسَحَ
رَأْسَهُ وَقَالَ :

بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ أَوْ بَوْرَكَ فِيهِ . قَالَ الرَّاوي :

فَلَقَدْ رَأَيْتُ حَنْظَلَةَ يُوْتِي بِالْإِنْسَانَ الْوَارِمَ وَجْهَهُ أَوْ الْبَهِيمَةَ الْوَارِمَةَ الضَّرْعَ
فَيَتَقَلَّ عَلَى يَدَيْهِ وَيَقُولُ : بِأَسْمِ اللَّهِ ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَقُولُ : عَلَى مَوْضِعِ
كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ (ص) . فَيَمْسَحُهُ عَلَيْهِ .
وَقَالَ الرَّاوي : فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ ^(١٣) .
وَفِي لَفْظِ الْإِصَابَةِ :

وَيَقُولُ : بِأَسْمِ اللَّهِ ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مَوْضِعَ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ،
فَيَمْسَحُهُ عَلَيْهِ . ثُمَّ يَمْسَحُ مَوْضِعَ الْوَرَمِ ، فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ .



كَانَ أَنْتَشَارُ الْبَرَكَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِلَى مَنْ حَوْلَهُ كَأَنْتَشَارِ الضَّوءِ مِنَ
الشَّمْسِ وَالشَّدَى مِنَ الزَّهْرِ ، لَا يَنْفَكُ عَنْهُ أَيْنَمَا حَلَّ ، فِي صَغَرِهِ وَكَبَرِهِ ، سَفَرِهِ
وَحَضَرِهِ ، لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، سِوَاءِ أَكَانَ فِي خَبَاءٍ حَلِيمَةٍ السَّعْدِيَّةِ رَضِيْعاً ، أَمْ فِي سَفَرِهِ
إِلَى الشَّامِ تَاجِراً ، أَمْ فِي خِيْمَةِ أُمِّ مَعْبِدٍ مَهَاجِراً ، أَمْ فِي الْمَدِينَةِ قَائِداً وَجَاكِماً . وَمَا
أُورِدْنَاهُ أَمْثَلَةً مِنْ أَنْوَاعِهَا وَلَيْسَ مِنْ بَابِ الْإِحْصَاءِ ، فَإِنَّ إِحْصَاءَهَا لَا يَتَيَسَّرُ
لِلْبَاحِثِ ، وَفِيهَا أُورِدْنَاهُ الْكَفَايَةَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ .
وَنُدْرَسُ بَعْدَ هَذَا فِيمَا يَأْتِي مَسْأَلَةُ الْاسْتِشْفَاعِ بِرَسُولِ اللَّهِ (ص) ثُمَّ نُدْرَسُ
مَنْشَأَ الْخِلَافِ فِي جُمْلَةِ مَيَّزَاتِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) عَلَى سَائِرِ النَّاسِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى .

(١٣) مسند أحمد ٦٨/٥ ، وتفصيله بترجمة حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي في الإصابة
وفي لفظه ، وأورد الخبر أيضاً بأسناد أخرى .

ب - الاستشفاع برسول الله (ص)

يستدّل القائلون بمشروعية التوسّل برسول الله (ص) والاستشفاع به في كلّ زمان، بأنّ ذلك وقع برضاً من الله قبل أن يخلق النبيّ (ص) وفي حياته وبعد وفاته، وكذلك يقع يوم القيامة. وفي ما يأتي الدليل على ذلك:

أولاً - التوسّل بالنبيّ (ص) قبل أن يخلق

روى جماعة منهم الحاكّم في المستدرک، من حديث عمر بن الخطاب (رض) أنّ آدم لما اقترف الخطيئة قال:

يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي. فقال الله:

يا آدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال:

يا ربّ لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: «لا إله إلا الله محمّد رسول الله» فعلمت أنّك لم تضيف إلى أسمك إلا أحبّ الخلق إليك. فقال الله:

صدقت يا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إليّ، أدعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمّد ما خلقتك.

وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذرّيتك»^(١٤).

وأخرج المحدثون والمفسّرون في تفسير الآية: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما همّروا كفروا به فللعنة الله على الكافرين﴾ البقرة/ ٨٩: أنّ اليهود من أهل المدينة وخيبر إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من الأوس والخزرج وغيرها قبل

١٤) مستدرک الحاکم، کتاب التاريخ في آخر کتاب البعث، ٦١٥/٢، وجمع الزوائد ٢٥٣/٨، وتحقيق النصرة للمراغي (ت: ٨١٦هـ)، ص ١١٣ - ١١٤. وهو الذي نقله عن الطبراني.

أن يبعث النبي، كانوا يستنصرون به عليهم، ويستفتحون لما يجدون ذكره في التوراة، فيدعون على الذين كفروا ويقولون: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَصْرِكَ بِحَقِّ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ) أو يقولون: (اللَّهُمَّ رَتْنَا أَنْصَرْنَا عَلَيْهِمْ بِأَسْمِ نَبِيِّكَ . . .)^(١٥) . فلما جاءهم كتاب من عند الله وهو القرآن مصدق لما معهم، وهو التوراة والإنجيل، وجاءهم ما عرفوا، وهو محمد (ص) ولم يشكوا فيه، كفروا به، لأنه لم يكن من بني إسرائيل^(١٦) .

ثانياً - التوسل بالنبي (ص) في حياته

روى أحمد بن حنبل والترمذي وأبن ماجة والبيهقي عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي (ص) فقال:

ادع الله أن يعافيني . قال:

إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتُ فَهُوَ خَيْرُكَ . قال:

فَادْعُ . قال:

فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ

(١٥) يظهر من الروايات أنهم كانوا يدعون بأمثال هذه الادعية مما فيه التوسل بالنبي (ص) إلى الله جلَّ اسمه .

(١٦) تواترت الروايات بالمضمون الذي أوردناه في كل من:

دلائل النبوة للبيهقي ص ٣٤٣ - ٣٤٥ . وتفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة بتفسير محمد بن جرير الطبري ١/ ٣٢٤ - ٣٢٨ . وتفسير النيسابوري بهامشه ١/ ٣٣٣ . والحاكم بتفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة من كتاب التفسير بمستدركه ٤/ ٢٦٣ . وتفسير السيوطي عن دلائل النبوة لأبي نعيم . وتفسير محمد بن عبد حميد . وتفسير أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس الرازي . وتفسير أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٠هـ) .

بك إلى ربِّي في حاجتي لِتَقْضِيَ لي . اللهم شَفِّعه في»^(١٧) . صحَّحه البيهقي والترمذي .

ثالثاً - التوسُّل بالنبي (ص) بعد وفاته

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عثمان بن حنيف :

أَنَّ رجلاً كان يَخْتَلِفُ إلى عثمان بن عفَّان (رض) في حاجة له ، فكان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك . فقال عثمان بن حنيف : أنت الميضاة فتوضَّأ ، ثُمَّ أتت المسجد فصلَّ ركعتين ، ثُمَّ قل :

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (ص) نَبِيِّ الرَّحْمَةِ . يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتُوجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي لِتَقْضِيَ حاجتي » . وتذكر حاجتك .

فانطلق الرجل فصنع ما قال له . ثُمَّ أتى باب عثمان بن عفَّان ، فجاءه البواب ، فأخذ بيده . فأدخله على عثمان ، فأجلسه معه على الطنفسة فقال : ما حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له . ثُمَّ قال له : ما ذكرت حاجتك حتَّى كانت الساعة . وقال : ما كان لك من حاجة فأذكرها^(١٨) .

(١٧) مسند أحمد ١٣٨/٤ . وسنن الترمذي ، كتاب الدعوات ١٣ / ٨٠ - ٨١ . وسنن أبي نعيم ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الحاجة ح ١٣٨٥ ص ٤٤١ . وآبئ الأثير بسنده بترجمة عثمان بن حنيف من اسد الغابة . والبيهقي برواية صاحب كتاب تحقيق النصرة عنه . تحقيق النصرة ص ١١٤ .

وأوردنا لفظ إمام الحنابلة أحمد لأن المتكررين للشفاعاة من أتباع الشيخين : ابن تيمية وآبئ عبيد الوهاب هم من أتباع آبن حنبل .

(١٨) تحقيق النصرة ص ١١٤ - ١١٥ ، رواه عن الطبراني في معجمه الكبير .

الاستشفاع بالعباس عم النبي (ص)
 في صحيح البخاري: أَنَّ عمر بن الخطاب (رض) كان إذا قحطوا
 استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال:
 اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَنِيِّنَا فَتَسْقِنَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا
 فَاسْقِنَا. قال: فيسقون^(١٩).
 كان الاستشفاع بالعباس لأنه عم رسول الله (ص) وليس لصفة أخرى
 فيه.



مع وجود هذه الأحاديث من سنة الرسول (ص) لا ينبغي أن يكون ثمت
 خلاف في مسألة صفات الأنبياء، وخاصة خاتم الرسل، المذكورة وما فضلهم
 الله بها وخصهم على سائر الناس. وسنذكر في ما يأتي بعض ما نراه سبباً
 للخلاف في صفات خاتم الرسل خاصة.

منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص)
 مع صراحة النصوص المتواترة المذكورة آنفاً حول بعض صفات الأنبياء،
 كيف نشأ الخلاف حولها؟

الجواب أنا إذا أنعمنا النظر في روايات جمّة أخرى رويت في أنتقاص شأن
 الأنبياء، وأنشئت في كتب الحديث، والآتي تنزل منزلة الأنبياء عن مستوى
 سائر الناس، وجدنا أنها هي التي تكون للمعتقد بصحتها رؤية خاصة تناقض

(١٩) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا
 قحطوا. وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب العباس بن عبد المطلب، ٢/٢٠٠
 و١/١٢٤. وسنن البيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه،
 ٣/٣٥٢.

محتوى الأحاديث الأتفة. ولثلاً يطول بنا المقام، نكتفي في ما يأتي بالإشارة إلى بعض ما روي بشأن خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين (ص) فيه كفاية لمن أراد أن يتدبر ويتبصر. منها:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه وقال:

إن رسول الله (ص) قبل أن ينزل عليه الوحي قَدِمَ إلى زيد بن عمرو بن نفيل سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إني لا أكل إلا مما ذكر أسم الله عليه^(٢٠).

إذا فإن زيدا كان في الجاهلية أفضل من رسول الله يتجنب من أمر الجاهلية ما لا يتجنبه رسول الله (ص).

٢ - روى البخاري ومسلم:

أن رسول الله (ص) لَمَّا جاءه جبرائيل بآيات: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ - إِلَى قَوْلِهِ - عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ رجع النبي (ص) إلى بيته ترجف بواده، وقال للحديجة: إني خشيت على نفسي. فقالت له خديجة: أبشر، كلّا فوالله لا ينجريك الله أبداً. وأنطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وكان أمراً تنصّر في الجاهلية، فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رآه. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى - الحديث^(٢١).

(٢٠) البخاري، كتاب الذبائح، باب ما ذبح على النصب والأصنام، ٢٠٧/٣. ومسند أحمد ٢/٦٩ و ٨٦. وزيد بن عمرو بن نفيل كان أبن عمّ الخليفة عمر ووالد زوجته، جاء ذكره في ترجمة ابنه سعيد في الاستيعاب ٤/٢.

(٢١) صحيح البخاري: باب بدء الوحي، ٣/١ وتفسير سورة اقرأ. وصحيح مسلم؛ كتاب الإيمان باب بدء الوحي، ح ٢٥٢. ومسند أحمد ٦/٢٢٣ و ٢٣٣. والبوادر: اللحمة بين المنكب والعنق تضطرب عند الفزع. وقد لحصنا الخبر.

وناقشنا روايات بعثة النبي الواردة في كتب الحديث والسيرة والتفسير وذكرنا عللها في الجزء

إِذَا فَإِنَّ ورقة النصراني كان أدرى بالوحي وجبرائيل من رسول الله (ص) الذي خوطب بالوحي، ومن كلام ورقة أطمأن النبي (ص) بمصيره، وإلا فإنه كان يريد أن يلقي بنفسه من حائق من جبل، بحسب ما رواه ابن سعد في طبقاته، وقال الطبري: إِنَّ رسول الله (ص) قال: إِنَّ الأبعد - يعني نفسه - لشاعر أو مجنون لا تَحَدَّثُ بها عَنِّي قريش أبداً^(٢٢).

٣ - روى البخاري ومسلم وقالوا:

إِنَّ رسول الله (ص) كان يغضب فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها، ودعا الله أن يجعلها لمن بدرت منه إليه زكاة وطهوراً^(٢٣).

٤ - وروى أيضاً وقالوا:

إِنَّ بعض اليهود سحر رسول الله (ص) حَتَّى يَحْيِلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وما فعله^(٢٤).

٥ - روى مسلم:

أَنَّ رسول الله (ص) مَرَّ بِقَوْمٍ يَلْقَحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَلْقَحُوهَا لَصَلَحَ. فَتَرَكُوا تَلْقِيحَهَا فَخَرَجَ شَيْصاً، فَقَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ^(٢٥).

الرابع من (قيام الأئمة بإحياء السنة)، وهو سلسلة دراسات عن أثر أئمة أهل البيت (ع) في إحياء السنة. وأوردنا الخبر الصحيح في ذلك، والحمد لله.

٢٢ تاريخ الطبري ط. أوروبا ١/١١٥٠.

٢٣ صحيح البخاري كتاب الدعوات، باب قول النبي (ص): من آذنته. وصحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي (ص) وليس له أهلاً.

٢٤ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطب باب هل يستخرج السحر، وباب السحر، وكتاب الأدب، باب إن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء، وصحيح مسلم باب السحر.

٢٥ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الناس... وسنن ابن ماجه، باب تلقح النخل.

٦ - وروى أيضاً:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَسْتَمَعَ إِلَى غَنَاءِ جَوَارٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَنَهَرَهُمْ أَبُو بَكْرٍ^(٢٦).

٧ - روى مسلم:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) رَفَعَ عَائِشَةَ عَلَى مَنْكِبِهِ لَتَنْظُرَ إِلَى الْحَبِشَةِ الَّذِينَ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَنَهَرَهُمْ عُمَرُ^(٢٧).
وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ:

إِذْ طَلَعَ فَأَنْقَضَ النَّاسَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ فَرَّوْا مِنْ عُمَرَ^(٢٨).
وَفِي رِوَايَةٍ:

أَنَّ جَارِيَةَ سُودَاءَ ضَرَبَتْ بِالْذِفِّ وَغَنَّتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنْ إِحْدَى غَزَوَاتِهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ فَالَقَتْ الذِفَّ تَحْتَ اسْتِهَا، ثُمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ^(٢٩).

٨ - روى البخاري ومسلم في صحيحيهما:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ (ص) سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ:

(٢٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مقدم النبي (ص) وأصحابه المدينة. وكتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام. وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في لعب يوم العيد.

(٢٧) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، ح ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢.

(٢٨) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر.

(٢٩) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر. ومسنند أحمد ٣٥٣/٥.

وقد ناقشنا هذه الأحاديث وذكرنا عللها في الجزء ٢ و ٣ و ٤ من كتاب قيام الأئمة بإحياء السنة.

رحمه الله ، أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا^(٣٠).



رأينا في ما مرَّ أن زيد بن عمرو بن نفيل أبن عمِّ الخليفة عمر كان اتقى الله من رسوله (ص)، يمتنع من أكل ما ذبح على الأنصاب والأصنام، بينها يأكله رسول الله (ص).

وأن ورقة بن نوفل النصراني يدرك أن الذي جاء إلى الله (ص) هو جبرائيل ورسول الله لم يعرفه، وخشي أن يكون أصابه مس من الجن وأن آيات سورة اقرأ هي من سجعهم.

وأن سحر اليهود أثر في رسول الله (ص) فكان يرى أنه يفعل الشيء وما فعله.

وأنه أسقط من القرآن آيات نسيها حتى قرأها بعض الصحابة. وأنه أمر بعدم تلقيح النخل ليصلح، فلما أصبح شيصاً قال لهم: أنتم أعلم بأمور دنياكم مني.

وأنه أستمع إلى غناء جوار من الأنصار، وكرهه أبو بكر، وقال في شأن عمر: إن الشيطان ليفر منك.



إن تلكم الأحاديث وأمثالها تثبت أن رسول الله (ص) كان دون زيد في الجاهلية، وبعد الإسلام كان ورقة النصراني أدنى بالوحي وجبرئيل من رسول الله (ص) وأن أبا بكر وعمر كانا أكثر تحجباً للهو واللغو من رسول الله (ص)،

(٣٠) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى ونكاحه. وصحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعهد القرآن، ح ٢٢٤. وسنن أبي داود، كتاب التطوع، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، ح ١٣٣١، وكتاب الحروف والقراءات، الباب الأول، ح ٣٩٧٠.

وأن الصحابي الذي قرأ من القرآن ما كان قد أسقطه الرسول (ص) منه كان أقوى ذاكرة من رسول الله (ص)، وأن رسول الله (ص) كسائر الناس لا يعصمه الله من عبث اليهود وسحرهم وأنه يغضب ويلعن ويسب من لا يستحق^(٣١).

ومن آمن بصحة الأحاديث المذكورة أنفاً، تتكوّن له رؤية تناقض محتوى الأحاديث التي أشرنا إليها فيما خصّ الله به خاتم أنبيائه (ص) وميزه من سائر الناس بفضائل جمّة، وحقّ للرجل (ذي المعرفة) من السعوديين إذن أن يقول: «محمد رجالاً مثلي، مات».

أضف إلى هذه الأحاديث التي كوّنّت رؤية تناقض تلك الفضائل، ما فعله الخليفة الصحابي عمر بن الخطاب وأجتهاده في قطعه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله (ص)^(٣٢). وتفصيل الخبر في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٩/١.

وينقض جميع الأحاديث التي تنقص من منزلة رسول الله (ص) ما أخبر عنه الإمام عليّ (ع) عن رسول الله (ص) في خطبته القاصعة، حيث قال: «ولقد قرن الله به - صلّى الله عليه وآله - من لدن أن كان فطياً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليلة ونهاره. ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني

(٣١) لما كانت أحاديث مدرسة الخلفاء تكوّن رؤية تنزّل من مستوى الرسول الأكرم (ص) عن مستوى الإنسان العادي وخاصّة في مثل الخبر المختلق في قصّة الغرائق التي بيّنا زيفها في الجزء الرابع من (قيام الأئمة بإحياء السنة) ويمكن من خلالها إلقاء الشبهات في الوحي والقرآن، إستند المستشرقون من مبشري النصاري في دراساتهم للإسلام إلى أحاديث مدرسة الخلفاء، وتركوا أحاديث مدرسة أهل البيت ظهرياً.

(٣٢) شفاء الصدور ص ٢٧، وهي شجرة بيعة الرضوان في صلح الحديبية.

بالاقتداء به . ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع يومئذ في الإسلام غير رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله - وخديجة ، وأنا ثالثهما ؛ أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة . ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه - صَلَّى الله عليه وسلم - فقلت : يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ قال : هذا الشيطان أيس من عبادته (٣٣) .

ولست أدري كيف لم يكن الرسول (ص) يعرف نفسه كما ورد ذلك في خبره مع ورقة (٣٤) ، وكان على كتفه خاتم النبوة الذي يعرفه به كل من شاهده من أهل الكتاب .

وتنقصها أيضاً الروايات التي ذكرت دلائل النبوة التي صدرت منه وله قبل أن يبعث ، مثل ما تم له في سفرته الأولى إلى الشام مع عمه أبي طالب ، والثانية في تجارة خديجة ، وإخبار الرهبان بأمر بعثته ، وتظليل صحابة له ، مما علمه جميع من كان معه في السفرتين ، وانتشرت أخبارهما في كتب الحديث والسير (٣٥) . وإخبار أهل الكتاب بظهوره قبل أن يبعث ، وخبره في التوراة (٣٦) .

(٣٣) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، الخطبة رقم : ١٩٢ .

(٣٤) راجع صحيح البخاري : كتاب المناقب والمرضى والأدب . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل ، باب إثبات خاتم النبوة . وسنن أبي داود ، كتاب اللباس . والترمذي : كتاب المناقب . ومسنند أحمد ٢/٢٢٣ و ٣/٤٣٤ و ٤/٤٤٢ و ٥/٣٥ و ٧/٧٧ و ٨/٨٣ و ٩/٩٥ و ١٠/٩٨ و ١٠٤ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٥٤ و ٤٣٨ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٦/٣٢٩ .

(٣٥) طبقات ابن سعد ، ط . أوروبا ١/ق ١/٧٣ و ٧٦ و ٨٣ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٩ منه ، والجزء الثالث ق ١/١٥٣ ، وما رواه البخاري في آخر كتاب بدء الوحي من أخبار هرقل من ظهوره . وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في بدء النبوة ، ١٣/١٠٦ . وسيرة ابن هشام ١/١٩٤ و ٢٠٣ ، وراجع أيضاً ص ٢٣١ و ٢٣٩ و ٢٥١ منه .

(٣٦) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في الأسواق ، ٢/١٠ . وكتاب التفسير ، باب تفسير سورة الفتح ، وكتاب فضائل القرآن ، الباب الأول . وطبقات ابن سعد ، ط . أوروبا ١/١٢٣ و ١/ق ٢/١٧ و ٨٧ و ٨٩ . وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، الباب الأول .

وتسليم الشجر والحجر عليه قبل بعثته^(٣٧).

كيف كان لا يعرف نفسه وقد بشر به عيسى بن مريم (ع) كما أخبر تعالى عنه بقوله: - ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ الصنف/٦.

كيف لا يعرف نفسه وأهل الكتاب كانوا ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ البقرة/١٤٦، والأنعام/٢٠.

يعرفون ﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الأعراف/١٥٧.



سيأتي في بحوث مصادر الشريعة الإسلامية من هذا الكتاب محاولات السُّلطات الإسلامية رفع مقام الخلافة في أنظار المسلمين على مقام النبوة، ونذكر هنا منها مثلاً واحداً من سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي والي الخليفة عبد الملك على العراق، إذ خطب في الكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله (ص) بالمدينة، فقال:

تَبَّأْ لَهْمُ! إِنَّا يَطُوفُونَ بِأَعْوَادٍ وَرَمَّةٍ بِالْيَةِ! هَلَّا طَافُوا بِقَصْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ! أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ خَلِيفَةَ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ رَسُولِهِ^(٣٨). وسيأتي تفصيل ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وسنن الدارمي، المقدمة، الباب الأول. ومسنند أحمد ١٧٤/٢ و ٤٦٧/٣. وطبقات ابن سعد ١/١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٨ و ١١١.

٣٧ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب نسب النبي، ح ٢، ص ١٧٨٢. ومسنند أحمد ٨٩/٥ و ٩٥ و ١٠٥. ومسنند الطيالسي، ح ٧٨١. وطبقات ابن سعد ١٧٩/٨.

وتسليم الشجر عليه في:

سنن الدارمي المقدمة، الباب رقم ٣. وطبقات ابن سعد ١٧٩/٨.

٣٨ شرح نهج البلاغة لأبى الحسین محمد باقر المجلسي، ج ٢، ص ٢٤٢/١٥. وراجع الكامل للمير ط. النهضة بمصر، ص ٢٢٢.

وإنَّ الَّذي نجده من أنَّجاه بعض المسلمين في القرون المتأخرة من تهوين أمر الرسول (ص) إن هو إلَّا نتيجة لتلك المحاولات مدى القرون ، سواء في ما رَووا من روايات تحطُّ من قدر رسول الله (ص)، أم ما أولوا من آيات القرآن وغير ذلك ممَّا فعلوا في توجيه المسلمين إلى ما أرادوا . ومنها ما رأوا في الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول (ص)، كما سنذكره في ما يأتي .

الخلافا حول الاحتفال بذكرى الأنبياء وذكرى عباد الله الصالحين

نكتفي في إيراد أقوال المانعين لإقامة المولد النبوي بإيراد فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية حيث قال :

لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول (ص)، ولا غيره لأن ذلك من البدع المحدثه في الدين^(١)

أما من يرى استحباب الاحتفال بذكرهم فإنه يستدل على صحة ذلك بأن جُلَّ مناسك الحج احتفال بذكرى الأنبياء والأولياء، كما سنذكر أمثلة منه فيما يأتي :

أ - مقام إبراهيم :

قال سبحانه وتعالى :

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...﴾ البقرة/ ١٢٥ .

وفي صحيح البخاري^(٢) ما ملخصه :

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٢/٣/ ١٩٨٤ في مقال تحت عنوان (حكم الاحتفال

بالمولد النبوي وغيره من الموالد).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، ١٥٨/٢ و ١٥٩ .

أن إبراهيم وإسماعيل (ع) لَمَّا كانا بينان البيت، جعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة.

وفي رواية بعدها: حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ على نقل الحجارة، فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة.



إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَمَرَ النَّاسَ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ - أَنْ يَتَّبِعُوا بِمَوَاطِنِ قَدَمَيْ إِبْرَاهِيمَ (ع) فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ وَيَتَّخِذُوا مِنْهُ مَصَلًّا، أَحْيَاءَ لِذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ وَتَحْلِيدًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ جَلَّ أَسْمُهُ.

ب - الصفا والمروة:

قال الله سبحانه:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ البقرة/ ١٥٨.

وروى البخاري ما ملخصه:

أَنَّ هَاجِرًا تَرَكَهَا إِبْرَاهِيمُ (ع) مَعَ ابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ بِمَكَّةَ وَنَفَدَ مَاؤُهَا عَطَشَتْ وَعَطَشَ ابْنُهَا وَجَعَلَ يَتَلَوَّى، فَانْطَلَقَتْ إِلَى جَبَلِ الصَّفَا كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِي، سَعَتْ سَمِي الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي، ثُمَّ أَنْتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرْتَ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَعَلْتَ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قال ابن عباس: قال النبي (ص): فذلك سمي الناس بينهما



جعل الله السَّعي بين الصَّفا والمروة من مناسك الحجّ ، إحياءً لذكرى سعي هاجر بينها وأحتفالاً بعملها ، وأستحباب المرولة في محلّ الوادي الَّذي سعت فيه هاجر سعي الإنسان المجهود ، إحياءً لذكرى هرولتها هناك .

ج - رمي الجمار :

روى أحمد والطيالسي في مسنديهما عن رسول الله (ص) أنّه قال :
إنّ جبريل ذهب بإبراهيم (ع) إلى جمره العقبة ، فعرض له الشَّيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . ثمّ أتى الجمره الوسطى ، فعرض له الشَّيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . ثمّ أتى الجمره القصوى ، فعرض له الشَّيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . . . (١) .
هكذا جعل الله إحياء ذكرى رمي إبراهيم (ع) الشَّيطان والاحتفال بذكره من مناسك الحجّ .

د - الفدية :

قال الله سبحانه في قصّة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .
﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يزفون النسلان في المشي ، ١٥٨/٢ ، وراجع معجم البلدان ، مادة : (ززم) ، وذكر تاريخ إسماعيل (ع) من تاريخ الطبري وأبن الأثير .
(٤) مسند أحمد ٣٠٦/١ ، وقريب منه في ١٢٧ . ومسند الطيالسي ح ٢٦٩٧ . وراجع مادة : (الكعبة) من معجم البلدان ، وتاريخ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من تاريخ الطبري وأبن الأثير ، وساخت قوائمه في الأرض : غاصت في الأرض .

الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَيْنِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١-١٠٧﴾
الْصَّافَاتُ/ ١٠١ - ١٠٧ .

* * *

وكذلك جعل الله لإحياء ذكرى فداء إبراهيم (ع) ابنه إسماعيل (ع)
وإرسال الله الكباش فدية له والاحتفال بها من مناسك الحج، وأمر الحجاج
بالفدية في منى اقتداءً بإبراهيم (ع) واحتفالاً بذكرى موقفه من طاعة الله .

* * *

في مقام إبراهيم (ع)، انتشرت البركة من قدمي إبراهيم (ع) إلى موطن
قدميه، وأمر الله بأخذ مسجداً في بيته الحرام، وجعله الله من مناسك الحج
إحياءً لذكره .

وفي ما يأتي نذكر أنتشار البركة من آدم (ع) أبي البشر .

انتشار البركة من آدم (ع) والاحتفال بذكره

وفي بعض الأخبار أن الله جلَّ اسمه تاب على آدم (ع) عصر التاسع من
ذي الحجة بعرفات، ثم أفاض به جبرائيل عند المغيب إلى المشعر الحرام،
وبات فيه ليلة العاشر يدعو الله ويشكره على قبول توبته . ثم أفاض منه صباحاً
إلى منى وحلق فيه رأسه يوم العاشر إمارة لقبول توبته وعتقه من الذنوب،
فجعل الله ذلك اليوم عيداً له ولذريته، وجعل كل ما فعله آدم أبداً الدهر من
مناسك الحج لذريته، يقبل توبتهم عصر التاسع بعرفات، ويذكرون الله ليلاً
بالمشعر الحرام، ويحلقون رؤوسهم يوم العاشر بمعنى . ثم أضيف إلى هذه
المناسك ما فعله بعد ذلك إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهاجر، وتمت بها
مناسك الحج للناس كما ذكرناه سابقاً .

إذاً، فإن أعمال الحج كلها تترك بتلك الأزمّة والأمكنة التي حل بها عباد الله الصالحون أولئك، وكلها احتفال بذكرهم أبد الدهر. وفي ما يأتي نضرب مثلاً لانتشار الشؤم - أيضاً - إلى المكان من المكين.

انتشار الشؤم إلى المكان من المكين

روى مسلم أن رسول الله (ص) عام تبوك نزل بالناس الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كان يشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا القدور باللحم. فأمرهم رسول الله (ص) فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل. ثم أرتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، قال: إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم^(٥).

وفي لفظ مسلم: ولا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم. ثم زجر وأسرع حتى خلفها. وفي لفظ البخاري: ثم قنع رأسه وأسرع السبر حتى أجاز الوادي. وفي رواية أخرى بمسند أحمد: وتقع بردائه وهو على الرحل^(٦).

منشأ الشؤم والبركة في المكان

من أين نشأ شؤم بلاد ثمود وآبار ثمود وانتشر منها إلى غيرها عدا أنه نشأ من قوم ثمود، وانتشر منهم إلى بلادهم وآبارهم، وبقي فيها إلى عصر خاتم

(٥) أورده مسلم باختصار في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم... ح ٤٠، واللفظ لمسند أحمد ١١٧/٢. وصحيح البخاري، كتاب المغازي باب نزول النبي (ص) الحجر. والطبري في خبر ثمود، ط. أوربا ٢٥٠/١.
(٦) مسند أحمد ٦٦/٢.

الأنبياء (ص)، وإلى ما شاء الله، ومن أين نشأ فضل بئر ناقة صالح (ع) عدا ما كان من شرب ناقة صالح (ع) منها، وانتشر الفضل منها إلى البئر، وبقي فيها إلى عصر خاتم الأنبياء (ص)، وإلى ما شاء الله.

وليس ناقة صالح (ع) وبئرها بأكرم على الله من إسماعيل (ع) وبئرته زمزم، بل كذلك جعل الله البركة في زمزم من بركة إسماعيل (ع) أبد الدهر. وكذلك شأن أنتشار البركة مما يفيضه الله على عباده الصالحين في أزمته خاصة مثل بركة يوم الجمعة.

بركة يوم الجمعة

في صحيح مسلم:

«أن الله خلق آدم يوم الجمعة، وأدخله الجنة يوم الجمعة...» (٣).

هذا وغيره مما أفاضه الله على عباده الصالحين في يوم الجمعة، خلّد البركة في يوم الجمعة أبد الدهر.

البركة في شهر رمضان

وكذلك الشأن في بركة شهر رمضان؛ فقد قال سبحانه:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ البقرة/ ١٨٥.

وقال سبحانه:

﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر...﴾ القدر/ ١ - ٣.

إذاً فقد أنتشرت البركة من ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على خاتم

(٧) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ح ١٧ و ١٨.

أنبياء الله (ص) إلى جميع أزمته شهر رمضان، وتخلدت البركة في ذلك الشهر من تلك الليلة إلى أبد الدهر.

هكذا وجدنا انتشار البركة من الزمان المبارك والمكان المبارك بما بارك به على أصفياه، وأمرنا الله بأن نقتدي بعمل أصفياه، ونقلد أفعالهم في أزمته وأمكنته، احتفالاً بذكرهم وإحياء لأمرهم، ولتشمّلنا البركة التي عمّتهم. وما المانع الشرعي من القيام بالاحتفال بأمثالها من المناسبات الإسلامية كميلاد الرسول (ص)، و ليلة أسري به (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويوم بعثه (ص) الله رحمة للعالمين؟.



بعد أنتهائنا من الإشارة إلى رجحان الإحتفال بذكرى أصفياء الله، نؤكد أننا نقصد من الاحتفال بذكرى أصفياء الله - مثلاً - قراءة سيرة رسول الله (ص) الصحيحة غير المحرّفة في ليلة ميلاده (ص)، وإطعام الطعام في سبيل الله وإهداء ثوابه لرسول الله (ص) مع الاجتناب من القيام بأعمال ابتدعها بعض المتصوّفة.

ونشير في ما يأتي إشارة عابرة إلى الخلاف حول مسألة البناء على القبور واتخاذها محلاً للعبادة.

الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء وأنحاذها محلاً للعبادة

إستدل قسم من المسلمين على تحريم البناء على القبور بروايات أهمها ما يأتي:

أ- عن عليّ قال: كان رسول الله (ص) في جنازة، فقال:
أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلّا كسره، ولا قبراً إلّا سواه، ولا
صورة إلّا لطخها؟ فقال (رجل):
أنا يا رسول الله، فأنطلق فهاب أهل المدينة، فرجع. فقال عليّ:
أنا أنطلق يا رسول الله. قال:
فأنطلق. فأنطلق، ثم رجع، فقال:
يا رسول الله، لم أدع بها وثناً إلّا كسرته ولا قبراً إلّا سويته، ولا صورة إلّا
لطختها.

وقد تكرر ورود هذا الحديث في كتب الحديث واكتفينا بإيراد أتم لفظ
منه^(١).

(١) مسند أحمد ٨٧/١ و٨٩ و٩٦ و١١٠ و١١١ و١٢٨ و١٣٨ و١٣٩ و١٤٥ و١٥٠ ومسند
الطيالسي، ح ٩٦، ١٥٥.

حَلَّةُ الْحَدِيثِ :

أولاً - سنذكر في ما يأتي أن رسول الله (ص) زار قبر أمه، وبكى وأبكى من حوله . وكانت أمه قد توفيت في السنة السادسة من عمره الشريف بالمدينة المنورة، وعلى هذا فقد زار الرسول قبر أمه بعد نيف وأربعين سنة، حين هاجر إلى المدينة المنورة، وأن أثر قبر أمه عند ذاك كان ماثلاً للعيان، وإلا لما عرف قبرها . وإذا كان الحكم الإسلامي، هو تسوية القبور فلم لم يأمر النبي (ص) بهدم قبر أمه عند ذاك؟

ثانياً - إن أهل المدينة بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول (ص) بادئ ذي بدء مصعب بن عمير، يُعلم من أسلم منهم ما ورد من الإسلام يوم ذاك . ولما وفدوا إلى الحج، حضر المسلمون منهم العقبة وبايعوا رسول الله (ص) سرّاً، ولم ينتشر الإسلام بينهم، إلى أن هاجر الرسول (ص) إليهم، وتبعه الإمام عليّ (ع) بعد ثلاث أو أكثر وقصة وروده المدينة بعد ذلك مشهورة . وتدرج الرسول (ص) في بسط حكمه على المدينة بعد أن عاهد يهود قريظة وبني النضير وبني قينقاع، ودخل أهل المدينة كلهم في الإسلام متدرجاً . فمتى كان إرسال النبي (ص) الإمام عليّاً (ع) من تشييع جنازة إلى المدينة ليهدم الأصنام ويسوي القبور ويلطخ الصور، كالحاكم الذي لا راد لأمره؟ أضف إليه أن محتوى الخبر أن المرسل الأول ذهب، وهم في تشييع الجنازة، ورجع خائباً، ثم أرسل النبي (ص) الإمام عليّاً (ع) بعده وهم لا يزالون في تشييع الجنازة . فكيف يتم ذلك؟

ثالثاً - وفي بقية الحديث أن الإمام عليّاً (ع) قال لأبي الهياج الأسدي : أبعثك فيما بعثني رسول الله (ص) أمرني أن أسوي كل قبر وأطمس كل صنم^(١) .

ولا يكون إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي في أمر إلا في عصر خلافته، وعليه يتجه هذا السؤال: متى كان إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي؟ أفي عصر خلافته وبعد الفتوحات الإسلامية وبعد زمن الخلفاء الثلاثة أم قبله؟ وإلى أي بلد بعث الإمام عليّ أبا الهياج لتهديم القبور وطمس الأصنام؟

وأخيراً في كلا الخبرين أمر من الرسول (ص) والإمام عليّ (ع) - إن صحّ الخبران - بتهديم قبور المشركين في بلد الشرك، فكيف يدلّ ذلك على أنتشار هذا الحكم إلى قبور المسلمين ووجوب تهديمها؟

ب - رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ (ص) أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي. وثناً، لعن الله قوماً اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ^(٣).

وفي الرواية الثانية شَخَّصَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ وَقَالَ: قَاتِلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ^(٤).

عَلَّةُ الْحَدِيثِ:

إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ سَارُوا مِنْ مِصْرَ وَعَبَرُوا الْبَحْرَ وَجَاوَزُوا النَّيْبَ وَبَلَغُوا فِلَسْطِينَ، أَصْبَحَ لَهُمْ بَيْتُ عِبَادَةٍ وَهُوَ (بَيْتُ الْمُقَدَّسِ) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَيْتُ عِبَادَةٍ غَيْرِهِ. وَفِي عَصْرِ سُلَيْمَانَ أَصْبَحَ لِسُلَيْمَانَ الْمَلِكِ النَّبِيِّ بِلَاطُ يَسْمَى هَيْكَلُ سُلَيْمَانَ. فَأَيْنَ كَانَتْ قُبُورُ أَنْبِيَائِهِمْ الَّتِي اتَّخَذُوهَا مَسَاجِدَ؟ وَكَانَ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ وَبِلَدِهِ تَحْتَ أَنْظَارِ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبِ قَبْلَ عَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَأَمَّا مَا بَقِيَ مِنْ قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ مِثْلَ قَبْرِ الْخَلِيلِ وَمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، فَإِنَّا لَمْ نَرِ وَلَمْ نَسْمَعْ وَلَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ أَنَّ الْيَهُودَ اتَّخَذُوهَا وَثْنًا. وَعَلَى فَرَضِ أَنْ قَبْرًا اتَّخَذَ وَثْنًا، فَإِنَّهُ لَا

(٣) مسند أحمد ٢/٢٤٦.

(٤) مسند أحمد ٢/٢٨٥.

يصدق على احترام القبر وزيارة القبر، فإنَّ اتِّخاذه وثناً يعني أن يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة في الصَّلوات . فإين هذا من ذاك؟



ليس مورد الشك في كلِّ ما ذكرناه، وما سنذكره بعد هذا، أحاديث رسول الله (ص) - معاذ الله - وإنَّما البحث يجري حول رواة الأحاديث الذين لم يعصمهم الله من الخطأ والسهو والنسيان .

كان ما ذكرناه أمثلة من أدلَّة من رأى البناء على القبور مخالفاً للشريعة الإسلامية .

وفي ما يأتي أدلَّة من رأى ذلك موافقاً لها .

أدلَّة من رأى جواز اتِّخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة

يستدلُّ من يرى صحَّة اتِّخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة بأنَّ الطائفتين حول الكعبة يطوفون حول حجر إسماعيل (ع) ويتمسِّحون بجداره، وفيه قبر إسماعيل (ع) وأمه هاجر، كما أجمع عليه علماء الأُمَّة الإسلامية :

فقد ورد في سيرة ابن هشام (ت: ٢١٨هـ) وتاريخ الطبري (ت: ٣١٠هـ) وابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) وابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) واللفظ لابن هشام : ودفن - إسماعيل - في الحجر مع أمِّه هاجر . وفي لفظ ابن الأثير : وأوصى إسماعيل أن يدفن عند قبر أمِّه في الحجر^(٥) .

وروى ابن سعد في طبقاته وقال :

إنَّ إسماعيل لَمَّا بلغ عشرين سنة توفَّيت أمُّه هاجر وهي ابنة تسعين سنة ،

(٥) راجع ذكر خبر إسماعيل (ع) وولده في كلِّ من سيرة ابن هشام ط . مصر ، سنة ١٣٥٥هـ ٦/١ . وتاريخ الطبري ط . أوروبا ٣٥٢/١ . وتاريخ ابن الأثير ط . أوروبا ٨٩/١ . وتاريخ ابن كثير ١٩٣/١ . ومادة : (حجر) من معجم البلدان .

فدفنها إسماعيل في الحجر. وإن إسماعيل توفي بعد أبيه، فدفن في الحجر مما يلي الكعبة مع أمه هاجر.

وفي رواية بعدها:

قبر إسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت^(٦).

وفي الاكتفاء للكلاعي ما موجه: دفن هاجر وإسماعيل وابنه نابت في الحجر^(٧).

وقد وصف ابن جبير قبري إسماعيل وأمه هاجر في رحلته وقال:

وتحت الميزاب في صحن الحجر، بمقربة من جدار البيت الكريم، قبر إسماعيل (ع) وعلامته رخامة خضراء مستطيلة قليلاً شكل محراب تتصل بها رخامة خضراء مستديرة، وكلتاها غريبة المنظر، فيها نُكْتُ تنفتح عن لونها إلى الصفرة قليلاً كأنها تجزيع، وهي أشبه الأشياء بالنُّكْتُ التي تبقى في اليدق من حَلِّ الذهب فيه. وإلى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر رضي الله عنها، وعلامته رخامة خضراء سعتها مقدار شبر ونصف. يتبرك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحجر، وحق لهم ذلك لأنهما من البيت العتيق، وقد أنطبقا على جسدين مقدسين مكرمين، نورهما الله، ونفع ببركتهما كل من صلى عليهما. وبين القبرين المقدسين سبعة أشبار^(٨).

(٦) لخصنا روايات ابن سعد الثلاث من طبقاته ٢٥/١، ط. أوروبا.

(٧) الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء، ص: ١١٩، تصحيح هنري ماسه، مطبعة جول كريونل، الجزائر، ١٩٣١ م.

والكلاعي هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي، ولد سنة ٥٦٥ هـ، وتوفي سنة ٦٣٤ هـ. اعتمدنا ترجمته من مقدمة الكتاب.

(٨) ابن جبير هو محمد بن أحمد بن جبير الكناي الأندلسي، البلسي الأصل، الغرناطي الاستيطان. ولد ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة ٥٤٠ أو سنة ٥٣٩ هـ، وتوفي بالاسكندرية ليلة الأربعاء، التاسع أو السابع والعشرين لشعبان سنة ٦١٦ هـ. وكان أدبياً بارعاً، شاعراً

كان هذا ما ورد في كتب مدرسة الخلفاء، وورد في كتب حديث مدرسة اهل البيت كالآتي:

ورد في الكافي للكليني (ت: ٣٢٩هـ) وكتاب من لا يحضره الفقيه وعلل الشرائع للصدوق (ت: ٣٨٢هـ) والوافي للفيض (ت: ١٠٨٩هـ) والبحار للمجلسي (ت: ١١١١هـ) واللفظ للأول: وفيه - أي في الحجر - قبر هاجر وقبر إسماعيل (ع)^(٩).

وفيها أيضاً: وفيه - أي في الحجر - قبور أنبياء^(١٠).
ورود أيضاً في الكافي والوافي والبحار: ودفن في الحجر، مما يلي الركن

مبدأ، سرى النفس، كريم الأخلاق، من علماء الأندلس بالفقه والحديث.
ورحلة ابن جبير: كتاب وصف فيه ابن جبير رحلة قام بها للحج، استغرقت عامين وثلاثة أشهر ونصفاً، من يوم الاثنين التاسع عشر لشهر شوال ٥٧٨هـ، إلى يوم الخميس الثاني والعشرين لمحرّم ٥٨١هـ، وزار فيها مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية وغيرها. ووصف هذا الرحالة المدن التي مرّ بها، والمنازل التي حلّ فيها من هذه الأقطار جميعاً.
وقد نقلنا ما أوردهنا هنا من ط. دار مصر للطباعة، عام ١٣٧٤هـ، تحقيق الدكتور حسين نصار، ص ٦٣، ورجعنا إلى مقدمة الكتاب في ترجمة ابن جبير.

٩) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبنائهما البيت... ح ١٤، ط. دار الكتب الإسلامية، طهران. ١٣٩١هـ، ٢١٠/٤. وفيه من لا يحضره الفقيه، كتاب الحجّ، باب علل الحجّ، ح ٣، ط. دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٩٠هـ، ١٢٥/٢ - ١٢٦، وباب نكت في حجّ الأنبياء والمرسلين، ح ٨، ١٤٩/٢. والوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام... ط. الأولى، ٢٨/٨. والبحار، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع) وأزواجه وبناء البيت، ح ٤١، ١٤٣/٥، وح ٥٤، ١٤٤/٥.

١٠) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم (ع)... ح ١٥، ٢١٠/٤. والبحار عن الصدوق، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع)، ح ٤٠، ١٤٢/٥، ط. الأولى كمباني، وباب أخبار أولاد إبراهيم... ح: ٥٥، ١٤٤/٥. والوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ٢٨/٨.

الثالث، عذارى بنات إسماعيل (ع) (١١).

وروى أبو بكر الفقيه عن النبي (ص) أنه قال :

ما من نبي هرب من قومه إلّا هرب إلى الكعبة يعبد الله فيها حتّى يموت
وأنّ قبر هود وشعيب وصالح في ما بين زمزم والمقام، وأنّ في الكعبة قبر ثلاثمائة
نبيّ، وما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبر سبعين نبيّاً (١٢).

ويستدلّون على صحّة البناء على القبر، إضافة إلى ما سبق، بأنّ قبور
رسول الله (ص) والخليفتين أبي بكر وعمر في بناء مسقّف منذ أن توفّوا إلى يومنا
الحاضر.

ويستدلّون أيضاً بقوله تعالى :

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة/ ١٢٥ . وقوله تعالى في ما أخبر
عن قصّة أصحاب الكهف :

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ الكهف/ ٢١ .



إنّ السّوّهائيّين يسمّون المسلمين الذين يزورون قبور الأنبياء والصّحابة
والأئمة بالقبوريين. ومن الأخرى، مع ما ذكرنا، أن يسمّوا خاتم الأنبياء (ص)
وأصحابه والأنبياء من قبلهم الذين طافوا حول حجر إسماعيل (ع) بالقبوريين،
لما في حجر إسماعيل من قبر هاجر وإسماعيل (ع) وولده وكذلك أنبياء من
قبلهم !!



(١١) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ح ١٦، ٢١٠/٤. والوافي،
كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ٢٨/٨. والبحار، ح ٥٦، ١٤٤/٥.
(١٢) مختصر كتاب البلدان، تأليف أبي بكر أحمد بن الفقيه الحمدي (ت: ٣٤٠هـ) ط.
بريل بليدن سنة ١٣٠٢هـ ص ١٧.

هكذا كان اختلاف الأحاديث في بناء القبور، أو بالأحرى اختلاف فهم
الأحاديث، منشأ هذا الخلاف.
وفي ما يأتي نذكر الخلاف حول البكاء على الميت ومنشأه.

الاختلاف في البكاء على الميت ومنشأه

كان البكاء على الميت، وخاصّة الشهيد، من سنة الرسول (ص) فقد روى البخاري في صحيحه: أَنَّ النَّبِيَّ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَأَبْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ وَقَالَ:

أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأَصِيبُ. ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ، فَأَصِيبُ. ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ، فَأَصِيبُ، - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - . . . (١).

وفي ترجمة جعفر من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وخبر غزوة مؤتة من تاريخ الطبري وغيره ما ملخصه:

لَمَّا أَصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بَيْتَهُ وَطَلَبَ بَنِي جَعْفَرٍ، فَشَمَّهُمْ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ أَسْمَاءُ: يَا أَبِي وَأُمِّي مَا يَبْكِيكَ؟ أُبْلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ أَصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ. فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: فَقُمْتُ أَصِيحُ وَأَجْمَعُ النِّسَاءَ، وَدَخَلْتُ فَاطِمَةُ وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ: وَاعْمَاهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَى مِثْلِ جَعْفَرٍ فَلْتَبْكِي الْبَوَاكِي.

بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم

في صحيح البخاري:

قال أنس: دخلنا مع رسول الله (ص) . . . وإبراهيم يحود بنفسه.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب خالد بن الوليد،

٢٠٤/٢ ط. الحلبي بمصر.

فجعلتُ عينا رسول الله تذر فان، فقال له عبد الرحمن بن عوف (رض): وأنت يا رسول الله؟! فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى فقال: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإننا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

وفي سنن ابن ماجه:

فأنكب عليه وبكى^(٢).

بكاء الرسول (ص) على حفيده

في صحيح البخاري:

أن ابنة النبي (ص) أرسلت إليه: أن أبنا لي قبض فأتنا. فقام ومعه سعد ابن عباد ورجال من اصحابه. فرفع إلى رسول الله (ص) ونفسه تتعقق. ففاضت عيناه، فقال سعد:

يا رسول الله ما هذا؟ فقال:

هذه رحمة جعلها الله في قلوب عبادي، وإنها يرحم الله من عباده الرُحماء^(٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص): إنا بك لمحزونون، ١/١٥٨ واللفظ له. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة بالصبيان والعيال، ح ٦٢. وسنن أبين ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النظر إلى الميت، ح ١٤٧٥، ١/٤٧٣. وطبقات أبين سعد، ط. أوربا، ١/١ ق ٨٨/١. ومسنند أحمد ٣/١٩٤.

(٣) تتعقق: أي تضطرب روحه لها صوت وحسرة كصوت الماء إذا ارتقى في القرية الخالية.

صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص): «يُعَذَّب الميت ببعض بكاء أهله عليه» واللفظ له. وكتاب المرضي، باب عيادة الصبيان، ٤/٣. وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ح ١١، ص: ٦٣٦. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ح ٣١٢٥، ٣/١٩٣. وسنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الأمر بالاحتساب والصبر، ١/٢٦٤. ومسنند أحمد ٢/٣٠٦ و٣/٨٣ و٨٨ و٨٩.

ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمه حمزة
في مغازي الواقدي وطبقات آبن سعد ما موزه:

لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بَعْدَ غَزْوَةِ أَحَدِ الْبُكَاءِ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ عَلَى قَتْلِهِمْ، ذُرِفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَبَكَى، وَقَالَ: لَكِنْ حِمْزَةٌ لَا بَوَاكِي لَهَا. فَسَمِعَ ذَلِكَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ، فَرَجَعَ إِلَى نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَسَاقَهُنَّ إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَبَكَيْنَ عَلَى حِمْزَةٍ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَدَعَا لَهُنَّ وَرَدَّهِنَّ. فَلَمْ تَبْكْ أَمْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ عَلَى مَيِّتٍ، إِلَّا بَدَأَتْ بِالْبُكَاءِ عَلَى حِمْزَةٍ، ثُمَّ بَكَتْ عَلَى مَيِّتِهَا^(٤).

بكى الرسول (ص) على قبر أمه وأبى من حوله
زار رسول الله (ص) قبر أمه فبكى وأبى من حوله^(٥).

أمر الرسول (ص) بإرسال الطعام لأهل المصاب
لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ، قَالَ النَّبِيُّ (ص): أَصْنَعُوا لِأَهْلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ^(٦).

(٤) أوردناه من ترجمة حمزة في طبقات ابن سعد ط. دار صادر بيروت ١٣٧٧هـ، ١١/٣. وأكثر تفصيلاً منه في مغازي الواقدي ٣١٥/١ - ٣١٧. وبعده إمتاع الأسباع ١٦٣/١. ومسنند أحمد ٤٠/٢. وتاريخ الطبري. وأورده ابن عبد البر بإيجاز بترجمة حمزة من الاستيعاب، وباختصار أيضاً، ابن الأثير بترجمته من أسد الغابة.

(٥) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك، ٢٦٧/١. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ح ٣٢٣٤، ٢١٨/٣. وسنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، ح ١٥٧٢، ٥٠١/١.

(٦) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت ح ١٦١٠

عين الرسول (ص) أيام الحداد على الميت
تواتر عن النبي (ص) أنه عين حداد المرأة على غير زوجها ثلاثاً، وعلى
زوجها فكما قال الله: ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾^(٧) البقرة/ ٢٣٤.

منشأ الخلاف حول البكاء على الميت

مر في ما سبق أن رسول الله (ص) بكى على المتوفى قبل أن يتوفى وبعده،
خاصة الشهيد، وأنه أمر بالبكاء على الشهيد، وبكى على قبر أمه وأبى من

١٦١١، ١/٥١٤. وفي سنن الترمذي ٢١٩/٤، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع
لاهل الميت، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب صنعة
الطعام لاهل الميت، ح ٣١٣٢، ٣/١٩٥، ومسند أحمد ٢٠٥/١ و٣٧٠/٦.

(٧) راجع البخاري، كتاب الجنائز، باب حداد المرأة على غير زوجها، ١/١٥٤، وكتاب
الطلاق باب تحمّد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، ٣/١٨٩، وباب ٦٨ الكحل للحادة
وياب القسط للحادة عند الطهر وياب تلبس الحادة ثياب المصعب وياب ﴿والذين يتوفون منكم
ويعرون أزواجاً﴾ ٣/١٨٩ - ١٩٠. وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في
عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، ح ١٤٨٦ و١٤٨٧، ١٤٩٠ و١٤٩١ ص ١١٢٤
و١١٢٥ و١١٢٦ و١١٢٧ و١١٢٨. وسنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب حداد المتوفى عنها
زوجها، ح ٢٩٩ و٢/٢٩٠، وياب فيما تحتنه المعتدة في عدتها ح ٢٣٠٢، ٢/٢٩١. وسنن
الترمذي، كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء في عدة المتوفى عنها زوجها، ١/١٧١ - ١٧٤.
وسنن النسائي، كتاب الطلاق، باب عدة المتوفى عنها زوجها، وباب الإحداد، وياب سقوط
الإحداد عن الكتبية المتوفى عنها زوجها، وياب ترك الزينة للحادة المسلمة دون اليهودية
والنصرانية، وياب ما تحتنب الحادة من الثياب المصيفة، وباب الخضاب للحادة. وسنن ابن
ماجة، كتاب الطلاق، باب هل تحمّد المرأة على غير زوجها، ح ٢٠٨٥ - ٢٠٨٧، ١/٣٧٤.
وسنن الدارمي، كتاب الطلاق، باب في إحداد المرأة على الزوج، ٢/١٦٧. وموطأ مالك،
كتاب الطلاق ح ١٠١، ١٠٥. وطبقات ابن سعد ٤/٢٧، ٢٨ و٧٠/٧. ومسند أحمد
٨/٥ و٣٧/٦، ١٨٤، ٢٤٩، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٦٩، ٤٠٨،
٤٢٦. ومسند الطيالسي ١٥٨٧، ١٥٨٩، ١٥٩١.

حوله، وأمر بصنع الطعام لأهل الميت، وعين حداد المرأة على غير الزوج ثلاثاً. إذن، فالبكاء على المتوفى والحداد عليه وصنع الطعام لأهله، من سنة الرسول (ص) فما هو منشأ الخلاف والنهي عن البكاء على الميت؟ نرجع أيضاً إلى صحيح البخاري ومسلم فنجد حديث المنع عن البكاء من الخليفة عمر (رض).

الخليفة عمر يروي أن رسول الله (ص) نهى عن البكاء، وآم المؤمنين عائشة تستدرك عليه

في صحيح البخاري ومسلم، عن ابن عباس: لما أن أصيب عمر دخل صهيب يبكي ويقول: وا أخاه! وا صاحباه! فقال عمر: يا صهيب، أتبكي عليّ وقد قال رسول الله: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ؟» فقال ابن عباس: فلما مات عمر، ذكرت ذلك لعائشة فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله (ص): «إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَاباً بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»، وقالت: حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. قال ابن عباس (رض) عند ذلك: والله هو أضحك وأبكي^(٨).

وفي صحيح مسلم: ذكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع إلى النبي (ص): «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِه بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» فقالت: وهل^(٩)، إنها قال رسول الله (ص):

(٨) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص) يعذب الميت ببكاء أهله عليه، ١٥٥/١ - ١٥٦، وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح ٢٢، ص ٦٤١.

(٩) وهل: يفتح الواو وفتح الهاء وكسرهما، أي غلط ونسي.

«إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليكون عليه» .
وفي رواية قبله : ذكر عند عائشة قول ابن عمر : الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، فقالت رحم الله أبا عبد الرحمن سمع شيئاً فلم يحفظه . إنها مرّت جنازة يهودي على رسول الله وهم يبكون عليه ، فقال :
«أنتم تبكون وإنه ليعذب»^(١٠) .

قال الإمام النووي (ت : ٦٧٦هـ) في شرح صحيح مسلم عن روايات النهي عن البكاء المروية عن رسول الله (ص) : وهذه الروايات من رواية عمر ابن الخطاب وأبنة عبد الله - رضي الله عنها - وأنكرت عائشة ونسبتها إلى النسيان والاشتباه عليهما ، وأنكرت أن يكون النبي (ص) قال ذلك^(١١) .
ويظهر من الحديث الآتي أنّ منشأ الخلاف كان اجتهاد الخليفة عمر في النهي عن البكاء في مقابل سنة الرسول (ص) بالبكاء ، فقد ورد في الحديث أنه : مات ميت من آل الرسول (ص) فأجتمع النساء يبكين عليه ، فقام عمر ينهاهن ويطردهن فقال رسول الله (ص) : دعهن يا عمر فإن العين دامة والقلب مصاب والعهد قريب^(١٢) .

وفي صحيح البخاري : كان عمر (رض) يضرب فيه بالعصا ، ويرمي

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، ح ٢٥ و ٢٦ ، ص ٦٤٢ - ٦٤٣ وح ٦٤٣ . وقريب منه لفظ الترمذي في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت ، ٢٢٥/٤ . وسنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، ح ٣١٢٩ ، ١٩٤/٣ .

(١١) شرح النووي بهامش صحيح مسلم ط . المطبعة المصرية ١٣٤٩هـ ، ٢٢٨/٦ ، كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه .

(١٢) سنن النسائي ، كتاب الجنائز ، باب الرخصة في البكاء على الميت . وسنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في البكاء على الميت ح ١٥٨٧ ص : ٥٠٥ . ومسند أحمد ١١٠/٢ ، ٢٧٣ ، ٣٣٣ ، ٤٠٨ ، ٤٤٤ .

بالحجارة، ويمشي بالتراب^(١٣)



كان ذلكم منشأ الخلاف في شأن البكاء على الميت، والأحاديث المتعارضة الواردة بشأنه في كتب الصحاح، ولعلّ أجتهد الخليفة عمر (رّص) في المنع كان منشأ للأحاديث المروية في منع البكاء على الميت. فقد روي غير ما ذكرنا بعض الحديث في تأييد أجتهد الخليفة الصحابي عمر، ولا محال في هذه الحالة لبيان علل تلك الأحاديث. وفي ما ذكرنا الكفاية في معرفة منشأ الخلاف في شأن البكاء والذي نحن بصدده.



إلى هنا استعرضنا أمثلة من مسائل الخلاف التي كان منشأها اختلاف الأحاديث في كلّ منها. ونذكر بحوله تعالى في ما يأتي آيات من كتاب الله ممّا نشأ الخلاف حول تأويلها.

(١٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، ١/١٥٨.

وقوله: «يضرب فيه» أي يضرب لأجل المنع من البكاء.

آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول تأويلها

من أمثلة ما نشأ الخلاف حولها، خلاف في تأويل بعض آيات من كتاب الله المجيد نذكر أمثلة منها في ما يأتي:

دُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ وَحُكْمُ غَيْرِ اللَّهِ
أ - دُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ

قال الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب مؤسس المذهب الوهَّابي في كتابه (الأصول الثلاثة وأدلتها) ص ٤ منه :

إعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلُّم هذه الثلاث مسائل والعمل بهنَّ^(١).

الأولى - أَنَّ الله خلقنا . . .

الثانية - أَنَّ الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢) الجن/ ٢٨ .

(١) كذا جاء في الأصل .

(٢) رسالة الأصول الثلاثة ط . مطبعة المدني، ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ ورسالة الدين وشروطها أيضاً طبع فيها، وكذلك استدلُّوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جَبْرًا﴾ الإسراء/ ٥٦ وآيات أخرى نظيرها .

وقال في ص ٥ منه :

أَنَّ الخنيفية ملّة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ، وبذلك أمر جميع الناس وخلقهم لها ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ومعنى يعبدون يوحدوني . وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو أفراد الله بالعبادة ، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه - إلى قوله في ص ٨ منه : - والدليل قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ...﴾ .

وقال في ص ٤٦ منه :

القاعدة الرابعة : إِنَّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين ، لأن الأولين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدة ، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة ، والدليل قوله تعالى : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ العنكبوت / ٦٥ .

وقال في ص ٨ من رسالته (الدين وشروط الصلاة)^(٣) ما ملخصه : العبادة لها أنواع كثيرة ؛ منها الدعاء ، الدليل قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ وورد في رسالة (شفاء الصدور) التي أصدرتها دار الإفتاء العامة ردّاً على رسالة الجواب المشكور ص ٣ :

رفعوا إلى خليفة زعماء دعوة التوحيد والذين أزاخوا غياهب الشرك عن هذه البلاد - أي عن مكّة المكرمة والمدينة المنورة - وطهروها من أدرانها وقضوا على كلّ أثر له...^(٤) .



يقصدون بدعاء غير الله أو مع الله أن يقول المسلم مثلاً : (يا رسول الله)

(٣) رسالة الأصول الثلاثة ط . مطبعة المدني ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ - ورسالة الدين وشروطها أيضاً طبع فيها بلا تاريخ .
(٤) رسالة شفاء الصدور ، ط . الأولى مؤسسة النور للطباعة والتجليد .

للتوسّل به إلى الله ، أو يدعو غيره من أولياء الله كذلك . وأدلّتهم كلّها تدور حول قوله تعالى ﴿ لا تدعوا مع الله ﴾ ونظائرها مبّاهي الله عن الدّعاء مع الله أو غير الله .

ب - حُكْم غير الله

حُكْم غير الله مثله كمثل دُعاء غير الله .

وقال مخالّوهم : ما أشبه الليلة بالبارحة ! وما أشبه هذا الاستدلال بأستدلال الخوارج في تكفير من رضي بالتحكيم في صفّين بأمثال قوله تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكّل المتوكلون ﴾ (*) يوسف / ٦٧ .
وقوله :

﴿ أفغبر الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب ﴾ الأنعام / ١١٤

وكان بداية ذلك في معركة صفّين ، عندما أمر معاوية برفع كتاب الله على الرماح ودعوة جيش العراق إلى قبول حكم القرآن ، وأنخداع أكثرية قراء جيش العراق بذلك ، وإجبارهم الإمام عليّاً بترك القتال وقبول دعوة معاوية بالتحكيم ، ثمّ تعيين معاوية من قبله عمرو بن العاص حكماً ، وإجبار جيش العراق الإمام عليّاً على تعيين أبي موسى الأشعري حكماً من قبله . فلمّا اجتمع الحكمان وخدع عمرو بن العاص أبا موسى وقال له : نخلع عليّاً ومعاوية ونترك الأمر للناس ليختاروا لهم إماماً . وسبق أبو موسى عمراً بالكلام وقال : أنا أخلع عليّاً ومعاوية عن الأمر ليختار المسلمون لهم إماماً . ثمّ خطب بعده ابن العاص وقال : إنّه خلع صاحبه كما رأيتم ، وأنا أنصب صاحبي للإمامة . فتنازعا وتسابّها وأفترقا ، بعد هذا أحسّ من قبل التحكيم من جيش العراق بخطئهم ونادوا بشعار : ﴿ لا حُكْم إلا لله ﴾ وقالوا : إنّا كفرنا بقبولنا التحكيم ، وتبنا إلى الله ،

(*) نكرّر قولنا : بأننا لسنا بصدّد إحصاء أدلّة الطرفين في البحث ، وإنّا نأتي بأمثلة منها .

ويجب على الآخرين أن يعترفوا بالكفر، ثم يتوبوا مثلنا؛ ومن لم يفعل، فأولئك هم الكافرون.

وهكذا كفروا أولاً من أشرك في تلك الحوادث من عائشة وعثمان وعليّ وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم؛ ثم شمل حكمهم بالكفر عامة المسلمين، وسَمُوا أنفسهم بالشراة، ووضعوا سيوفهم قروناً طويلة على عواتقهم يقتلون بها المسلمين ويقتلون^(٦).

وصدق رسول الله (ص) حيث أخبر عن الخوارج وقال: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^(٧). وفي أحاديث أخرى: لأقتلنهم قتل ثمود^(٨).

جواب مخالفينهم في المسألتين

يقول في جواب هؤلاء وأولئك مخالفوهم بأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وإذا كان قد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فقد ورد فيه أيضاً

(٦) راجع أخبار يوم صفين في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير، ثم أخبار الخوارج فيها وفي غيرها من كتب التاريخ.

(٧) كان ذلك عندما بعث ابن عم الرسول عليّ من اليمن بذهبية إلى الرسول فقسمها بين أربعة من المؤلفة قلوبهم، فتفضيت قريش والأنصار، فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا قال: إنما أنألفهم. فأقبل رجل... مخلوق الرأس فقال: يا محمد، إن الله! فقال النبي (ص): فمن يطيع الله إذا عصيته، أيامني على أهل الأرض ولأتأمينني؟! فلما ولي، قال النبي (ص): إن من ضغنى هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام - الحديث. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿نَعْرِجُ الْمَلَائِكَةَ...﴾ ١٨٨/٤. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح ١٤٣ ص ٧٤١.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦.

قوله تعالى :

﴿فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ عَرَضَ عَنْهُمْ فَلَئِنْ بَضَرَوْكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ المائدة/ ٤٢ .

فقد خول نبية في هذه الآية أن يحكم بين أهل الكتاب ، وفي آية أخرى أمر بأن يتخذوا حكماً من الناس بقوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ النساء/ ٣٥ .

ولا منافاة بين الآيتين ، فإن الآية الأولى عندما أثبتت (الحكم) لله لم تثبت له حكماً محدوداً مثل ما للقضاة في المحاكم بأن لهم أن يحكموا بين الناس بموجب القوانين المرعية ، وأنه ليس لهم أن يعينوا حاكماً من قبلهم ، وإنما ذلك لذي سلطة أعلى ، وعلى هذا فليس للقضاة (الحكم) مطلقاً ، وإنما لهم أن يحكموا بين الناس فحسب ، ولكن الله له أن يحكم بين الناس بموجب حكمه ، وله أن يأذن لغيره بالحكم ، أي : له أن يعين حاكماً على أي جهة في ملكه ، فله الحكم مطلقاً . وعلى هذا فإن الأنبياء بحكم الله يحكمون ، حين يحكمون ، وكذلك الاثنان اللذان يحكما بين الزوجين . إذاً فإن حكم أولئك الحكام إذا حكموا بموجب ما أمر الله ، ليس حكم ما سوى الله ، ولا حكم غير الله ، ولا حكم دون الله ، ولا حكم مع الله ، وإنما هو حكم بأمر الله وحكم بإذن الله . وسيأتي جوابهم على دعاء غير الله في ذكر (دعوة الرسول (ص) والتوسل به الى الله) بعيد هذا إن شاء الله تعالى .

وكذلك الشأن بالنسبة إلى بعض الآيات الأخرى التي تثبت بعض الصفات لله فإنها لا تثبتها لله محدودة بحد ، وإنما تثبتها لله مطلقاً . مثل إثبات صفة الملك لله تعالى .

صفة الملك لله

لا منافاة في إثبات صفة الملك لله في قوله تعالى :

﴿وَهُوَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المائدة/ ١٨ ، وقوله تعالى :

﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ الإسراء/ ١١١ ، والفرقان/ ٢ ، وأمثالها .

وبين قوله تعالى :

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء/ ٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٣٦ وآيات أخرى مثلها ، لأنه سبحانه وتعالى يقول : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران/ ٢٦ .

إذاً فإنَّ الله تعالى حين يُمْلِكُ عبده لم يملك العبد عندئذ مع الله ، ولم يملك غير الله ولا سوى الله ولا دون الله ، وإنما العبد وما يملك لمولاه ، وإنَّ تملك العبد بإذن الله من أجل مصاديق (الملك لله) ، أي : إنَّ ملك الله ليس محدوداً كملك عبده الذي يحدُّ بحدود مشيئة الله وإذن الله ، ولا حول للعبد أن يتصرف في ما حوَّله الله بأكثر مما حدَّد الله له في التصرف من زمان ومكان وسيطرة . وكذلك الشأن في صفة الخالقية .

الخالق والمحيي

كذلك شأن صفة (الخالق) و(المحيي) ، فإنَّه سبحانه وتعالى ﴿خالق كل شيء﴾ الأنعام/ ١٠٢ ، و﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ فاطر/ ٣ . وقال الله تعالى : ﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف/ ٥٤ . وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ المؤمنون/ ٨٠ . وقال : ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ الشورى/ ٩ .

ولا منافاة بين هذا وبين أن يأذن لعيسى بن مريم (ع) أن يخلق ويحيي كما قال سبحانه مخاطباً إياه : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا

فتكون طيراً بإذنٍ وتبرئ الأكمة والأبرص بإذنٍ وإذا تخرج الموتى بإذنٍ ﴿
المائدة/ ١١٠﴾، وقوله تعالى عن لسان عيسى : ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ
اللَّهِ﴾ آل عمران/ ٤٩ .

فإنَّ الله سبحانه حين يخلق ليس كالآلة الصَّانعة لا يحول عن عمله ولا
يزول - جلُّ عن ذلك - وليس كالشَّيْء حين يعمل لا يستطيع أن يهب قدرة
العمل لغيره، بل إنَّه قادر أن يخلق الحياة، إنساناً كان أو حيواناً، من طريق
اللقاح بين الزوجين، ويستطيع أن يخلقه بيديه دون أب ولا أم، مثل آدم،
ويقدر كذلك أن يَأْذِنَ لعيسى فيخلق بإذنه، والخالق في كلِّ ذلك هو الله تعالى .
وكذلك شأن الإحياء، فإنَّه قادر على أن يحيي الموتى بلا واسطة يوم
القيامة، وقادر على أن يهب الإحياء لرسوله عيسى بن مريم (ع) فيحيي الموتى
بإذنه، وقادر على أن يجعل الإحياء في ضرب بعض بقرة بني إسرائيل الصَّغراء
بميتهم المقتول فيحيا المقتول ويغفرهم عن قاتله^(٩) .

وإنَّ عيسى بن مريم حين خلق الطير وأحيا الموتى، كان الخلق والإحياء
بإذن الله، وعلى هذا فإنَّ عيسى حين خلق الطير وأحيا الموتى لم يخلق مع الله،
ولم يُحيي مع الله، ولم يخلق ولم يُحيي غير الله ولا دون الله، وإنَّما خلق وأحيا بإذن
الله .

الوليّ والشفيع

وكذلك شأن صفة الوليّ والشفيع :

فإنَّه لا منافاة في شأن الشفاعة بين قوله تعالى :

أ - ﴿أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَحَنِّنَاتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفَعَاءُ قُلُوبِهِمْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا

(٩) إشارة إلى الآيات ٦٧ - ٧٣ من سورة البقرة .

يعقلون . قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ الزمر/ ٤٣ ، ٤٤ .

ب - ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ السجدة/ ٤ .

ج - ﴿ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ الأنعام/ ٥١ .

د - ﴿ وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تَسْأَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ الأنعام/ ٧٠ .

وبين قوله تعالى :

أ - ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ يونس/ ٣ .

ب - ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ البقرة/ ٢٥٥ .

ج - ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ طه/ ١٠٩ .

د - ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ . . . ﴾ سبأ/ ٢٣ .

هـ - ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ مريم/ ٨٧ .

و - ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ الأنبياء/ ٢٨ .

فإنه تعالى حين يأذن لعباده الصالحين أن يشفعوا ، كانت الشَّفَاعَةُ لله فأذن لهم أن يشفعوا . فالشَّفِيع عندئذ ليس دون الله .

وكذلك شأن الولي :

فإنَّ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيَمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التوبة/ ١١٦ .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة/ ١٠٧ .

وقوله : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَةٍ . إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ الكهف/ ١٠٢ .

هذه الأقوال لا تنافي قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المائدة/ ٥٥ .

لا منافاة بينها وليس شركاً أن نقول : الله ولينا ورسوله ومن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة في الركوع من المؤمنين ، لأنَّ الولاية لله وهو الذي أعطى هذه الولاية لهما كما أعطى للوالد الولاية على ولده

* * *

في كلِّ الصفات المذكورة صحَّ أن يقال : الله ، هو الحاكم والمالك والسميع والولي . . . وصحَّ - أيضاً - أن يقال لمن منح من عبيده هذه الصفات : مالك الحاكم والشفيع والولي . وإنَّ أوضح مثال لما قلنا ، المورد الآتي .

من يتوفَّى الأنفس

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ النحل / ٢٨

وقال : ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ النحل / ٣٢

وقال : ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ الأنعام / ٦١ .

وقال : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

السجدة/ ١١ .

وقال : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الزمر/ ٤٢ .

فمن قال : إنَّ الملائكة تتوفَّى الأنفس حين موتها بإذن الله ، لم يكذب ولم يشرك ، ومن قال : ملك الموت عزرائيل يتوفَّى الأنفس حين موتها بإذن الله ، لم يكذب ولم يشرك . ولا منافاة بين القولين وبين القول بأنَّ الله يتوفَّى الأنفس حين موتها ، وفي كلِّ هذه الحالات لم يتوفَّ الأنفس غير الله ولا مع الله بل إنَّ الله هو

الذي توفّاها^(١٠). وكذلك الشأن بالنسبة إلى الصفات الأخرى المذكورة سابقاً.

دعوة الرسول (ص) والتوسّل به إلى الله

بناءً على ما بيّنا بأنّ كلاً من الحاكم والمالك والشفيع والخالق والمحيي والمميت والوليّ إذا كان بإذن الله فليس ثمت غير الله ولا دون الله ولا مع الله، بناءً على ذلك فإنّ دعوة النبيّ (ص) في التوسّل به إلى الله - ايضاً - إذا كان بإذن الله، فليس ثمت دعاء غير الله ولا دون الله ولا مع الله، وليس من مصاديق ما نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

وقد مرّ بنا في الحديث المرويّ بمسند أحمد وسنن الترمذي وأبن ماجه ورواية البيهقي والتي صحّحوها بأن رسول الله (ص) علّم الصحابي الضرير أن يدعو بعد الصلوة ويقول:

«اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوجّه بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ . يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي لِتَقْضِيَ لِي . اللّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»^(١١).
فقضى الله حاجته وشفّع رسوله فيه وشافاه، وإنّ هذا النوع من التوسّل من مصاديق قوله تعالى:

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ المائدة/ ٣٥.

﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ الإسراء/ ٥٧.

* * *

إلى هنا استعرضنا بعض مسائل الخلاف وأشرنا إلى ما كان ظاهراً من منشئها. وفي ما يلي ندرس الباعث الحقيقي لما نشأ من الخلاف وهما أمران:

(١٠) هذا الاستدلال مستفاد من قول الإمام عليّ، برواية الصدوق عنه في باب الردّ على الشبهة والزنادقة بكتاب التوحيد، ص: ٢٤١.

(١١) راجع مصادره في باب الاستشفاع برسول الله في حياته من هذه المقدّمة.

أ - استكبار المخلوقين أبَد الدهر.

ب - حاجة السلطة في هذه الأمة إلى إراءة حياة قدوات الإنسانية بها لا يناقض حياتها الغارقة في الشهوات . وفي مايلي بيانها :

أ - الباعث الحقيقي الأول على ما نشأ من الخلاف
أولاً - في بدء الخليقة :

حكى الله سبحانه عما جرى من إبليس حين لم يسجد لأدم (ع) بقوله :
﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من
العالين . قال أنا خير منه . . . ﴾ ص / ٧٥ و ٧٦ .
و ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون﴾
الحجر / ٣٣ .

إن إبليس عبَدَ الله وحده لا شريك له عمر الملائكة ، ثم لم يخضع لأدم
صفى الله في عصره وأستهان به فكان من أمره ما كان .
أما الناس الذين استكبروا وأستهانوا بأنبياء الله واصفياه بعد ذلك فإليكُم
أمثلة من أمرهم في ما يأتي :

ثانياً - في الأمم السابقة :

قال قوم نوح لنبيهم نوح :

﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا . . . وما نرى لكم علينا من فضل﴾ هود / ٢٧ .
وقالوا : ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ المؤمنون / ٢٤ .
وقال قوم نوح وعاد وثمود لرسلمهم :
﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا . . .﴾ إبراهيم / ١٠ .
وقالوا لنبيهم :

﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾

وكان جواب الأنبياء لأمرهم في هذا الاعتراض والاستهانة بهم ما أخبر الله عنه وقال :

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إبراهيم/ ١١ .

ثالثاً - في عصر خاتم الأنبياء (ص) :

روى ابن حجر في ترجمة ذي الخويصرة رأس الخوارج من الإصابة عن أنس، قال :

كان في عهد رسول الله (ص) رجل يعجبنا تعبه وأجتهاده، وقد ذكرناه لرسول الله (ص) فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه. فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا فقلنا: هو هذا. قال: إنكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسففة من الشيطان. فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم، فقال له رسول الله (ص): أنشدك الله، هل قلت حين وقفت على المجلس: «ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني»؟ قال: اللهم نعم! ثم دخل يصلي فقال رسول الله (ص): من يقتل الرجل - الحديث. وفي آخر الحديث قال (ص): لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان... (١٢).

(١٢) راجع ترجمة ذي الخويصرة من الإصابة.

وذو الخويصرة التميمي حرقوص بن زهير. أصل الخوارج، قال لرسول الله عندما كان يقسم قسماً: يا رسول الله، إعدل! فقال له: ويحك من يعدل إذا لم أعدل؟ قال فيه: إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمرق السهم من الرمية. راجع ترجمة ذي الخويصرة في أسد الغابة. وتفصيل قول رسول الله فيه وفي الخوارج وقتال الإمام عليٍّ إياهم في صحيح مسلم، باب ذكر الخوارج، وباب التحريض على قتل الخوارج، وباب الخوارج شر الخلق والخليقة.

رابعاً - في عصرنا :

قال الرجل (ذو المعرفة) من السعوديين :

(محمد رجلاً مثلي ، مات) .

وسبب هذا القول - أيضاً - هو الاستكبار كما كان شأن السابقين .

خلاصة البحث

إن إبليس لا يرى فضلاً لصفي الله ونبيه آدم على نفسه فلا يخضع له ويقول عنه : إنه بشر .

وقوم نوح وعاد وثمود لا يرون لأنبيائهم من فضل عليهم ويقولون لأنبيائهم : إن أنتم إلّا بشر مثلنا .

وذو الخويصرة رأس الخوارج يقول لجمع فيهم رسول الله : ما في القوم أفضل مني أو خير مني .

وكذا الأمر في عصرنا .

إذا فالباعث الأول للاستهانة بأصفياء الله هو الاستكبار .

ب - الباعث الثاني لما نشأ من الخلاف

الباعث الثاني على الخلاف في الأمة الإسلامية مدى القرون ، هو حاجة السلطات الحاكمة على المسلمين إلى إراءة حياة القدوات الإنسانية ، من الأنبياء والأصفياء ، بما لا يناقض حياتهم الغارقة في الشهوات والمهمكة في أتباع هوى النفس .

وكان من أثر العاملين الأول والثاني ، أن أولت آيات من الذكر الحكيم إلى ما يبين صدور المعاصي من أنبياء الله وأصفياه ، ووضعت روايات في انغماسهم

والسفة : قروح تخرج في الوجه والرأس ، ويكون المعنى أثر ضربة الشيطان في وجهه .

في الملهي والشهوات، وأحياناً استفادوا من الأخبار الإسرائيلية في ذلك مثل ما رووا عن داود وزوجة أوريسا^(١٣)، إلى غيرها، والكثير من أمثالها آتت رووها في سيرة الأنبياء؛ وقد مرّ بنا أمثلة مما رووا في سيرة أفضل الأنبياء وخاتمهم محمّد (ص). وفي هذا السبيل، سبيل تسوية الأنبياء والأوصياء بغيرهم من البشر، والقول بعدم وجود ميزة لهم عمّن سواهم، أولوا آيات من الكتاب العزيز المصرّحة بمعجزات الأنبياء، مثل خلق عيسى (ع) من الطين طيراً بإذن الله ونظائره، ووضعت روايات تتفق وما يقولون به من عدم وجود ميزة لأصفياء الله عمّن سواهم من البشر.

وفي مقابل تلك الأحاديث وتاويلات آيات كتاب الله، بدافع العاملين المذكورين آنفاً، نجد في كتب التفسير والحديث والسيرة أحاديث أخرى تدلّ على ميّزات أصفياء الله. فأمّن بها طائفة من المسلمين، وأولت آيات كتاب الله بها يوافق تلك الأحاديث. وأنتج ما ذكرناه رؤية خاصّة لصفات الله وصفات أنبيائه وعن العرش والكرسيّ وسائر المعارف الإسلامية تناقض رؤية الطائفة الأخرى. وكل طائفة أمّنت بها لديها بما يبلغ بها إلى تكفير من يخالفها في الرأي. وإنّ ما وقع من التفرقة مدى القرون كان من أثر ما ذكرناه. أمّا العلاج فسنذكره بحوله تعالى في الخاتمة الآتية.

(١٣) راجع أخبار سيرة النبيّ داود (ع) في تاريخ الطبريّ وغيره.

خلاصة وخاتمة

شرع الله للإنسان الإسلام نظاماً مناسباً لفطرته، وهده بواسطة أنبيائه (ع) وكان كلما توفي نبيٌ وغيّرت أمته شريعته، جدّد الله دينه بإرسال نبيٍّ جديد. وأقتضت حكمته ختم الشرائع بشريعة خاتمهم، فحفظ أصول الإسلام بحفظ القرآن من الزيادة والنقصان أبد الدهر، وجعل بيان الأحكام وشرحها في سنة رسوله (ص) ولم يحفظها مثل القرآن من الزيادة والنقصان، ولم يعصم روايتها عن السهو والنسيان، ولم يعصم نسخ كتب الحديث من الخطأ والزلل. ومضى على رواية سنة الرسول (ص) أربعة عشر قرناً وتداول المسلمون من روايات سنة الرسول (ص) سيرة وحديثاً ما تعارض بعضه مع بعض الشيء الكثير، مع وجود المجلد والمفصل والعام والخاص فيها، والعوامل الخارجية المؤثرة في رواية الحديث، والتي أشرنا إليها سابقاً، فأختلفت اجتهادات المجتهدين في ترجيح بعضها على بعض، مضافاً إلى اجتهاداتهم لكل فرقة رؤية خاصة للإسلام أولّت بموجبها آيات متشابهات في كتاب الله الكريم، وحملت عليها آيات محكمات أخرى.



وهكذا أنقسم المسلمون إلى فرق ومذاهب، ومضت عليهم قرون طويلة كفرّ خلافاً المسلمون بعضهم بعضاً، وقتلت كلّ فرقة من خالفها في الرأي أحياناً، وهذمت ديارهم! فكيف يمكن توحيد كلمة المسلمين مع وجود هذه المفارقات، ووجود مسائل الخلاف بينهم ممّا أوردنا أمثلة منها في ما سبق؟ لا،

لن يتمّ التقارب بين المسلمين هكذا، ومع بقائهم على تقليد اجتهادات السلف، فلا بدّ للمسلمين من أن تبدي كلّ طائفة منهم ما لديها من رؤى للإسلام وتأويل للقرآن وحديث مروّي واجتهادات للسلف نشأ منها الخلاف، على شرط أن يتمّ ذلك بأسلوب الدعوة إلى الحقّ والبحث العلميّ الرصين، دون الركون إلى السباب والشتائم والافتراء انتصاراً لرايها وطائفتها - أعاذنا الله من ذلك - ثمّ الاستماع بتجرّد إلى ما لدى الطوائف الأخرى كذلك، والحقيقة بنت البحث.

والسبيل الصّحيح للوصول إلى ذلك، أن يبادر علماء المسلمين إلى تلك الدراسات بتجرّد علميّ بحث، ثمّ تعرض نتائج تلك الدراسات على الأندية العلميّة الإسلاميّة الكبرى، مثل الجامع الأزهر الشريف في القاهرة، والجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة، ورابطة العالم الإسلامي في مكّة المكرمة، والجامع الإسلاميّ الكبير في النجف الأشرف وقم وخراسان والقيروان والزيتونة، لبحثها وتمحيصها. ثمّ لتنتشر بعد ذلك حكومات البلاد الإسلاميّة ما تتمخّض عنه دراسات تلك الجامعات بين المسلمين كافّة ليتسنى لجميع المسلمين من أراد منهم أن يفهم رأي غيره تفهماً واعياً لا لبس فيه ولا غموض ولا نيز، وله بعد ذلك أن يتقبّل رأي غيره بقبول حسن، أو يعذر أخاه المسلم في ما اتّخذ له من رأي. وهكذا يتيسّر للمسلمين أن يتفهم بعضهم بعضاً ويتقاربوا ويوحّدوا جهودهم في ما يصلح لهم^(١).

(١) لقد شرحت ضرورة القيام بدراسات مقارنة لسنة الرسول (ص) بتجرّد علميّ بحث لعلماء المسلمين وكتّابهم ومفكرهم بمصر والحجاز والشام ولبنان والهند وباكستان والعراق وغيرها، سواء في الجامعات الإسلاميّة والأندية العلميّة بها أو في اجتماعي بالعلماء على انفراد، وأسئلت الله وقت منذ نيف وخمسين سنة هذه الدراسات. ولما كانت أمّ المؤمنين عائشة أكثر من تحدّثت عن سيرة الرسول الأكرم (ص) بين أمّهات المؤمنين وأهل البيت وجميع الصحابة، وكان أكثر

ومن الضروري في هذا السبيل أن يبدأ بالبحث عن مصادر الشريعة الإسلامية وكيفية أخذ المسلمين منها وسبل الوصول إلى السنة النبوية .
وللوصول إلى هذا الهدف الجليل قمت مستعيناً بالله تعالى بتأليف هذا الكتاب وفق المنهج التالي :

منهج البحث في الكتاب :

أوردنا في ما سبق أمثلة من مسائل الخلاف ومنشأ الاختلاف ودوافعها وبقي لنا دراسة جذور الخلاف والاختلاف . وسندرسها في أبواب القسم الأول من هذا الكتاب ليدرسها المصلحون الغيارى على الإسلام والمسلمين وينسقوا جهودهم في ضوء معرفتها لتقريب أبناء الأمة الإسلامية وتوحيد كلمتهم ضد أعداء الإسلام إن شاء الله تعالى .

ونقول في هذا الصدد: لما كان جميع طوائف المسلمين ينتهون إلى مدرستين^(١): مدرسة الإمامة ومدرسة الخلافة، بحثت في الكتاب :

الباحثين مسلمين وغير مسلمين من المستشرقين وتلاميذهم يتعرفون على سيرة الرسول (ص) من خلال الأحاديث المروية عنها، ولن تيسر دراسة سيرة الرسول دون الدراسة العلمية لمجموعة الأحاديث المروية عنها بتجرد علمي بحث، لهذا اضطررت إلى دراسة أحاديثها دراسة مقارنة، وطبعت الجزء الأول منها، ولما بطبع الجزء الثاني منها . ورأيت خلال دراساتي من الاختلاف في أخبار السيرة وأخبار العصر الإسلامي الأول ما أكرهني على نشر بعض دراساتي بأسم (خسرون ومائة صحابي مخلق) وقصدي من هذه التسمية أن أنبه العلماء إلى ما في أخبار العصر الإسلامي الأول من عظيم الاختلاف، وطبع منها جزءان ترجم فيها ثلاثة وتسعون صحابياً مختلفاً وأكثر من سبعين راوياً للحديث مختلفين - أيضاً - أسندت إليهم روايات في الفتوح والردة وغير ذلك مختلفة جميعها . وكتبت مقدمة لهذه الدراسة مجلدي عبد الله بن سبأ ونشراً، وبقي نشر المجلد الثالث من (خسرون ومائة صحابي مخلق) والثالث من عبد الله بن سبأ، وإلى الله أشكو ما لاقيت من الإرجاف في هذا السبيل .

(٢) سيأتي بيانه في بداية البحوث، إن شاء الله تعالى .

أولاً - عن رأي المدرستين في الصحابة وعدالتهم، لأنهم من سبل الوصول إلى سنة الرسول (ص). وترى مدرسة الخلافة أنهم جميعاً عدول لا يتطرق الشك إلى عدالة أي واحد منهم، ويصح أخذ الحديث من جميعهم. وترى المدرسة الأخرى أن في الصحابة البرّ التقي الذي يؤخذ منه الحديث، وفيهم من وصمه الله في كتابه بالنفاق وقال: ﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ التوبة/ ١٠١.

هكذا درست أدلة الطرفين في هذا الباب بتجرد علمي، ثم بحثت عن رأي المدرستين في الإمامة والخلافة وأدلتها في ما أرتأتا، لأن الخلفاء الأربعة الأوائل لدى إحداهما من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلامية وتروي في حقهم عن الرسول (ص) أنه قال: «خذوا بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وعصوا عليها بالنواجز»، ثم إنها تتخذ من اجتهاداتهم مصدراً للشريعة الإسلامية^(٣).

وكذلك الأئمة الاثنا عشر لدى مدرسة أهل البيت (ع) فلأنهم يرونهم من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلامية ويأخذون منهم كل ما يروون عن الرسول (ص) من أحكام بلا تردد. فلابد مع هذا من تمحيص أدلة الطرفين في هذا السبيل.

ثانياً - درست بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية بكل أمانة علمية، وختمت البحوث بذكر بعض أنواع نشاط المدرستين الثقافي والسياسي والاجتماعي وآثارها في المجتمع الإسلامي.

ثالثاً - أوردت في الأخير بعض ما افترى به على مدرسة أهل البيت (ع) وحاولت القيام بتمحيصه.

(٣) يأتي بحث نقد الحديث ودراسة مواقفهم من اجتهادات مجتهد مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني في باب: بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية، إن شاء الله تعالى.

وأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنِي لِلْبَحْثِ عَنْ رَوَايَاتِ الْمَدْرَسَتَيْنِ حَوْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
بِمَنَّةِ تَعَالَى .

وَمَا هِيَ الْبَحْثُ أَعْرَضَهَا عَلَى الْمَلَأِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَرِيمِ رَاجِعاً أَنْ يَنْظُرُوا
فِيهَا بِتَجَرُّدٍ عِلْمِيٍّ، وَيَنْبَهُونِي عَلَى أَخْطَائِي فِي سَبِيلِ نَشْرِ الْمَعْرِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَتَيْسِيرِ التَّفَافُهِمِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يُونُسُ/ ١٠٨ .

القسم الأول

بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية

توطئة

في تاريخ الفكر الإسلامي نجد أنفساً بَيِّنًا بعد وفاة النبي (ص) بين مدرستين متعارضتين، مدرسة السُّلطة الحاكمة بعد الرسول حتى آخر الخلفاء العثمانيين، ومدرسة أئمة أهل البيت (ع) حتَّى الإمام الثاني عشر^(١). ولم يزل الخلاف قائماً بين خريجي المدرستين وأتباعهما من المسلمين، ولا يزال كذلك حتَّى عصرنا الحاضر، وإلى ما شاء الله.

وفي ما يلي من هذا البحث نسَمِّي المدرسة الأولى بمدرسة الخلفاء والأخرى بمدرسة أهل البيت. ونبدأ بذكر منشأ الخلاف بينهما، ثمَّ نورد أمثلة من وجوه الخلاف، إن شاء الله تعالى.

موارد الخلاف:

تتفق المدرستان في القرآن الكريم، وتلتزمان بما أحله وحرَّمه وفرضه وندب إليه، وتختلفان في تأويله وخاصةً متشابه آياته أشدَّ الاختلاف. ثمَّ تختلفان في الأمور الثلاثة التالية:

أ - في الصحابة.

ب - في الإمامة والخلافة، وهما من سبل الوصول إلى مصادر الشريعة

(١) إنَّنا حدَّدنا مدرسة السلطة الحاكمة بآخر الخلفاء العثمانيين، ومدرسة أهل البيت بالإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، لأنَّ مدرسة الخلفاء تلتزم بشرعية حكومة الخلفاء بعد النبي وتسميهم بخلفاء النبي، وتلتزم مدرسة أهل البيت بأحقِّية الأئمة الاثني عشر في الحكم وتسميهم أوصياء النبي. ولهذا سَمَّينا الأولى بمدرسة الخلفاء، والثانية بمدرسة أهل البيت.

الإسلامية .

ج - في مصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن .

وسندرس بحوث المدرستين في كلٍّ منها بعد دراسة المصطلحات الواردة في بابه في أول الباب . ونبدأ هنا بدراسة المصطلحات المشتركة في جميع أبواب الكتاب أولاً ، ثم بدراسة كيفية تدوين معاجم اللغة العربية ثانياً .

اللغة العربية والمصطلحات الإسلامية

أولاً - تعريف المصطلحات وهي :

أ - لغة العرب .

ب - المصطلح الشرعيّ أو المصطلح الإسلامي .

ج - مصطلح المشرّعة أو مصطلح المسلمين .

د - الحقيقة والمجاز .

ونسمي الأول أحياناً بـ (تسمية العرب) ، والثاني بـ (تسمية الشارع)

والثالث بـ (تسمية المسلمين) ونقول :

أ - لغة العرب

إنّما نتحدّث عن لغة العرب ، لأنّ القرآن نزل بلغتهم ، فنقول :

إنّ جلّ الألفاظ العربيّة التي نستعملها اليوم ، كانت شائعة في معانيها قبل

الإسلام وبعد الإسلام حتّى اليوم ، مثل : الأكل والنوم واللّيل والنهار .

ومن تلكم الألفاظ ما ورد في لغة العرب في معان متعدّدة ، مثل لفظ :

(غنم) الذي كان في البدء بمعنى كسب الغنم ، ثمّ استعمل أيضاً في لغة

العرب بمعنى الفوز بالشيء بلا مشقّة ، ثمّ استعمل في الإسلام في الفوز

بالشيء مطلقاً ، سواء أكان الفوز بمشقة أم دون مشقة .

وقد يرد لفظ عند قبيلة بمعنى ، وعند أخرى بمعنى آخر ، مثل (الاثلب)

فإنه في لغة أهل الحجاز: الحجر، وفي لغة تميم: التراب^(١).
وفي عصرنا يستعمل لفظ: (المبسوط) ويراد به عند العراقيين: المضروب،
ولدى الشاميين واللبنانيين: المسرور، وفي مثل هذه الحالة يجب أن نقول مثلاً:
(الأثلب) في لغة تميم بمعنى كذا، وفي لغة الحجازيين بمعنى كذا، وكذلك
الأمر في (المبسوط).

ب - المصطلح الشرعي أو المصطلح الإسلامي
عندما بعث الله خاتم أنبيائه (ص) استعمل بعض الألفاظ العربية في غير
معانيها الشائعة لدى العرب، مثل: (الصلاة) التي كانت تستعمل في مطلق
(الدعاء) واستعملها رسول الله (ص) في عبادة خاصة لها قراءات خاصة مقارنة
بأفعال خاصة من قيام وركوع وسجود، مما لم تكن معروفة لدى العرب. وهذا
ما نسميه بـ (المصطلح الشرعي أو الإسلامي) سواء في ذلك أغير المعنى
اللغوي للفظ مثل (الصلاة) أم جاء الشارع الإسلامي بلفظ جديد في معنى
جديد، مثل: (الرحمن) صفة لله تعالى.

ويعرف (المصطلح الشرعي) بورود اللفظ في معناه في القرآن الكريم أو
الحديث النبوي الشريف، وبدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي.
إذاً فالمصطلح الشرعي: ما استعمله الشارع في معنى خاص وبلغ
الرسول (ص) ذلك.

ج - مصطلح التشريعة أو تسمية المسلمين
من الألفاظ ما هي شائعة في معان خاصة بها لدى المسلمين عامة مثل:
(الاجتهاد) و (المجتهد) الشائعين لدى عامة المسلمين في الفقه والفقيه، وكان

(١) تهذيب اللغة للأزهري، ط. القاهرة، سنة ١٣٨٤هـ، ٩١/١٥.

اللفظان في لغة العرب بمعنى بذل الجهد في طلب الأمر^(٢)، وبإذل الجهد، وأستعمل بنفس المعنى اللغوي في حديث الرسول (ص) كما روي عن رسول الله (ص) أنه قال:

«فضل العالم على المجتهد مائة درجة»، أي على المجتهد في العبادة^(٣). وفي ما روي عن سيرته (ص) وقيل:

كان رسول الله يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره^(٤).

ولم يرد (الاجتهاد) و (المجتهد) بمعنى: الفقه والفقيه، في القرآن الكريم ولا الحديث النبوي الشريف، ونسَمي هذا النوع من التسمية بـ (عرف المتشريعة) و (تسمية المسلمين).

ومن هذا النوع من التسمية ما لا يكون شائعاً لدى عامة المسلمين، بل يكون شائعاً لدى بعضهم، مثل كلمة: (صوم زكريّا) المستعمل لدى بعض المسلمين في الصّوم مع الالتزام بالصّمت والامتناع عن التكلّم. وهذا النوع من المصطلح ينبغي أن نسميه بأسم البلد الشائع فيه، فنقول: هذا اصطلاح المسلمين من أهل بغداد، أو اصطلاح المسلمين في القاهرة مثلاً، ولا يصحّ أن نسميه بـ (اصطلاح المسلمين) أو (عرف المتشريعة) أو (تسمية المسلمين) مطلقاً وبدون تقييد.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى التسمية الشائعة لدى أهل مذهب من المذاهب الإسلامية أو لدى فرقة تنتمي إلى الإسلام.

مثل: (الشاري) و (المشرك) لدى الخوارج؛ فه (الشاري) عندهم بمثابة

(٢) مادة: (جهد) من نهاية اللغة لابن الاثير.

(٣) مقدّمة سنن الدارمي، باب فضل العلم والعالم، ح ٣٢، ١/١٠٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان،

المجاهد عند كافة المسلمين، و(المشرك) عندهم: جميع المسلمين وكل من لا ينتمي إلى الخوارج.

ومثل (الرافضي) الذي ينز به بعض أتباع مدرسة الخلفاء بعض أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

و(الناصبي) عند أتباع مدرسة أهل البيت (ع) الذي يسمون به: كل من يبغض الأئمة من أهل البيت (ع).

وفي مثل هذه الحالة، نسمي الأول بـ (أصطلاح الخوارج) والثاني بـ (أصطلاح مدرسة الخلفاء) والثالث بـ (أصطلاح مدرسة أهل البيت).

وبناءً على ما ذكرنا، فإذا ورد لفظ (الناصبي) لدى أتباع مدرسة الخلفاء لا ينبغي أن نفهم منه أعداء أهل البيت (ع). وكذلك إذا ورد لفظ (الشاري) عند غير الخوارج لا نفهم منه ما أصطلح عليه الخوارج.

د - الحقيقة والمجاز

إذا شاع استعمال اللفظ في معناه، بحيث لم يتبادر إلى ذهن السامع عند استماع الكلمة غير ذلك المعنى، مثل لفظ: (الأسد) الذي يفهم منه: الحيوان المفترس، لا غيره. ومثل لفظ: (الصلاة) التي لا يفهم منها لدى المسلمين غير: القيام بالأعمال الخاصة المقرونة بأذكار خاصة.

في مثل هذه الحالة، يوصف (الأسد) بأنه حقيقة في الحيوان المفترس، و(الصلاة) بأنها حقيقة في الأعمال المخصوصة، ويسمى الأول بـ (الحقيقة اللغوية) والثاني بـ (الحقيقة الشرعية).

وقد يستعمل لفظ (الأسد) ويقصد به: الرجل الشجاع، ويقال: رأيت أسداً يتكلم في المسجد. وهذا الاستعمال يسمى استعمالاً مجازياً ويقال: استعمال (الأسد) مجازاً في الرجل الشجاع. ولا بد عند ذلك من وجود قرينة في الكلام أو في المقام، تدل على أنه لم يقصد من (الأسد) المعنى الحقيقي، مثل

قولك هنا: (يتكلم في المسجد) فإنَّ الأسد لا يتكلم، وهذه قرينة على أنَّ القائل لم يقصد الحيوان المفترس، وإنما قصد رجلاً شجاعاً.

ثانياً - كيفية تأليف مجاميع اللغة العربيّة

عندما قام علماء اللغة العربيّة بتدوين اللّغة العربيّة في القرنين الثاني والثالث الهجريّين، سجّلوا أمام كلّ لفظ ما وجدوا له من معنى، منذ العصر الجاهليّ إلى زمانهم، سواء أكان ذلك المعنى شائعاً عند أهل اللغة أم في الشرع الإسلامي، أو لدى المسلمين، غير أنَّ فقهاء المسلمين بذلوا جهداً مشكوراً مدى القرون في تحديد المصطلحات الإسلاميّة الفقهيّة وتعريفها، مثل مصطلح الصلاة والصّوم والحجّ وغيرها، فأصبحت المصطلحات الإسلاميّة الفقهيّة معروفة لدى جميع المسلمين. ولما لم يبذل نظير ذلك الجهد في تعريف المصطلحات الإسلاميّة غير الفقهيّة، أصبح بعض المصطلحات غير معروف لدى المسلمين، أهى من نوع الاصطلاح الشرعيّ؟ أم من نوع تسمية المسلمين واصطلاح المتشرّعة. وأدّى ذلك إلى اللبس والغموض في إدراك المفاهيم الإسلاميّة، وأحياناً في معرفة بعض الأحكام الشرعيّة، نظير ما وقع في لفظي الصحابي، والصحابة، كما سندرسهما في ما يأتي.

البحث الأول

بحوث المدرستين حول الصّحبة والصّحابة

تعريف الصحابي لدى المدرستين
عدالة الصحابة لدى المدرستين
خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الفصل الأول

تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء
تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت (ع)
ضابطتهم لمعرفة الصحابي
مناقشة ضابطة معرفة الصحابي

تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء

قال ابن حجر في مقدمة الإصابة، الفصل الأول في تعريف الصحابي: الصحابي من لقي النبي (ص) مؤمناً به، ومات على الإسلام. فيدخل في من لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى^(١).

وذكر في ضابط يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير) وقال: (إنهم كانوا في الفتح لا يؤثرون إلا الصحابة).

(وأنه لم يبق بمكة ولا الطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي حجة الوداع) و(أنه لم يبق في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي (ص) إلا دخل في الإسلام) و(ما مات النبي (ص) وأحد منهم يظهر الكفر)^(٢).

وإذا راجع باحث أجزاء كتابنا (خمسون ومائة صحابي مختلف) يرى مدى تسامحهم في ذلك ومبلغ ضرره على الحديث.

(١) الإصابة ١٠/١.

وهذا القول بمدرسة الخلفاء هو مصدر الشهيد الثاني حين قال في كتابه الدراية؛ الباب الرابع في بعض المصطلحات في أسماء الرجال وطبقاتهم: (الصحابي) من لقي النبي مؤمناً به ومات على الإسلام.

(٢) المصدر السابق ص ١٦ وقبله ص ١٣.

تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت (ع)

إن مدرسة أهل البيت ترى أن تعريف الصحابي: هو ما ورد في قواميس اللغة العربية كالآتي:

الصاحب وجمعه: صَحب، وأصحاب، وصِحاب، وصَحابة^(٣) و(الصاحب: المعاصر^(٤) والملازم^(٥))، (ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته)^(٦)، (وإن المصاحبة تقتضي طول لبته)^(٧).

وبما أن الصُحبة تكون بين اثنين، يتضح لنا أنه لا بد أن يضاف لفظ (الصاحب) وجمعه (الصَحب و...) إلى أسم ما في الكلام، وكذلك ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ﴾ و﴿أَصْحَابِ مُوسَى﴾، وكان يقال في عصر الرسول (ص): (صاحب رسول الله) و(أصحاب رسول الله) مضافاً إلى رسول الله (ص) كما كان يقال: (أصحاب بيعة الشجرة) و(أصحاب الصُفة) مضافاً إلى غيره، ولم يكن لفظ الصاحب والأصحاب يوم ذاك أسماء لأصحاب الرسول (ص) ولكن المسلمين من أصحاب مدرسة الخلافة تدرجوا بعد ذلك في تسمية أصحاب رسول الله (ص) بالصحابي والأصحاب، وعلى هذا فإن هذه التسمية من نوع (تسمية المسلمين) و(مصطلح التشريعة). كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي.

ضابطةهم لمعرفة الصحابي

ذكر مترجمو الصحابة بمدرسة الخلفاء ضابطة لمعرفة الصحابي، كما نقلها ابن حجر في الإصابة وقال:

ومما جاء عن الأئمة من الأقوال المجملة في الصفة التي يعرف بها كون

٣ و٤) راجع لسان العرب، مادة: (صحب).

٥ و٦ و٧) مفردات الراغب، مادة: (صحب).

الرجل صحابياً وإن لم يرد التنصيص على ذلك، ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق لا بأس به: أنهم كانوا في الفتوح لا يؤمرون إلا بالصحابة^(٨).
والرواية التي جاءت من طريق لا بأس به بهذا الصدد هي التي رواها الطبري وابن عساكر بسندهما، عن سيف، عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة، قال فيها:

وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك^(٩).
وفي رواية أخرى عند الطبري عن سيف قال:
إن الخليفة عمر كان لا يعدل أن يؤمر الصحابة إذا وجد من يجزي عنه في حربه. فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان، ولا يطمع من أنبعث في الردة في الرئاسة...^(١٠).

مناقشة ضابطة معرفة الصحابي

إن مصدر الروایتين هو سيف المتهم بالوضع والزندقة^(١١).
وسيف يروي الضابطة عن أبي عثمان، وأبو عثمان الذي يروي عن خالد وعبادة في روايات سيف، تحمله سيف: يزيد بن أسيد الغساني، وهذا الاسم من مختلقات سيف من الرواة^(١٢).
ومهما تكن حال الرواة الذين روى أمثال هذه الروايات، وكائنين من كانوا، فإن الواقع التاريخي يناقض ما ذكروا؛ فقد روى صاحب الأغاني وقال:

(٨) الإصابة ١٣/١.

(٩) الطبري ط. أوربا، ٢١٥١/١.

(١٠) الطبري ط. أوربا، ٢٤٥٧/١ - ٢٤٥٨.

(١١) راجع ترجمة سيف في أول الجزء الأول من كتاب عبد الله بن سبأ.

(١٢) راجع مخطوطة (رواة مختلقون) للمؤلف وكتاب عبد الله بن سبأ ط. بيروت سنة

١٤٠٣ هـ ١١٧/١.

أسلم امرؤ القيس على يد عمر وولاه قبل أن يصلي لله ركعة واحدة^(١٣).
وتفصيل الخبر في رواية بعدها عن عوف بن خارجة المرّي قال:
والله إنّي لعند عمر بن الخطاب (رض) في خلافته، إذ أقبل رجل
أفحج^(١٤) أجلىح أمر يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر، فحيّاه
بتحية الخلافة.

فقال له عمر: فمن أنت؟

قال: أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي.

فعرفه عمر، فقال له: فما تريد؟

قال: الإسلام.

فعرضه عليه عمر، فقبله. ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام
من قضاة^(١٥). فأدبر الشيخ واللواء يهتزّ على رأسه - الحديث^(١٦).

ويخالفه - أيضاً - ما في قصة تأمير علقمة بن علاثة الكلبي بعد ارتداده،
وقصته كما في الأغاني والإصابة^(١٧) بترجمته ما يلي:

أسلم علقمة على عهد رسول الله وأدرك صحبته. ثم آرتد على عهد أبي

(١٣) الأغاني، ط. ساسي، ١٥٨/١٤.

(١٤) الأفحج: من ندانت صدور قدميه وتباعده عقباه. والأجلىح: الذي انحسر شعره عن
جانبي رأسه. والأمر: قليل الشعر.

(١٥) قضاة: قبائل كبيرة، منهم قبائل حيدان وبهراء وبل وجهية، ترجمتهم في جهرة
أنساب ابن حزم ص ٤٤٠ - ٤٦٠. وكانت ديارهم في الشحر ثم في نجران ثم في الشام، فكان
لهم ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق، راجع مادة قضاة، معجم قبائل العرب ٩٥٧/٣.

(١٦) الأغاني، ط. ساسي ١٥٧/١٤، وأوجزه ابن حزم في جهرة أنساب العرب
ص ٢٨٤.

(١٧) ترجمته في الإصابة ٤٩٦/٢ - ٤٩٨، والأغاني، ط. ساسي ٥٦/١٥، وقصة تنافر
علقمة وعامر في الأغاني ٥٠/١٥ - ٥٥، وفي جهرة ابن حزم ص ٢٨٤.

بكر. فبعث أبو بكر إليه خالداً ففرّ منه .

قالوا : ثمّ رجع فأسلم .

وفي الإصابة :

شرب الخمر على عهد عمر، فحذه، فأرتدّ ولحق بالروم . فأكرمه ملك الروم، قال له : أنت أبن عمّ عامر بن الطفيل . فغضب وقال : لا أراي أعرف إلا بعامر^(١٨) . فرجع وأسلم .

وفي الأغاني والإصابة - واللفظ للأول - :

لما قدم علقمة بن علاثة المدينة وكان قد أرتدّ عن الإسلام، وكان لخالد ابن الوليد صديقاً، فلقبه عمر بن الخطاب (رض) في المسجد في جوف الليل، وكان عمر (رض) يشبه بخالد، فسلم عليه وظنّ أنه خالد .

فقال له : عزلك؟

قال : كان ذلك .

قال : والله ما هو إلا نفاسة عليك وحسداً لك .

فقال له عمر : فما عندك معونة على ذلك؟

قال : معاذ الله ، إنّ لعمر علينا سمعاً وطاعة وما نخرج إلى خلافه .

١٨) وقعت منافرة بين علقمة وعامر ذكرها الأخباريون، قال في الأغاني، ط. سامي ٥٠/١٥ : أنّ علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر، فقال : لم أر كاليوم هودة رجل أتج

فقال علقمة : أما والله ما وثيت على جاراتها ولا تنازل كتابها، يعرض بعامر

فقال عامر : والله لأنا أكرم منك حسباً وأثبت منك نسباً

فقال علقمة : لأنا خير منك ليلاً ونهاراً .

فقال عامر : لأنا أحبّ إلى نساتك - إلى آخر القصة، في الأغاني، وترجمة علقمة في الإصابة .

قال المؤلف :

ولذلك أنف علقمة من أن يكرم لأنه أبن عمّ عامر ويشتهر ذلك عنه .

فلما أصبح عمر (رض) أذن للناس، فدخل خالد وعلقمة. فجلس
 علقمة إلى جنب خالد، فألتفت عمر إلى علقمة فقال له :
 يا علقمة، أنت القائل لخالد ما قلت؟
 فألتفت علقمة إلى خالد، فقال :
 يا أبا سليان أفعلتها؟
 قال : وبحك والله ما لقيتك قبل ما ترى، وإنّي أراك لقيت الرجل .
 قال : أراه والله .
 ثم التفت إلى عمر (رض) فقال :
 يا أمير المؤمنين ! ما سمعت إلّا خيراً .
 قال : أجل، فهل لك أن أولئك حوران^(١٩)؟
 قال : نعم .
 فولّاه إياها فمات بها، فقال الخطيئة يرثيه - الحديث .
 وزاد في الإصابة .
 فقال عمر : لأن يكون من وراثي على مثل رأيك أحبّ إليّ من كذا وكذا .



كان ما نقلناه هو الواقع التاريخي غير أن علماء مدرسة الخلفاء استندوا إلى
 ما رووا واكتشفوا ممّا رووا ضابطة لمعرفة صحابة رسول الله (ص) وأدخلوا في
 عداد الصحابة مختلفات سيف بن عمر المتهم بالزندقة ممّا درسناه في كتابنا
 (خمسون ومائة صحابي مختلف) .
 بعد دراسة رأي المدرستين في تعريف الصحابي، ندرس في ما يأتي أمر
 عدالة الصحابة لدى المدرستين .

(١٩) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع . معجم البلدان

الفصل الثاني

عدالة الصحابة لدى المدرستين

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة
رأي مدرسة أهل البيت (ع) في عدالة الصحابة
ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة

ترى مدرسة الخلفاء أن الصحابة كلهم عدول، وترجع إلى جميعهم في أخذ معالم دينها.

قال إمام أهل الجرح والتعديل الحافظ أبو حاتم الرازي^(١) في مقدمة كتابه: (فأما أصحاب رسول الله (ص) فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه (ص) ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقُدوة، فحفظوا عنه (ص) ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سنَّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأذّب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده، بمعاينة رسول الله (ص) ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقّاهم منه واستنباطهم عنه؛ فشرّفهم الله عز وجل بما منّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إليّاهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والفخر واللمز، وسّمّاهم عدول الأمة، فقال عز ذكره في محكم كتابه: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ البقرة/ ١٤٣. ففسّر النبي (ص) عن الله عز ذكره قوله: ﴿وسطاً﴾ قال: عدلاً. فكانوا عدول الأمة، وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونفلة الكتاب والسنة. وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك

(١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وكتابه هذا (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل) ط. حيدر آباد سنة ١٣٧١هـ، نقلنا ما أورده من ص ٧ - ٩ منه.

لسبيلهم والافتداء بهم، فقال: ﴿ومن يشاقق الرسول... ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى...﴾^(٢) الآية، النساء/ ١١٥.

وجدنا النبي (ص) قد حصّ على التبليغ عنه في أخبار كثيرة ووجدناه يخاطب أصحابه فيها، منها أن دعا لهم فقال: «نصّر الله أمراً سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره». وقال (ص) في خطبته: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب» وقال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عني ولا حرج».

ثم تفرقت الصحابة - رضي الله عنهم - في النواحي والأمصار والثغور، وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام، فبث كل واحد منهم في ناحيته والبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله (ص)^(٣) وأفتوا في ما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله (ص) عن نظائرها من المسائل، وجردوا أنفسهم مع تقدمه حسن النية والقربة إلى الله تقدّس اسمه لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن الحلال والحرام، حتى قبضهم الله عزّ وجلّ. رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين.

وقال آبن عبد البرّ في مقدمة كتابه: الاستيعاب^(٤):

(ثبتت عدالة جميعهم). ثم أخذ بإيراد آيات وأحاديث وردت في حقّ المؤمنين منهم نظير ما أوردناه من الرازي.

وقال آبن الاثير في مقدمته لكتاب أسد الغابة^(٥):

(٢) ترى مدسة أهل البيت أنّ المقصود من كل ذلك: المؤمنون منهم، كما نصّت الآية عليه، وصيأتي مزيد بيانه إن شاء الله تعالى.

(٣) سترى في ما يأتي إن شاء الله أنّ مدرسة الخلافة منعت نشر حديث الرسول وخاصة كتابته إلى رأس المائة من الهجرة!

(٤) الاستيعاب في أساء الاصحاح للحافظ المحدث أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البرّ النعمري القرطبي المالكي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ).

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم

(...) إن السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين، إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدهم وروايتهم وأولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله (ص) فإذا جهلهم الإنسان كان بغيرهم أشد جهلاً وأعظم إنكاراً، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم وأحوالهم... والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل، فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح...).

وقال الحافظ أبن حجر في الفصل الثالث، في بيان حال الصحابة من العدالة، من مقدمة الإصابة^(٦):

(اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة...).

وروى عن أبي زرعة أنه قال:

(إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (ص) فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك إلينا كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة)^(٧).

الجزري المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، ٣/١.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن عماد الكنايني المصقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) وقد رجعنا إلى ط. المكتبة التجارية سنة ١٣٥٨هـ بمصر، ١٧/١ - ٢٢.

(٧) الإصابة ١٨/١. وأبو زرعة: هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد. قال أبن حجر في تقريب التهذيب ٥٣٦/٢ الترجمة ١٤٧٩: إمام حافظ ثقة مشهور من الطبقة الحادية عشرة من الرواة. مات سنة أربع وستين ومائتين، وروى عنه من أصحاب الصحاح مسلم والترمذي والنسائي وأبن ماجة.

أقول: لست أدري ماذا يقول الإمام أبو زرعة في حق المنافقين من أصحاب رسول الله (ص).

كان هذا رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة، وفي ما يلي رأي مدرسة أهل البيت (ع) في ذلك.

رأي مدرسة أهل البيت (ع) في عدالة الصحابة

تري مدرسة أهل البيت تبعاً للقرآن الكريم: أنَّ في الصحابة مؤمنين أثنى عليهم الله في القرآن الكريم وقال في بيعة الشجرة مثلاً: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يسامعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ الفتح/ ١٨. فقد خصَّ الله الثناء بالمؤمنين ممن حضروا بيعة الشجرة ولم يشمل المنافقين الذين حضروها مثل عبد الله بن أبي وأوس بن قهظي^(٨).

وكذلك تبعاً للقرآن ترى فيهم منافقين ذمهم الله في آيات كثيرة مثل قوله تعالى:

﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ التوبة/ ١٠١.

وفيهم من أخبر الله عنهم بالإفك، أي من رموا فراش رسول الله (ص) بالإفك^(٩) - نعوذ بالله من هذا القول - وفيهم من أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً آنفصوا إليها وتركوك قائماً﴾ الجمعة/ ١١. وكان ذلك عندما كان رسول الله قائماً في مسجده يخطب خطبة الجمعة.

(٨) راجع خبر بيعة الشجرة = بيعة الرضوان في مغازي الواقدي ص ٥٨٨. وإمتاع الاسماع للمقرئزي ص ٢٨٤.

وأخطأ شارح الأمتاع وذكر (ابن خولي) والصواب ما أثبتناه.

(٩) إشارة إلى قصة الإفك التي نزلت في شأنها الآيات ١١ - ١٧ من سورة النور في براءة أم المؤمنين عائشة عما رُميت به كما روتها هي، أو في براءة مارية عما رُميت به على قول غيرها، كما في الجزء الثاني من أحاديث أم المؤمنين عائشة.

وفيه من قصد اغتيال رسول الله بمروره على عقبة عند رجوعه من غزوة تبوك^(١٠)، أو من حجة الوداع^(١١).

وإن التشرف بصحبة النبي (ص) ليس أكثر امتيازاً من التشرف بالزواج بالنبي (ص)، فإن مصاحبتهم له كانت من أعلى درجات الصحبة، وقد قال الله تعالى في شأنهم:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنْ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْتُضْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ . . .﴾
الأحزاب / ٣٠ - ٣٢.

وقال في آيتين منهم:

﴿إِن تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَفَّتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ . . . وَمَرِيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ . . .﴾
التحریم من أول السورة إلى آخرها.

ومنها من أخبر عنهم الرسول (ص) في قوله عن يوم القيامة:

(١٠) مسند أحمد ٥/٣٩٠ و ٤٥٣. وراجع صحيح مسلم ٨/١٢٢ - ١٢٣، باب صفات المنافقين. وجمع الزوائد ١/١١٠ و ١٩٥/٦. ومغازي الواقدي ٣/١٠٤٢. وإتباع الأسامع للمقرئ ص ٤٧٧، وفي تفسير، ﴿وَهُمْ أُولَا بِنَالٍ﴾ الآية ٧٤ من سورة التوبة بتفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٥٨ - ٢٥٩.

(١١) جاء في أحاديث الشيعة أن ذلك كان عند مرجعه من حجة الوداع وبمناسبة واقعة غدیر خم بأرض الجحفة. وراجع الملحق بآخر الكتاب. البحار، ط. المكتبة الإسلامية بتهران سنة ١٣٩٢ هـ. ١٠٦/٢٨.

«وَأَنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشَّهَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أَصْحَابِي. فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾ المائدة/ ١١٧. فَيَقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ»^(١٢).

وفي رواية:

«لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْخَوْضِ حَتَّى عَرَفْتَهُمْ آخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي. فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ»^(١٣).

وفي صحيح مسلم:

«لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْخَوْضُ رِجَالٌ يَمْنُ صَاحِبِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ وَرَفَعُوا إِلَيَّ آخْتَلَجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ أَصْحَابِي. فَلْيَقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ»^(١٤).

ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق

لَمَّا كَانَ فِي الصَّحَابَةِ مُنَافِقُونَ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ بِأَنَّ عَلِيًّا لَا يَجِبُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ (ع)^(١٥) وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ

(١٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني، وكتاب الأنبياء، باب وأخذ الله إبراهيم خليلاً. والترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر، وتفسير سورة طه.

(١٣) البخاري، كتاب الرقاق، باب في الخوض، ٩٥/٤، وراجع كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ فِتْنَةٌ لَأَنْتُمْ﴾... الأنفال/ ٢٥. منه. وأبن ماجة، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، ح ٥٨٣٠. وراجع مسند أحمد ٤٥٣/١ ٢٨/٣ ٤٨/٥.

(١٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا، ١٨١٠/٤ ح ٤٠.

(١٥) الإمام علي أبن عم الرسول أبي طالب بن عبد المطلب: ولد في جوف الكعبة، كما رواه الحاكم في المستدرک ٤٨٣/٣، والمالكي في الفصول المهمة. وأبن المغازلي الشافعي (ت:

أم سلمة^(١٦) وعبد الله بن عباس^(١٧)، وأبو ذر الغفاري^(١٨)، وأنس بن

٤٨٣هـ) في المناقب، ح ٣ ص ٧. والشبلنجي في نور الأبصار ص ٩٦. وكانت ولادته في ١٣ رجب سنة ثلاثين من عام الفيل. وبياحه المهاجرون والأنصار سنة ٣٥هـ. وضربه أبى ملجم المرادي ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة في محراب مسجد الكوفة، وتوفي في يوم ٢١ منه. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٦ حديثاً. راجع ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وص ٢٧٦ من جوامع السيرة.

وروايته في المناقبين في صحيح مسلم ٦١/١، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان ويفضهم من علامات النفاق. وصحيح الترمذي ١٧٧/١٣، باب مناقب علي. وسنن أبى ماجة الباب الحادي عشر من مقدمته. وسنن النسائي ٢٧١/٢، باب علامة المؤمن وباب علامة المنافق كتاب الإيمان وشرائعه وخصائص النسائي ص ٣٨. ومسند أحمد ٨٤/١ و ٩٥ و ١٢٨. وتاريخ بغداد ٢٥٥/٢ و ٤١٧/٨، و ٤٢٦/١٦. وحلية الأولياء لأبي نعيم ١٨٥/٤ وقال: حديث صحيح متفق عليه. وتاريخ الإسلام للذهبي ١٩٨/٢. وتاريخ ابن كثير ٣٥٤/٧، و مترجمته في كل من الاستيعاب ٤٦١/٢ وأسد الغابة ٢٩٢/٤. وكثر العمال ١٠٥/١٥. والرياض النضرة ٢٨٤/٢. والمناقب لابن المغازلي، ح ٢٢٥، ص ١٩٠.

(١٦) أم سلمة هند ابنة أبي أمية بن المغيرة القرشي المخزومي: كانت قبل رسول الله (ص) عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينة. ولما جرح أبو سلمة بأحد وتوفي سنة ثلاث من الهجرة، تزوجها رسول الله وكانت مصيبة، وتوفيت بعد قتل الحسين سنة إحدى وستين. روى عنها أصحاب الصحاح ٣٧٨ حديثاً. راجع ترجمتها وترجمة زوجها بأسد الغابة، وجوامع السيرة، ص ٢٧٦، وتقريب التهذيب، ٦١٧/٢.

وحديثها في شأن المناقبين في سنن الترمذي ١٦٨/١٣. ومسند أحمد ٢٩٢/٦. والاستيعاب ٤٦٠/٢، بطرق متعددة. وتاريخ أبى كثير ٣٥٤/٧. وكثر العمال ط. الأولى ١٥٨/٦.

(١٧) عبد الله ابن عم النبي العباس بن عبد المطلب، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٦٦٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة والإصابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

(١٨) أبو ذر جندب أو بريد بن جنادة أو عبد الله أو السكن لو غير ذلك: تقدم إسلامه وتأخرت هجرته، فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله. توفي متفقاً بالربلة سنة اثنين وثلاثين من الهجرة. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٨١ حديثاً. ترجمته في التقریب ٤٢٠/٢. وجوامع

مالك^(١٩)، وعمران بن حصين^(٢٠). وكان ذلك شائعاً ومشهوراً في عصر رسول الله (ص):

قال أبو ذر: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب^(٢١).

وقال أبو سعيد الخدري: إنّنا كنّا نعرف المنافقين - نحن معاصر الأنصار - ببغضهم عليّ بن أبي طالب^(٢٢).

وقال عبد الله بن عباس: إنّنا كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) ببغضهم عليّ بن أبي طالب^(٢٣).

السيرة ص ٢٧٧. والجزء الثاني من عبد الله بن سبأ.

١٩) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي: روى هو أنه خدم النبي عشر سنين، كان يخلق فزاعبه بخلوق للعبة بياض كانت به، وكان ذلك من دعاء الإمام عليّ عليه لكتفائه الشهادة بحدث الخديّر أن يضربه الله بياض لا نوراً المامة، أشار إليه في الأعلام النفيسة ص ١٢٢، وتفصيله بشرح نهج البلاغة ٤/٣٨٨، وتوفي في البصرة بعد التسعين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٨٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة. والتقريب. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته في شأن المنافقين بكنز العمال ط. الأولى ١٤٠/٧.

٢٠) أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي الكمي: أسلم عام خيبر، وصحب الرسول وقضى بالكوفة، وتوفي بالبصرة سنة ٥٢. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨٠ حديثاً. وروايته بشأن المنافقين بكنز العمال، ط. الأولى ١٤٠/٧. ترجمته في التقريب ٧٢/٢. وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

٢١) مستدرك الصحيحين ١٢٩/٣. وكنز العمال ٩١/١٥.

٢٢) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الخدري: شهد الخندق وما بعدها. مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل: سنة أربع وسبعين. وروى عنه أصحاب الصحاح ١١٧٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة ٢/٢٨٩، والتقريب ١/٢٨٩. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وحديثه في شأن المنافقين في صحيح الترمذي ١٦٧/١٣. وحلية أبي نعيم ٢٨٤/٦.

٢٣) في تاريخ بغداد ٣/١٥٣، قال: كانوا عند أبي مسعود فتلا ابن عباس: ﴿يعجب الزنّاع ليغيظ بهم الكفار﴾ الفتح ٢٩. قال: عليّ بن أبي طالب. ثمّ قال: إنّنا كنّا نعرف

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلا ببغض عليّ ابن أبي طالب^(٢٤).

لهذا كلّ ولقول رسول الله (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع):
«اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»^(٢٥).

فهم محتاطون في أخذ معالم دينهم من صحابيّ عادى عليّاً ولم يواله، حذراً من أن يكون الصحابيّ من المنافقين الذين لا يعلمهم إلا الله.

- الحديث.

٢٤) جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي: صحابيّ آبن صحابيّ، شهد بيعة العقبة مع أبيه، وشهد ١٧ غزوة مع النبيّ وصُفّي مع الإمام عليّ، ومات بالمدينة بعد السبعين. روى عنه أصحاب الصحاح ١٥٤٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة ١/٢٥٦ - ٢٥٧. والتقريب ١/١٢٢. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته في شأن المنافقين في الاستيعاب ٢/٤٦٤. والرياض النضرة ٢/٢٨٤. وفي تاريخ الذهبي ٢/١٩٨ ولفظه: (ما كنّا نعرف منافقي هذه الأمة). وفي مجمع الزوائد ٩/١٣٣ ولفظه: (ما كنّا نعرف منافقينا معشر الأنصار...).

٢٥) سنن الترمذي ١٣/١٦٥ باب مناقب عليّ. وسنن آبن ماجة باب فضل عليّ، الحديث المرقم ١١٦. وخصائص النسائي ص ٤ و٣٠. ومسند أحمد ١/٨٤ و٨٨ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و٣٣٠ و٤/٢٨١ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢ و٣٠٧/٥ و٣٤٧ و٣٥٠ و٣٥٨ و٣٦١ و٣٦٦ و٤١٩ و٥٦٨. ومستدرك الصحيحين ٢/١٢٩ و٩/٣. والرياض النضرة ٢/٢٢٢ - ٢٢٥. وتاريخ بغداد ٧/٣٧٧ و٨/٢٩٠ و١٢/٣٤٣. ومصادر أخرى كثيرة.



مرکز تحقیقات کلام و تفسیر علوم اسلامی

الفصل الثالث

خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الصحابي وعدالته في مدرسة الخلفاء
الصحابي في مدرسة أهل البيت (ع)

الصَّحَابِيُّ وَعِدَالَتُهُ فِي مَدْرَسَةِ الْخِلَافَةِ

تَرى مَدْرَسَةُ الْخُلَفَاءِ أَنَّ الصَّحَابِيَّ مِنْ لَقَبِي النَّبِيِّ (ص) مُؤْمِنًا بِهِ، وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ.

وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ وَالطَّائِفَ أَحَدٌ سَنَةَ عَشْرٍ إِلَّا أَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ (ص) حُجَّةَ الْوُدَّاعِ.

وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَحَدٌ فِي آخِرِ عَهْدِ النَّبِيِّ (ص) إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ.

وَأَنَّهُمْ (كَانُوا فِي الْفَتْوحِ لَا يُؤْمَرُونَ إِلَّا الصَّحَابَةُ) وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ عَدُوًّا جَمْعًا فِي عِدَادِ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ بَرَهْنَا فِي كِتَابِنَا (خَمْسُونَ وَمِائَةً صَحَابِيٍّ مُخْتَلِقٍ) أَنَّهُمْ مُخْتَلِقُونَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَجُودٌ فِي التَّارِيخِ.

وَتَرَى أَنَّ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ عَدُولٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمُ الْجَرْحُ، وَمَنْ أَنْتَقَصَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَهُوَ مِنَ الزَّنَادِقَةِ، ثُمَّ يَلْتَزِمُونَ بِصَحَّةِ كُلِّ مَا رَوَاهُ مَنْ سُمِّيَ فِي أَصْطِلَاحِهِمْ بِالصَّحَابِيِّ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ جَمِيعِهِمْ مَعَالِمَ دِينِهِمْ.

الصَّحَابِيُّ فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

تَرى مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع) أَنَّ لَفْظَ الصَّحَابِيِّ لَيْسَ مُصْطَلَحًا شَرْعِيًّا، وَأَنَّهَا شَأْنُهُ شَأْنُ سَائِرِ مَفْرَدَاتِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَ(الصَّاحِبُ) فِي لُغَةِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى الْمُلَازِمِ وَالْمَعَاشِرِ وَلَا يُقَالُ إِلَّا لِمَنْ كَثُرَتْ مَلَازِمَتُهُ، وَالصُّحْبَةُ نِسْبَةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَعْمَلُ الصَّاحِبُ وَجْمَعُهُ الْأَصْحَابُ وَالصَّحَابَةُ فِي الْكَلَامِ إِلَّا مُضَافًا، كَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿يَا صَاحِبِي السُّجُنَ﴾ وَ﴿أَصْحَابَ مُوسَى﴾. وَكَذَلِكَ كَانَ يَسْتَعْمَلُ فِي عَصْرِ الرُّسُولِ (ص) وَيُقَالُ: صَاحِبُ

رسول الله، وأصحاب رسول الله، مضافاً إلى رسول الله (ص) أو مضافاً إلى غيره، مثل قولهم (أصحاب الصفّة) لمن كانوا يسكنون صفّة مسجد الرسول (ص) ثمّ أستعمل الصحابيّ بعد رسول الله (ص) بلا مضاف إليه وقصد به أصحاب رسول الله (ص) وصار اسماً لهم، وعلى هذا فإنّ (الصحابي) و(الصحابة) من اصطلاح المشرّعة وتسمية المسلمين وليس اصطلاحاً شرعياً.

أمّا عدالتهم؛ فإنّ مدرسة أهل البيت ترى، تبعاً للقرآن الكريم، أنّ في الصحابة منافقين مردوا على النفاق، ودّموا فراش رسول الله (ص) بالإفك، وحاولوا اغتيال رسول الله (ص) وأخبر عنهم الرسول أنّهم يوم القيامة يختلجون دون رسول الله (ص) فينادي: أصيحابي أصيحابي، فيقال له: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. وأنّ منهم مؤمنين أثنى الله عليهم والرسول (ص) في أحاديثه، وأنّهم المقصودون في ما ورد من الثناء في القرآن والحديث، وقد عيّن النبيّ (ص) العلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق: حُبّ الإمام عليّ ويغضه، ومن ثمّ فإنّهم ينظرون في حال الراوي فإنّ كان ممّن قاتل الإمام عليّاً أو الأئمة من أهل البيت (ع) وعاداهم فإنّهم لا يلتزمون بأخذ ما يروي أمثال هؤلاء، صحابياً كان أو غير صحابيّ.



كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي وعدالته. وفي ما يأتي بحوثهما في الإمام والخلافة.

البحث الثاني
بحوث المدرستين في الإمامة

الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الإسلام .
بحوث مدرسة الخلفاء في الإمام .
بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة .
مختصرة بحث الإمامة لدى المدرستين .

الفصل الأول

الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الإسلام

أمر كتابة وصية رسول الله (ص).
موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول.
السقيفة وبيعة أبي بكر.
دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفنه.
التحصن بدار فاطمة عليها السلام.
من تخلف عن بيعة الخليفة أبي بكر.
إستخلاف عمر وبيعته.
الشورى وبيعة عثمان.
الإمام علي (ع) يعلم بأن الخلافة زويت عنه.
بيعة الإمام (ع).

ينبغي لنا قبل الشروع في دراسة رأي المدرستين في الإمامة والخلافة، أن ندرس الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام، فنقول
 بُدئ الخلاف في أمر الحكم في الإسلام يوم وفاة رسول الله (ص). فقد كان رسول الله (ص) عقد لواء بيده لمولاه وأبن مولاه أسامة بن زيد لحرب الروم، وأمره على جيش لم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا أنتدب فيه، فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد... فعسكر بالجرف - موضع على ثلاثة أميال من المدينة - فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين! فغضب رسول الله (ص) غضباً شديداً، وخرج معصباً، عليه قطيفة، فصعد المنبر وقال:

«ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولقد طعتم في إمارة أبيه قبله. وأيم الله إن كان للإمارة خليفاً، وإن أبنه من بعده خلقي للإمارة». ثم نزل. وجاءه الذين يخرجون مع أسامة يودعونهم ويمضون إلى المعسكر. وثقل رسول الله (ص)، وجعل يقول:
 «أنفذوا بعث أسامة».

فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله (ص) وجعه.
 وفي يوم الاثنين أمر أسامة الجيش بالرحيل، فجاءهم الخبر أن رسول الله (ص) يموت. فأقبل أسامة وعمر وأبو عبيدة إلى المدينة^(١).

(١) أوردتها ملخصة من طبقات آبن سعد ط. بيروت، ١٩٠/٢ - ١٩٢. وراجع بقية مصادره في باب بعث أسامة من عبد الله بن سبأ، الجزء الأول.

أمر كتابة وصية رسول الله (ص)

روى ابن عباس وقال:

لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال:
«هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده».

قال عمر إنّ النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله.
وأختلف أهل البيت، فمنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللّغط
والاختلاف قال:

«قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع»^(١).

وفي رواية:

بكى ابن عباس حتى خضب دمه الحصباء فقال: إشتد برسول
الله (ص) وجعه، فقال:

«أتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً». فتنازعوا ولا ينبغي
عند نبي التنازع فقالوا: هَجَرَ رسول الله (ص) . . .^(٢).

وفي رواية:

فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله (ص)
وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم^(٣).

(٢) البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ٢٢/١ - ٢٣.

(٣) البخاري، باب جوائز الوعد من كتاب الجهاد، ١٢٠/٢. وكتاب الجزية، باب إخراج
اليهود من جزيرة العرب. وفي صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية. وراجع سائر
مصادر الخبر ونصوه في أول خبر السقيفة في حديث غير سيف من كتاب عبد الله بن سبأ ط.
الخامسة، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ، ٩٨/١ - ١٠٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف، وباب قول
المريض: قوموا عني، من كتاب المرضى. وفي باب مرض النبي من كتاب المغازي، ويأخر باب
ترك الوصية من كتاب الوصية من صحيح مسلم. وسائر مصادره في كتاب عبد الله بن سبأ
ط.

موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول (ص)

توفي رسول الله (ص) نصف النهار يوم الإثنين وأبو بكر غائب بالسَّحَر، وعمر حاضراً، فاستأذن عمر ودخل عليه مع المغيرة بن شعبه، وكشف الثوب عن وجهه، وقال عمر:

وا غشياه، ما أشدَّ غشي رسول الله (ص).

فقال المغيرة: مات والله رسول الله (ص).

فقال عمر: كذبت، ما مات رسول الله (ص)، ولكنك رجل تحوسك فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يُفني المنافقين^(٥).

أخذ عمر يقول: إِنَّ رجالاً من المنافقين يزعمون أَنَّ رسول الله توفي، إِنَّ رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربِّه، كما ذهب موسى عن قومه، وغاب أربعين ليلة. والله ليرجعَنَّ رسول الله فليقطعنَّ أيدي رجال وأرجل من يزعمون أَنَّهُ مات^(٦).

من قال إِنَّهُ مات، علوت رأسه بسيفي، وإنَّها ارتفع إلى السماء^(٧).

فتلى عليه في المسجد:

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾^(٨)

١٠١/١.

(٥) مسند أحمد ٢١٩/٦. وسائر مصادره في عبد الله بن سبأ ١٠٢/١ - ١٠٣.

(٦) تاريخ الطبري ط. أوروبا، ١٨١٨/١.

(٧) تاريخ أبي الفداء ١٦٤/١.

(٨) رواه ابن سعد في طبقاته ٢/٢ ق ٥٧/٢، وفي كنز العمال ٥٣/٤ ح ١٠٩٢. وأين كثير

في ٢٤٣/٥ من تاريخه. ورواه الأمامي في غديره عن شرح الواهب للزرقاني ٢٨١/٨. وراجع

ابن ماجه ح ٦٢٧. والآية: ١٤٤ من سورة آل عمران.

وقال العباس بن عبد المطلب: إن رسول الله قد مات وإنّي رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجه بني عبد المطلب عند الموت، وقال: هل عند أحدكم عهد من رسول الله (ص) في وفاته فليحدّثنا؟ قالوا: لا. فقال: أشهدوا أيّها الناس أنّ أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهد إليه في وفاته...^(٩).
فما زال عمر يتكلّم حتّى أزيّد شدقه^(١٠)، حتّى جاء الخليفة أبو بكر من السنح وتلا: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية.
فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال: نعم. فسكت عمر^(١١).

السقيفة وبيعة أبي بكر

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتبعهم جماعة من المهاجرين، ولم يبق حول رسول الله إلا أقاربه، وهم تولّوا غسله وتكفينه وهم: عليّ، والعبّاس، وأبناء الفضل وقثم، وأسامة بن زيد، وصالح مولى رسول الله، وأوس بن خولي الأنصاري^(١٢).

(٩) رواه ابن سعد في طبقاته ٢/٢ ق/٥٧. وأبن كثير في تاريخه ٥/٢٤٣. وفي السيرة الحلبية ٣/٣٩٠ - ٣٩١. وكنز العمال ٤/٥٣، ح ١٠٩٢. والتمهيد للباقلاني ص ١٩٢ - ١٩٣.

(١٠) أنساب الأشراف ١/٥٦٧، وأبن سعد ٢/٢ ق/٥٣. وكنز العمال ٤/٥٣. وتاريخ الخميس ٢/١٨٥. والسيرة الحلبية ٣/٣٩٢.

(١١) الطبقات لابن سعد ٢/٢ ق/٥٤. والطبري ١/١٨١٧ - ١٨١٨. وأبن كثير ٥/٢٤٣. والسيرة الحلبية ٣/٣٩٢. وأبن ماجة، ح ١٦٢٧. وإنّ هذه الآية التي قرأها على عمر هي التي كان أبن أمّ مكتوم قد قرأها عليه قبل ذلك. وكان التشكيك في موت الرسول يوم وفاته من خصائص الخليفة عمر بن الخطاب، فإنّ أصحاب السبر والمؤرّخين لم يذكروا هذا التشكيك عن غيره.

(١٢) راجع النصّ لابن سعد في الطبقات ٢/٢ ق/٧٠. وفي البدء والتاريخ قريب منه. وكنز العمال ٤/٥٤، وهذه عبارته: (ولي دفنه وإجناته أربعة من الناس) ثم ذكر ما أوردناه.

السقيفة برواية الخليفة عمر

قال: إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه، أن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معها، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار. فانطلقنا حتى أتيناهم، فإذا رجل مزمل، فقالوا: هذا سعد بن عباد يوعك، فلما جلسنا قليلاً، تشهد خطيبهم فأنشى على الله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط... فأردت أن أتكلّم، فقال أبو بكر: على رسلك. فتكلّم هو، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلّا قال في بديته مثلها أو أفضل؛ قال: ما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم. فأخذ بيدي وييد أبي عبيدة، فلم أكره ممّا قال غيرها، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها ألحكك وعذيقها المرجب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثّر اللّفظ وأرتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عباد - إلى قوله - فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه، تغرة أن يقتل^(١٣).

روى الطبري^(١٤) في ذكر خبر السقيفة وبيعة أبي بكر وقال:

والعقد الفريد ٦١/٣. وقريب منه نصّ الذهبي في تاريخه ٣٢١/١ و٣٢٤ و٣٢٦.

(١٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا، ١٢٠/٤.

(١٤) نقلنا هذا الخبر ملخصاً من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول، وما كان من غير الطبري أشرنا إليه في الهامش. وقد أوردنا تفصيل الخبر في كتاب عبد الله ابن سبأ الجزء ١.

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرسول يغسله أهله، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد، سعد بن عباد. وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض...

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الأنصار في الدين وفضيلتهم في الإسلام، وإعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لأعدائه، حتى استقامت العرب، وتوفي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدلوا بهذا الأمر دون الناس. فاجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي، وأصبحت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نوليكَ هذا الأمر. ثم إنهم تراذوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن آبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلاَمَ تنازعوننا هذا الأمر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فإننا نقول إذا: منا أمير ومنكم أمير. فقال سعد بن عباد: هذا أول الوهن^(١٥).

سمع أبو بكر وعمر بذلك، فأسرعا إلى السقيفة مع أبي عبيدة بن الجراح وأنحاز معهم أسيد بن حضير^(١٦) وعويم بن ساعدة^(١٧) وعاصم بن

(١٥) الطبري في ذكره لحوادث سنة ١١هـ، ٤٥٦/٢، وط. أوديا ١/١٨٣٨، عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري. وأبن الأثير ٢/١٢٥. وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١/٥، قريب منه. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة في الجزء الثاني من شرح ابن أبي الحديد في خطبة (ومن كلام له في معنى الأنصار).

(١٦) جاء اسمه في سيرة ابن هشام ٤/٣٣٥، وأسيد بن حضير بن سبأ بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الثانية وكان ممن ثبت في أحد، وشهد جميع مشاهد النبي، وكان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار عليه. توفي سنة ٢٠ أو ٢١هـ فحمل عمر نعشه بنفسه. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً. ترجمته في الاستيعاب ١/٣١-٣٣. والإصابة ١/٦٤. وجوامع السيرة ص ٢٨٣.

(١٧) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن

عَدِيَّ^(١٨) من بني العجلان^(١٩).

تكلّم أبو بكر - بعد أن منع عمر عن الكلام - فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرّسول دون جميع العرب، وقال: (فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم). ثم ذكر فضيلة الأنصار، وقال: (فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء).

فقام الحُباب بن المنذر^(٢٠) وقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيثكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، ويتنقض عليكم أمركم. فإن أبى هؤلاء إلّا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع أثنان في قرن... والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النسوة فيهم، وولي أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجّة الظاهرة

عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: شهد العقبة ويدرأ وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر وبترحته في النبلاء: أنّه كان أخا الخليفة عمر. وقال عمر على قبره: ولا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر. الاستيعاب ١٧٠/٣ والإصابة ٤٥/٣ وأسد الغابة ١٥٨/٤.

(١٨) عاصم بن عدي بن الجسد بن العجلان بن حارثة بن ضُبَيْمَة بن حرام البلويّ العجلاني، حليف الأنصار وكان سيد بني عَجْلان. شهد أجدأ وما بعدها. توفي سنة ٤٥ هجرية. الاستيعاب ١٣٣/٣. والإصابة ٢٣٧/٢. وأسد الغابة ٧٥/٣.

(١٩) سيرة ابن هشام ٣٣٩/٤.

(٢٠) الحُباب بن المنذر بن الجهم بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، شهد بدرأ وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر. الاستيعاب بهامش الإصابة ٣٥٣/١. والإصابة ٣٠٢/١. وأسد الغابة ٣٦٤/١. ونسب في جمهرة أبْن حزم ص ٣٥٩.

والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته^(٢١) إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة.

فقام الحباب بن المُنذر وقال: يا معشر الأنصار، املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا جُذِلْتُهَا الْمُحَكَّكُ^(٢٢) وَعُذِّقْتُهَا الْمُرْجَبُ^(٢٣). أما والله لو شتمت لنُعِيدَها جَذْعَةً^(٢٤).

قال عمر: إذا يَقتَلَك الله.

قال: بل إِيَّاكَ يَقْتُل.

فقال أبو عُبَيْدة: يا معشر الأنصار، إنكم كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغير.

فقام بشير بن سعد الخزرجي أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار، إنا والله لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبيّنا والكّدح لأنفسنا؛ فما ينبغي لنا أن

(٢١) لما سمع علي بن أبي طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجّوا بالشجرة وأضاهوا الشجرة. النهج وشرحه لابن أبي الحديد، ط. الأولى، ٢/٢.

(٢٢) جَذِلْتُهَا، تصغير الجذل: أصل الشجرة. والمحك: عود ينصب في مبارك الإبل لترمس به الإبل الجري، أي قد جريتني الأمور ولي رأي وعلم يُشغني بها كما تشغني هذه الإبل الجري بالجذل وصغره على جهة المدح.

(٢٣) عديق: تصغير العلق، وهي: النخلة. المرجب: ما جعل له رجة، وهي: دعامة تبتنى من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت وتحفروا عليها أن تنقر في الرياح المواصل.

(٢٤) أعدت الأمر جذعاً، أي جديداً كما بدأ، وإذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شتمت أعدنا جذعة، أي: أول ما يتبدأ فيها.

نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإن الله وليّ النعمة علينا بذلك، ألا إن محمداً (ص) من قريش، وقومه أحقُّ به وأولى، وإيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً. فأتقوا الله، ولا تحالفوهم، ولا تنازعوهم. فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأتيهما شتم فبايعوا، فقالا: والله لا نتولى هذا الأمر عليك - الخ^(٢٥).

وقام عبد الرحمن بن عوف، وتكلّم فقال: يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعليّ. وقام المنذر بن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإنّ فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد - يعني عليّ بن أبي طالب - الخ^(٢٦).

(فقال الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلّا عليّاً)^(٢٧)
(قال عمر: فكسر اللّفظ وارتفعت الأصوات حتّى تخوّفت الاختلاف فقلت: أبسط يدك لأبياعك^(٢٨). فلما ذهب ليبايعه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُبّاب بن المنذر: يا بشير بن سعد عَقَقْتَ عَقاق^(٢٩)! أنفست على ابن عمك الإمارة؟ فقال: لا والله، ولكنّي كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم. ولما رأيت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عباد، قال بعضهم لبعض - وفيهم أسيد بن خضير

(٢٥) لم نسجّل هنا بقية الحوار وتعليقنا عليه طلباً للاختصار.

(٢٦) رواه يعقوب بعد ذكر ما تقدم في تاريخه ١٠٣/٢. والموقفات للزبير بن بكار

ص ٥٧٩.

(٢٧) في رواية الطبري ٢٠٨/٣ (وط. أوربا ١٨١٨/١) عن إبراهيم، وابن الأثير ١٢٣/٢: «أن الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبا بكر».

(٢٨) عن سيرة ابن هشام ٣٣٦/٤. وجميع من روى حديث الفتنة. راجع بعده حديث الفتنة في ذكر رأي عمر في بيعة أبي بكر.

(٢٩) الطبري ط. أوربا ١٨٤٢/١. وفي رواية ابن أبي الحديد: عَقَقَ عَقاق.

وكان أحد النُقباء -: والله لئن وُلِّيتُها الخزرج عليكم مرةً، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر^(٣٠).

فقساموا إليه فبايعوه، فأنكسر على سعد بن عبادَةَ وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم. . . فاقبل النَّاسُ من كُلِّ جانبٍ يبايعون أبا بكر، وكادوا يبطّون سعد بن عبادَةَ.

فقال أناس من أصحاب سعد: اتَّقُوا سعداً لا تطاؤوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال: لقد هَمَمْتُ أَنْ أَطَاكَ حَتَّى تَنْتَزِعَ عَضُوكَ. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر! الرفق ها هنا أبلغ.

فأعرض عنه عمر^(٣١).

وقال سعد: أما والله لو أَنَّ بِي قُوَّةٌ مَا، أَقْوَى عَلَى النَّهْضِ لَسَمِعْتُ مِنِّي فِي أَقْطَارِهَا وَسَكَّهَا زَيْراً يُجْجِرُكَ وَأَصْحَابُكَ. أما والله إِذَا لَأَلْحَقَنَّكَ بِقَوْمٍ كُنْتُ فِيهِمْ تَابِعاً غَيْرَ مُتَّبِعٍ. احملوني من هَذَا الْمَكَانِ. فحملوه فأدخلوه في داره^(٣٢).
وروى أبو بكر الجوهري: أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَوْمَئِذٍ - يَعْنِي يَوْمَ بَوَيْعِ أَبِي بَكْرٍ -

٣٠ وفي رواية أبي بكر في سقيفته: لَمَّا رَأَتْ الْأَوْسُ أَنَّ رَئِيساً مِنْ رُؤَسَاءِ الْخَزْرَجِ قَدْ بَايَعَ، قَامَ أَسِيدُ بْنُ حَضِرٍ - وَهُوَ رَئِيسُ الْأَوْسِ - فَبَايَعَ حَسِداً لِسَعْدٍ وَمَنَافِسةً لَهُ أَنْ يَلِيَ الْأَمْرَ. رَاجِعْ شَرْحَ النَّجَاحِ ٢/٢ فِي شَرْحِهِ (وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ فِي مَعْنَى الْأَنْصَارِ).

٣١ إِنْ هَذَا الْمَوْقِفُ يُوَضِّحُ بَعْضَ جَمَاعِ سِيَاسَةِ الْخُلَيفَتَيْنِ مِنْ شِدَّةِ وَلِينٍ.

٣٢ الطبري ٤٥٥/٣ - ٣٥٩، وط. أوربا ١/١٨٤٣. (وندر عضوك) كذا جاء ويعني تقط أعضاءك.

محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إنَّ الناس قد بايعوا أبا بكر - الخ (٣٣).

بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العباس وعليّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله (ص).

فقال عليّ: ما هذا؟

قال العباس: ما رئي مثل هذا قط!! أما قلت لك (٣٤)!

التنذير

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال:

يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمّد.

فقال العباس: فعلوها وربّ الكعبة!

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر بعد رسول الله (ص) (٣٥).

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في عليّ.

روى الطبري: أنّ (أسلم) أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول:

(٣٣) في كتابه السقيفة، راجع أين أبي الحديد ١/ ١٣٣. وفي ص ٧٤ منه بلفظ آخر.
(٣٤) ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٤/ ٢٥٨. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد عنه في ١/ ١٣٢، ويروي تفصيله في ص ٧٤ منه. والزيبر بن بكار في الموقفيات ص ٥٧٧ - ٥٨٠ و ٥٨٣ و ٥٩٢. كما يروي عنه أين أبي الحديد في شرح النجج ٢/ ٢ - ١٦، في شرحه: (ومن كلام له في معنى الأنصار).
(٣٥) الموقفيات للزيبر بن بكار، ص ٥٨٠.

(ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنص)^(٣٦).
فلما بويح أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفؤه زفاً إلى مسجد رسول
الله (ص) فصعد على المنبر - منبر رسول الله (ص) - فبايعه الناس حتى
أمسى، وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء^(٣٧).

اليبعة العامة

ولما بويح أبو بكر في السقيفة وكان في الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام
عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه...، وذكر أن قوله بالأمس لم
يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله ولكنه كان يرى أن الرسول سيدبر
أمرهم ويكون آخرهم. ثم قال:

وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى رسوله. فإن اعتصمتم به
هداكم الله لما كان هداه له. وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول
الله (ص) ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة.
وفي البخاري: (وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني
ساعدة، وكانت بيعة أبي بكر العامة على المنبر). قال أنس بن مالك: (سمعت
عمر يقول لأبي بكر يومئذ: إصعد المنبر. فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه
الناس عامة).

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(٣٦) الطبري ٤٥٨/٢، وط. أوربا ١٨٤٣/١. وفي رواية ابن الأثير ٢٢٤/٢: (وجاءت
أسلم فبايعت). وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية النهج ٢٨٧/٦. «فقوي بهم أبو بكر»
ولم يعيّننا متى جاءت أسلم، ويقوى الظن أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المقيد في كتابه
«الجملة»: إن القبيلة كانت قد جاءت لتمرار من المدينة، (الجملة ص ٤٣).
(٣٧) الموفقيات ص ٥٧٨. والرباض النضرة ١٦٤/١. وتاريخ الخميس ١٨٨/١.

(أما بعد، أيها الناس، فإنّي قد وُلِّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني - إلى قوله: - أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم، يرحمكم الله) (٣٨).

بعد بيعة أبي بكر العامة

(توفي رسول الله يوم الاثنين حين زاغت الشمس فشغل الناس عن دفنه) (٣٩).

شُغل الناس عن رسول الله بقیة يوم الاثنين حتى عصر الثلاثاء:

أولاً: بخطب السقيفة.

ثم: بيعة أبي بكر الأولى ثم بيعته العامة وخطبته وخطبة عمر حتى صلّ

٣٣.

قالوا: (فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله يوم الثلاثاء) (٤٠). (ثم دخل الناس يصلّون عليه) (٤١). (وصليّ على رسول الله بغير

(٣٨) ابن هشام، ٣٤٠/٤. والطبري، ٢٠٣/٣ (وط. أوربا ١/١٨٢٩). وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢٣٤/٢. والرياض النضرة ١٦٧/١. وأبن كثير ٢٤٨/٥. والسبوطي في تاريخ الخلفاء ص ٤٧. وكنز العمال ١٢٩/٣، ح ٢٢٥٣. والحليّة ٣٩٧/٣. وذكر البخاري في صحيحه ص ١٦٥ من ج ٤ كتاب البيعة عن أنس، خطبة عمر باختلاف يسير.

ومن ذكر خطبة أبي بكر فقط، أبو بكر الجوهري في كتابه: السقيفة، حسب رواية ابن أبي الحديد عنه، ١٣٤/١. وصفوة الصفوة ٩٨/١.

(٣٩) طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٨، ط. ليدن.

(٤٠) سيرة ابن هشام ٣٤٣/٤. والطبري: ٤٥٠/٢ (وط. أوربا ١/١٨٣٠). وأبن الأثير ١٢٦/٢. وأبن كثير ٢٤٨/٥. والحليّة ٣٩٢/٣ و٣٩٤. وهذا الأخير لم يعين اليوم الذي أنهوا فيه من بيعة أبي بكر وأقبلوا على جهاز رسول الله.

(٤١) ابن هشام ٣٤٣/٤.

إمام . يدخل عليه المسلمون زُمراً زُمراً يصلّون عليه^(١٢).

دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفنه

(وليّ وضع رسول الله في قبره هؤلاء الرهط الذين غسلوه: العباس، وعليّ والفضل وصالح مولاة . وخلق أصحاب رسول الله بين رسول الله وأهله، فقلوا إجنانه)^(١٣).

(ودخل القبر عليّ، والفضل وقثم أبنا العباس، وشقران مولاة . ويقال: أسامة بن زيد . وهم تولّوا غسله وتكفينه وأمره كلّه)^(١٤). (وإنّ أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي)^(١٥).

وقالت عائشة: (ما علمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل، ليلة الأربعاء)^(١٦).

(ولم يله إلا أقراره ولقد سمعتُ بنو غنم صرّيف المساحي حين حضر وأنهم لفي بيوتهم)^(١٧).

-
- (٤٢) طبقات ابن سعد ٢/ق ٧٠. والكمال لابن الأثير ج ٢ في ذكر حوادث سنة ١١ هـ.
(٤٣) النص لابن سعد في الطبقات ٢/ق ٧٠. وفي البلد والتاريخ قريب منه، وكثر العمال ٤/٥٤ و٦٠ وهذه عبارته: (ولي دفنه وإجنانه أربعة من الناس) ثم ذكر ما أوردها.
(٤٤) العقد الفريد ٣/٦١. وقريب منه نصّ الذهبي في تاريخه ١/٣٢١ و٣٢٤ و٣٢٦.
(٤٥) كنز العمال ٣/١٤٠.

- (٤٦) ابن هاشم ٤/٣٤٤. والطبري: ٢/٤٥٢ و٤٥٥ (وط. أوروبا ١/١٨٣٣ و١٨٣٧).
وآبن كثير ٥/٢٧٠. وآبن الأثير في أسد الغابة ١/٣٤، في ترجمة الرسول. وقد جاء في روايات أخرى أنّ سماعهم صرّيف المساحي كان ليلة الثلاثاء كما في طبقات ابن سعد ٢/ق ٧٨.
وتاريخ الخميس ١/١٩١. والذهبي في تاريخه ١/٣٢٧، والأصح أن ذلك كان ليلة الأربعاء.
وفي مسند أحمد ٦/٦٢: في آخر ليلة الأربعاء، وفي ص ٢٤٢ منه وص ٢٧٤: (ما علمنا أين يدفن حتّى سمعنا...).

- (٤٧) طبقات ابن سعد ٢/ق ٧٨.

وقال شيخ الأنصار من بني غنم: (سمعنا صوت المساحي آخر الليل)^(٤٨).

بعد دفن الرسول (ص)

اندحر سعد ومرشحوه، وبقي عليّ وجاعته - بعد أن أصبحوا أقلية - يتناحرون وحزب أبي بكر الظافر وكلّ يجتهد في جلب الأنصار لحوزته. قال الزبير بن بكار في الموفقيات: لما بويع أبو بكر وأستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولألم بعضهم بعضاً، وذكروا عليّ بن أبي طالب وهتفوا بأسمه^(٤٩).

قال اليعقوبي^(٥٠):

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع عليّ بن أبي طالب، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو^(٥١)، وسلمان الفارسيّ، وأبو ذر الغفاري،

(٤٨) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٧٨.

(٤٩) الموفقيات ص ٥٨٣.

(٥٠) في تاريخه ٢/ ١٢٤ - ١٢٥. والشيفة لأبي بكر الجوهري حسب رواية أبي الهيثم ١٣/ ١٤، والتفصيل في ١/ ٧٤ منه. ويلفظ قريب منه في الإمامة والسياسة ١/ ١٤.

(٥١) المقداد بن الأسود الكندي: هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني. أصاب دماً في قومه، فلحق بخضر موت، فحالف كندة، وتزوج امرأة، فولدت له المقداد. فلما كبر المقداد، وقم بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي، فضرب رجله بالسيف، وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه الأسود، فصار يقال له: المقداد بن الأسود الكندي. فلما نزلت: ﴿أدعوهم لأبائهم﴾ الأحزاب/ ٥. قيل له: المقداد بن عمرو.

وقال الرسول: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم» فقيل: من هم؟ فقال: «عليّ والمقداد وسلمان وأبو ذر». توفي سنة ٣٣ هـ. الاستيعاب بهامش الإصابة ٣/ ٤٣٤ - ٤٣٥.

وعثمان بن ياسر، والبراء بن عازب^(٥٢)، وأبي بن كعب^(٥٣)، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، والمغيرة بن شعبة.
فقال: ما الرأي؟

قالوا^(٥٤): الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب (وتكون لهما حجة)^(٥٥) على علي إذا مال معكم.

فأنطلق أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، والمغيرة، حتى دخلوا على العباس ليلاً^(٥٦)، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال:

إن الله بعث محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً. فمن عليهم بكونه بين أظهرهم حتى أختار له ما عنده، فخلّى على الناس أمورهم^(٥٧) ليختاروا لأنفسهم في

٥٢ أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: كان ممن استصغره الرسول يوم بدر وردّه. وغزا مع الرسول ١٤ غزوة وشهد مع عليّ الجمل وصفين والنهروان. سكن الكوفة وأبنتى بها داراً وتوفي بها في إمارة مصعب بن الزبير. الاستيعاب بهامش الإصابة ١٤٣/١ - ١٤٤. والإصابة ١٤٦/١.

٥٣ أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار: وهو قيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الحزرج الأكبر. شهد العقبة الثانية وبايع النبي فيها وشهد بدرًا وما بعدها، وكان من كتاب النبي. مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان. الاستيعاب ٢٧/١ - ٣٠. والإصابة ٣١/١ - ٣٢.

٥٤ في نصّ الجوهري أنّ قاتل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة، وهذا هو الأقرب إلى الصواب.

٥٥ هذه الزيادة في نسخة الإمامة والسياسة ١٤/١.

٥٦ في رواية ابن أبي الحديد أن ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبي.

٥٧ إن ضمير (هم) موجود في رواية ابن أبي الحديد.

مصلحتهم مشفقين^(٥٨) فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً. فقلت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً، ولا حيرة، ولا جُبناً، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وما أنفك يبلُغني عن طاعن بقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجأ، فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإما صرفتموهم عما مالوا إليه. ولقد جثناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنتَ عم رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك (فعدّلوا الأمر عنكم)^(٥٩) على رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: وأخرى إننا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كُرْهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم!

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: إن الله بعث محمداً كما وصفت نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن على أمته به، حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده، فخلّى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق لا مائلين بزيغ الهوى. فإن كنتَ برسول الله طلبتَ، فحقنا أخذتَ، وإن كنتَ بالمؤمنين أخذتَ فنحن منهم. فما تقدّمنا في أمرك قرطاً، ولا خللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين. ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك أنهم آخاروك ومالوا إليك؛ وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلّى على الناس أمورهم ليختاروا فأخاروك. فإما ما قلت: إنك تجعله له، فإن كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن

(٥٨) في نسخة الإمامة والسياسة وأبين أبي الحديد ٧٤/١: (متفقين) وهو الأشبه بالصواب.

(٥٩) الزيادة في نسخة أبى أبي الحديد والإمامة والسياسة.

تُحكَم^(١١) فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك، فإن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده.

التحصن بدار فاطمة (ع)

قال عمر بن الخطاب: (وإنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه أن علياً والزبير ومن معها تخلفوا عنا في بيت فاطمة)^(١٢).

وذكر المؤرخون في عداد من تخلف عن بيعة أبي بكر وتحصن بدار فاطمة مع علي والزبير كلاً من:

- ١) العباس بن عبد المطلب.
- ٢) عتبة بن أبي لهب.
- ٣) سليمان الفارسي.
- ٤) أبو ذر الغفاري.
- ٥) عمار بن ياسر.
- ٦) المقداد بن الأسود.
- ٧) البراء بن عازب.
- ٨) أبي بن كعب.
- ٩) سعد بن أبي وقاص^(١٣).
- ١٠) طلحة بن عبيد الله.

وجماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والأنصار^(١٤).

٦٠) في نسخة الجمهوري والإمامة والسياسة: فإن يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه.
 ٦١) مسند أحمد ٥٥/١، والطبري ٤٦٦/٢ (ط. أوروبا ١٨٢٢/١). وأبن الأثير ١٢٤/٢. وأبن كثير ٢٤٦/٥. وصفوة الصفوة ٩٧/١، وأبن أبي الحديد ١٢٣/١، وتاريخ السيوطي في مبايعة أبي بكر ص ٤٥، وأبن هشام ٣٣٨/٤، وتيسير الوصول ٤١/٢.
 ٦٢) أبو اسحق سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، وكان سابع سبعة سبقوا إلى الإسلام. شهد بدرًا وما بعدها، وهو أول من رمى بسهم في الإسلام، وكان رأس من فتح العراق وكوف الكوفة، ووليها لعمر وعنه في السنة أصحاب الشورى، وأعتزل الناس بعد مقتل عثمان. ومات بمسكنه في العقيق في خلافة معاوية، وحمل إلى المدينة ودفن بالقيع. الاستيعاب ١٨/٢ - ٢٥. والإصابة ٣٠/٢ - ٣٢.
 ٦٣) صرحت المصادر الآتية بالإضافة إلى المصادر المذكورة آنفاً أن هؤلاء كانوا قد تخلفوا عن

وقد تواتر حديث تخلف عليّ ومن معه عن بيعة أبي بكر ونحَصَنهم بدار فاطمة في كتب السير، والتواريخ، والصّحاح والمسانيد، والأدب، والكلام، والتراجم، غير أنهم لما كرهوا ما جرى بين المتحصّنين والحزب الظافر لم يفصّحوا ببيان حوادثها إلّا ما ورد ذكره عفوّاً. ومن ذلك ما رواه البلاذري وقال: بعث أبو بكر عمر بن الخطّاب إلى عليّ - رضي الله عنهم - حين قعد عن بيعته وقال: اثني به بأعنف العنف. فلما أتاه جرى بينهما كلام، فقال: أَخْلِبْ حَلْباً لك شطره؛ والله ما حرصك على إمارته اليوم إلّا ليؤثرك غداً - الحديث^(٦٤).

قال أبو بكر في مرض موته: (أما إنّي لا آسي على شيء من الدّنيا إلّا على ثلاث فعلتُهنّ، وددت أنّي تركتُهنّ - إلى قوله -: فأما الثلاث التي فعلتها فوددتُ أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب)^(٦٥).

وفي اليعقوبي: (وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال

بيعة أبي بكر واجتمعوا بدار فاطمة. ومن هذه المصادر ما ذكرت أسم بعضهم وأنهم اجتمعوا ليلبّعوا عليّاً. الرياض النضرة ١٦٧/١. وتاريخ الخميس ١٨٨/١. وأبن عبد ربّه ٦٤/٣. وتاريخ أبي الفداء ١٥٦/١. وأبن شحنة بهامش الكامل ١١٢. والجوهري حسب رواية أبن أبي الحديد ١٣٠/١ - ١٣٤. والحليّة ٣٩٤ و٣٩٧. (٦٤) أنساب الأشراف ٥٨٧/١.

(٦٥) الطبري ٦١٩/٢ (وط. أوربا ٢١٤٠/١) عند ذكره وفاة أبي بكر. ومروج الذهب ٤١٤/١، وأبن عبد ربّه ٦٩/٣ عند ذكره استخلاف أبي بكر لعمر. والكتز ١٣٥/٣. ومنتخب الكنز ١٧١/٢. والإمامة والسياسة ١٨/١، والكامل للمبرّز حسب رواية أبن أبي الحديد ١٣٠/١ - ١٣١. وقد ذكر أبو عُبيد في الأموال ص ١٣١ قول أبي بكر هكذا: (أما الثلاث التي فعلتها فوددت أني لم أكن فعلت كذا وكذا - حلّة ذكرها - قال أبو عُبيد: لا أريد ذكرها). انتهى. وأبو بكر الجوهري برواية النجّ ١٣٠/٩. ولسان الميزان ١٨٩/٤. وراجع ترجمة أبي بكر في أبن عساكر ورمّة الزّمان لسبط أبن الجوزي. وتاريخ الذهبي ٣٨٨/١.

ولو كان أغلق على حرب^(٦٦).

وقد عدّ المؤرخون في الرجال الذين أدخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله كلاً من:

- | | |
|------------------------------------|--|
| (١) عمر بن الخطاب . | (٢) خالد بن الوليد ^(٦٧) . |
| (٣) عبد الرحمن بن عوف . | (٤) ثابت بن قيس بن شماس ^(٦٨) . |
| (٥) زياد بن لبيد ^(٦٩) . | (٦) محمد بن مسلمة ^(٧٠) . |
| (٧) زيد بن ثابت ^(٧١) . | (٨) سلمة بن سلامة بن وقش ^(٧٢) . |

(٦٦) تاريخ العقوبي ١١٥/٢ .

(٦٧) أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، وأمه: لبابة بنت الحارث بن الحزن الهلالية أخت ميمونة زوجة النبي، وكانت إليه أخته الحيل في الجاهلية. هاجر بعد الحديبية وشهد فتح مكة، وأمره أبو بكر على الجيوش، وكان يقال له: سيف الله، وتوفي بجمص أو بالمدينة سنة ٢٦ أو ٢٢ هـ. الاستيعاب ٤٠٥/١ - ٤٠٨ .

(٦٨) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن أمية القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري: شهد أحدًا وما بعدها، وقتل مع خالد في اليمامة. الاستيعاب ١٩٣/١، والإصابة ١٩٧/١ .

(٦٩) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن بسان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة الأنصاري من بني بياضة بن عامر بن زريق، مهاجري أنصاري: خرج إلى رسول الله بمكة وأقام معه حتى هاجر معه إلى المدينة. شهد العقبة وبدأ وما بعدها. مات أول خلافة معاوية. الاستيعاب ٥٤٥/١، والإصابة ٥٤٠/١ . في نسبه بجمهرة ابن حزم ص ٣٥٦ سقط (بياضة).

(٧٠) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: شهد بدأ وما بعدها، وكان ممن لم يبايع عليّ ابن أبي طالب ولم يشهد معه حروبه، وتوفي سنة ٤٣ أو ٤٦ هـ أو ٤٧ هـ. الاستيعاب ٣١٥/٣، والإصابة ٣٦٣/٣ - ٣٦٤ . ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٤١ .

(٧١) راجع أنساب الأشراف ٥٨٥/١ .

(٧٢) أبو عوف سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري، وأمه: سلمى بنت سلمة بن خالد بن عدي الأنصارية. شهد العقبة الأولى والأخيرة، ثم شهد

٩) سلمة بن أسلم^(٧٣). ١٠) أسيد بن حضير^(٧٤).

وقد ذكروا في كيفية كشف بيت فاطمة وما جرى للمتحصنين وهؤلاء الرجال وقالوا:

إنه (غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم علي بن أبي طالب والزبير، فدخلوا بيت فاطمة ومعهم السلاح)^(٧٥)، (فبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله)^(٧٦) (وانهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً)^(٧٧).

فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل يقس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا آبن الخطاب أجتت لتحرق دارنا؟! قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه

بدرًا وما بعدها. توفي بالمدينة سنة ٤٥هـ. الاستيعاب ٨٤/٢. والإصابة ٦٣/٢. ٧٣) أبو سعيد، سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن عدي بن مالك بن الأوس الأنصاري. شهد بدرًا وما بعدها، وقتل يوم جسر أبي عبيد سنة ١٤هـ. الاستيعاب، الترجمة رقم ٢٤٥٥، ٨٣/٢، والإصابة ٦١/٢. ٧٤) الطبري ٤٤٣/٢ و٤٤٤، وأبو بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣٠/١. ١٣٤، ١٣٩/٢.

وأسيد بن حضير، مَرَّتْ ترجمته في الهامش رقم (١٦) من هذا البحث. ٧٥) الرياض النضرة ٢١٨/١ ط. مصر الثانية سنة ١٣٧٢، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١٣٢/١، و٢٩٣/٦، وتاريخ الخميس ١٦٩/٢ ط. مؤسسة شعبان - بيروت (ب. ت).

٧٦) البغوي ١٢٦/٢.

٧٧) ابن أبي الحديد ١٣٤/١، وابن شحنة بهامش الكامل ١١٣/١١ بلفظ: «ومالوا مع علي بن أبي طالب».

الأمة) (٧٨).

وفي أنساب الأشراف:

فثقلت فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب أترك محرقاً علي بابي؟! قال: نعم... (٧٩).

وإلى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد الله بن الزبير فيما جرى له مع (بني هاشم وحضره إياهم في الشعب وجمعه الخطب لإحراقهم... ليدخلوا في طاعته كما أزهب بنو هاشم وجمع لهم الخطب لتحريقهم إذ هم أبوا البيعة في ما سلف) (٨٠) يعني ما سلف لبني هاشم من قضية الخطب والنار عند امتناعهم عن بيعة أبي بكر.

وفي هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

وقولة لملي قالمها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقْتُ دارك لا أبقي عليك بها إن لم تباع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميه^(٨١)
وقال البيهقي:

فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار - إلى قوله -: وكسر سيفه - أي

(٧٨) ابن عبد ربه، ٦٤/٣، وأبوالفداء ١٥٦/١.

(٧٩) أنساب الأشراف ٥٨٦/١. وراجع كنز العمال ١٤٠/٣. والرياض النضرة، ١٦٧/١، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد، ١٣٢/١، وج ٦ في الصفحة الثانية منه، والخميس ١٧٨/١، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١٣٤/١، وتاريخ ابن شحنة ص ١١٣ بهامش الكامل ١١٣/١١.

(٨٠) مروج الذهب ١٠٠/١. وأورده ابن أبي الحديد ٤٨١/٢٠ ط. إيران، عند شرحه قول علي (ع): «الزبير منا حتى نشأ أبته».

(٨١) ديوان حافظ إبراهيم ط. المصرية.

سيف علي - ودخلوا الدار^(٨٢).

وقال الطبري :

أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه^(٨٣).

وقال أبو بكر الجوهري :

وعليّ يقول : «أنا عبد الله وأخو رسول الله» حتّى أنتهوا به إلى أبي بكر، فقيل له : بايع، فقال أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي. أخذتم هذا الأمر من الأنصار، وأحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما أحتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، وأعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع. فقال له علي: إخلب يا عمر خلباً لك شطره؛ اشد له اليوم أمره ليرد عليك غداً. لا والله، لا أقبل قولك ولا أتابعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك.

فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن إنك حدث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالاً له وأضطلاعاً به، فسلم له هذا الأمر وأرض

(٨٢) البغوي ١٢٦/٢.

(٨٣) الطبري ٤٤٣/٢ و٤٤٤ و٤٤٦ (وط. أوربا ١/١٨١٨ و١٨٢٠ و١٨٢٢) وقد أورده العقاد في عبقرية عمر ص ١٧٣. وذكر كسر سيف الزبير المحب الطبري في الرياض النضرة ١/١٦٧. والخميس ١/١٨٨. وأين أبي الحديد ١/١٢٢ و١٣٢ و١٣٤ و٥٨، و٢/٢ - ٥. وكثر الممال ١٢٨/٣.

به؛ فإنك إن تمسح ويطل عمرك فانت لهذا الأمر الخلق وعليه حقيق في فضلك
وقرابتك وسابقتك وجهادك .

فقال عليّ: يا معشر المهاجرين، الله الله، لا تُخرجوا سلطان محمد عن داره
وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه . فوالله
يا معشر المهاجرين، لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان منا القارئ
لكتاب الله، الفقيه لدين الله، العالم بالسنة، المضطلع بأمر الرعية؟ والله إنه
لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً .

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ قبل
بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك أثنان، ولكنهم قد بايعوا . وأنصرف عليّ إلى
منزله ولم يبايع . رواه أبو بكر الجوهري كما في شرح النهج ٢/٢ - ٥ . وروى أبو
بكر الجوهري أيضاً وقال:

ورأت فاطمة ما صنع بها - أي بعليّ والزبير - فقامت على باب الحجر
وقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم
عمر حتى ألقى الله^(٨٤) .

وفي رواية أخرى:

وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فنهت من الناس^(٨٥) .

وقال اليعقوبي:

فخرجت فاطمة، فقالت: والله لنخرجن أو لا كشفن شعري ولا عجن إلى
الله . فخرجوا وخرج من كان في الدار^(٨٦) .
وقال المسعودي:

(٨٤) برواية ابن أبي الحديد ١/١٣٤، و٢/٢ - ٥ .

(٨٥) السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/١٣٤ .

(٨٦) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٦ .

لما بويع أبو بكر في السقيفة وجددت له البيعة يوم الثلاثاء، خرج علي فقال: أفسدت علينا أمورنا ولم تنتشر ولم ترع لنا حقاً! فقال أبو بكر: بلى ولكني خشيت الفتنة^(٨٧).

وقال اليعقوبي:

وأجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة، فقال لهم: اغدوا عليّ محلّقين الرؤوس. فلم يغد إلا ثلاثة نفر^(٨٨).

ثم إن علياً حل فاطمة على حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له؛ فكانوا يقولون:

يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به. فقال عليّ:

أفكنت أترك رسول الله (ص) ميتاً في بيته لم أجهّزه وأخرج إلى الناس أنزعهم في سلطانه؟! فقالت فاطمة:

ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيهم عليه^(٨٩).

ولقد أشار معاوية إلى هذا وإلى ما نقلناه عن اليعقوبي قبله في كتابه إلى عليّ:

وأعهدك أمس تحمل قميدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك، ومشييت إليهم بأمرائك، وأدلت إليهم

(٨٧) مروج الذهب ٤١٤/١. والإمامة والسياسة ١٢/١ - ١٤ مع اختلاف.

(٨٨) تاريخ اليعقوبي ١٢٦/٢، وفي شرح النهج ٤/٢.

(٨٩) أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد ٥/٦ - ٢٨، ط. المصرية وأبن قتيبة ١٢/١.

بأبنيك، وأستصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجيبك منهم إلا أربعة أو خمسة، ولعمري لو كنت محققاً لأجابوك، ولكنك أدعيت باطلاً، وقلت ما لا يعرف، ورمت ما لا يدرك. ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حرّكتك وهيّجك: لو وجدت أربعين دوي عزم منهم لناهضت القوم^(٩٠).

وروى معمر عن الزهري عن أم المؤمنين عائشة في حديثها عما جرى بين فاطمة وأبي بكر حول ميراث النبي (ص) قالت: فهجرت فاطمة، فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي (ص) سنة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها. وكان لعل من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علي. ومكثت فاطمة سنة أشهر بعد رسول الله (ص) ثم توفيت. قال معمر: فقال رجل للزهري: أفلم يبايعه علي سنة أشهر؟ قال: لا^(٩١)، ولا أحد من بني هاشم حتى بابعه علي. فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر - الحديث^(٩٢).

(٩٠) ابن أبي الحديد ٦٧/٢. وصفين لنصر بن مزاحم ص ١٨٢.

(٩١) في تفسير الوصول ٤٦/٢: (قال: لا والله ولا أحد من بني هاشم).

(٩٢) قد أوردت هذا الحديث مختصراً من كل من السطري ٤٤٨/٢ (وط. أوربا

١٨٢٥/١). وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣٨/٣. وصحيح مسلم

٧٢/١، ١٥٣/٥، باب قول رسول الله: «نحن لا نورث؛ ما تركناه صدقة»، وأين كثير

٢٨٥/٥ - ٢٨٦، وأبن عبد ربه ٦٤/٣. وقد أوردته آبن الأثير ١٢٦/٢ مختصراً. والكنجي في

كفاية الطالب ص ٢٢٥ - ٢٢٦. وأبن أبي الحديد ١٢٢/١. والمسعودي ٤١٤/٢ من مروج

الذهب. وفي التنبيه والإشراف له ص ٢٥٠: (ولم يبايع علي حتى توفيت فاطمة). والصواعق

١٢/١. وتاريخ الحميس ١٩٣/١. وفي الإمامة والسياسة ١٤/١: أن بيعة علي كانت بعد وفاة

فاطمة وأنها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوماً. وفي الاستيعاب بهامش الإصابة ٢٤٤/٢: أن علياً لم

يبايعه إلا بعد موت فاطمة. وأبو الفداء ١٥٦/١. والبده والتاريخ ٦٦/٥. وأنساب الأشراف

وقال البلاذري :

لما أرتدت العرب، مشى عُثمان إلى عليّ فقال: يا ابن عمّ، أنّه لا يخرج أحد إلى قتال هذا العدو، وأنت لم تبائع. فلم يزل به حتّى مشى إلى أبي بكر فبايعه. فسُرّ المسلمون، وجدّ الناس في القتال وقطعت البعوث^(٩٣).

ضرع عليّ إلى مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وأنصراف وجوه الناس عنه، غير أنّه بقي يشكو ممّا جرى عليه بعد وفاة النبيّ حتّى في أيام خلافته. وذكر شكواه في خطبته المشهورة بالشّقشقيّة التي سنورها في آخر هذا الباب.

من تخلف عن بيعه الخليفة أبي بكر

أ - فروة بن عمرو

قال الزبير بن بكار في الموفّقيات: (كان فروة بن عمرو ممّن تخلف عن بيعه أبي بكر، وكان ممّن جاهد مع رسول الله (ص) وقاد فرسين في سبيل الله. وكان يتصدّق من نخله بألف وسق في كلّ عام، وكان سيّداً. وهو من أصحاب عليّ، وممّن شهد معه يوم الجمل).

وذكر الزبير بن بكار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الأنصار الذين ساعدوا أبا بكر في بيعته^(٩٤).

٥٨٦/١. وفي أسد الغابة ط. الشعب القاهرة ٣/٣٣٢ بترجمة أبي بكر: (كانت بيعتهم بعد سنة أشهر على الأصح). وقال اليعقوبي ١٢٦/٢ (لم يبايع عليّ إلّا بعد ستة أشهر)، وفي الغدير ١٠٢/٣ عن الفصل لابن حزم ص ٩٦ - ٩٧ وجدنا عليّاً رضي الله عنه تأخر عن البيعة ستة أشهر.

٩٣) أنساب الأشراف ١/٥٨٧.

٩٤) الموفّقيات ص ٥٩٠.

وفروة بن عمرو الأنصاري البياضي: شهد العقبة ويدرأ وما بعدها مع رسول الله (ص): أسد الغابة ٤/١٧٨.

ب - خالد بن سعيد الأموي

كان عاملاً لرسول الله على صنعاء اليمن (فلما مات رسول الله رجع هو وأخوه أبان وعمر عن عمالتهم، فقال أبو بكر: ما لكم رجعتن عن عمالتكم؟ ما أحد أحمق بالعمل من عمال رسول الله (ص)، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أحيحة، لا نعمل لأحد بعد رسول الله) (٩٥).

وتأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر، فقال لبني هاشم: إنكم لطلوال الشجر طيبو الشمر نحن تبع لكم (٩٦).

و (ترئص ببيعته شهرين يقول: قد أمرني رسول الله (ص) ثم لم يعزلني حتى قبضه الله، وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، فقال: يا بني عبد مناف، لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم، فأمّا أبو بكر فلم يحفلها عليه، وأما عمر فأضطغنها عليه) (٩٧).

(واتى علياً فقال: هلُمّ أبايعك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك) (٩٨)، (فلما بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد) (٩٩).

٩٥) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس: أسلم قديماً فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل كان خامساً، وقال ابن قتيبة في المعارف ص ١٢٨: (أسلم قبل إسلام أبي بكر). وأبن أبي الحديد ١٣/٢. وكان ممن هاجر إلى الحبشة واستعمله رسول الله مع أخويه على صدقات ملحق. واستعمله على صنعاء اليمن. ثم رجعوا بعد وفاة النبي ثم مضوا جميعاً إلى الشام فقتلوا هناك، واستشهد خالد بأجنادين يوم السبت لليلتين بقينا من جمادى الأولى سنة ١٣هـ. الاستيعاب ٣٩٨/١ - ٤٠٠. والإصابة ٤٠٦/١. وأسد الغابة ٨٢/٢. وراجع ابن أبي الحديد ١٣/٦ و١٦.

٩٦) أسد الغابة ٨٢/٢، وأبن أبي الحديد ١٣٥/٢، ط. المصرية الأولى.

٩٧) الطبري ٥٨٦/٢ (ط). أوربا ٢٠٧٩/١. وتهذيب تاريخ ابن عساکر ٥١/٥. وفي أنساب الأشراف ٥٨٨/١ ذكر أن خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

٩٨) اليعقوبي ١٢٦/٢.

٩٩) أسد الغابة ٨٢/٢. وراجع تفصيل ذلك في ابن أبي الحديد ١٣٥/١ نقلاً عن سقفة

(ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشام وكان أول من استعمل على ربيع منها خالد بن سعيد، فأخذ عمر يقول: أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال؟ فلم يزل بأبي بكر حتى عزله، وأمر يزيد بن أبي سفيان^(١٠٠))

ج - سعد بن حُبادة^(١٠١).

(ذكروا إن سعداً ترك أياماً ثم بعث إليه أن أقبل فبايع. فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نيل وأخضب سنان رحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفل. وأيم الله لو أن الجن أجمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي^(١٠٢)).

فلما أتى أبو بكر بذلك، قال عمر: لا تدعه حتى يبايع. فقال له بشير بن سعد: إنه قد لجأ وأبى، وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فأتوكوه فليس

أبي بكر الجوهري.

١٠٠ (الطبري ٥٨٦/٢ (وط. أورد ٢٠٧٩). وتعليب تاريخ ابن عساکر ٥١/٥.

وفي أنساب الأشراف ٥٨٨/١ ذكر أن خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

١٠١ (سعد بن حُبادة بن ذُلَيْم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري: شهد العقبة ومغازي رسول الله عدا بدر، فإنه اختلف في أنه هل شهدا أم لم يشهدا. كان جواداً سخياً، وكانت راية الأنصار بيده يوم الفتح، ولما نادى: (اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة) نزع رسول الله اللواء منه وأعطاه لابنه قيس. ولم يبايع أبا بكر حتى قتل بسهمين في الشام سنة ١٥هـ ودفن بحوارين، نسبه في جمهرة ابن حزم ص ٦٥. ونعبره في الاستيعاب ٢٣/٢ - ٣٧. والإصابة ٢٧/٢ - ٢٨.

١٠٢ (الطبري ٤٥٩/٣. وأبن الأثير ١٢٦/٢. أورد الرواية إلى: فأتركوه. وكثر العمال ١٣٤/٣، ح ٢٢٩٦. والإمامة والسياسة ١٠/١، والسيرة الحلبية ٣٩٧/٤، بعده: (لا يسلم على من لقي منهم). والطبري ط. أورد ١٨٤٤/١.

تركه بضاركم، إنما هو رجل واحد.

فتركوه وقبلوا مشورة بشيرين سعد، وأستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ولا يحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم - إلخ. (فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر^(١٠٣)). ولما ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة.

فقال له: إيه يا سعد؟

فقال له: إيه يا عمر؟

فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟

قال سعد: نعم، أنا ذلك، وقد أفضى إليك هذا الأمر، كان والله صاحبك أحب إلينا منك وقد أصبحت والله كارهاً لجوارك. فقال عمر: من كره جوار جارٍ تحول عنه.

فقال سعد: ما أنا غير مستمرٍ بذلك، وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك.

فلم يلبث إلا قليلاً حتى خرج إلى الشام في أول خلافة عمر - إلخ^(١٠٤).

وفي رواية البلاذري: أن سعد بن عباد لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشام فبعث عمر رجلاً وقال: أدعه إلى البيعة واحتل له، فإن أبى فاستعن الله عليه. فقدم الرجل الشام فوجد سعداً في حائط بحوارين^(١٠٥) فدعاه إلى البيعة.

فقال: لا أبايع قريشاً أبداً.

قال: فلما أقاتلك.

١٠٣ (الرياض النضرة ١/١٦٨، مضافاً إلى سائر المصادر.

١٠٤ (طبقات ابن سعد ٣/٢/١٤٥. وأبن عساكر ٦/٩٠ بترجمة سعد من تهذيبه، وكتر العمال ٣/١٣٤، برقم ٢٢٩٦. والحلبية ٣/٣٩٧.

١٠٥ (من قرى حلب معروفة. مجمع البلدان.

قال : وإن قاتلتي .

قال : أفخرج أنت مما دخلت فيه الأمة؟

قال : أما من البيعة فإنّي خارج . فرماه بسهم فقتله^(١٠٦) .

وفي تبصرة العوام : أنهم أرسلوا محمّد بن مسلمة الأنصاريّ فرماه بسهم .

وقيل : إن خالداً كان في الشّام يومذاك ، فأعانه على ذلك^(١٠٧) .

قال المسعودي : (وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع ، فصار إلى الشّام فقتل

هناك سنة ١٥هـ)^(١٠٨) .

وفي رواية ابن عبد ربّه : (رمي سعد بن عبادة بسهم فوجد دفيناً في جسده

فمات ، فبكته الجنّ فقالت :

وقتلنا سيّد الخزرج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين فلم نُخطئ فؤاده^(١٠٩)

وروى ابن سعد : (أنه جلس يبول في نفق فاقْتَبِلَ فمات من ساعته

ووجدوه قد أخضر جلدّه)^(١١٠) .

وفي اسد الغابة^(١١١) : (لم يبايع سعد أبا بكر ولا عمر ، وسار إلى الشّام

فأقام بحوران إلى أن مات سنة ١٥هـ ولم يختلفوا أنّه وجد ميتاً على مقتسله وقد

أخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول من بشر ولا يرون

أحدًا . . . إلخ .

١٠٦) أنساب الأشراف ١/ ٥٨٩ . والعقد الفريد ٣/ ٦٤ - ٦٥ باختلاف يسير .

١٠٧) تبصرة العوام ط . المجلس بطهران ص ٣٢ .

١٠٨) مروج الذهب ٢/ ٣٠١ و ٣٠٤ .

١٠٩) العقد الفريد ٤/ ٢٥٩ - ٢٦٠ .

١١٠) الطبقات ٣/ ق ١٤٥ . وأبو حنيفة الدينوري في المعارف ص ١١٣ .

١١١) في ترجمة سعد . والاستيعاب ٢/ ٣٧ .

هكذا أنتهت حياة سعد بن عبادة. ولما كان قتل سعد بن عبادة من الحوادث التي كره المؤرخون وقوعها، أغفل جمع منهم ذكرها^(١١٢) وأهمل قسم منهم بيان كيفيتها ونسبها إلى الجح^(١١٣)، غير أنهم لم يكشفوا عن منشأ العداء بين الجح^(١١٣) وسعد بن عبادة، ولماذا فوّقت سهمها إلى فؤاد سعد دون سائر الصحابة، فلو أنهم أكملوا الأسطورة وقالوا: إن صلحاء الجح^(١١٣) كرهت امتناع سعد عن البيعة فرمته بسهمين فما أخطأ فؤاده لكأنت أسطورتهم تامة.

من روى أن سعداً لم يبايع :

(١) ابن سعد في الطبقات. (٢) ابن جرير في تاريخه. (٣) البلاذري في ج ١ من أنسابه. (٤) ابن عبد البر في الاستيعاب. (٥) ابن عبد ربه في العقد الفريد. (٦) ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ٩/١. (٧) المسعودي في مروج الذهب. (٨) ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٢٨/٢. (٩) محب الدين الطبري في الرياض النضرة ١٦٨/١. (١٠) ابن الأثير في أسد الغابة ٢٢٢/٣. (١١) تاريخ الخميس. (١٢) علي بن برهان الدين في السيرة الحلبية ٣٩٦/٣، ٣٦٧. (١٣) أبو بكر الجوهري، برواية ابن أبي الحديد عنه.

كان ما ذكرناه خلاصة من خبر استخلاف أبي بكر وبيعته، وأوردناه ملخصاً من كتاب عبد الله بن سبأ الجزء الأول. وفي ما يلي خبر استخلاف عمر وبيعته.

(١١٢) كآبن جرير وآبن كثير وآبن الأثير في تواريخهم.

(١١٣) كمحب الدين الطبري في الرياض النضرة. وآبن عبد البر في الإسحاب.

استخلاف عمر وبيعه

دعا أبو بكر عثمان خالياً^(١١٤) فقال :

أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أما بعد .

قال : ثم أغمي عليه فذهب عنه ، فكتب عثمان :

أما بعد فإني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً . ثم أفاق أبو بكر فقال : إقرأ عليّ . فقرأ عليه ، فكبر أبو بكر وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن أفتلت نفسي في غشيتي ؟ قال : نعم . قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله . وأقرأها أبو بكر (رض) من هذا الموضع .

وذكر قبل ذلك عن عمر أنه كان جالساً والناس معه ويده جريدة ومعه شديد مولى لأبي بكر معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر ، وعمر يقول : (أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنه يقول إني لم ألكم نصحاً)^(١١٥) .

كم من الفرق بين موقف أبي حفص هذا وموقفه من كتابة وصية الرسول (ص)؟!

الشورى وبيعة عثمان

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد :

لما طعن الخليفة عمر قيل له : لو استخلفت . فقال :

لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته ، فإن سألتني ربي قلت : نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته ،

(١١٤) دعاه خالياً : انفرد به في خلوة .

(١١٥) تاريخ الطبري ط . أوربا ١/٢١٣٨ .

فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالم ليحب الله حباً لو لم يخف الله ما عصاه^(١١٦).

ولأنهم قالوا له: يا أمير المؤمنين، لو عهدت. فقال: لقد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أولي رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ - وأشار إلى عليّ - ثم رأيت أن لا أحمّلها حيّاً وميتاً. . . إلخ.

وروى البلاذري في أنساب الأشراف^(١١٧) قال عمر: ادعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. فلم يكلم أحداً منهم غير عليّ وعثمان، فقال: يا عليّ، لعل هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النبيّ (ص) وصهرك وما أنالك الله من الفقه والعلم، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله فيه. ثم دعا عثمان وقال: يا عثمان، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس. ثم قال: ادعوا لي صُهيياً فدُعي، فقال: صلّ بالناس ثلاثاً، وليخل هؤلاء النفس في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل منهم، فمن خالفهم فاضربوا رأسه. فلما خرجوا من عند عمر قال: إن ولّوها الأجل سلك بهم الطريق^(١١٨).

وفي الرياض النضرة ط ٢ بمصر ١٣٧٣هـ، ٩٥/٢:

(لله درهم إن ولّوها الأصيلع كيف يحملهم على الحقّ وإن كان السيف على عنقه. قال محمد بن كعب: فقلت: أتعلم ذلك منه ولا تولّيه؟ فقال: إن تركتهم فقد تركهم من هو خير مني).

(١١٦) العقد الفريد ٤/٢٧٤، أوردناه ملخصاً.

(١١٧) أنساب الأشراف ١٦/٥.

(١١٨) وقريب منه ما في طبقات ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢٤٧. وراجع ترجمة عمر من الاستيعاب ومنتخب الكثر ج ٤ ص ٤٢٩.

روى البلاذري في أنساب الأشراف ١٧/٥ عن الواقدي بسنده، قال :
 (ذكر عمر من يستخلف قليل : أين أنت عن عثمان؟ قال : لو فعلت
 لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس . قيل : الزُّبير؟ قال : مؤمن الرضى ، كافر
 الغضب . قيل : طلحة؟ قال : أنفه في السماء وأسته في الماء . قيل : سعد؟
 قال : صاحب مقنب^(١١٩) ، قرية له كثير . قيل : عبد الرحمن؟ قال : بحسبه أن
 يجري على أهله بيته) .

وروى البلاذري في ج ١٨/٥ من أنساب الأشراف : أن عمر بن الخطاب
 أمر صهيياً مولى عبد الله بن جُدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين
 والأنصار . فلما دخلوا عليه قال : إني جعلت أكرم شورى إلى ستة نفر من
 المهاجرين الأوّلين الذين قبض رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ ليختاروا
 أحدهم لإمامتهم - وسماهم ، ثم قال لأبي طلحة زيد بن سهل الخزرجي :
 اختر خمسين رجلاً من الأنصار يكونون معك ، فإذا توفيت فاستحث هؤلاء النفر
 حتّى يختاروا لأنفسهم وللأمة أحدهم ولا يتأخروا عن أمرهم فوق ثلاث . وأمر
 صهيياً أن يصلي بالناس إلى أن يتفقوا على إمام . وكان طلحة بن عبيد الله غائباً
 في ماله بالسراة^(١٢٠) ، فقال عمر : إن قدم طلحة في الثلاثة الأيام ، وإلا فلا
 تنتظروه بعدها وأبرموا الأمر وأصرموه ، وبايعوا من تتفقون عليه ، فمن خالف
 عليكم فأصربوا عنقه . قال فبعثوا إلى طلحة رسولاً يستحثونه ويستعجلونه
 بالقدوم ، فلم يرد المدينة إلّا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان . فجلس في بيته وقال :
 أعلى مثلي يُقتات ! فأتاه عثمان ، فقال له طلحة : إن رددت أثرده؟ قال : نعم .
 قال : فاني أمضيته . فبايعه . وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٣/٣ .

(١١٩) المقنب : جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(١٢٠) السراة : الجبل الذي فيه طرف الطائف ويقال لأمكن أخرى . معجم البلدان .

وروى في ص ٢٠ منه ، قال :

فقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ما زلت خائفاً لأن ينتقض هذا الأمر حتى كان من طلحة ما كان ، فوصلته رَجِم ولم يزل عثمان مكرماً لطلحة حتى حُصِر فكان أشد الناس عليه .

وروى البلاذري في ١٨/٥ من كتابه أنساب الأشراف بسند أبي سعد قال :

(قال عمر : لبيح الأقل الأكثر ، فمن خالفكم فأضربوا عنقه) .

وروى في ص ١٩ منه : عن أبي عَنُف أَنَّهُ قَالَ :

(أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً ، فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل ، رجعوا في الشورى ، فإن اجتمع أربعة على واحد وأباه واحد ، كانوا مع الأربعة ، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الثلاثة الذين فيهم أبن عوف إذ كان الثقة في دينه ورأيه ، المأمون للاختيار على المسلمين) . وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٤/٣ .

وروى أيضاً عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عمر قال : (إن اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فأتبعوا صنف عبد الرحمن بن عوف وأسمعوا وأطيعوا) وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/١ ق/٤٣ .

وفي تاريخ اليعقوبي ١٦٠/٢ : وروى البلاذري في أنساب الأشراف ١٥/٥ أن عمر قال :

(إن رجالاً يقولون إن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، وإن بيعة عمر كانت من غير مشورة والأمر بعدي شوري ، فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان الأربعة ، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فأتبعوا رأي عبد الرحمن بن عوف فأسمعوا وأطيعوا وإن صَفَّق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فأتبعوه) .

وروى الثَّقفي في كثر العمال ٣/١٦٠، عن مُحَمَّد بن جُبَيْر عن أبيه، أنَّ
عمر قال:

(إن ضرب عبد الرَّحمن بن عوف إحدى يديه على الأخرى فباعوه). وعن
أَسلم أنَّ عمر بن الخطاب قال:

(بائعوا لمن بايع له عبد الرَّحمن بن عوف، فمن أبى فأضربوا عنقه).
ومن كُلِّ هذا يظهر أنَّ الخليفة كان قد جعل أمر الترشيح بيد عبد الرَّحمن
ابن عوف، وبُيِّت معه أن يشترط في البيعة العمل بسيرة الشيخين، وهم يعلمون
أنَّ الإمام علياً يَأبى أن يجعل العمل بسيرة الشيخين في عداد العمل بكتاب الله
وسنة رسوله (ص) وأنَّ عثمان يوافق على ذلك، فيبايع عثمان بالخلافة،
ويتخالفهم الإمام علي فيعرض على السيف.

والدليل على ما قلنا بالإضافة إلى ما سبق، ما رواه ابن سعد في طبقاته
عن سعيد بن العاص ما خلاصته: أنَّ سعيد بن العاص أتى الخليفة عمر
يستزيده في الأرض لبوسع داره، فوعده الخليفة بعد صلاة الغداة وذهب معه
حينئذ إلى داره. قال سعيد:

(فزادني وخط لي برجليه فقلت: يا أمير المؤمنين زدني فإنه نبت لي نابتة من
ولد وأهل. فقال: حسبك وأختبئ عندك، إنه سيلي الأمر من بعدي من يصل
رُحْمك ويقضي حاجتك. قال: فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتى
استخلف عثمان وأخذها عن شوري ورضي فوصلني وأحسن وقضى حاجتي
واشركني في أمانته^(١٢١)).

إذا فالخليفة عمر قد أنبا سعيد بن العاص أنه سيلي بعده ذو رحم سعيد
وهو عثمان وطلب منه أن يخفى الأمر عنده؛ ويتضح من هذه المحاور أن أمر
تولية عثمان الخلافة كان قد بُت فيه في حياة الخليفة عمر، وتعيين الستة في

(١٢١) بترجمة سعيد بن العاص من الطبقات، ط. أوربا ٢٠/٥ - ٢٢.

الشورى كان من أجل تمرير هذا الأمر بصورة مرضية لدى الجميع .

أما تعريض الإمام علي للقتل فعمّا يدلّ عليه بالإضافة إلى ما مرّ ما رواه ابن سعد أيضاً بترجمة سعيد بن العاص : أنّ عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص : (مالي أراك معرضاً كأنك ترى أنّي قتلت أباك؟ ما أنا قتلته ولكنّه قتله علي بن أبي طالب^(١٢٢)) وكان قد قتله ببدر .

أليس في هذا القول تحريش على الإمام علي وإثارة للضغائن عليه .

الإمام علي (ع) يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه

كان الإمام عليّ يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه وإنّما اشترك معهم في الشورى كي لا يقال : هو الذي زهد في الخلافة . ويدلّ على أنّه كان يعلم ما بيّنت له ، الحديث الآتي :

روى البلاذري في ١٩/٥ من كتابه أنساب الأشراف :

إنّ عليّاً شكّا إلى عمّه العباس ما سمع من قول عمر : كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، وقال : والله لقد ذهب الأمر منّا . فقال العباس : وكيف قلت ذلك يا ابن أخي ؟ فقال : إنّ سعداً لا يخالف أبن عمّه عبد الرحمن وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة ، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان أبن عوف في الثلاثة الآخرين . وقال أبن الكلبي : عبد الرحمن بن عوف زوج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأمّها أروى بنت كُرَيْز وأروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره . وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٤/٣ .

(١٢٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن أحبيحة بن أميّة : توفي رسول الله (ص) وهو أبن تسع سنين أو نحوه طبقات ابن سعد ٢٠/٥ - ٢٢ . وسيرة ابن هشام ٢٧٧/٢ .

وروى في ص ٢١ منه عن أبي جحّاف قال :

(لما دفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يؤمّهم فلم يجدوا شيئاً ، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوّشهم للمناظرة في دار المال ، وكان دفن عمر يوم الأحد وهو الرابع من يوم طعن ، وصلى عليه صهيب بن سنان . قال : فلما رأى عبد الرحمن تناجي القوم وتناظرهم وأن كل واحد منهم يدفع صاحبه عنها ، قال لهم : يا هؤلاء أنا أخرج نفسي وسعداً على أن اختار يا معشر الأربعة أحدكم ، فقد طال التناجي وتطلع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم ، واحتاج من أقام الانتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم ، فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلا علياً فإنه قال : أنظر .

وأناهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بها عرض وإجابة القوم إياه إلا علياً فأقبل أبو طلحة على علي ، فقال : يا أبا الحسن إن أبا محمد ثقة لك وللمسلمين ، فما بالك تخالف وقد عدل الأمر عن نفسه ، فلن يتحمل المائمه لغيره ؟ فأحلف علي عبد الرحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى وأن يؤثّر الحق وأن يجتهد للأمة ، وأن لا يُحابي ذا قرابة ، فحلف له ، فقال : اختر مسدداً . وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسور بن مخرمة .

ثم إن عبد الرحمن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالأيمان المغلظة ، وأخذ عليهم الموائيق والعهود أنهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلاً وأن يكونوا معه على من يناوئه ، فحلفوا على ذلك ، ثم أخذ بيد علي فقال له : عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتكم أن لا تحمل بني عبد المطلب على رقاب الناس ، ولتسيرن بسيرة رسول الله (ص) لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها ، فقال علي : لا أهل عهد الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا يدركه أحد . من ذا يطبق سيرة رسول الله (ص) ولكني أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني ، وبما يمكنني ويقدر علمي . فأرسل عبد الرحمن يده . ثم أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والموائيق أن لا يحمل

بني أمية على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك، فحلف له. فقال عليّ: قد أعطاك أبو عبد الله الرضا فشأنك فبايعه. ثم إن عبد الرحمن عاد إلى عليّ فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر، فقال عليّ: عليّ الاجتهاد، وعثمان يقول: نعم، عليّ عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ على أنبيائه أن لا يخالف سيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها. فبايعه عبد الرحمن وصافحه وبايعه أصحاب الشورى، وكان عليّ قائماً، فقدم، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك. ولم يكن مع أحد يومئذ سيف، فيقال: إن علياً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع وإلا جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان) اهـ.

في هذا الخبر حذف من أول قول عبد الرحمن (وسيرة الشيخين) ونقل أول كلام الإمام عليّ بتصريف وحذف آخره؛ وتام الخبر في الرواية الآتية:

في تاريخ اليعقوبي ١٦٢/١: أن عبد الرحمن خلا بعليّ بن أبي طالب، فقال: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت. فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. ثم خلا بعليّ فقال له مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول؛ ثم خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم خلا بعليّ فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معها إلى إيجري^(١٢٣) أحد، أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني.

(١٢٣) الإيجري بالكسر والتشديد: العادة والطريقة.

فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصفق على يده.

وفي ذكر حوادث سنة ٢٣ من تاريخ الطبري ٢٩٧/٣، وكذلك ابن الأثير ٣٧/٣، قال الإمام عليّ لعبد الرحمن لما بايع عثمان في اليوم الثالث:
«حبوته حبة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم في شأن». وكذلك ورد في العقد الفريد ٧٦/٣، في العسجد الثانية في الخلفاء وتواريخهم برقم: ٥.

بيعة الإمام علي (ع)

قتل عثمان وعاد إلى المسلمين أمرهم وأنحلوا من كل بيعة سابقة توثقهم، فتهافتوا على ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة؛ قال الطبري^(١٢٤):

فأتاه أصحاب رسول الله (ص) فقالوا:

إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله (ص).

فقال: لا تفعلوا فإنني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً.

فقالوا: لا، والله ما نحن بقاعلين حتى نبايعك.

قال: ففي المسجد، فإن بيعني لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضى

المسلمين. . . .

وروى بسند آخر وقال:

اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا: يا أبا

(١٢٤) الطبري ١٥٢/٥ - ١٥٣، وط. أوربا ٣٠٦٦/١. وراجع الكنز ١٦١/٣ ح ٢٤٧١ فإنه يروي تفصيل بيعة عليّ وعبيد طلحة والزبير إليه وأمناعه عن البيعة. . . . وكذلك حكاه ابن أعمش بالتفصيل في ص ١٦٠ - ١٦١ من تاريخه.

الحسن، هلمْ نبايِعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم. أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا.

فقالوا: والله ما نختار غيرك.

قال: فأختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان (رض) مراراً ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له:

إنه لا يصلح الناس إلّا بإمرة وقد طال الأمر.

فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلّا فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر فأجتمع الناس إليه. فقال: إني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتكم إلّا أن أكون عليكم. ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي. ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم. رضيتم؟ قالوا: نعم.

قال: اللهمّ أشهد عليهم. ثم بايعهم على ذلك.

وروى البلاذري^(١٢٥) وقال:

وخرج عليّ فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ، أصحاب النبيّ وغيرهم، وهم يقولون: (إنّ أمير المؤمنين عليّ) حتّى دخلوا داره، فقالوا له: نبايِعك، فمدّ يده فإنه لا بدّ من أمير. فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منك... فلما رأى

(١٢٥) الأنساب ٧٠/٥. وقد روى الحاكم في المستدرک ١١٤/٣ تشاؤم علي من بيعة طلحة.

عليّ ذلك صعد المنبر، وكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت
إصبع طلحة شلاء فتطير منها عليّ وقال: ما أخلقه أن ينكت.
روى الطبري^(١٢٦): (أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع فقال:
أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر...) انتهى.



بعد دراسة الواقع التاريخي في إقامة الحكم في صدر الإسلام، ندرس في
ما يأتي رأي المدرستين في الخلافة والإمامة ونبدأ بذكر آراء مدرسة الخلافة.

(١٢٦) الطبري ١٥٣/٥ وط. أوربا ١/٣٠٦٨.



مرکز تحقیقات کلام و تفسیر علوم اسلامی

الفصل الثاني

بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة

رأي مدرسة الخلافة وما استدلّوا به .

آراء أتباع مدرسة الخلفاء .

وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص) .

إستدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة .

مصطلحات بحث الإمامة والخلافة .

دراسة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة .

الأول : مناقشة الاستدلال بالشورى .

الإستدلال بالشورى بكتاب الله وسنة رسوله (ص) .

الثاني : مناقشة الإستدلال بالبيعة .

الثالث : مناقشة الإستدلال بعمل الصحابة .

مناقشة الإستدلال بالشورى والبيعة وعمل الأصحاب .

الرابع : مناقشة الإستدلال بأن الخلافة تُقام بالقهر والقبلة .

إطاعة الإمام الجائز المخالف لسنة الرسول (ص) .

خلاصة البحث .

رأي مدرسة الخلافة وما استدلّوا به

أولاً - قال الخليفة أبو بكر^(١) :

لن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً
وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : (عُمر وأبي عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم^(٢) .

ثانياً - قال الخليفة عمر بن الخطاب^(٣) :

فلا يغتَرّنَ أمرؤُ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتنة ونَمَت ، ألا وإنّما قد
كانت كذلك ، ولكنّ الله وقى شرّها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل
أبي بكر ، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يُبايع هو ولا الذي

(١) أبو بكر، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر القرشي التيمي، وأمه : أمّ الخير سلمى
أو ليلى بنت صخر التيمي . ولد بعد الغيل بستين أو ثلاث . صاحب الرسول (ص) في هجرته
إلى المدينة وسكن (سُج) خارج المدينة وكان يحلب للحَيّ أغنامهم حتّى ولي الخلافة . انتقل إلى
المدينة بعد سنّة أشهر من ذلك ، وتوفّي سنة ثلاث عشرة . وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٢
حديثاً . راجع ترجمته بأسد الغابة وفي تاريخ ابن الأثير ١٦٣/٢ في ذكر بعض أخباره . وجوامع
السيرة ص : ٢٧٨ .

(٢) البخاري ، كتاب الحدود ، باب رجم الحيل ١٢٠/٤ .

(٣) أبو حفص ، عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، وأمه : حنتمة بنت هاشم أو
هشام بن المغيرة المخزومي . أسلم بعد نيف وخسين بمكّة وشهد بدرأ وما بعدها . استخلفه أبو
بكر في مرض موته ، وتوفي من طعنة أبي لؤلؤة إياه ، ودفن هلال محرم سنة ٢٤هـ إلى جنب أبي
بكر . روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٧ حديثاً . ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة وجوامع
السيرة ص : ٢٧٦ .

بإيعه نَغْرَة أن يقتل^(٤).

ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء :

قال أقضى القضاة الماوردي (ت : ٤٥٠هـ) في الأحكام السلطانية^(٥) والإمام علامة الزمان القاضي أبو يعلى (ت : ٤٥٨هـ) في الأحكام السلطانية^(٦)، كلاهما، قالاً في كتابيهما :

الإمامة تنعقد من وجهين : أحدهما بأختيار أهل الحلّ والعقد، والثاني بعهد الإمام من قبل .

فأما أنعقادها بأختيار أهل الحلّ والعقد، فقد أختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى، فقالت طائفة :

لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد ليكون الرضا به عامّاً والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر (رض) على الخلافة بأختيار من حضرها ولم ينتظر بيعته قدوم غائب عنها .

٤) البحاري، كتاب الحدود، باب رجم الخبل ١٢٠/٤ . و(التفيرة) : مصدر غررته : إذا ألغته في الغرر وهي من التفرير، كالتعلة من التعليل، والمقصود أن الذي يبيع آخر دون مشورة من المسلمين، فإنها قد غررا بالمسلمين وجزاء المبيع والمبيع له أن يقتل . (راجع معاجم اللغة) .
٥) الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، ط . الثانية سنة ١٣٥٦هـ، ص ٧ - ١١ . والماوردي نسبة إلى (بيع ماء الورد) كان من وجوه فقهاء الشافعية، له مصنفات كثيرة .

٦) الأحكام السلطانية للشيخ أبي يعلى محمد بن الحسن الفراء الخبلي ط . الأولى بمصر سنة ١٣٥٦هـ، ص : ٧ - ١١ .

وإنما اعتمدنا عليها أكثر من غيرها من كتب مدرسة الخلفاء، لأنّ هذا النوع من الكتب مثل كتاب الخراج لأبي يوسف، إنما ألّف لتدوين الأحكام التي تخصّ شؤون الحكم على رأي مدرسة الخلفاء ومن أجل العمل به، خلافاً للكتب التي دونت في مقام المناظرة وليس للعمل بها . وكلّ ما نورد في ما يلي من كلا الكتابين وما انفرد به أحدهما ذكرنا ذلك في الهامش .

وقالت طائفة أخرى :

أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالاً بأمرين : أحدهما ، أن بيعة أبي بكر (رض) انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها ، وهم عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح^(٧) ، وأسيد بن حضير ، وبشير بن سعد ، وسالم مولى أبي حذيفة (رض) . والثاني ، أن عمر (رض) جعل الشورى في سنة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة . وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة . وقال آخرون من علماء الكوفة :

تنعقد بثلاثة يتولاهم أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين .
وقالت طائفة أخرى :

(تنعقد بواحد ، لأن العباس^(٨) قال لعلي رضوان الله عليهما : أمدد يدك

(٧) أبو عبيدة ، عامر بن عبد الله بن الجراح : كان حقاراً للقبور بمكة شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعون عمواس - كورة قرب بيت المقدس - سنة ١٨ هـ . روى عنه أصحاب الصحاح ١٤ حديثاً . ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص : ٢٨٤ ، وطبقات ابن سعد ، ط . أوروبا ٧٤/٢/٢ .

وأسيد بن حضير : مَرَّتْ ترجمته في ص ١٤٤ ، الهامش رقم (١٦) .

وبشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي : يقال أول من بايع أبا بكر ، وكان حاسداً لسعد بن عباد ، وقتل يوم عين التمر مع خالد . أخرج حديثه النسائي في سننه . راجع عبد الله ابن سبأ ٩٦/١ . والتقريب ١٠٣/١ . وأسد الغابة .

وأبو عبد الله ، سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة الأموي : كان من أصطخر فارس اعتنقه ثبينة الأنصارية زوج أبي حذيفة فتبناه أبو حذيفة ولذلك عدَّ من المهاجرين . هاجر إلى المدينة قبل رسول الله وكان يؤم المهاجرين فيها وفيهم عمر بن الخطاب لأنه كان أقرامهم للقرآن ، آخى الرسول بينه وبين معاذ من الأنصار . قتل يوم البيامة . ترجمته بأسد الغابة والإصابة .

(٨) أبو الفضل ، العباس بن عبد المطلب ، وأمه : نثيلة بنت خبيب النمري . شهد مع رسول

أبايعك، فيقول الناس عمّ رسول الله (ص) بايع أبين عمّه، فلا يختلف عليك
أثنان، ولأنّه حكم وحكم واحد نافذ^(٩).

(وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله، فهو ممّا انعقد الاجتماع على جوازه
ووقع الاتفاق على صحّته لأمرين عمل المسلمون بها ولم يتناكروهما، أحدهما:
أنّ أبا بكر (رض) عهد بها إلى عمر (رض) فأثبت المسلمون إمامته بعهد.

والثاني أنّ عمر (رض) عهد بها إلى أهل الشورى... إلى قوله: لأنّ بيعة
عمر (رض) لم تتوقف على رضا الصحابة، ولأنّ الإمام أحقّ بها^(١٠).

ونقل اختلاف العلماء في لزوم معرفة الإمام وأنّ بعضهم قال:
(واجب على الناس كلّهم معرفة الإمام بعينه وأسمه، كما عليهم معرفة
الله ومعرفة رسوله).

ثمّ قال:

(والذي عليه جمهور الناس، أنّ معرفة الإمام تلزم الكافة بالجملة دون
التفصيل)^(١١).

وأضاف قاضي القضاة أبو يعلى الفراء الحنبلي في الأحكام السلطانية^(١٢)
على تلكم الأقوال قول بعضهم:
(إنّها تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد).

الله بيعة العقبة وأسرّ في بدر ففدئ نفسه وأبني أخويه عقيلًا ونوفلاً، هاجر قبل فتح مكة وشهده.
استقنّى به عمر بن الخطاب في عام الرمادة - عام الجذب والقيط - . توفي سنة ٣٧هـ. روى
عنه أصحاب الصحاح ٣٥ حديثاً. ترجمته بأمد الغاية وجوامع السيرة ص: ٢٨١.

(٩) الأحكام السلطانية للماوردي ص: ٦ - ٧.

(١٠) المصدر السابق ص: ١٠. ويظهر من أقوالهم بأنهم يدينون بها وقع وأنّ الأمر الذي
وقع هو الدين ولا يختلفون في ذلك وإنّما الاختلاف في كيفية ما وقع.

(١١) المصدر السابق ص: ١٥.

(١٢) الأحكام السلطانية ص: ٧ - ١١.

(ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برأ كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين).

وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: (تكون الجمعة مع من غلب) واحتج بأن ابن عمر صلى بأهل المدينة في زمن الحرّة وقال: (نحن مع من غلب)^(١٣).

وقال إمام الحرمين الجويني (ت: ٤٧٨ هـ) في باب الاختيار وصفته وذكر ما يعتقد به الإمامة من كتاب الإرشاد:

(اعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأمة على عقدها. والدليل عليه أن الإمامة لما عقدت لأبي بكر أبتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الاقطار، ولم ينكر عليه منكر، ولم يحمله على التريث حامل. فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة، لم يثبت عددٌ معدود، ولا حدٌ محدود، فالوجه الحكم بأن الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد)^(١٤).

(١٣) المصدر السابق ص ٧ - ٨ في طبعة وفي أخرى ص ٢٠ - ٢٣.

وأبن عمر، هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه زينب بنت مظعون الجمحية. استصغره الرسول في أحد وشهد ما بعدها. روي عنه في الثناء على نفسه وأبيه روايات متعددة. أفنى ستين سنة بعد رسول الله في الموسم. قالوا: كان جيد الحديث، ولم يكن جيد الفقه. لم يشهد شيئاً من الحروب مع عليّ، ثمّ ندّم من ذلك لما حضرته الوفاة، قال: (ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أنّي لم أقاتل الفئة الباغية مع عليّ بن أبي طالب). وكان سبب وفاته أن الحجاج أمر رجلاً فوضع زجّ رمح مسموم على قدمه في الزحام فمات سنة ٧٣ هـ، وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٦٣٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وسير النبلاء وجوامع السيرة ص ٢٧٥.

(١٤) الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني ط. القاهرة ١٣٦٩ هـ، ص ٤٢٤.

وقال الإمام أبن العربي (ت: ٥٤٣هـ):

(لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد)^(١٥).

وقال الشيخ الفقيه الإمام العلامة المحدث القرطبي (ت: ٦٧١هـ) في المسألة الثامنة في تفسير ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة/ ٣٠، من تفسير سورة البقرة:

(فإن عقدها واحد من أهل الحل والعقد، فذلك ثابت، ويلزم الغير فعله، خلافاً لبعض الناس حيث قال: لا تنعقد إلا بجماعة من أهل الحل والعقد. ودليلنا أن عمر (رض) عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك، فوجب ألا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود).

وقال الإمام أبو المعالي: (من أنعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزم، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر، قال: وهذا مجمع عليه).

وقال في المسألة الخامسة عشرة من تفسير الآية:

(إذا أنعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد أو بواحد على ما تقدم، وجب على الناس كافة مبايعته)^(١٦).

وقال أفضى القضاة عضد الدين الأبيحي (ت: ٧٥٦هـ) في المواقف:

المقصد الثالث فيما ثبت به الإمامة، ما ملخصه: أنها تثبت بالنص من الرسول، ومن الإمام السابق بالإجماع، وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد خلافاً للشيعة. دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر (رض) بالبيعة.

١٥ الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المشهور بابن العربي في شرحه سنن الترمذي ٢٢٩/١٣.

١٦ القرطبي، هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي في كتاب جامع أحكام القرآن، ط. مصر سنة ١٣٨٧هـ، ٢٦٩/١، ٢٧٢.

وقال :

إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة ، فأعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع ، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع ، بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف ، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين أكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر ، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأمة . هذا ولم ينكر عليهم أحد ، وعليه أنطوت الأعصار إلى وقتنا هذا^(١٧) .

ووافق القاضي الأبيي شرح كتابه كتاب المواقف مثل السيد الشريف الجرجاني (ت : ٨١٦هـ)^(١٨) .

وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص)

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال : قال رسول الله :
« يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس » قال :
قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال :
« تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فأسمع وأطع » .
وروى عن ابن عباس أن رسول الله قال :
« من رأى من إمامة شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات ، مات ميتة جاهليّة » .
وفي أخرى :

(١٧) المواقف في علم الكلام ، ط . مصر ١٣٢٥هـ ، ٨ / ٣٥١ - ٣٥٣ تأليف القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأبيي ، توفي بالسجن عام ٧٥٦هـ .
(١٨) السيد الشريف الجرجاني في شرحه على المواقف والذي طبع مع الكتاب بمصر .

«ليس أحد خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية» .
وروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه حين كان من أمر الحرّة ما كان
زمن يزيد بن معاوية قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :
«من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس
في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(١٩) .

وقال النووي في شرحه بباب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية :
(وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين : لا ينزل
بالفسق والظلم وتمطيل الحقوق ، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك ، بل
يجب وعظه وتخفيفه للأحاديث الواردة في ذلك) . وقال قبله :
(وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة
ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل السنة أنه لا
ينزل السلطان بالفسق)^(٢٠) .

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني (ت : ٤٠٣هـ) في كتاب
التمهيد^(٢١) في باب ذكر ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته ما
ملخصه :

(قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث : لا ينخلع الإمام

١٩) صحيح مسلم ٢٠/٦ - ٢٢ كتاب الإمارة باب الأمر يلزوم الجماعة .
وروى الحديث عن حذيفة ، وهو ابن اليمان العنسي ، كان أبوه قد أصاب دماً في الجاهلية ،
فهرب إلى المدينة ، وتزوج بها وحالف بني عبد الأشهل ، وسَمِيَ اليمان لمخالفته البانية وأسمه
حسل . شهد حذيفة الخندق وما بعدها ، وولي لعمر المدائن ، ومات بها سنة ست وثلاثين ،
أربعين ليلة بعد بيعة الإمام علي . روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٥ حديثاً . ترجمته في
الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وجوامع السيرة ص ٢٧٧ .

٢٠) ٢٢٩/١٢ في شرحه على صحيح مسلم ، وراجع سنن البيهقي ١٥٨/٨ - ١٥٩ .

٢١) ط . القاهرة ١٣٦٦هـ .

بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبدان، وتناول النفوس المحترمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويله وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله. واحتجوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي (ص) وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا وأستأثروا بالأموال، وأنه قال (ع): اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولو لعبد حبشي، وصلوا وراء كل بر وفاجر. وروي أنه قال: أطعهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك).

استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة

في القرون الأخيرة غالباً ما يستدل أتباع مدرسة الخلافة على صحة قيام حكم الخلافة في الماضي على أنه كان قائماً على أساس الشورى بين المسلمين للخليفة، وبعضهم يستنتج من ذلك أن الحكم الإسلامي أيضاً يقام اليوم على أساس البيعة فمن بايعه المسلمون أصبح حاكماً إسلامياً يجب على جميع المسلمين بذل الطاعة له.



كان ذلكم رأي مدرسة الخلفاء في كيفية إقامة الحكم الإسلامي وأدلتهم على ما يرتأون، وقبل البدء بدراسة ما آرتأوا عليه، ينبغي أن ندرس المصطلحات التي يدور عليها البحث في ما يأتي.

مصطلحات بحث الإمامة والخلافة

يدور بحث الإمامة والخلافة على المصطلحات السبعة التالية :

أ - الشورى

ب - البيعة

ج - الخليفة وخليفة الله في الأرض

د - أمير المؤمنين

هـ - الإمام

و - الأمر وأولو الأمر

ز - الوصي والوصية

وفي ما يلي تعريف المصطلحات المذكورة آنفاً :

أولاً - الشورى

التشاور، والمشاورة، والمشورة في لغة العرب : استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر.

وشاوره : استخراج ما عنده من رأي .

وأشار عليه بالرأي ، يشير : إذا ما وجه الرأي .

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ الشورى/ ٣٨ من صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه^(١).

(١) راجع مادة : (شور) من : مفردات الراغب . ولسان العرب . ومعجم ألفاظ القرآن

لم يتغير معنى مشتقات هذه المادة في استعمال القرآن الكريم، والحديث الشريف، ولدى المسلمين عما كانت عليه لغة العرب، وإنما الكلام في مورد الشورى والمشاورة في الشرع الإسلامى وحكمها. كما سيأتى بيانه بعيد هذا ان شاء الله.

ثانياً - البيعة

أ - البيعة في لغة العرب :

البيعة في لغة العرب : الصفقة على إيجاب البيع^(١)، وصفق يده بالبيعة والبيع، وعلى يده صفقاً: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتضافقوا: تبايعوا^(٢). كان هذا معنى البيعة لدى العرب.

أمّا العهد والحلف: فقد كانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل ما فعل بنو عبد مناف حين أرادوا أن يقاتلوا بني عبد الدار على من يقوم بحجابه البيت وسقاية الحاج وغيرهما من أعمال السيادة بمكة. فروى ابن إسحاق أن بني عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيباً فوضعوها في المسجد عند الكعبة، ثم غمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم وسمّوا (المطيبين)^(٣).

وروى - أيضاً - في أمر تهديد الكعبة: أن البنان عندما بلغ موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى

الكريم.

(٢) لسان العرب، مادة: (بيع).

(٣) لسان العرب، مادة: (صفق).

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٤١ - ١٤٣.

تحاوروا وتحالفوا، وأعدّوا للقتال، ففرت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثمّ تعاقبوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسَمَوْا (لعقة الدم)^(٥).

ب - البيعة في الإسلام

كانت البيعة، أي: صفق اليد على اليد، في لغة العرب علامة على وجوب البيع، وأصبحت في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرّر بينهما، ويقال: بايعه عليه مبايعة: عاهده عليه. وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّا يَنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْئِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح / ١٠ .
ونذكر من سنة الرسول (ص) ثلاثة مرّات أخذ الرسول (ص) فيها البيعة من المسلمين.

١ - البيعة الأولى

إنّ أول بيعة جرت في الإسلام بيعة العقبة الأولى، أخبر عنها عبادة بن الصامت وقال:
(وإني موسم الحج من الأنصار آثنا عشر رجلاً ممن أسلم منهم في المدينة، وقال عبادة:

بايعنا رسول الله (ص) بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنّي، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بيهتان نفترية من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم

(٥) سيرة ابن هشام ٢١٣/١ .

الجنة، وإن غشيتهم من ذلك شيئاً فأخذتهم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فامرّكم إلى الله عزّ وجلّ؛ إن شاء عذب، وإن شاء غفر^(٦). وسمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى).

٢ - البيعة الثانية الكبرى بالعقبة

روى كعب بن مالك وقال:

خرجنا من المدينة للحجّ وتواعدنا مع رسول الله (ص) العقبة أواسط أيام التشريق، وخرجنا بعد مضيّ ثلث الليل متسلّلين مستخفين حتّى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وأمراًتان، فجاء رسول الله (ص) ومعه عمّه العباس، فتكلّم رسول الله (ص) فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثمّ قال:

«أبايعكم على أن تمنعوني عما تمنعون نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: نعم والذي بعثك بالحقّ لنمنعنك عما تمنع به أُرُزنا^(٧)، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب

فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال حبّالاً، وإنّا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله (ص) ثمّ قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم . . . أي: ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم».

وقال رسول الله (ص): «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فقال رسول الله (ص): «أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠ - ٤٢.

(٧) أُرُزنا: نساؤنا، والمرأة يكتى عنها بالازار.

الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي، يعني: المسلمين. قالوا: نعم.

وآختلفوا فيمن كان أول من ضرب على يده، أسعد بن زرارة أم أبو الهيثم ابن التيهان^(٨).

٣ - بيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة

في سنة سبع من الهجرة، استنفر رسول الله (ص) أصحابه للعمرة فخرج معه ألف وثلاثمائة، أو ألف وستائة، ومعه سبخون بدنة، وقال: لست أحمل السلاح، إنما خرجت معتمراً. وأحرموا من ذي الحليفة، وساروا حتى دنوا من الحديبية على تسعة أميال من مكة، فبلغ الخبر أهل مكة فراعهم، وأستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدموا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد أو عكرمة بن أبي جهل، فاستعد لهم رسول الله (ص) وقال: إن الله أمرني بالبيعة. فأقبل الناس يبايعونه على ألا يفروا، وقيل: يابعهم على الموت، وأرسلت قريش وفدًا للمفاوضة، فلما رأوا ذلك تهيأوا وصالحوا رسول الله (ص) . . . ^(٩).

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول (ص) وهي:

أ - البيعة على الإسلام.

ب - البيعة على إقامة الدولة الإسلامية.

ج - البيعة على القتال.

والبيعة الثالثة تجديد للبيعة الثانية، وذلك لأن الرسول (ص) كان قد أستنفرهم للعمرة. وبعد تبدل الحالة من العمرة إلى القتال، كانت الحالة

(٨) سيرة ابن هشام ٤٧/٢ - ٥٦.

(٩) إمتاع الأسباع للمقرئ ص ٢٧٤ - ٢٩١.

الحادثة مخالفة للعمل الذي استنفرهم له وخرجوا من أجله، فكأنه كان مخالفاً لما عاهداهم عليه، فلذلك أحتاج إلى أخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد، وفعل ذلك وأعطى ثمرة في إرعاب أهل مكة، وحصول النتيجة المطلوبة.

ونختم البحث بستَ روايات وردت في البيعة وطاعة الإمام :

١ - روى ابن عمر قال : كنا نبايع رسول الله (ص) على السَّمع والطَّاعة ثمَّ يقول لنا : «فما أستطعت»^(١٠).

٢ - وفي رواية، وقال عليّ : «ما استطعتم»^(١١).

٣ - وفي رواية، وقال جرير : قال : «قل : في ما استطعت»^(١٢).

٤ - وروى الهرماس بن زياد قال : مددت يدي إلى النبي (ص) وأنا غلام لبياعي، فلم يبايعني^(١٣).

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) :

«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١٤).

(١٠) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح ٥، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب البيعة على السمع والطاعة في ما أستطاع، ح ٩٠، وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(١١) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(١٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح ٥.

(١٣) البخاري كتاب الأحكام، باب بيعة الصغير. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب بيعة الغلام.

والهرماس بن زياد، أبو حيدر البصري الباهلي : من قيس عيلان . مات باليهامة بعد المائة . راجع ترجمته بأسد الغابة، وتقريب التهذيب .

(١٤) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح ٣. وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح ١٨٣٩.

٥ - وعن ابن مسعود قال :

قال (ص) : «سيلي أموركم بعدي رجال يطفشون السنّة ويعملون بالبدعة، ويؤخّرون الصلاة عن مواقيتها». فقلت: يا رسول الله! إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال: «تسألني يا ابن أمّ عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله» (١٥).

٦ - وعن عبادة بن الصامت في حديث طويل آخره:

«فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم» (١٦).

وفي رواية:

«لا تضلوا بربكم» (١٧).

يتّضح لنا من دراسة البيعة في سنّة الرسول (ص) أن للبيعة ثلاثة أركان:

أ - المبايع.

ب - المبايع له.

ج - المعاهدة على الطّاعة للقيام بعمل ما.

وتقوم البيعة أولاً على تفهّم ما يطلب الطّاعة على القيام به، ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفيّة الواردة في السنّة، والبيعة على هذا مصطلح شرعيّ، غير أنّ شروط تحقّق البيعة المشروعة في الإسلام غير

وسنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، ح ٢٨٦٣. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية. ومسند أحمد ١٧/٢ و١٤٢.

(١٥) سنن ابن ماجة ٢/٩٥٦، ح ٢٨٦٥. ومسند أحمد ١/٤٠٠ وفي لفظ: ليس طاعة لمن عصى الله.

(١٦) مسند أحمد ٥/٣٢٥ عن عبادة بن الصامت أنّه روى الحديث في دار عثمان عندما شكاه معاوية إلى عثمان فجلبه عثمان إلى المدينة، ويختصر الحديث برواية عبادة في ص ٣٢٩ منه.

(١٧) تهذيب تاريخ ابن عساکر ٧/٢١٥.

واضحة لكثير من المسلمين اليوم، فنقول:

تنعقد البيعة في الإسلام إذا توفرت فيها الشروط الثلاثة التالية:

أ - أن يكون المبايع عن تصحّ منه البيعة، ويبايع مختاراً.

ب - أن يكون المبايع له ممن تصحّ مبايعته.

ج - أن تكون البيعة لأمر يصحّ القيام به.

وعلى ما بيّنا لا تصحّ البيعة من صبي أو مجنون، لأنها غير مكلفين بالأحكام في الإسلام، ولا تنعقد بيعة المكروه، لأنّ البيعة مثل البيع، فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظلّ السيف.

وكذلك لا تصحّ البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصحّ البيعة للقيام بمعصية الله. إذن فالبيعة مصطلح إسلامي، ولها أحكامها في الشرع الإسلامي.

الخلاصة:

البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع. وفي الإسلام أمانة على معاهدة المبايع المبايع له على أن يبذل له الطاعة في ما تقرر بينهما، ولا تنعقد إذا لم تتوفر شروطها: فلأنها لا تصحّ من صبي أو مجنون، ولا تنعقد البيعة من مكروه ولا تصحّ للمتجاهر بالمعصية ولا تصحّ للقيام بمعصية الله.

وقد بايع رسول الله (ص) على الإسلام أولاً، وعلى إقامة الدولة الإسلامية ثانياً، كما بايع المسلمين على القتال، وأشار الله سبحانه وتعالى إلى الأخير في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح / ١٠.

ثالثاً - الخليفة وخليفة الله في الأرض

أولاً - الخليفة والخلافة

الخلافة في لغة العرب : النيابة عن الغير^(١٨).

والخلافة : من يخلف غيره ، ويقوم مقامه ، ويسدّ مسدّه^(١٩).

وهذا المعنى ورد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى :

أ - في سورة الأعراف :

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ...﴾ (٦٩).

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ...﴾ (٧٤).

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ...﴾ (١٦٩).

ب - في سورة مريم :

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ...﴾ (٥٩).

ج - في سورة الأنعام :

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ...﴾ (١٣٢).

وكذلك ورد في غيرها ونظائرها من آيات كريمة .

وورد في المعنى اللغوي - أيضاً - في حديث الرسول (ص) في قوله :

«اللَّهُمَّ أَرْحِمْ خُلَفَائِي ، اللَّهُمَّ أَرْحِمْ خُلَفَائِي ، اللَّهُمَّ أَرْحِمْ خُلَفَائِي» .

قيل له : يا رسول الله (ص) من خلفاؤك ؟

قال : «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي»^(٢٠).

وأستعمل - أيضاً - في المعنى اللغوي في عصر الصحابة كالآتي :

١٨) مفردات الراغب ، مادة : (خلف) .

١٩) نهاية اللغة ، لابن الأثير ، ولسان العرب ، مادة (خلف) .

٢٠) وسباني تفصيل مصادر هذا الحديث في الجزء الثاني .

أ - على عهد الخليفة الأول :

قال ابن الأثير في نهاية اللّغة :

وفي حديث أبي بكر، جاءه أعرابي فقال له : أنت خليفة رسول الله؟
فقال : لا .

فقال : ما أنت؟

قال : أنا الخالفة من بعده .

قال ابن الأثير: الخالفة: الَّذِي لَا غَنَاءَ وَلَا خَيْرَ فِيهِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَوَاضَعًا... (٢١).

ب - على عهد الخليفة الثاني :

روى السيوطي (ت : ٩١١هـ) في تاريخه وقال : (فصل في نبذ من أخباره وقضاياه) أخرج العسكري في (الأوائل) والطبراني في (الكبير) والحاكم في (المستدرک) : «أَنَّ عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حنيفة : لأي شيء كان يكتب : «من خليفة رسول الله (ص)» في عهد أبي بكر؟ ثم كان عمر يكتب أولاً : «من خليفة أبي بكر»، فمن أول من كتب : «من أمير المؤمنين؟» فقال : حدثني الشفاء - وكانت من المهاجرات - أَنَّ أبا بكر كان يكتب : من خليفة رسول الله ، وكان عمر يكتب : من خليفة خليفة رسول الله ، حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جليدين يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث إليه ليبد بن ربيعة وعدي بن حاتم ، فقدمَا المدينة ، ودخلا المسجد ، فوجدا عمرو بن العاص ، فقالا : إستاذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال عمرو : أنتم والله أصبتمَا اسمه . فدخل عليه عمرو ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال : ما بدا لك في هذا الاسم؟ لتخرجنَّ مِمَّا

(٢١) وعن ابن الأثير نقل ذلك في لسان العرب .

قلت . فأخبره وقال : أنت الأمير ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ .

وروى عن التّووي في تهذيبه ، وقال :

قال عمر للناس : أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فسُمي أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله ، فعدلوا عن تلك العبارة لطلوها^(٢٢) .

(٢٢) تاريخ السيوطي ، ط . مطبعة المعادة بمصر ، ١٣٧١هـ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .
والحاكم في المستدرک ٨١/٣ - ٨٢ . والأوئل للعسكري ص ١٠٣ - ١٠٤ .

ثانياً: خليفة الله في الأرض:

١ - في المصطلح الإسلامي:

ورد «خليفة الله في الأرض» في المصطلح الإسلامي بمعنى من أصطفاه الله من البشر وجعله إماماً للناس وحاكماً.

وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (٣٠).

وفسر بعضهم الآية بأن الله تعالى جعل آدم (ع) خليفة في الأرض؛ وفسرها آخرون بأن الله تعالى جعل نوع الإنسان خليفة في الأرض، ويؤيد التفسير الأول قوله تعالى في سورة (ص):

﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٢٦).

فإنه لو كان معنى الآية الأولى: إن الله جعل نوع الإنسان خليفة في الأرض فلا معنى عندئذ لتخصيص داود (ع) بجعله خليفة الله في الأرض من بين نوعه الإنساني الذي كان الله قد جعله خليفة في الأرض قبل داود (ع) ومع داود (ع) ويَعده.

وقد استعمل خليفة الله بهذا المعنى في روايات أئمة أهل البيت (ع) (٣٣).

جعل الله خلفاءه أئمة للناس:

وقد جعل الله تعالى خلفاءه في الأرض أئمة للناس وآتاهم الكتاب والنبوة، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب في سورة الأنبياء وقال:

﴿... وَكَلَّأَ جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ

(٢٣) راجع البحار (٢٦/٢٦٣) الحديث (٤٧) نقلاً عن كنز الفوائد للكراجكي، والكافي (٢٠٠/١)، ومن لا يحضره الفقيه (٢/٣٦٩ و٣٧١).

فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴿ (٧٢ - ٧٣) .

وقال جل ذكره في سورة الأنعام :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ . . . * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ . . . * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * . . . وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * . . . أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ﴾ (٨٣ - ٨٩) .

إِذَا فَإِنَّ مَنْ جَعَلَهُ اللهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ، جَعَلَهُ - أَيْضاً - إِمَاماً لَهُمْ يَهْدِيهِمْ بَكْتَابِ اللهِ وَيُبَلِّغُهُمْ شَرِيعَتَهُ . وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ أَهْمُ وَظَائِفِ خُلَفَاءِ اللهِ التَّبْلِيغُ . كَمَا وَرَدَ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

أ - فِي سُورَةِ النُّحْلِ :

﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥) .

ب - فِي سُورَةِ النُّورِ (٥٤) وَسُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ (١٨) :

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ .

ج - وَأَمْثَالُهَا فِي سُورِ :

آلِ عِمْرَانَ (٢٠) ، وَالْمَائِدَةِ (٩٢ ، ٩٩) ، وَالرَّعْدِ (٤٠) ، وَإِبْرَاهِيمَ (٥٢) ،

وَالنُّحْلِ (٣٥) ، وَالشُّورَى (٤٨) ، وَالْأَحْقَافِ (٣٥) ، وَالتَّغَابُنِ (١٢) .

ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَبْلُغُ عَنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رَسُولٌ يُوْحَى إِلَيْهِ ، أَوْ وَصِيٌّ عَيْنَهُ اللهُ لِذَلِكَ . كَمَا نَجِدُ مَثَلاً لَهُ فِي خَبَرِ تَبْلِيغِ الْآيَاتِ الْعَشْرِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ بَرَاءَةِ كَالآتِي تَفْصِيلُهُ :

أ - فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ وَاللَّفْظُ لِمُسْنَدِ أَحْمَدَ قَالَ :

«عَنْ عَلِيٍّ قَالَ :

لَمَّا نَزَلَتْ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ بَرَاءَةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا النَّبِيَّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثُمَّ دَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي:

أَدْرِكْ أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فأذهب به إلى أهل مكة فأقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! نَزَلَ فِي شَيْءٍ؟ قَالَ: لَا. وَلَكِنْ جَبْرِئِيلُ جَاءَنِي فَقَالَ: لَنْ يُؤْذِيَ عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ^(٢٤).

ب - في تفسير السيوطي عن أبي رافع قال:

بعث رسول الله (ص) أبا بكر (رض) ببراءة إلى الموسم، فأتني جبرئيل عليه السلام فقال: إِنَّهُ لَنْ يُؤْذِيَهَا عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ، فبعث عليّاً رضي الله عنه على أثره حتّى لحقه بين مكة والمدينة فأخذها فقرأها على الناس في الموسم^(٢٥).

ج - وفي رواية أخرى عن سعد بن أبي وقاص قال:

«إِنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) بعث أبا بكر (رض) ببراءة إلى أهل مكة، ثُمَّ بعث عليّاً (رضي الله عنه) على أثره فأخذها منه. فَكَانَ أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال النبي (ص) يا أبا بكر! إِنَّهُ لَا يُؤْذِي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي»^(٢٦).

في هذا الخبر أرسل الرسول (ص) صحابته أبا بكر لتبليغ عشر آيات من صدر البراءة إلى المشركين في حجّ العام التاسع للهجرة، فأتاه جبرئيل - أمين

٢٤) مسند أحمد (١/١٥١)، وتحقيق أحمد محمد شاكر (٢/٣٢٢) الحديث ١٢٩٦، وفي الدر المنثور للسيوطي (٣/٢٠٩)، وفيه عن أنس بن مالك وسعد بن أبي وقاص، وجاء في لفظ سعد: «... فَكَانَ أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال النبي (ص) يا أبا بكر! إِنَّهُ لَا يُؤْذِي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي».

٢٥) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/٢١٠.

٢٦) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٠٩.

وحي الله - وقال له : إنه لن يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك . أي إن تبليغ عشر آيات من سورة البراءة للمخاطبين بها مباشرة وظيفة تبليغية خاصة بالرسول ، ولن يؤدي هذه الوظيفة عن الرسول إلا هو أو رجل منه وهو علي بن أبي طالب وصيه على شريعته . كما ستأتي الروايات في تعيين الوصي للرسول (ص) في بحث الوصية إن شاء الله تعالى ، ومن ثم ندرك أنّ التبليغ عن الله مباشرة ووظيفة وولاية للرسول ووصيه .

يؤتي الله خلفاءه ما يعجز عنه البشر
أحياناً تقتضي حكمة الله أن يأتي خليفته - الذي جعله إماماً للناس ومبلغاً لكتابه وشريعته - بآية تدلّ على صدقه في ما يبلغ عن الله ، وتسمى تلك الآية في العرف الإسلامي بالمعجزة ؛ لعجز البشر عن الإتيان بمثلها .
كما أخبر الله تعالى عن بعض ما أتى به رسوله موسى وعيسى (ع) وقال في خبر ما أتى به كلمه موسى عليه السلام :

أ - في سورة الاعراف :

﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٠٧) .

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (١٠٨) .

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (١١٧) .

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجْسًا ۚ قَالَ لَهُمْ كَلَّ أَنْفُسٌ مِنْهُمْ﴾ (١٦٠) .

ب - في سورة الشعراء :

﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٢) .

﴿فَالْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥) .

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كالطود العظيم ﴿ (٦٣) .

وأخبر جيل ذكره عما أتى رسوله عيسى بن مريم (ع) في سورة المائدة، فقال تعالى:

﴿ ... إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني ... ﴾ (١١٠).

وفي سورة آل عمران حكى عن عيسى (ع) أنه قال:

﴿ ... وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ... ﴾ (٤٩).

وأخبر تعالى عن ما أتى داود وسليمان الوصيين على شريعته في سورة الأنبياء وقال عز اسمه:

﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ... ﴾ (٧٩).

﴿ وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره ... ﴾ ومن الشياطين من يقفون له ويعملون عملاً دون ذلك ... ﴿ (٨١ - ٨٢).

وليس من الضروري أن يؤتي الله جميع الأئمة جميع المعجزات كما لم يذكر سبحانه عن هود ولوط وشعيب أنه آتاهم معجزات موسى وعيسى وداود وسليمان صلوات الله عليهم أجمعين، وكذلك لم يمكن الناس بعض الرسل من أن يحكموا بينهم بالعدل، وكذلك لم يتسن للرسول موسى (ع) ولخاتم الرسل محمد (ص) أن يحكما بين الناس في أول أمرهما، بينما هم أئمة خلفاء من بعده تكليفهم بالتبليغ. إذاً فإن الخلافة والإمامة ملازمتان لتعيين الله صفيّاً من أصفائه لتبليغ كتابه ودينه، وليستا ملازمتين للحكم بين الناس وإتيان المعجزات. وبناءً على ذلك فإن خليفة الله هو المبلغ عن الله.

كان ذلكم معنى خليفة الله في كتاب الله .
وورد معنى خليفة الرسول (ص) في حديث الرسول (ص) كالآتي :
«اللهم أرحم خلفائي ، اللهم أرحم خلفائي ، اللهم أرحم خلفائي» .
قيل له : يا رسول الله ! من خلفاؤك ؟
قال : «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي»^(٢٧) .
إذا فإن خليفة الله هو الذي عينه الله لتبليغ شريعته ، وخليفة الرسول هو
الذي يقوم بتبليغ حديث الرسول وسنته من تلقاء نفسه .
كذلك استعمل مصطلحا خليفة الله وخليفة الرسول في الكتاب والسنة
واستعملا في مصطلح المسلمين كالآتي بيانه :

٢ - الخليفة وخليفة الله في مصطلح المسلمين :
مرّ بنا في بحث معنى الخليفة اللغوي أن أبا بكر كان يسمّى بخليفة رسول
الله (ص) وعمر بخليفة خليفة رسول الله (ص) ، وأنه سمي بعد ذلك بأمر
المؤمنين ، وبقي ذلك متداولاً إلى آخر الخلفاء العثمانيين ، وإلى جانب ذلك
سمّي الحاكم الإسلامي الأعلى بما يأتي :

أ - في العصر الأموي والعباسي :
نعرف أتباع مدرسة الخلفاء منذ العصر الأموي وإلى العصر العباسي على
تسمية الحاكم الأعلى بخليفة الله .
فقد قال الخجاج في خطبة صلاة الجمعة :
فأسمعوا وأطيعوا خليفة الله وصفيه عبد الملك بن مروان^(٢٨) .

(٢٧) راجع مصادره في المجلد الثاني من هذا الكتاب (ط٣ ، ص ٥٨ - ٥٩) .

(٢٨) سنن أبي داود ٢ / ٢١٠ ، ح ٤٦٤٥ باب في الخلفاء .

ولمّا قبل في مجلس المهديّ العباسيّ: إنّ الخليفة الأموي الوليد كان زنديقاً،
قال المهدي :

خلافة الله عنده أجلّ من أن يجعلها في زنديق^(٣٩).

وأشتهر ذلك على لسانهم في العصر الأموي والعصر العباسي، وورد ذكره
في شعر الشعراء، كما قال جرير في قصيدة أنشدها في الخليفة عمر بن عبد
العزیز وقال :

خليفة الله ماذا تأمرون بنا لسا إليكم ولا في دار منتظر^(٣٠)
وإنّ عمر بن عبد العزيز مع أشتهاره بالتدين لم ينكر ذلك من قول جرير.

وقال - أيضاً - مروان بن أبي حفصة (ت : ١٨٢) في الخليفة أبي جعفر
المنصور في قصيدته التي مدح بها معن بن زائدة الشيباني (ت : ١٥١هـ) حيث
قال :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وفاء من وقع كلّ مهئد وسنان^(٣١)

ب - في العصر العثماني :

في عصر العثمانيين استعمل لفظ الخليفة اسماً لسلطان المسلمين
الأعظم^(٣٢). بدون إضافة إلى (الله) أو (الرسول).

(٢٩) تاريخ ابن الأثير ٧/١٠ - ٨.

(٣٠) شرح شواهد المغني للسيوطي، ط. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧/١.

(٣١) الكنى واللقاب للقمي ٢٥٢/١.

(٣٢) راجع المعجم الوسيط، مادة (خلف).

ج - في عصرنا:

اشتهر في عصرنا أَنَّ المقصود في قوله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أَنَّ الله تعالى جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض^(٣٣). وبناءً عليه يكون معنى (خليفة الله في الأرض) نوع الإنسان، ومعنى (استخلف) و(يستخلف) وغيرهما ممَّا ورد من مادة (خلف) استخلاف نوع الإنسان، واشتهر - أيضاً - أن المقصود في تسمية الحاكم الأعلى للمسلمين بالخليفة إلى آخر عصر الخلافة العثمانية أَنَّهُ خليفة رسول الله (ص) في الحكم على المسلمين. وعليه يكون معنى (الخليفة) خليفة رسول الله (ص)، ويصفون الخلفاء الأربعة بعد رسول الله (ص) بالراشدين دون من جاء بعدهم إلى آخر العثمانيين، واشتهرت هذه التسمية بين المسلمين حتَّى اليوم.

انتقال مصطلح الخليفة من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) جرى بعد الرسول (ص) كل ذلك التبديل لمعنى (الخليفة) و(خليفة الله في الأرض) في مدرسة الخلفاء.

٣٣ قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾:

(وَإِذْ فِيهِ الْمِثْقَةُ الْعُلْيَا نريد أن تسلّم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده. . . .)

وَإِذْ فَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ، مَنْزِلَةُ هَذَا الْإِنْسَانِ فِي نِظَامِ هَذَا الْوُجُودِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْقَسِيحَةِ. تفسير في ظلال القرآن (١/ ٦٥ - ٦٦).

ويرى مؤلف كتاب (خليفة) وسلطان و. و. يارتولد، ترجمة ابزدي. ط. طهران ١٣٥٨، ص ١٦. أن هذا المعنى قد تسرّب إلى المجتمعات الإسلامية من أفكار أهل الكتاب. راجع الملحق رقم (١) في آخر الكتاب.

وفي مدرسة أهل البيت (ع) ورد لفظ (خليفة الله في الأرض) في روايات أئمة أهل البيت (ع) بمعنى المصطلح الإسلامي كما أشرنا إليه .

وَأنتقل مصطلح (الخليفة) بمعنى : خليفة رسول الله (ص) من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) منذ القرن الخامس الهجري وحتى اليوم . وأستندت مدرسة الخلفاء إلى عدم ورود (الخليفة) بالمعنى الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) في حديث الرسول (ص)، وقالوا: إِنَّ الرسول (ص) ترك أُمَّته هَمَلًا ولم يعين المرجع من بعده .

وفي مقام الردّ عليهم أستند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام علي وصياً من بعده وقالوا: إن الرسول (ص) عبَّه خليفة من بعده بالمعنى الذي أستخدمناه للخليفة بعد الرسول (ص) ولم يترك أُمَّته هَمَلًا^(٣٤) .

جرى كل ذلك من أتباع المدرستين غفلة منهم عن أن المصطلح الذي أحدثته مدرسة الخلفاء بعد الرسول (ص) لم يكن ليأتي في حديث الرسول (ص) .

الخلاصة:

أ - خليفة الشخص في اللغة : من يقوم بعمله في غيابه، وقد ورد بالمعنى اللغوي في القرآن وحديث الرسول (ص) ومحاورات الصحابة .

ب - خليفة الله في الأرض في المصطلح الإسلامي : من عبَّه الله تعالى لتبليغ شريعته أخذاً من الوحي أو من الرسول (ص)، وللحكم بين الناس، ويؤتي بعضهم ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وقد ورد بهذا المعنى في القرآن

(٣٤) نجد بعض تلك الأدلة في كتاب (الالفين) للعلامة الحلي (ره) .

وروايات أئمة أهل البيت (ع).

ج - خليفة الرسول في حديث الرسول (ص): من يقوم بتبليغ حديثه
وسته.

د - في مصطلح المسلمين سُمِّي أبو بكر بخليفة رسول الله (ص)، وسُمِّي
عمر بخليفة خليفة رسول الله، ثم سُمِّي عمر بأمير المؤمنين وبقيت هذه التسمية
للمحاكم الإسلامي الأعلى إلى آخر الخلفاء العثمانيين، وفي العهدين الأموي
والعباسي أُضيف إلى ذلك تسميته بخليفة الله، وإلى جانب ذين الاسمين
أشتهرت تسمية الحاكم الأعلى في العهد العثماني بـ (الخليفة) أي خليفة
الرسول، وانتشرت هذه التسمية لدى المسلمين بعد العهد العثماني حتى اليوم،
وقيل لجميع من ولي الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة) أي
خليفة الرسول (ص)، وسُمِّي الخلفاء الأربعة بعد الرسول (ص) بـ (أحمد
الراشدين)، وانتقل مصطلح (الخليفة) إلى أتباع مدرسة أهل البيت.

وسُمُّوا من ولي الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة). وقد
أدت الغفلة عن هذا الأمر إلى التشويش على المسلمين فأشتهر لدى مدرسة
الخلفاء أن الرسول (ص) ترك أُمَّته هملاً ولم يعين المرجع من بعده لأن المصطلح
الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) لم يرد في حديث الرسول (ص)، وأستند
أتباع مدرسة أهل البيت إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام علي
وصياً بعده، وقالوا: إن الرسول (ص) عيَّن خليفة للمسلمين بالمعنى الذي
استحدثه المسلمون للخليفة بعد الرسول (ص)، وأشتدَّ الخلاف بين المسلمين
في هذا الأمر.

وسياتي البحث في ما فعله الرسول (ص)، وما قاله في هذا الصدد بما
يكشف عن حقيقة الأمر، بُعيد هذا إن شاء الله تعالى.

رابعاً - أمير المؤمنين

تمّ أوردنا سابقاً عرفنا أن لفظ أمير المؤمنين أستعمل منذ عصر الخليفة عمر ابن الخطاب وأريد به الحاكم الإسلامي الأعلى ، وبقي متداولاً كذلك إلى عصر العثمانيين .

خامساً - الإمام

الإمام في اللغة : الإنسان الذي يؤتمّ به ويقتدى بقوله أو فعله محققاً كان أو مبطلاً^(٣٥) ، كما ورد في قوله تعالى :

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِيَّ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَاُولَئِكَ يَلْقَآوْنَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئاً ۚ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾
الإسراء / ٧١ - ٧٢ .

ومن الثاني ما ورد ذكره في قوله تعالى :

﴿فَقَاتِلُوا أُمَمَةَ الْكَفَرِ إِنَّهُمْ لَا آيَانَ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾ التوبة / ١٢ .
والإمام في الإسلام هو الهادي إلى سبيل الله بأمر من الله إنساناً كان كما ورد ذكره في قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَبْلَىٰ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة / ١٢٤ .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا . . .﴾ الأنبياء / ٧٣ .

أو كان كتاباً كما ورد ذكره في قوله تعالى :

﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ هود / ١٧ .

وندرك من فحوى الآيتين المذكورتين أعلاه ان شرط الإمام في الإسلام إن كان كتاباً أن يكون منزلاً من قبل الله على رسوله لهداية الناس كما كان شأن

(٣٥) راجع مادة (إم) في معاجم اللغة .

كتاب محمد (ص): القرآن الكريم، ومن قبله كتاب موسى: التوراة، وكذلك شأن كتب سائر الأنبياء^(٣٦).

وإن كان إنساناً أن يكون معيّنًا من قبل الله لقوله تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ و﴿عهدي﴾. وأن يكون غير ظالم لنفسه ولا لغيره أي غير عاصٍ لله لقوله تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾.

وفي ضوء ما سبق يصحّ القول بأن الإمام في الاصطلاح الإسلامي هو:
أ - الكتاب المنزل من قبل الله على رسوله هداية للناس.
ب - الإنسان المعين من قبل الله هداية للناس وشرطه أن يكون معصوماً من الذنوب.

سادساً - الأمر وأولو الأمر
لمعرفة معنى (الأمر) و(أولي الأمر) وهل هما مصطلحان شرعيّان أم لا؟ نستعرض في ما يلي موارد استعمالهما في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الإسلامية كتاباً وسنةً، فنقول:

أ - في لغة العرب
ورد في سيرة ابن هشام، والطبري، وغيرهما، أن رسول الله كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، يدعوهم إلى الإسلام، ويخبرهم أنه نبي مرسل من قبل الله، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعث به. قال: وإنه أتى بني عامر بن صعصعة ذات مرة فدعاهم إلى الله عز وجل،

(٣٦) راجع مادة: (الكتاب) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له ببحرة بن فراس^(٣٧): والله لو
أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب. ثم قال له: أرايت إن نحن
تابعنك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أليكون لنا الأمر من بعدك؟
قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» قال: فقال له: أفنُهدف نحورنا^(٣٨)
للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك^(٣٩).



إنّ هذا العربي كان يفهم (أمر رسول الله (ص)) على أنه سيادة وحكم
على العرب، فأراد أن يعقد مع الرسول (ص) حلفاً يكون لقبيلته الحكم
والسيادة على العرب من بعد الرسول (ص)، لكنّ الرسول (ص) امتنع من
إجابته رغم حاجته الشديدة يومذاك إلى المؤازرين، لأنّ الأمر ليس إليه وإنّما
الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء.

وكذلك كان شأن هوزة بن عليّ الحنفي في طلبه من الرسول (ص) حين
دعاه الرسول (ص) إلى الإسلام كما في طبقات ابن سعد، ما ملخصه:

كتب رسول الله (ص) إلى هوزة بن عليّ الحنفي يدعوه إلى الإسلام،
فكتب في جواب النبيّ (ص): ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي
وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك، فقال
النبيّ (ص): «لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت»^(٤٠).

(٣٧) قال ابن هشام: فراس، ابن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر
ابن صعصعة. سيرة ابن هشام ٣٣/٢.

(٣٨) (أفهدف نحورنا) معناه نصيرها هدفاً، والهدف: الغرض الذي يرمى بالسهم إليه.

(٣٩) سيرة ابن هشام ٣١/٢ - ٣٤. والطبري، ط. أوربا ١٢٠٥/١ - ١٢٠٦.

(٤٠) طبقات ابن سعد، ط. أوربا ١/١ ق/ ١٨.

نرى أن الرسول (ص) قصد من (سيابة): الأرض المهملة. إذن فقد طلب هوة من الرسول (ص) أن يجعل له بعض الأمر: إمارة ما على أرض أو قبيلة وما شابهها، فأجابه الرسول (ص) أنه لا يؤمره ولا على سيابة من الأرض، وهذا القول من الرسول (ص) نظير قول أهل الكوفة أو البصرة عندما وظّف واليهم على كلّ واحد منهم نقل كمية من الحصباء إلى مسجدهم الجامع ليفرشه بالحصباء، وأمر عليهم أحدهم وكان يتصعّب في قبول الحصباء منهم، فقالوا: يا حبيدًا الإمارة ولو على الحجارة! وكذلك الأمر في الخبر السابق، فإن هوة طلب من الرسول الإمامة (ولو على الحجارة) فأجابه الرسول (ص): لا، ولا على الحجارة.

ب - في عرف المسلمين:

كان أكثر استعمال (الأمر) في عرف المسلمين يوم السقيفة وما بعدها، قال سعد بن عبادَةَ للأَنْصار يوم السقيفة:

(استَبَدُّوا بهذا الأمر دون الناس . . .).

وأجابته الأنصار بقولهم: (نوليك هذا الأمر).

ثمّ ترادوا الكلام وقالوا: (فان أبت مهاجرة قريش فقالوا: . . . نحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر من بعده؟ . . .).

وقال أبو بكر في احتجاجه عليهم يومذاك: (ولن يُعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحَيّ من قريش . . .).

وقالوا في السيابة: واحدة السياب: البسر الأخضر، وعلى هذا لم يكن من المناسب أن يقول ولا سيابة أي لا بسر من الأرض بل كان المناسب أن يقول ولا بسر من الثمر. ونرى أن السيابة مشتقة من السيب وهو كلّ سيب وخلي، ومنه السائبة: أي الدابة المهملة، ويكون المعنى: الأرض الخالية والمتركة.

وقال - أيضاً - في قریش: (هم أحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلّا ظالم).

وقال عمر - أيضاً - يوم السقيفة: (من ذا ينازعنا سلطان عمّد وإمارته ونحن أهلّه وعشيرته).

وقال الحُباب بن المنذر في جوابه: (لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر... فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر...).

وقال بشير بن سعد عندئذ في حقّ قریش: (لا يراي الله أنازعهم هذا الأمر أبداً)^(٤١).

ج - في النصوص الإسلامية:

لقد جاء في حديث الرسول ذكر (الأم) كثيراً ممّا سندرسه في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى. ونكتفي هنا بتسجيل كلمة الرسول (ص) في جواب العامري:

«إن الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء».

وقد ورد في كتاب الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾
النساء/ ٥٩.



في كلّ هذه الموارد سواء في لغة العرب، وعرف المسلمين، والنصوص الإسلامية سنّة وكتاباً، إنّما أريد من (الأم) أمر الإمامة والحكم على المسلمين. وعلى هذا فإنّ (الأم) أستعمل في الشرع الإسلامي بنفس المعنى الذي

(٤١) كل هذه المحاججات جاءت في خبر السقيفة بتاريخ الطبري، ط. أوربا ١/ ١٨٣٧.

استعمل فيه لدى العرب والمسلمين، ولا مانع بعد ذلك أن نسمي (أولي الأمر) مصطلحاً شرعياً وتسمية إسلامية وأنه أريد به الإمام بعد النبي (ص)، ولا خلاف في ذلك، ولكن الخلاف بين المدرستين في من يصدق عليه تسمية أولي الأمر، فإن مدرسة أهل البيت (ع) ترى أنه لما كان المقصود من أولي الأمر: الأئمة، فلا بد أن يكون منصوباً من قبل الله، معصوماً من الذنوب على التفصيل الذي سيأتي بيانه في بابهِ إن شاء الله .

وترى مدرسة الخلافة أن (أولي الأمر) : من بايعه المسلمون بالحكم . وبناءً على ذلك يرون وجوب طاعة كل من بايعوه، وعلى هذا الأساس أطاعوا الخليفة يزيد ابن معاوية فقتلوا وسبوا آل بيت رسول الله (ص) بكر بلاء، وأباحوا مدينة الرسول (ص) ثلاثة أيام، ورموا الكعبة بالمنجنيق، كما سيأتي بيانه في محله إن شاء الله تعالى .

سابعاً - الوصي والوصية

ورد مصطلح الوصي والوصية ومشتقاتها في كلام العرب بالمعاني الآتية :
يقال لإنسان حيّ يعهد لإنسان آخر أن يقوم بأمر يهّمه بعد وفاته :
الموصي، وللآخر: الوصي، وللأمر الموصى به: الوصية؛ وتجري الوصية بلفظ الوصية ومشتقاتها تارةً مثل أن يقول الموصي لوصيته : أوصيك بعدي برعاية أهلي أو إدارة مدرستي، وأن تفعل كذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤذي معنى الوصية، مثل أن يقول الموصي لوصيته : أطلب منك أن تقوم بعدي برعاية أهلي وإدارة مدرستي وتفعل كذا وكذا

ويُخبر الموصي الآخرين عن وصيته أحياناً بلفظ : أوصيتُ إلى فلان، ووصي فلان، وأخرى يقول : عهدت إلى فلان، أو : أوكلت إليه أن يقوم بكذا، وكلا اللفظين يؤيدان معنى واحداً، وهكذا نظرهما .

كان هذا موجز معنى مصطلح الوصي والوصية ومشتقاتها في لغة العرب،
وبنفس المعنى وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ قال الله
سبحانه في سورة البقرة الآيات ١٨٠ - ١٨٢ :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ﴾ - إلى قوله
تعالى - : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جُنْأً أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ وفي سورة المائدة
الآية ١٠٦ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ
ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ . . . ﴾ وكذلك وردت في سورة النساء الآيتان ١١ و١٢ .

ومما ورد في السنة النبوية ما رواه كلٌّ من البخاري في أول كتاب الوصايا
من صحيحه، ومسلم في كتاب الوصية من صحيحه^(٤٢) .

إنَّ رسول الله (ص) قال: «ما حقَّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يوصي فيه أن
يبيت ليلتين إلَّا ووصيته مكتوبة عنده» .

وللوصية أحكامها في الفقه الإسلامي . وبناءً على ما ذكرنا فإن لفظي
الوصي والوصية من المصطلحات الإسلامية .

والوصية من الأنبياء والرسل كما سننقل أمثلة منها من التوراة والإنجيل أن
يعهد الرسل إلى أوصيائهم حمل شريعتهم بعدهم إلى الناس ورعاية أمتهم من
بعدهم .

وفي هذه الأمة فعل خاتم الأنبياء (ص) مثل من سبقه من الرسل وعهد
إلى الإمام عليّ (ع) تبليغ شريعته ورعاية أمته من بعده، وبواسطته عهد ذلك
إلى بنيه الأئمة الأحد عشر من بعده وأخبر النبي المسلمين بكل ذلك، تارةً بلفظ
الوصي والوصية ومشتقاتها، وأخرى بالفاظ أخرى تؤدي المعنى نفسه . فلُقِّبَ

(٤٢) صحيح البخاري ٨٣/٢ . وصحيح مسلم بشرح النووي ٧٤/١١ .

الإمام عليّ بلقب الوصيّ وأصبح علماً له ، كما سيأتي بيان كل ذلك في باب النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين وليّ الأمر من بعده مع بيان قول من أنكر ذلك ورأى أنّ رسول الله (ص) لم يهتم بأمر المسلمين ولم يوص إلى أحد من بعده ، إن شاء الله تعالى .



دراسة رأي مدرسة الخلفاء

بعد دراسة المصطلحات السبعة الماضية تيسّر لنا دراسة رأي المدرستين في الخلافة والإمامة وما استدّلوا به في هذا المقام ، ونبدأ بدراسة آراء مدرسة الخلافة في ما يأتي .

رأي مدرسة الخلافة وما استدّلوا به :

أولاً - قال الخليفة أبو بكر^(١) :

لن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين (عمر وأبي عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم .

ثانياً - قال عمر بن الخطاب^(٢) :

فلا يغترّن أمرؤ أن يقول إنّها كانت بيعة أبي بكر فلتة وثمت ، ألا وإنّها قد كانت كذلك ، ولكنّ الله وقى شرّها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرة أن يقتلا .

١ و ٢) البخاري ، كتاب الحدود ، باب رجم الحيل .

مناقشة الاستدلالين

أشرنا هنا أولاً إلى استدلال الخليفة أبي بكر في السقيفة، وثانياً إلى رفع الخليفة عمر شعار الشورى لولاية الأمر من بعده. أما ما كان من احتجاج الخليفة أبي بكر في السقيفة، فإن الحقيقة في أمر احتجاجات جميعهم يوم ذاك، هي أنها كانت تجري وفق المنطق القَبلي؛ فإن الأنصار لما تركوا جثان رسول الله (ص) ملقًى بين أهله، وبادروا إلى سقيفة بني ساعدة ليولّوا سعداً ما قالوا إنَّ سعداً أفضل من غيره وأولى بهذا الأمر، بل قالوا: إنَّ الناس في فيثكم ولا يجترئ مجترئ عليكم.

وإنَّ مهاجرة قريش - أيضاً - لما التحقوا بهم احتجّوا بالمنطق القَبلي حين قالوا: إنَّ قريشاً أوسط العرب داراً، وقالوا: من ذا ينازعنا سلطان محمّد ونحن أهله وعشيرته؟!

وكذلك كان قول الأنصاريّ حين قال: منّا أمير ومنكم أمير، وقول المهاجري حين قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وكذلك كان دافع أسيد بن حضير وسائر من حضر من أفراد قبيلته الأوس قَبلياً حين خافوا سلطة الخزرج عليهم، وتذكروا حرب البعاث بينهم، والتي لم يكن قد مضى عليها عقدان من الزمن وقالوا: والله لئن وليتها عليكم الخزرج مرة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر.

ومثّت الغلبة أخيراً لمهاجرة قريش بمجمعي قبيلة (أسلم) التي ملأت سكك المدينة، وبايعت أبا بكر ونصرت مهاجرة قريش على الأنصار. وحقّ للخليفة عمر بعد ذلك أن يعتبر بيعة أبي بكر فلتة؟



كانت هذه حقيقة تلك الواقعة مهما كان نوع الاستدلال فيها.

أما ما ذكره الخليفة عمر من أمر الشورى، فسندرسه بحوله تعالى ضمن دراسة آراء أتباع مدرسة الخلفاء في ما يأتي:

ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة:
تتلخص آراء مدرسة الخلفاء في شأن الخلافة وإقامتها في الأمرين التاليين:

أولاً - تقام الخلافة:

أ - بالشورى

ب - بالبيعة

ج - بآتباع ما عملته الصحابة في إقامتها

د - بالقهر والغلبة

ثانياً - يجب طاعة الخليفة بعد ما بويع، وإن عصى ربه.



بعد دراسة المصطلحات المذكورة تتيسر لنا دراستها واحدة بعد الأخرى في ما يأتي:

الأول - مناقشة الاستدلال بالشورى

إن أول من ذكر الشورى وأمر بها لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، غير أنه لم يأت بدليل على أن الإمامة في الإسلام تُقام بالشورى، واستدل المتأخرون من أتباع مدرسة الخلفاء على صحة إقامة الإمامة بالشورى بآيتين من كتاب الله، وبما جاء عن رسول الله (ص) أنه كان يستشير أصحابه في بعض الأمور المهمة، ويكلمة عن الإمام علي. ونحن نبدأ هنا بدراسة ما استدلوا به في هذا الصدد ثم ندرس الشورى التي أمر بها الخليفة عمر.

الاستدلال للشورى بكتاب الله وسنة رسوله

استدلوا:

- أ - بقوله تعالى للمؤمنين: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى/ ٣٨ .
- ب - بقوله تعالى لرسوله (ص): ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران/ ١٥٩ .
- ج - إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) كَانَ يَسْتَشِيرُ أَصْحَابَهُ فِي الْأُمُورِ الْمُهْمَّةِ ، فنقول:

أولاً - الاستدلال بآية ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ﴾

إِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْآيَةِ ٣٨ مِنْ سُورَةِ الشُّورَى جَاءَ بَعْدَهَا: ﴿وَمَا رِزْقَانَاهُمْ يَنْفَقُونَ﴾ . كِلْتَا الْجُمْلَتَيْنِ تَدْلَانِ عَلَى رَجْحَانِ الْفِعْلِ فِيهِمَا ، وَلَيْسَ عَلَى وَجُوبِ التَّشَاوُرِ وَالْإِنْفَاقِ .

هَذَا أَوَّلًا ، وَثَانِيًا إِنَّهَا يَصَحُّ التَّشَاوُرُ فِي أَمْرٍ لَمْ يَرِدْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ حُكْمٌ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ :

﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الأحزاب/ ٣٦ .

وَسَيَأْتِي بَعِيدُ هَذَا مَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (ص) فِي أَمْرِ الْإِمَامَةِ مَا لَا يَبْقَى مَعَهُ مَوْردٌ لِلتَّشَاوُرِ .

ثانيًا - الاستدلال بآية ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ التَّاسِعَةَ وَالْخَمْسِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ قَدْ وَرَدَتْ ضَمَّنَ سِلْسَلَةٍ مِنْ آيَاتِ ١٣٩ - ١٦٦ مِنْهَا ، وَكُلُّهَا فِي أَمْرِ غَزَوَاتِ الرَّسُولِ (ص) وَكَيْفِ نَصْرِهِمُ اللَّهَ فِيهَا ، وَفِي بَعْضِهَا يُخَاطَبُ الْمُسْلِمِينَ وَخَاصَّةً الْغَزَاةُ مِنْهُمْ وَيَعْظَمُهُمْ ، وَفِي بَعْضِهَا يُخَاطَبُ الرَّسُولَ (ص) خَاصَّةً وَمِنْ ضَمْنِهَا هَذِهِ الْآيَةُ :

﴿فبها رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إِنَّ الله يحب المتوكلين﴾ .

يظهر جلياً أَنَّ الأمر بالمشاورة في هذه الآية كان بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم ، ولم يكن أمراً بالعمل برأيهم ، بل قال له : فإذا عزمت فتوكل وأعمل برأيك . ويفهم من المجموع أيضاً أَنَّ مقام المشاورة الراجعة إِنما هو في الغزوات ، وما ذكره من مشاورة الرسول (ص) أصحابه أيضاً كانت في الغزوات كما سنذكرها في ما يأتي :

ثالثاً - الاستدلال بمشاورة الرسول (ص) أصحابه
إِنَّ مشاورة الرسول (ص) أصحابه كانت في الغزوات فقط ، كما صرح بذلك الصحابي أبو هريرة ، وقال :
فلم أر أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط^(٣) . وأشهرها مشاورته معهم في غزوة بدر ، وقصتها كما يأتي :

أ - غزوة بدر

ندب رسول الله (ص) أصحابه للتعريض لقافلة قريش التجارية الراجعة من الشام بقيادة أبي سفيان وخرج معه ٣١٣ شخصاً ممن استعدّ للاستيلاء على القافلة التجارية وليس للقتال ، وبلغ الخبر أبا سفيان فأنحرف في سيرة عن الطريق ، واستصرخ قريشاً بمكة فخرجت مستعدة للقتال في جيش يقارب الألف محارب ، وأفلت أبو سفيان والقافلة ، فكان الرسول (ص) أمام

(٣) كتاب المغازي للوافدي ٥٨٠ / ٢ . تحقيق الدكتور مارسدن جونس .

خيارين: التراجع إلى المدينة بسلام، أو مقاتلة جيش قريش المتأهب للقتال بجيشه غير المتكافئ عدداً وعدة.

تفصيل الخبر:

روى ابن هشام في سيرته وقال:

وأناه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد^(٤).

ثم ذكر ما قاله المقداد وما قالته الأنصار، بينما لم يذكر ما قاله أبو بكر ثم عمر!

وفي صحيح مسلم:

فتكلم أبو بكر فاعرض عنه، ثم تكلم عمر فاعرض عنه، فقال المقداد...^(٥).

إن مسلماً هكذا ذكر أيضاً، ولم يذكر ما تكلم به أبو بكر، وكلاهما لم يتنا ذكر الخبر، ونحن ننقل تمام الخبر من مغازي الواقدي وإمتاع الأسماع للمقرئ واللفظ للأول قال: قال عمر:

يا رسول الله، إنها والله قريش وعزها، والله ما دلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزها أبداً، ولتقاتلنك، فاتهب لذلك أفتته وأعد لذلك عذته. ثم قام المقداد بن عمرو فقال:

يا رسول الله، إمض لأمر الله فنحن معك؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة/ ٢٤،

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/ ١٤٠٣.

ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون؛ والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك - وبرك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلي البحر، وهو على ثماني ليال من مكة إلى اليمن - فقال له رسول الله (ص) خيراً، ودعا له بخير.

ثم قال رسول الله (ص): «أشيروا علي أيها الناس!» وإنما يريد رسول الله (ص) الأنصار، وكان يظن أن الأنصار لا تنصره إلا في الدار، وذلك أنهم شرطوا له أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم. فقال رسول الله (ص): «أشيروا علي» فقام سعد بن معاذ فقال:

أنا أجيب عن الأنصار؛ كأنك يا رسول الله تُريدنا! فقال: «أجل». قال: إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحى إليك في غيره، وإنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن كل ما جئت به حق، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة؛ فامض يا نبي الله؛ فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما بقي منا رجل؛ وصل من شئت، وأقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت. والذي نفسي بيده، ما سلك هذا الطريق قط، وما لي بها من علم، وما نكره أن يلقانا عدونا غداً؛ إنا لصبر عند الحرب. صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك.

حدثنا محمد قال: حدثنا الواقدي قال: فحدثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: قال سعد:

يا رسول الله، إنا قد خلقنا من قومنا قوماً ما نحن بأشد حُباً لك منهم، ولا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد ونية؛ ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاق عدواً ما تحلفوا، ولكن إنما ظنوا أنها العير. نبي لك عريشاً فتكون فيه ونعد لك رواحلك، ثم تلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما

أحبينا، وإن تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من وراءنا.
فقال له النبي (ص) خيراً، وقال: «أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد!».

قالوا: فلما فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله (ص):
«سيروا على بركة الله. فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين. والله، لكأنني
أنظر إلى مصارع القوم». قال: وأرانا رسول الله (ص) مصارعهم يومئذ؛ هذا
مصارع فلان، وهذا مصارع فلان، فما عدا كل رجل مصرعه. قال: فعلم
القوم أنهم يلاقون القتال، وأن العير تُفقد، ورجوا النصر لقول
النبي (ص)^(٦).

كانت استشارة رسول الله (ص) في هذا المقام: أنه استشار أصحابه في ماذا
يفعلون، بعد أن أخبره الله سبحانه وتعالى بأنهم سيقاتلون ويتصرفون، وأخبره
بمصارع القوم والرسول (ص) أيضاً أخبر أصحابه بمصارع القوم بعد أن
وافقوه على القتال، فهو إذ يستشيرهم لا يريد الاستفادة من رأيهم، وإنما هو
نوع من الملاينة وإخبار بإفلات عير قريش وتغيير الأمر من الاستيلاء على مال
التجارة إلى القتال ليستعدوا للقتال.

ب - غزوة أحد

كانت تلکم مشاوره الرسول (ص) أصحابه في غزوة بدر. وفي ما يلي قصّة
مشاورة الرسول أصحابه في غزوة أحد وفي هذه المشاورة عمل رسول الله (ص)
برأي أصحابه، كما ورد في مغازي الواقدي وإمتاع الأسع للمقريزي^(٧)،

(٦) مغازي الواقدي، ط. أكسفورد ٤٨/١ - ٤٩. وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢٤٧/١.
ودلائل النبوة للبيهقي ٣٧٧/٢. وإمتاع الأسع للمقريزي ص ٧٤ - ٧٥. والدر المنثور
١٦٦/٣.

(٧) مغازي الواقدي ص: ٢٠٨ - ٢١٤. وإمتاع الأسع للمقريزي ص ١١٣ - ١١٨.

قالا:

إن رسول الله (ص) صعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
«أيها الناس، إني رأيت في منامي رؤيا: رأيت كائي في دِرْع حصينة،
ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انْقَصَمَ^(٨) من عند ظُبَيْتِه^(٩)، ورأيت بقرا تذبح؛
ورأيت كائي مُردِف كِبْشاً».

فقال الناس: يا رسول الله (ص)، فما أولتها؟ قال:
«أما الدرع الحصينة فالمدينة، فامكثوا فيها. وأما انقصاص سيفي من عند
ظُبَيْتِه فمصبية في نفسي. وأما البقر المذبح فقتل في أصحابي. وأما أني مردف
كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله».

وفي رواية:

«وأما انقصاص سيفي فقتل رجل من أهل بيتي». وقال «أشيروا علي» ورأى
رسول الله (ص) ألا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أبي الأكارب من
الصحابة مهاجروهم وأنصارهم، وقال عليه السلام: «أمكثوا في المدينة وأجعلوا
النساء والذراري في الأطام، فإن دُخِل علينا قاتلناهم في الأزقة - فنحن أعلم
بها منهم - ورموا من فوق الصياصي والأطام»^(١٠). وكانوا قد شبكوا المدينة
بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن، فقال فتیان أحداث لم يشهدوا بدرأ
وطلبوا الشهادة وأجروا لقاء العدو: أخرج بنا إلى عدونا. وقال حمزة، وسعد بن
عبادة، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، في طائفة من الأنصار: إنا نخشى يا رسول

(٨) انقصم: تكسر وتلثم.

(٩) الظبة: حد السيف من قبل ذبابه وطرفه.

(١٠) الصياصي جمع مصببة: وهي الحصون، والأطام جمع أطم: وهي بيوت من حجارة
كانت لأهل المدينة.

الله أن يظنَّ عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جُبْنًا عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا؛ وقد كنتُ يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشرٌ كثير؛ قد كُنَّا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فساقه الله إلينا في ساحتنا. ورسول الله (ص) لما يرى من إلحاحهم كاره؛ وقد لبسوا السلاح. وقال حمزة: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدَهُم^(١١) بسيفي خارجاً من المدينة، وكان يوم الجمعة صائناً ويوم السبت صائناً. وتكلم مالك ابن سنان والد أبي سعيد الخدري، والثعمان بن مالك بن ثعلبة، وإياس بن أوس بن عتيك، في معنى الخروج للقتال. فلما أبوا إلا ذلك صلى^(١٢) رسول الله (ص) الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجدُّ والجهاد؛ وأخبرهم أنَّ لهم النصر ما صبروا. ففرح النَّاس بالشُّخص^(١٣) إلى عدوهم، وكره ذلك المخرَج كثير. ثم صلى رسول الله (ص) العصر بالناس وقد حشدوا، وحضر^(١٤) أهل العوالي^(١٥) ورفعوا النساء في الأطام، ودخل (ص) بيته ومعه أبو بكر وعمر (رض) فغماها ولبسها. وقد صفَّ الناس له ما بين حجرته إلى منبره، فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا للناس: قلتم لرسول الله (ص) ما قلتم واستكبرتموه على الخروج، والأمر ينزلُ عليه من السماء، فردُّوا الأمر إليه فما أمركم فأفعلوه، وما رأيتم فيه له قوًى أو رأيي فأطيعوه. فبينما هم على ذلك إذ خرج رسول الله (ص) قد لبس لأمته^(١٦)، ولبس الدرع فأظهرها وحزَمَ

(١١) خالد بالسيف: ضرب به كأنه يجلد بسوط لسرعة ضربه وتتابعه.

(١٢) في الأصل: (صلى الله).

(١٣) الشخص: الخروج.

(١٤) في الأصل: (حضر).

(١٥) العوالي: ضيعة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال.

(١٦) اللامة: أداة الحرب ولباسها، كالرمح والبيضة والسيف والنبل.

وسطها بِمِنْطَقَةٍ^(١٧) [مِنْ أَدَمِ]^(١٨) من حائل سيف، وأعتم، وتقلد السيف .
فقال الَّذِينَ يُلْحِقُونَ: يا رسول الله، ما كان لنا أن نُخالفك، فأصنع ما بدا
لك، فقال: «قد دَعَوْتُكُمْ إلى هذا الحديث فأبيتُمْ، ولا ينبغي لِنَبِيِّ إِذَا لَبِسَ
لَاْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، انظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ
فَاتَّبِعُوهُ، امضُوا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ فَلَكُمْ النَّصْرَ مَا صَبَرْتُمْ» .



لعلَّ الحكمة في استجابة رسول الله (ص) لإلحاح أصحابه في الخروج أنه
لو لم يستجب لهم الرسول لأثر في أنفسهم تأثيراً سيئاً، وأولد فيهم الضعف
والاستكانة بدل الإقدام والشجاعة، أمّا عدم استجابته لهم بعد أن طابَقُوا رَأْيَهُ
فقد ذكر هو (ص) حكمته .

مثال آخر من عمل الرسول برأي أصحابه فيما أشاروا عليه: قِصَّةُ جَرَتِ
فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ نَوْرُهَا فِي مَا يَأْتِي:

ج - غزوة الخندق

روى الواقدي والمقريزي عن بدء غزوة الخندق وقالوا:

«وشاورهم رسول الله (ص) . وكان رسول الله يكثّر مشاورتهم في
الحرب . . . فأشار عليهم سلمان بحفر الخندق» .

وأخبرنا كذلك عن مشاورة أخرى في آخر أيام القتال وقالوا:

وأقام (ص) وأصحابه محصورين بضلع عشرة ليلة حَتَّى أَشْتَدَّ الْكَرْبُ،
وقال (ص): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَشَدُّكَ عَهْدُكَ وَوَعْدُكَ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِن تَشَأْ لَا تُعْبِدُ» .

(١٧) المنطقة والنطاق، كل ما يشدّ به الوسط كالحزام .

(١٨) الذي بين المعقوفين كان في الأصل بعد قوله: (حائل سيف)، وهذا حقّ موضعه .

وأرسل إلى عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ، والحارث بن عوف - وهما رئيسا غطفان - أن يجعل لهما ثُلُثُ ثَمَرِ المدينة ويرجعاً بمن معهما، فطلبوا نصف الثمر فأبى عليهم إلا الثلث، فرضياً. وجاءا في عشرة من قومهما حتى تقارب الأمر، وأحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان (رض) الصلح - وعباد بن بشر قائم على رأس رسول الله (ص) مقنّع في الحديد -، فأقبل أسيد بن حضير، وعُيَيْنَةُ مَادُّ رجله فقال له: يا عَيْنَ الهِجْرَسِ، اقْبِضْ رَجْلِيكَ. أَمَّا رَجْلِيكَ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ (ص)؟! والله لولا رسول الله لأنفذت حِصْنِيكَ بالرُّمْحِ! ثم قال: يا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْكَ، إن كان أمراً من السماء فأمض له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف. متى طمعتم بهذا منا؟ فدعا رسول الله (ص) سعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما خُفِيَةً، فقالا: إن كان هذا أمراً من السماء فأمض له، وإن كان أمراً لم تُؤْمَرْ فيه ولك فيه هوى فسمِعْ وطاعةً، وإن كان إنشأ هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف. فقال رسول الله (ص): «إِنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ رَمَتَكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ فَقَلَّتْ أَرْضِيهِمْ وَلَا أَقَاتَلْتَهُمْ»، فقالا: يا رسول الله، والله إن كانوا ليأكلون العِلْهَزَ في الجاهلية من الجهد، ما طمعوا بهذا مِنَّا قَطُّ: أن يأخذوا ثمرة إلا بِشِرَاءٍ أَوْ قَرْنَى! فحين أتانا الله بك وأكرمنا بك؛ وهدانا بك، نعطي الدُّنْيَةَ؟! لا نعطيهم أبداً إلا السيف. فقال (ص): «شَقَّ الْكِتَابُ» فشَقَّهُ سعد، فقام عُيَيْنَةُ والحارث. فقال (ص): «ارْجِعُوا بَيْنَا السَّيْفِ» رافعاً صوته.

كانت هذه قصة استشارة الرسول (ص) أصحابه في هذه الغزوة، ويظهر من محاوره الرسول (ص) فيها أنه - صلوات الله عليه - أراد أن يوقع الخلاف بين القبائل المحاربة، وخاصة أن في آخره يرفع صوته ويقول: «ارْجِعُوا بَيْنَا السَّيْفِ» فإن هذا الخبر ينتشر ويبلغ قريشاً ويقع بينهم الخلاف، وقد روي بعد هذا: أن رسول الله (ص) أمر نعيم بن مسعود لذلك ونجح، فالتقى الشك

والترديد والخلاف بين بني قريظة وقريش وكان ذلك من أسباب انكسارهم^(١٩).
 في ضوء ما بيناه من مشاورات الرسول (ص) يتضح لنا جلياً أنه لم تكن
 الغاية من تلك المشاورات أن يتعلم الرسول (ص) من أصحابه الرأي الصائب
 ليعمل به، بل كانت الغاية أحياناً أن يعلمهم الرسول (ص) بأسلوب المشورة
 الرأي الصائب الذي كان يعلمه الرسول (ص) مسبقاً ليعملوا به.

كما كان شأن مشورته إياهم في غزوة بدر، فإن الله كان قد أعلم
 رسوله (ص) النتيجة مسبقاً من أنهم سيقاتلون قريشاً ويتصرون عليهم، وبعد
 المشاورة أعلمهم الرسول (ص) نتيجة الأمر، وأراهم مصارع قريش. إذا
 كانت الغاية من المشاورة توجيه المسلمين بأسلوب المشاورة إلى ما ينبغي أن
 يعملوه خلافاً لأسلوب الملوك الجبارين الذين يُملون آراءهم على الناس بقولهم
 مثلاً: نحن ملك... أصدرنا أمراً الملكي بكذا... .

وإن صدر الآية يدلّ بوضوح على ما ذكرنا، فإنه تعالى قال: ﴿فبها رحمة من
 الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فأعف عنهم
 وأستغفر لهم وشاورهم في الأمر...﴾ آل عمران/ ١٥٩. فالمشاورة هنا من
 مصاديق اللّينة وكونها رحمة من الله، اللّتين وردتا في صدر الآية.

إذا فتارة تكون الغاية من المشاورة الملاينة كالمثال السابق، وتارة تكون
 الغاية تربية نفوس المسلمين، كما كان شأن المشاورة في غزوة أحد، فإن رسول
 الله (ص) بعد أن أخذ برأيهم وليس لامة حربه بقصد السير إلى أحد، ندموا
 على إلحاحهم على الرسول (ص) بالخروج، وقالوا: يا رسول الله (ص) ما كان

(١٩) مغازي الواقدي ٢/ ٤٧٧ - ٤٨٠. وإمتناع الأسعاع للمقريزي ص ٢٣٥ - ٢٣٦.
 والعلميز: كان أهل الجاهلية في سني الفحط والمجاعة يخلطون الوبر بالدم ويشوونه ويأكلونه
 ويسمونه العلهز.

المجهرس: ولد الثعلب، وقيل هو القرد أو دويبة أخرى.

لنا أن نخالفك، فأصنع ما بدا لك . فقال : «قد دعوتكم إلى هذا فأبيتُم، ولا ينبغي لنبِي إذا لبس لامته أن يضعها حتَّى يحكم الله بينه وبين أعدائه» .

يظهر من المحاورات الَّتِي دارت بين الرسول (ص) وأصحابه في هذه الواقعة، أنَّ عدم استجابة الرسول (ص) لرغبتهم العارمة في الخروج كان يؤثر على نفوسهم تأثيراً سيئاً، ويولد فيهم ضعف النفس والتردد وعدم الإقدام في الحروب، ومن أجل ذلك أخذ إبراهيم مع علمه بأنَّ رأيهم غير صائب . أمَّا في غزوة الخندق، فقد كانت المشاورة كيداً كاد به المشركين، وقد نجحت خطته صلوات الله عليه وآله .

الثاني - مناقشة الاستدلال بالبيعة

عرفنا في ما سبق :

أنَّ البيعة كالبيع تنعقد بالرضا والاختيار وليس بحدِّ السيف والجبر .
وأنَّه لا بيعة في معصية .
ولا في خلاف ما أمر الله به .
وأنَّه لا بيعة لمن يعصي الله .

وعرفنا أنَّ أوَّل بيعة أخذت بعد رسول الله هي البيعة للخليفة أبي بكر، وعلى صحتها تتوقَّف صحَّة بيعة الخليفة عمر، لأنَّها أخذت بأمر من الخليفة أبي بكر . وعلى صحَّة بيعة الخليفة عمر تتوقَّف صحَّة بيعة الخليفة عثمان، لأنَّها أخذت بأمر من الخليفة عمر حين أمر أن يبايعوا من السَّنة القرشيَّين من بايعه عبد الرحمن بن عوف، وأن يقتلوا من خالف .

وعرفنا كيف أخذت البيعة للخليفة أبي بكر غلاباً في سقيفة بني ساعدة، ثمَّ بمساعدة قبيلة بني أسلم في سكك المدينة، وكيف حُجِّلَت النار إلى بيت فاطمة (ع) ابنة رسول الله (ص) لأنَّه قد تحصَّن فيه من أبي أن يبايع، وأنَّ بني

هاشم لم يبايعوا مدة حياة آمنة رسول الله (ص)، وأن الجحش قتل سعد بن عبادة
بسهمين لأنه لم يبايع!



كان هذا شأن أخذ البيعة في المدينة. أما خارج المدينة، فكان شأن من
أمتنع عن بيعة الخليفة أبي بكر وأبى أن يدفع الزكاة لجباة الخليفة، قتل
الرجال، وسبي النساء، وسلب الأموال.

كما كان شأن مالك بن نويرة عامل رسول الله (ص) (٢١) وأسرته من قبيلة
تميم حين دهمهم جيش خالد بن الوليد ليلاً، وأخذوا السلاح، فقال جيش
خالد: إنا المسلمون. فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون. فقال لهم
جيش خالد: فإن كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح. فوضعوها ثم صلوا مع
جيش خالد (٢٢)، ثم أخذوهم إلى خالد بن الوليد، فأمر بضرب عنق مالك.
فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني - وكانت في غاية الجمال -
فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام. فقال مالك: إنا على
الإسلام. وبعد قتله أمر خالد برأسه فنصب أنفية للقدر وتزوج بامراته في تلك
الليلة ولما يدفن مالك (٢٣).

وكما كان شأن قبائل كندة، فإن زياد بن لبيد البياضي عامل أبي بكر أخذ
ناقة لغتي من كندة، فسأله الكندي أخذ غيرها فأبى ذلك، لأنه وسمها بميسم

(٢٠) راجع ترجمته في الإصابة ٣/٣٣٦، رقم الترجمة: ٧٩٩٨.

(٢١) تاريخ الطبري ط. أوروبا ١/١٩٢٧ - ١٩٢٨ وراجع تاريخ يعقوب ط. بيروت،

١٣١/٢.

(٢٢) راجع تاريخ أبي الفداء ص ١٥٨. ووفيات الأعيان، ترجمة وثيمة. وكذلك فوات

الوفيات. وبقية المصادر مع تفصيل الخبر في كتاب عبد الله بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣هـ،

١٨٥/١ - ١٩١.

الصدقة^(٢٣). فذهب الفتى إلى رجل من سادات كندة يقال له: حارثة بن سراقه، وقال له: يا أبن عمّ إنّ زياد بن لبيد قد أخذ لي ناقة فوسمها وجعلها مع إبل الصدقة، وأنا مشغوف بها، فإن رأيت أن تكلمه فيها فلعله أن يطلقها ويأخذ غيرها من إبلي. فأقبل حارثة إلى زياد وقال له: إن رأيت أن تردّ ناقة هذا الفتى عليه وتأخذ غيرها فعلت منعياً. فقال زياد: قد وضع عليها ميسم الصدقة. فترادّا الكلام، فأقبل حارثة إلى إبل الصدقة فأخرج الناقة بعينها، وقال للفتى: خذ نافتك فإن كلمك أحد سأحطم أنفه بالسيف وقال:

نحن إنما أطعنا رسول الله (ص) إذ كان حيّاً، ولو قام رجل من أهل بيته لأطعناه؛ وأما أبن أبي قحافة فلا والله ماله في رقابنا طاعة ولا بيعه. وأنشأ أبياتاً من جملتها:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا عجباً مَن يطيع أبا بكر
فقال له الحارث بن معاوية من سادة كندة: إنك لتدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد.

فقال له زياد: صدقت ولكنّا اخترناه لهذا الأمر.

فقال له الحارث: أخبرني لم نَحْيِيَم عنها أهل بيته؟ وهم أحقّ الناس بها لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الأحزاب/٦.

فقال له زياد: إنّ المهاجرين والأنصار أنظر لأنفسهم منك!

فقال له الحارث: لا والله ما أرزتموها عن أهلها إلا حسداً منكم، وما يستقرّ في قلبي أنّ رسول الله (ص) خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علماً يتبعونه، فأرحل عنا أيّها الرجل فإنك تدعو إلى غير رضا. ثمّ أنشأ الحارث

(٢٣) فتوح البلدان، ردة بني وليعة والأشعث بن قيس.

يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى صلى عليه الله لم يستخلف
فأرسل زياد إبل الصدقة أمامه إلى المدينة، ثم سار إلى المدينة وأخبر أبا
بكر، فجهّزه في أربعة آلاف مقاتل. فسار زياد يريد حضرموت وفي طريقه كان
يباغت قبائل كندة ويقتل منهم ويستأسر، مثل بني هند الذين هاجمهم وقتل
منهم جماعة وأحتوى على نسايتهم وذرائعهم.

ووافى حيّ بني العاقل من كندة غافلين، فلما أشرفت الخيل عليهم
تصايحت النساء وأقتل الرجال ساعة ووقعت الهزيمة عليهم، وأحتوى زياد
نساءهم وأموالهم.

وكيس بخيله في جوف الليل حيّ بني حجر من كندة، فقتل منهم مائتي
رجل، وأسر خمسين، وفرّ الباقيون، وأحتوى على النساء والأولاد.

ثم قاتله الأشعث بن قيس وحاصره في مدينة (تيم) وأسرجع منه الأموال
والذّراري وردّها إلى أهلها، فأرسل الخليفة إلى الأشعث كتاباً يسترضيه فقال
الأشعث للرسول:

إنّ صاحبك أبا بكر يلزمنّا الكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه الكفر
بقتله قومي وبني عمّي.

فقال له الرسول: نعم يا أشعث! يلزمك الكفر لأنّ الله تبارك وتعالى قد
أوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين.

فضربه غلام من بني عمّ الأشعث بسيفه فقتله، واستحسن فعله الأشعث
فغضب من ذلك عامّة أصحاب الأشعث حتى بقي في قريب من ألفي رجل.
فكتب زياد إلى أبي بكر يخبره بقتل الرسول وأنهم محاصرون. فاستشار الخليفة
المسلمين في ما يصنع فأشار عليه أبو أيّوب الأنصاري وقال:

إنّ القوم كثير عددهم وإذا همّوا بالجمع جمعوا خلقاً كثيراً، فلو صرفت

عنهم الخيل في عامك هذا رجوت أن يحملوا الزكاة إليك بعد هذا العام طائعين.

فقال أبو بكر: والله لو منعوني عقلاً واحداً مما كان النبي وظفه عليهم لقاتلتهم عليه أبداً أو ينيبوا إلى الحق. ثم كتب إلى عكرمة بن أبي جهل أن يسير بمن أجابه من أهل مكة إلى زياد ويستنهض من مرّ عليه من أحياء العرب. فخرج في ألفي فارس من قريش ومواليهم وأحلافهم، ثم سار إلى مأرب. وبلغ ذلك أهل دبا فغضبوا وقالوا نشغله عن عاربة بني عَمَنّا من كندة، وأخرجوا عامل أبي بكر. فكتب أبو بكر إليه أن يسير إليهم، وأن لا يقصر فيهم، وإذا فرغ منهم أن يبعث بهم أسراء. فسار إليهم عكرمة وقاتلهم وحاصرهم، فسألوا الصلح وأن يؤدوا الزكاة، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه، فأجابوه. فدخل عكرمة حصنهم، وقتل أشرافهم صبراً، وسبى نساءهم وأولادهم، وأخذ أموالهم ووجهه بالباقيين إلى أبي بكر، فهم أن يقتل الرجال ويقسم النساء والذرية، فقال له عمر:

يا خليفة رسول الله، إن القوم على دين الإسلام يحلفون بالله مجتهدين ما كنّا رجعنا عن دين الإسلام. فحبسهم أبو بكر إلى أن توفي وأطلق عمر سراحهم على عهده.

فسار عكرمة إلى زياد فبلغ خبره الأشعث فأنحاز إلى حصن النجبر وجميع فيه نساءه ونساء قومه. فبلغ ذلك قبائل كندة ممن كان تفرّق عن الأشعث لما قتل رسول أبي بكر فتلاوموا أن يتركوا بني عمّهم محاصرين، فسارت لقتال زياد، فجزع لذلك فقال له عكرمة: أرى أن تقيم محاصراً لمن في الحصن وأمضي أنا فألقى هؤلاء القوم، فقال له زياد: نعم ما رأيت، ولكن إن ظفر الله بهم فلا ترفع السيف حتى تبيدهم عن آخرهم. فقال عكرمة: لست ألو جهداً في ما أقدر عليه.

فسار عكرمة حتّى وافى القوم فتقاتلوا وكانت الحرب بينهم سجّالاً والأشعث لا يعلم عن ذلك شيئاً، وطال عليهم الحصار واشتدّ بهم الجوع والعطش، فطلب من زياد الأمان له ولأهل بيته وعشرة من وجوه أصحابه وكتب بينهم، فبعث زياد الكتاب إلى عكرمة، فأخبر عكرمة قبائل كندة بذلك وأراهم الكتاب، فتركوا القتال وأنصرفوا، ودخل زياد الحصن وأخذ يضرب أعناق المقاتلة صبراً، ووفاه كتاب أبي بكر أن يحمل من نزل على حكمه إلى المدينة، فصفد من بقي منهم بالحديد وأرسلهم إلى المدينة^(٢٤).
هكذا تمّت بيعة الخليفة أبي بكر والتي يصفها الخليفة عمر بأنها كانت فلتة، وعليها بنيت خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وبها يستدلّون.

الثالث - مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة

إنّ الاستدلال بعمل الصحابة يتمّ لو كانت سيرتهم مصدراً للتشريع الإسلامي في عداد الكتاب والسنة ونزل فيهم ما نزل في رسول الله (ص) مثل قوله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ الأحزاب/ ٢١.

وقوله:

﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر/ ٧.

ويدون ذلك لا حجة علينا في عمل الصحابة. ثمّ لسنا ندري بمن نقنّدي، وعمل بعضهم وأقوالهم يخالف البعض الآخر، ومن ثمّ اختلفت آراء العلماء في كيفية إقامة الخلافة، أنقام بيعة رجل لأنّ العباس عمّ النبي (ص)

(٢٤) لقد لحّصنا الخبر ممّا رواه البلاذري في فتوح البلدان في ذكر ردة بني وليعة، والأشعث ابن قيس الكندي ص ١٢٢ - ١٢٣. والحموي في مادة: حضرموت من معجم البلدان، وفتوح ابن أعثم ٥٧/١ - ٨٥. وغمام الخبر في عبد الله بن سبا ٣٩٣/٢ - ٤١٠.

قال لعلي (ع) : (أمّد يدك أبياعك يبايعك الناس) أم يقول الخليفة عمر حين قال : (بيعة أبي بكر فلتة) أم تقتدي بمعاوية حين شهر السيف في وجه الخليفة الشرعي الإمام علي (ع)؟ ولا نرى حاجة إلى المناقشة أكثر مما بيّنا. أمّا ما استدلّ بعضهم بقول الإمام عليّ في نهج البلاغة، فسندرسه في ما يأتي :

مناقشة الاستدلال بما جاء في نهج البلاغة على صحة الاستدلال بالشورى والبيعة وعمل الأصحاب

استدلّ بعضهم على ما آرتأى في الشورى والبيعة والافتداء بعمل الصحابة بما رواه الشريف الرضي عن الإمام علي (ع) بباب الكتب من نهج البلاغة وهذا نصّه :

ومن كتاب له ، إلى معاوية :

إنّهُ يابغي القوم الذين يابعوا أبا بكر وعمر وعُثمان ، على ما يابعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يردّ ، وإنّا الشورى نلهماجرين والأنصار . فإن اجتمعوا على رجلٍ وسَمَوْهُ إماماً كان ذلك [لله] رضًى ؛ فإن خرج عن أمرهم خارجٌ بظمنٍ أو بدعةٍ ردّوه إلى ما خرج منه ؛ فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولّاه الله ما تولى . . . (٢٥)

فإن الإمام قد احتجّ في هذا الكتاب على معاوية بالبيعة والشورى وإجماع المهاجرين والأنصار ، وبناءً على هذا فإن الإمام يرى صحة إقامة الإمامة بما ذكره .

والجواب أن الشريف الرضي كان أحياناً يتخبر تنقاً من كتب الإمام وخطبه ممّا يمجده في أعلى درجات البلاغة ويترك سائرّه ، وكذلك فعل مع هذا الكتاب

(٢٥) نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد، الكتاب السادس من باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين .

وقد أورد الكتاب بتهامه نصر بن مزاحم في كتاب صفين، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمته وأنت بالشام؛ لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسّموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيراً. وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. فأدخل فيما دخل فيه المسلمون؛ فإن أحب الأمور إليّ فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء. فإن تعرضت له قاتلتك وأستعنت الله عليك. وقد أكثرت في قتلة عثمان، فأدخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله. فأما تلك التي تريد فخدعة الصبي عن اللبن. ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان. وأعلم أنك من الطلقاء^(٢٦) الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى. وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله، وهو من أهل الإيمان والهجرة: فبايع. ولا قوة إلا بالله^(٢٧).

إنّضح لنا من هذا الكتاب أنّ الإمام عليّاً يحتج على معاوية بما التزم به هو ونظراؤه ويقول له: إنّ بيعتي بالمدينة لزمته يا معاوية وأنت بالشام كما التزمت بببيعة عثمان بالمدينة وأنت بالشام، وكذلك لزمته بيعتي نظراءك خارج المدينة

(٢٦) الطلقاء: جمع طليق، وهو الأسير الذي أطلق عنه إسناده وخلي سبيله. ويراد بهم الذين خلى عنهم رسول الله (ص) يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترقهم.

(٢٧) صفين لنصر بن مزاحم ط. القاهرة سنة ١٣٨٢هـ، ص ٢٩.

كما لزمتهم بيعة عمر في المدينة وهم في أماكن أخرى.

هكذا يلزمه الإمام عليّ بكلّ ما التزمه هو ونظراؤه من مدرسة الخلافة يومذاك، وهذا وارد لدى العقلاء، فإنهم يحتجّون على الخصم بما التزمه هو. هذا أولاً.

وثانياً قوله: «فلذا اجتمعوا على رجل فسّموه إماماً، كان ذلك لله رضی» فإنه قد ورد في بعض النسخ: «كان ذلك رضی»^(٢٨)، أي كان لهم رضی، على أن يكون ذلك باختيار منهم ولم تؤخذ البيعة بالجبر وحدّ السيف. وعلى فرض أنّه كان قد قال: «كان لله رضی» نقول: نعم، ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار بما فيهم الإمام عليّ وسبطا الرسول الحسن والحسين، كان ذلك لله رضی.

وأخيراً لست أدري كيف استشهدوا بهذا القول من نهج البلاغة ونسوا أو تناسوا سائر أقوال الإمام التي نقلها الشريف الرضي - أيضاً - في نهج البلاغة مثل قوله في باب الحكّم:

لما أنتهت إلى أمير المؤمنين (ع) أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله (ص) قال (ع):

ما قالت الأنصار؟ قالوا:

قالت: منّا أمير ومنكم أمير. قال (ع):

فَهَلَّا أَحْتَجِّجُكُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَضَى بِأَنْ يُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيتجاوز عن مُسيئِهِمْ؟!

قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟

(٢٨) راجع نهج البلاغة ط. الاستقامة بالقاهرة تجد لفظ الجلالة «الله» بين علامتين إشارة إلى أنه لم يرد لفظ الجلالة بين النسخ.

فقال (ع) :

لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم !!

ثم قال (ع) :

فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنها شجرة الرسول (ص)،

فقال (ع) :

إِحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ^(٢٩).

وقوله - أيضاً - في باب الحِكم :

وا عجباً أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة^(٣٠).

قال الرضي: وله شعر بهذا المعنى :

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا المشيرون غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم

فغيرك أولى بالنسبي وأقرب

وأجمع أقواله في هذا الباب ما وردت في الخطبة الشقشقية (خ: ٣) التي

قال فيها (ع) :

«أما والله لقد تَمَثَّصَهَا ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن علي منها محل القطب
من الرُحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فَسَدَلْتُ دونها ثوباً، وَطَوَيْتُ
عنها كَشْحاً. وَطَفِقْتُ أُرْتِي بين أن أصول بيد جذاء^(٣١) أو أصبر على طَخِيَةِ

٢٩) يريد من الثمرة آل بيت الرسول (ص).

٣٠) نهج البلاغة، الحكمة: رقم ١٨٥، تحفيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣١) وَطَفِقْتُ... الخ: بيان لعل الإغضاء. والجذاء: بمعنى المقطوعة، ويقولون: رحم
جذاء، أي: لم توصل. وسن جذاء أي متهمّة. والمراد هنا ليس ما يؤيدها. كأنه قال: فكفرت
في الأمر فوجدت الصبر أولى فسددت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً.

عَمِيَاءُ^(٣٢) يَتَرَمُّ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشَيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى
يَلْقَى رِيَّةً^(٣٣) فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَآئِنَا أَحَبُّ^(٣٤) فَصَبْرْتُ فِي الْعَيْنِ قَدَى،
وَفِي الْخَلْقِ شَجَاً^(٣٥) أَرَى تَرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَيْلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى
فُلَانٍ بَعْدَهُ^(٣٦) - ثُمَّ غَثَلَ بِقَوْلِ الْأَعَشَى : -

شَتَانٌ مَا يُؤْمِسِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانٍ أَخِي جَابِرٍ^(٣٧)
فَيَا عَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ^(٣٨) إِذْ عَقَدَهَا لِآخِرٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدِّ

(٣٢) طخينة: أي ظلمة، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي، وإنما يعنى القائمون فيها إذ
لا يهتمون إلى الحق، وهو تأكيد لظلام الحال وأسودادها.

(٣٣) يكدح: يسمى سمي المجهود.

(٣٤) أحبى: ألزم، من حَجَبِي به كرضي: أولع به ولزمه. ومنه: هو حَجَبِي بكذا أي:
جدير، وما أحجاه وأحبني به أي: أحلق به، وأصله من الحجا بمعنى العقل، فهي أحبى أي
أقرب إلى العقل، وهاتان بمعنى هذه، أي: رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل
من الصولة بلا نصير.

(٣٥) الشجا: ما أعترض في الخلق من عظم ونحوه. والترات: الميراث.

(٣٦) أدلى بها: ألقى بها إليه.

(٣٧) الكور بالضم: الرجل أو هو مع أدواته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات
قبل. وحيان كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم، وله نعمة واسعة ورفاهة وافرة، وكان الأعشى
ينادمه، والأعشى هذا: هو الأعشى الكبير أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن
جندل.

وجابر: أخو حيَّان أصغر منه.

ومعنى البيت أن فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقتة وبين حيَّان في رفاهته، فإنَّ
الأول كثير العناء شديد الشقاء، والثاني وافر النعيم وافي الراحة. ووجه تمثُّل الإمام بالبيت ظاهر
بأدنى تأمل.

(٣٨) رَوَوْا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ بَعْدَ الْبَيْعَةِ: (أَقْبِلُونِي فَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ).

ما تَشْطُرَا ضَرْعَيْهَا^(٣٩) فَصَبْرُهَا فِي حَوْزَةِ خَشْنَاءٍ يَغْلُظُ كَلَامُهَا^(٤٠)، وَتَخْشَنُ مَسْهَا، وَيَكْثُرُ الْغَتَارُ فِيهَا، وَالْأَعْتِدَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبُ الصَّعْبَةِ^(٤١)، إِنْ أَشْتَقَّ لَهَا حَرَمٌ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحُّمٌ، فَمَعْنَى النَّاسِ - لَعَمْرُ اللَّهِ - يَخْبِطُ وَشِمَاسٍ^(٤٢)، وَتَلَوْنُ وَاعْتِرَاضٍ؛ فَصَبْرَتْ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ؛ حَتَّى

(٣٩) لَشَدَّ مَا تَشْطُرَا ضَرْعَيْهَا: جملة شبه قسمية أعترضت بين المتعاطفين والشرط أيضاً أن تحلب شرطاً وترك شرطاً، فتشطرا: أي أخذ كل منها شرطاً. وسمي شطري الضرع شرعين مجازاً: وهو هاهنا من أبلغ أنواعه حيث أن من ولي الخلافة لا يتنازل الأمر إلا تاماً، ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد أسم التشطر والاققسام، كأن أحدهما ترك منه شيئاً للآخر، وأطلق على كل شطر أسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كل منهما.

(٤٠) الكلام - بالضم -: الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها. وإنما هو بمعنى الجرح كأنه يقول: خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

(٤١) الصعبة من الإبل: ما ليست بذلول. واشتق البعير، وشفقه: كفه بزمامه حتى الصق ذفراء: (العظم الناتئ خلف الأذن) بقادمة الرجل، أو رفع رأسه وهو راكب. واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس: أرخى. وتَقَحَّم: رمى بنفسه في القحمة، أي: أهلكها.

قال الرضي: «كراكب الصعبة إن اشتق لها حرم وإن أسلس لها تقحم» يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازع رأسها حرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صغورتها تقحمت به فلم يملكها. يقال: اشتق الناقة، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه؛ وشفقها أيضاً، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المطلق. وإنما قال: «اشتق لها» ولم يقل: «أشفقها» لأنه جعله في مقابلة قوله: «أسلس لها» فكانه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها. انتهى.

الصعبة: إما أن يشفقها فيحرم أنفها، وإما أن يسلس لها قترمي به في مهواة تكون فيها هلكته.

(٤٢) معي الناس: ابتلوا وأصيبوا، والشماس - بالكسر -: إباء ظهر الفرس عن الركوب. والنفار والخبط: السير على غير جادة. والتلؤن: التبدل. والاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضاً في حال سبه طولاً يقال: بعير عرضي، يعترض في سبه لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية، أي: عجرفة وصعوبة.

إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ رَزَعَمُ أَنِّي أَخَذُهُمْ، فَيَا لِلَّهِ وَلِلشُّورَى^(٤٣) مَتَى
أَعْتَرَضَ الرَّتْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صَبَرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النُّظَائِرِ^(٤٤) لِكَيْفَى

(٤٣) لقد أوردنا تفصيل القصة من أوثق المصادر في ما سبق، وقال الشيخ محمد عبده في شرحه هذه الكلمة:

كان سعد من بني عَمَ عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شيء من عليّ كَرَم الله وجهه من قبل أخواله لَأَنَّهُ أُمُّهُ حَمْنَةُ بِنْتُ سَفِيَّانَ بِنِ أُمَيَّةَ بِنِ عِيدِ شَمْسٍ، وَلَعَلِّيَّ فِي قَتْلِ صِنَادِيدِهِمْ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ. وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان؛ لَأَنَّهُ زَوْجَتُهُ أُمُّ كَلْثُومَ بِنْتُ عَقْبَةَ بِنِ أَبِي مَعِيْطٍ كَانَتْ أَخْتًا لِعُثْمَانَ مِنْ أُمِّهِ، وَكَانَ طَلْعَةُ مَيْلًا لِعُثْمَانَ لَصَلَاتٍ بَيْنَهُمَا، عَلَى مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ رَوَاةِ الْأَثَرِ. وقد بكفي في ميله إلى عثمان أنحرافه عن علي، لَأَنَّهُ تَبِعِيٌّ وَقَدْ كَانَ بَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي تَيْمٍ مُوَاجِدٌ لِمَكَانِ الْخِلَافَةِ فِي أَبِي بَكْرٍ وَبَعْدَ مَوْتِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ) اجْتَمَعُوا وَتَشَاوَرُوا فَأَخْتَلَفُوا، وَأَنْتَضَمَ طَلْحَةُ فِي الرَّأْيِ إِلَى عُثْمَانَ، وَالتَّزَبُّرُ إِلَى عَلِيٍّ، وَسَعَدٌ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ. وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير وقال: إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن. فأقبل عبد الرحمن على عليّ وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة ورسوله (ص) وسيرة الخليفتين من بعده. فقال عليّ: أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي؛ ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك، فأجابه بنعم. فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال: اللهم أسمع وأشهد. اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبته عثمان، وصفق يده في يد عثمان. وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وبإيعه. قالوا: وخرج الإمام عليّ واجداً، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن: والله لقد تركت علياً وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال: يا مقداد لقد تفصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: والله إني لأعجب من قريش، إنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالحق ولا أعلم به منه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إني أخشى عليك الفتنة فأتق الله. ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك، فقال: ما كنت أظن هذا به! ولكن الله عليّ أن لا أكلمه أبداً، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعودته فتحول إلى الحائط لا يكلمه! والله أعلم، والحكم لله يفعل ما يشاء.

(٤٤) المشابه بعضهم بعضاً دونه.

أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُوا^(٤٥)، وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضَغِينِهِ^(٤٦) وَمَالَ
الْآخَرَ لِصُغْرِهِ^(٤٧) مَعَ هُنْ وَهِنٍ^(٤٨). إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حَضِينَهُ^(٤٩)
بَيْنَ نَيْبِلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبِلِ بِنْتَةَ
الرَّبِيعِ^(٥٠)، إِلَى أَنْ انْتَكَتْ قَتْلَهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ^(٥١)، وَكَتَبَ بِهِ بَطْنَتَهُ^(٥٢). فَمَا
رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُزْبِ الضَّبْعِ إِلَيَّ يَنْتَالُونَ^(٥٣) عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ
وُطِنِي الْحَسَنَانَ، وَشَقَّ عَطْفَايَ^(٥٤)، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ^(٥٥).

٤٥ أسف الطائر: دنا من الأرض؛ يريد أنه لم يخالفهم في شيء.

٤٦ صغى صغياً وصفاً صغواً: مال. والضغن: الضغينة يشير إلى سعد.

٤٧ يشير إلى عبد الرحمن.

٤٨ يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها، وقد أشرنا إلى بعضها في باب مناقشة الشورى.

٤٩ يشير إلى عثمان، وكان ثالث الخلفاء. ونافجاً حَضِينِهِ: رافعاً لها. والحضن: ما بين
الإبط والكشح؛ يقال للمتكبر: جاء نافعاً حَضِينِهِ. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً. والشيل:
الروت. والمعتلف: من مائة (علف) موضع العلف وهو معروف، أي: لا هم له إلا ما ذكر.
٥٠ الخضم، على ما في القاموس: الأكل مطلقاً، أو باقصى الأضراس، أو ملة الغنم
بالمأكول، أو خاص بالشيء الرطب. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان أخف من الخضم.
والنبته - بكسر النون -: كالتبات في معناه.

٥١ انتكث قتله: أنتقض. وأجهز عليه عمله: نغم قتله، تقول: أجهزت على الجريح،
ودفقت عليه.

٥٢ البطنة - بالكسر -: البطر والأشر، والكظة (أي: التخمعة) والإسراف في الشبع.
وكتب به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

٥٣ عُزْبِ الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو تخين، يضرب به المثل في الكثرة
والازدحام.

وينتالون: يتابعون مزدحمين.

٥٤ الحسنان: ولداه الحسن والحسين. وشقَّ عطفاه: خدش جانبيه من الاصطكاك. وفي
رواية: (شقَّ عطاقي)، والمطاف: الرداء. وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة.

٥٥ ربيعة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجنومهم بين
يديه.

فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَنْتُ طَائِفَةً، وَمَرَقْتُ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ^(٥٦) كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ حُلُوءًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بَلَى! وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَبَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ^(٥٧) وَرَاقَهُمْ زُبْرُجُهَا، أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ^(٥٨) لَوْلَا حُضُورُ الْخَاصِرِ^(٥٩) وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يَقَارُوا عَلَى كِبَفَةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَفْبٍ مَظْلُومٍ^(٦٠) لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا^(٦١)، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوْهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْفَةِ غَيْرِ^(٦٢).

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد^(٦٣) عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فنأوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فقال له آبن عبَّاس رضي الله عنهما: يا

(٥٦) الناكثة: أصحاب الجمل. والمارقة: أصحاب النهروان. والقاسطون - أي الجاثرون -: أصحاب صفين.

(٥٧) حليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزينت بحليها. والزبرج: الزينة من وشي أو جواهر.

(٥٨) النسمة - محرقة -: الروح، وبرأها: خلقها.

(٥٩) من حضر لبيعته، ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره.

(٦٠) والناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة.

والكفظة: ما يحترق الأكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد امتئثار الظالم بالحقوق. والسفب: شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.

(٦١) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

(٦٢) عطفة العنز: ما تنثره من أنفها، تقول: عطفنت تعطف من باب ضرب، غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة. والأشهر في العنز النعطة بالنون، يقال: ماله عافط ولا نافط، أي نعجة ولا عنز. كما يقال: ما له ثاغية ولا راغية. والنعطة: الحيفة أيضاً، لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم.

(٦٣) السواد: العراق، وسُمي سواداً لخضرته بالزروع والأشجار، والعرب تسمي الأخضر أسود. قال الله تعالى: ﴿مَدَاهُتَانِ﴾ يريد الخضرة، كما هو ظاهر.

أمير المؤمنين، لو أطرَدْتَ خطبتك من حيث أفضيت.
 فقال: هيهات يا أبن عباس، تلك شِقْشِقَةٌ^(٦٤) هذرت ثم قرئت.
 قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام
 أن لا يكون أمير المؤمنين (ع) بلغ منه حيث أراد.
 نسوا أو تناسوا كل هذه الأقوال من الإمام علي (ع) وتمسكوا بقول أحتج
 به الإمام علي على معاوية للالتزام معاوية ونظرائه به.

الرابع - مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر والغلبة
 من سبَّ التاريخ الإسلامي، وجد أن حكم الخلافة إلى عهد الخلفاء
 العثمانيين الأتراك كان يقوم على أساس القسر، وشذَّ قيامه خلاف ذلك مثل
 حكم الإمام علي (ع) وهذا هو الصحيح في الأمر ولا مناقشة لنا في ذلك.
 أمّا ما قالوا: (من غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمي أمير
 المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أو
 فاجراً).

لست أدري عمّ يتكلّم هؤلاء الأعلام: عن شريعة الله في إقامة الحكم في
 المجتمع الإسلامي، أم عن شريعة الغاب لمجتمع الأسود واليهود؟!
 ولكي لا يؤاخذنا البعض على إيراد أقوال السابقين باعتقاد أن أهل هذا
 العصر لا يوافقونهم في آرائهم ومعتقداتهم ويقول الآخرون: (فلنكن اليوم في
 حاضر الإسلام)^(٦٥)، ثبت هنا صورة غلاف كتاب طبع لمدارس بلد فيه

(٦٤) الشقشة - بكسر فسكون فكسر - : شيء كالرقة يخرج البعير من فيه إذا هاج،
 وصوت البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة؛ قال في القاموس:
 والخطبة الشقشية العلوية، وهي هذه.

(٦٥) مجلة الأزهر، مجلد ٣٢، باب الكتب من جلد ١٠، سنة ١٣٨٠ ص ١١٥٠ - ١١٥١
 في نقده لكتاب عبد الله بن سبأ.

الكعبة البيت الحرام ومسجد الرسول وحرمه ، والكتاب يثني على يزيد ويروي الحديث في مدحه ، يزيد الذي رمى الكعبة بالمنجنق وأباح مسجد الرسول وحرمه لجيشه ثلاثة أيام يقتلون الناس ويقعون على النساء ، كما سيأتي تفصيله في باب (جيش الخلافة يستبيح حرم الرسول) وباب (مسير جيش الخلافة إلى مكة) . وينشر في الحرمين الشريفين للدفاع عن يزيد والثناء عليه هذا الكتاب :

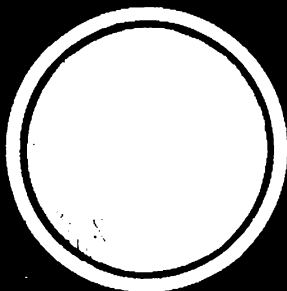


المكتبة العامة لجامعة القاهرة

وزارة المعارف
الكتاب المدرسي

حَقَائِقُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ



اطاعة الإمام الجائز المخالف لسنة الرسول (ص)

رأينا في بحث وجوب طاعة الإمام بمدرسة الخلفاء كيف رووا عن رسول الله (ص) النهي عن الخروج على السلطان الجائز المخالف لسنة الرسول (ص) ووجوب طاعته؛ أما مدرسة أهل البيت (ع) فقد رووا عن رسول الله (ص) روايات تنافض تلك الروايات مثل رواية الإمام الحسين (ع) سبط رسول الله (ع) عن جده قال:

«من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(٦٦).

وبمقارنة نظير هذه الروايات بروايات مدرسة الخلفاء، أدركنا أن تلكم الروايات بمدرسة الخلفاء إنما رويت عن رسول الله (ص) احتساباً للخير وتأييداً للسلطات الحاكمة على المسلمين، وكان ذلك في أوائل العصر الأموي، ثم دُونوها في عصر تدوين الحديث أوائل القرن الثاني الهجري بكتب الحديث صحاحها ومسانيدها^(٦٧) وتسالموا جميعاً على صحتها والعمل بها، وشرحها وعلّق عليها وأكدها علماء بلاط السلطات الحاكمة من محدّثين وقضاة وخطباء وأئمة الجمعة والجماعة وأشباههم مدى العصور في شتى البلاد منذ عصر الخلافة الأموية بالشّام والأندلس ثم العباسية في بغداد والعثمانيين في تركيا وحكّام المماليك في مصر والسلاجقة والغزنويين في إيران والاكتراد في الشّام، وأغدقت تلك السلطات عليهم الجاه والمال والخطوة في بلاطها، وتابعهم على ذلك الملا من أتباعهم.

(٦٦) في خطبة الإمام الحسين (ع) لجيش حرّين يزيد الرياحي، بتاريخ الطبري وأبن الأثير ومقتل الخوارزمي.

(٦٧) تأتي الإشارة إليه في أوائل الجزء الثاني إن شاء الله تعالى.

وهكذا أنقسم المسلمون إلى مدرستين؛ مدرسة الخلفاء التي أغدق حكامها: المال والجاه والمناصب والخطوة على مروجي أفكار مدرستها، ومدرسة أهل البيت (ع) التي قاومت تلك الأفكار والروايات المروية تأييداً للسلطات واجتهاداتها، فبذلت لها السلطات الحاكمة القتل والسجن والتشريد وحللات الإبادة وإحراق الكتب والمكتبات مدى العصور^(٦٨) لإبعاد أفكارها المحافظة على سنة الرسول (ص) من المجتمع وإخفائها عن أنظار المسلمين^(٦٩). وبعد كل ما ذكرناه، ماذا يصل إلينا من الحقائق في هذا العصر!؟

خلاصة البحث

كان المنطق السائد يوم السقيفة في الأفعال والأقوال، هو المنطق القبلي سواء أكان لدى المهاجرين أم الأنصار، وكانت بيعة أبي بكر يومذاك فلتة حسب تفويم الخليفة عمر لها.

ولم يستند الخليفة عمر إلى أي دليل من الكتاب والسنة في ما طرحه من إقامة الخلافة بالشورى وإنما أعتمد أجهاده الخاص.

اجتهد فجعل تعيين ولي الأمر من بعده بين ستة أشخاص لا أكثر من ذلك.

وأجتهده فجعلهم من المهاجرين دون الأنصار.

وأجتهده فجعل الترشيح بيد عبد الرحمن بن عوف دون الآخرين وقال: إذا اتفق آثنان على واحد وأثنان على واحد، كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن. وأجتهده وقال: إذا صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فأتبعوه،

٦٨ يأتي شرحها في بحث حملة المغول على البلاد الإسلامية من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

٦٩ ندرس تفصيل كل ما ذكرناه في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

فمن آتخذ من اجتهد الخليفة عمر في عداد كتاب الله وسنة رسوله (ص) مصدراً للتشريع الإسلامي، قال بأن الإمامة تقام بالشورى بين سنة، يبايع خمسة منهم الواحد منهم.

وأما ما أستشهد به أتباع مدرسة الخلفاء بآية: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ فإن الآية لا تدل على أكثر من رجحان الشورى في أمر لم يأت عن الله ورسوله فيه أمر، لأن الله سبحانه كلما أراد الفرض في أمر قال: كتب الله عليكم كذا، أو فرض كذا، أو جعل أو وصى، أو غيرها من الألفاظ الدالة على الوجوب.

وأما آية: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ في الخطاب للرسول (ص) فإن القصد المشاورة في الغزوات، ومن أجل تربية نفوس المسلمين أو إيجاد الشك والخلاف بين المشركين، وكلها كانت من أجل تعيين إجراء الحكم الشرعي، وليس من أجل معرفة الحكم الشرعي. ثم إنهم لم يعينوا كيف تكون الشورى من أجل تعيين الإمام، وقد رأينا كيف تمت الشورى لإقامة خلافة عثمان. هذا عن الشورى.

وأما البيعة فإنها لا تنعقد بالإجبار وحده السيف، ولا تنعقد للقيام بمعصية، ولا لمن يعصي الله.

وأما سيرة الأصحاب، فإن آتخذت في عداد الكتاب والسنة مصدراً للتشريع الإسلامي، صح الاستدلال بها، وإلا فلا.

وما أستشهد به في هذا المقام، من كلام الإمام علي (ع)، فإنه كان لمعالجة الخصم بما ألزم به، وهذا متعارف لدى العقلاء، ثم إن إجماع الصحابة بما فيهم الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين يدل على رضا الله كما عبر عنه الإمام.

أما قولهم: من غلب بالسيف فهو أمير المؤمنين تجب طاعته برأ كان أو فاجراً، فهو الواقع الذي دأبوا عليه، كما يظهر ذلك لمن يدرس تاريخ الخلفاء

في الإسلام .

كانت هذه دراسة آراء مدرسة الخلفاء وأدلتهم عليها؛ أما مدرسة أهل البيت، فسندرس آراءهم وأدلتهم في البحث الآتي بحوله تعالى .



مرکز تحقیقات کلامی و تفسیری علوم اسلامی

الفصل الثالث

بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة

إهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده

وصي الرسول (ص) ووزيره ووليّ عهده وخليفته من بعده

مدرسة الخلفاء تبذل جهوداً كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصية

دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة لأتجاهها

إنتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ وسببه

ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في أمر الحكم من بعده

ما أشبه تعيين الوصي في هذه الأمة بتعيين الوصي في أمة موسى (ع)

الولاية وأولو الأمر في القرآن الكريم

الأئمة عليّ وبنوه مبلّغون عن الرسول (ص)

في البحث السابق ذكرنا آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة وأدلتهم عليها .
 أما أتباع مدرسة أهل البيت (ع) فإنهم يشترطون في الإمام بعد النبي أن
 يكون معصوماً من الذنوب ، منصوباً من قبل الله عز وجل ، منصوباً عليه من
 قبل نبيه (ص) ، لقوله تعالى لخليله إبراهيم (ع) :
 ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا بِنَالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
 البقرة/ ١٢٤ .

إذا فالإمامة عهد من الله يخبر نبيه عمن عهد الله إليه ، كما يخبر عن سائر
 أوامر الله وأحكامه ، وأنه لا ينال عهد الإمامة من الله من كان ظالماً ، وأن كل
 من لم يتصف بالظلم إلى نفسه ولا إلى غيره فهو معصوم .
 وعلى هذا فالإمامة عهد وتعيين من الله ، والرسول مبلغ إياها ، ويلزمها
 العصمة . وقد تحقق هذان الشرطان في أئمة أهل البيت (ع) كما يأتي بيانهما .

عصمة أهل البيت (ع)

أخبر الله سبحانه وتعالى بأن أهل البيت - وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم - معصومون من الذنوب في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

الأحزاب/ ٣٣.

شأن نزول الآية وما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة

روى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(١) قال:

(لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى الرَّحْمَةِ هَابِطَةً، وَقَالَ: «أَدْعُوا لِي، أَدْعُوا لِي». فَقَالَتْ صَفِيَّةٌ^(٢): «مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: «أَهْلُ بَيْتِي عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ

(١) بمسندك الصحيحين ١٤٧/٣.

وعبد الله بن جعفر ذو الجناحين: أبْنِ عَمِّ النَّبِيِّ أَبِي طَالِبٍ وَأُمِّهِ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسِ الْخَثْعَمِيَّةِ. وَلَدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي هَجْرَةِ أَبِيهِ إِلَيْهَا، وَهَاجَرَ أَبُوهُ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَكَانَ حَلِيمًا كَرِيمًا يُقَالُ لَهُ: بَحْرُ الْجُودِ، نَوِيَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ عَامَ الْجَحَافِ - عَامَ جَاءَ فِيهِ سَيْلٌ عَظِيمٌ بِبَطْنِ مَكَّةَ جَحَفَ الْخَافُ وَذَهَبَ بِالْإِبِلِ عَلَيْهَا أَهْمَالًا - . وَرَوَى عَنْهُ أَصْحَابُ الصَّحَاحِ ٢٥ حَدِيثًا. تَرْجَمَتْهُ بِأَسَدِ الْغَابَةِ وَجَوَامِعِ السِّيَرَةِ ص ٢٨٢.

(٢) صفية بنت حيي بن أخطب: من سبط هارون بن عمران من بني إسرائيل، وأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ السَّمْوَالِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ. كَانَتْ زَوْجَةً كَثَانَةً مِنَ الرَّبِيعِ مِنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ فَقَتَلَ عَنْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ فَأَصْطَفَاهَا النَّبِيُّ وَقَالَ لَهَا: «إِنْ أَخَّرْتَ الْإِسْلَامَ أَسَكَنْتُكَ لِنَفْسِي وَإِنْ أَخَّرْتَ الْيَهُودِيَّةَ فَعَسَى أَنْ أَعْتَقَكَ فَتُحْلِقَنِي بِقَوْمِكَ»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ هَوَيْتَ الْإِسْلَامَ وَصَدَّقْتَ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَنِي حَيْثُ صَرْتَ إِلَى رَحْلِكَ، وَمَا لِي فِي الْيَهُودِيَّةِ إِرْبٌ وَمَا لِي فِيهَا وَالِدٌ وَلَا أَخٌ، وَخَيْرَنِي

والحسين^(٣). فجيء بهم. فالتقى عليهم النبي (ص) كساءه، ثم رفع يديه،

الكفر والإسلام، فإله ورسوله أحب إلي من العلق وأن أرجع إلى قومي. فأعذت ثم تزوجها النبي وتوفيت في سنة ٥٢ هـ. وروى عنها أصحاب الصحاح ١٠ أحاديث. ترجمتها بطبقات ابن سعد ٨/ ١٢٠ - ١٢٩. وجوامع السيرة ص ٢٨٥.

(٣) فاطمة بنت رسول الله (ص) وأمها أم المؤمنين خديجة (ع).

في ترجمتها بأسد الغابة والإصابة: أن كنيها أم أبيها وأنه أنقطع نسل رسول الله إلا منها، وقال رسول الله (ص) لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك ويغضب لرضاك». أخرجه - أيضاً - الحاكم في مستدركه ٣/ ١٥٣. وبميزان الاعتدال ٢/ ٧٧. وتهذيب التهذيب ١٢/ ٤٤١. وفي باب مناقب فاطمة بصحيح البخاري ٤/ ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٥: قال رسول الله (ص): «فاطمة بضعة مني، من أغضبها أغضبنني».

وفي رواية أخرى فيه بياض ذب الرجل عن أبنته من كتاب النكاح ٣/ ١٧٧، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، والترمذي، وبمسند أحمد ٤/ ٤١ و ٣٢٨. ومستدرك الصحيحين ٣/ ١٥٣: «يؤذني ما آذاها، أو يؤذيها».

وكان آخر الناس عهداً برسول الله إذا سافر فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس عهداً به فاطمة، كما في مستدرك الصحيحين ٣/ ١٥٦ و ١٥٥ و ٤٨٩/ ١. ومسند أحمد ٥/ ٢٧٥. وسنن البيهقي ١/ ٢٦.

وفي باب فرض الخمس من صحيح البخاري ٢/ ١٢٤، عن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (ص) أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله (ص) لها، فقال أبو بكر: «إن رسول الله قال: «لا نورث ما تركنا صدقة». فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة أشهر.

وفي باب غزوة خيبر منه ٣/ ٣٨: فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها، وكان لعل وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجهه الناس فالتمس مصاحفة أبي بكر. . . .

ورواه مسلم كذلك في صحيحه بكتاب الجهاد ٥/ ١٥٤. ومسند أحمد ١/ ٩. وسنن البيهقي ٩/ ٣٠٠.

وترجمتها في أسد الغابة: وأوصت إلى أساء أن تغسلها ولا تدخل عليها أحداً، فلما توفيت جاءت عائشة فمئنتها أساء.

ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ آلِي فَصْلٍ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ». وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.
وَفِي رَوَايَةٍ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ: أَنَّ الْكِسَاءَ كَانَ مَرُطًا مَرَحَلًا مِنْ شَعْرِ
أَسْوَدٍ^(٤).

قال المؤلف:

وَلَمْ يَعْرِفْ مَوْضِعَ قَبْرِهَا حَتَّى الْيَوْمِ.
وَرَوَى عَنْهَا أَصْحَابُ الصَّحَاحِ ١٨ حَدِيثًا. جَوَامِعُ السَّيْرِ ص ٢٨٣.
وَالْحُسَيْنَانِ سَبْطًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَبْنَا عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ.
وُلِدَ الْحُسَيْنُ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَوُلِدَ الْحُسَيْنُ لثَلَاثَ خَلُونَ
مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): الْحُسَيْنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَبُوهَا خَيْرُ مَنْهَا. فِي سُنَنِ
أَبْنِ مَاجَةَ بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ص). وَمُسْتَدْرَكُ الصَّحِيحِينَ ١٦٧/٣. وَمَصَادِرُ
كَثِيرَةٍ غَيْرِهَا.
يَبَيعُ الْمُسْلِمُونَ الْحُسَيْنَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ سَنَةً أَرْبَعِينَ وَيَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فِي الْخِلَافَةِ، ثُمَّ
أَقْتَضَتْ مَصْلَحَةُ الْإِسْلَامِ الْعُلِيَّا أَنْ يَصَالِحَ مُعَاوِيَةَ. وَلَمَّا أَرَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَةَ لِابْنَتِهِ يَزِيدَ
دَسَّ إِلَيْهِ السَّمَّ فَفَتَلَهُ سَنَةَ خَمْسِينَ. أَحَادِيثُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ٢٥١/١ - ٢٦٦.
وَفِي سَنَةِ سِتِّينَ أَمَى الْحُسَيْنُ أَنْ يَبَيعَ يَزِيدَ وَقَالَ: وَوَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذَا بَلَيْتِ الْأُمَّةَ بَرَاعٍ
مِثْلَ يَزِيدَ. فَفَتَلَهُ جَيْشُ يَزِيدَ بِكَرْبَلَاءَ عَاشُورَاءَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ. اللَّهْوُفُ لِابْنِ طَاوُوسَ.
رَوَى أَصْحَابُ الصَّحَاحِ عَنِ الْحُسَيْنِ ١٣ حَدِيثًا، عَدَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَعَنِ الْحُسَيْنِ ٨
أَحَادِيثَ. جَوَامِعُ السَّيْرِ ص ٢٨٤ وَ ٢٨٦. وَتَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ ١٦٨/١.
(٤) الرُّطُ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ. وَالْمَرَحَلُ مِنَ الثِّيَابِ: مَا أَشْبَهَتْ نَقُوشَهُ رِحَالُ الْإِبِلِ.
وَعَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَأُتْمَا أُمِّ رُومَانَ. وَوُلِدَتْ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ بَعْدَ الْبَيْعَةِ، بَنَى بِهَا
الرَّسُولُ (ص) بَعْدَ ثِنَايَةِ عَشْرِ شَهْرًا مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَتَوَفَّيَتْ سَنَةَ ٥٧ أَوْ ٥٨ أَوْ ٥٩،
وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ. وَرَوَى عَنْهَا أَصْحَابُ الصَّحَاحِ ٢٢١٠ أَحَادِيثَ، رَاجِعَ كِتَابِنَا أَحَادِيثُ
عَائِشَةَ.

وَرَوَايَتُهَا فِي شَأْنِ نَزُولِ آيَةِ التَّطَهِيرِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ١٣٠/٧، بَابُ فَضَائِلِ أَهْلِ بَيْتِ
النَّبِيِّ. وَمُسْتَدْرَكُ الصَّحِيحِينَ ١٤٧/٣. وَتَفْسِيرُ الْآيَةِ فِي تَفْسِيرِ أَبِي جَرِيرٍ وَالْدَّرِّ الْمَشْتُورِ لِلْسُّيُوطِيِّ

وفي رواية الصحابي وثالثه بن الأسقع : إن رسول الله أدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذة - الحديث^(٥).

وفي رواية أم المؤمنين أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ . . . ﴾ وفي البيت سبعة : جبرئيل وميكائيل (ع) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت ، قلت : يا رسول الله ألسنت من أهل البيت ؟ قال : «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ. إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ»^(٦).

وقد روى شأن نزول آية التطهير غير من ذكرنا كل من :

أ - عبد الله بن عباس^(٧).

ب - عمر بن أبي سلمة^(٨) ربيب النبي (ص).

وآية المباهلة في تفسير الزمخشري والرازي . وسنن البيهقي ١٤٩/٢ .

٥) وثالثه بن الأسقع الليثي : أسلم والنبي يتجهز إلى نبوك . وقيل إنه خدم النبي ثلاث سنوات ومات سنة خمس وثلاثين أو ثلاث وثلاثين بدمشق أو ببيت المقدس . روى عنه أصحاب الصحاح ٥٦ حديثاً . ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٩ . وروايته في شأن آية التطهير بسنن البيهقي ١٥٢/٢ ، ورواية أخرى منه بمسند أحمد ١٠٧/٤ . ومستدرك الصحيحين ٤١٦/٢ و ٤١٧/٣ . ومجمع الزوائد ١٦٧/٩ . وأبن جرير والسيوطي في تفسير الآية من تفسيرهما . وأسد الغابة ٢٠/٢ .

٦) رواية أم سلمة في تفسير الآية بتفسير السيوطي ١٩٨/٥ و ١٩٩ . ورواية أخرى في سنن الترمذي ، ٢٤٨/١٣ . ومسند أحمد ٣٠٦/٦ . وأسد الغابة ٢٩/٤ . و ٢٩٧/٢ . وتذهيب التهذيب ٢٩٧/٢ . وأخرى بمستدرك الصحيحين ٤١٦/٢ و ٤١٧/٣ . وسنن البيهقي ١٥٠/٢ . وأسد الغابة ٥٢١/٥ و ٥٨٩ . وفي تاريخ بغداد ١٢٦/٩ . وأخرى : بمسند أحمد ٢٩٢/٦ .

٧) رواية أبين عباس بمسند أحمد ٣٣٠/١ ، وخصائص النسائي ص ١١ . والرباض النضرة ٢٦٩/٢ . ومجمع الزوائد ١١٩/٩ و ٢٠٧ ، وتفسير الآية بالدر المنثور .

٨) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد أبو حفص المخزومي : ربيب رسول الله ، أمه أم

ج - أبو سعيد الخدري^(٩).

د - سعد بن أبي وقاص^(١٠).

هـ - أنس بن مالك^(١١)، وغيرهم^(١٢).

وَأستشهد بها الحسن السبط (ع) على المنبر^(١٣)، وعلي بن الحسين (ع) في الشَّام^(١٤).

سلمة. ولد في الحيرة. شهد مع علي الجمل، وأستعمله على البحرين وعل فارس. توفي سنة ٨٣هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٢ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع البيرة ص: ٢٨٤. وحديثه بشأن آية التطهير في: فضائل الخمسة ١/٢١٤ عن صحيح الترمذي ٢/٢٠٩.

(٩) رواية أبي سعيد في تفسير الآية بتفسير ابن جرير والسيوطي وتاريخ بغداد ١٠/٢٧٨. ومجمع الزوائد ٩/١٦٧ و١٦٩. وستاتي ترجمته في الهامش رقم (٥) ص ٢٩٥.

(١٠) سعد بن أبي وقاص. - مَوْت ترجمته في الهامش رقم (٦٢) من بحث: الواقع التاريخي - وأبى أن يبايع علياً، وأبى أن يبايع علياً، وادس إليه معاوية السّم لما أراد أن يبايع ليزيد، فمات. وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٧١ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وصحيح مسلم ٧/١٢٠ وأحاديث أم المؤمنين عائشة ١/٣٥٦ ط. بيروت ١٤٠٥هـ.

وروايته بشأن آية التطهير في خصائص النسائي ص ٤ - ٥. وسنن الترمذي ١٣/١٧١ - ١٧٢.

(١١) رواية أنس بن مالك في سنن الترمذي ١٣/٢٤٨. ومجمع الزوائد ٩/٢٠٦.

(١٢) مثل فتاوة في تفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي وعطية بترجمته بأسد الغابة ٣/٤١٣، ومغلل بن يسار، راجع سنن الترمذي ١٣/٢٤٨.

(١٣) روي أستشهاد السبط بمستدرك الصحيحين ٣/١٧٢. ومجمع الزوائد ٩/١٤٦ - ١٧٢.

(١٤) علي بن الحسين: أنّه بنت يزدجرد كما في الباب العاشر من ربيع الأبرار للزنجشري راجع ج ٢ ورقة ٤٤، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل ٢٠٥٩، أدب. ومات في نفاسها به، فكفله بعض أمهات ولد أبيه، وزوّجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون أخبار الرضا ٢/١٢٨) ويبدو أنها كانت تسمّى غزالة. توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين.

كان رسول الله بعد نزول هذه الآية عدّة أشهر يأتي إلى باب دار علي وفاطمة يسلم عليهم ويقرأ الآية. قال ابن عباس:

شهدت رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إننا يريد الله... الصلاة رحمكم الله» كلّ يوم خمس مرّات^(١٥).

وعن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلّا أتى باب علي فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال: «الصلاة، إننا يريد الله...»^(١٦).

وقال أبو يرزة: إنّه صلّى مع رسول الله سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة...^(١٧).

وعن أنس بن مالك سنة أشهر^(١٨). وروى - أيضاً - غيرهم في ذلك. في هذه الآية، أخبر الله عن المعصومين في عصر رسول الله خاصّة، وعيّنهم الرسول بما فعل من نشر الكساء عليهم وقراءة الآية في ملا من أصحابه عدّة شهور على باب بيّتهم.

وروى عنه أصحاب الصحاح بعض الأحاديث وأسنّده بآية التطهير وجاء في تفسير الآية بتفسير الطبري.

ترجمته بوفيات الأعيان ٤٢٩/٢. وتاريخ يعقوبي ٣٠٣/٢.

(١٥) رواية ابن عباس في تفسير الآية وآية «وأمر أهلك». من الدر المنثور.

(١٦) أبو الحمراء: مولى رسول الله، أسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر، والحديث بترجمته في الاستيعاب ٥٩٨/٢. وأسّد الغابة ١٧٤/٥. وجمع الزوائد ١٦٨/٩.

(١٧) أبو يرزة الأسلمي: اختلفوا في اسمه. توفي في البصرة سنة ستين أو أربع وستين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٠ أو ٤٦ حديثاً. ترجمته بأسّد الغابة وجامع السيرة ص ٢٨٠ و ٢٨٣. وحديثه المذكور في جمع الزوائد ١٦٩/٩، لفظه: سبعة عشر شهراً ونزاه من غلط النساخ.

(١٨) رواية أنس بمسند أحمد ٢٥٢/٣. والطيالسي ٢٧٤/٧، ح ٢٥٠٩. وأسّد الغابة ٥٢١/٥. وتفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي.

إن هذه الآية، وما ورد عن رسول الله (ص) من قول وفعل في تفسيرها، تكفي دليلاً لإثبات عصمة أهل البيت (ع).

ومن الناحية العملية، لم يسجل التاريخ عن أئمة أهل البيت (ع) ما ينافي عصمتهم، على أن التاريخ الإسلامي دَوَّن من قبل علماء مدرسة الخلفاء، وغالباً ما دَوَّنوا في كتب التاريخ الإسلامي ما يجلبون به رضا الخلفاء مدى العصور، وكان الخلفاء مدى العصور جاذبين لإطفاء نور أئمة أهل البيت (ع) خشية ميل المسلمين إليهم (ع) ومبايعتهم بالخلافة، ولهذا السبب قتلوا منهم من قتلوا، وسجنوا منهم من سجنوا، وشرّدوا منهم من شرّدوا، وخاصّة بنو أميّة الذين أمروا بلعن الإمام عليّ (ع) في خطب صلاة الجمعة على منابر المسلمين، ولم ينج من عذابهم ومطاردتهم محبّو أئمة أهل البيت وشيعتهم ومن اعتقد بإمامتهم؛ مع كلّ ذلك لا نجد في التاريخ المدوّن آية صغيرة أو مفعلة نسبت إلى أئمة أهل البيت (ع). وكفى بهذا دليلاً على أن الله عصمهم من الرجس وطهرهم تطهيراً.

كان هذا أهمّ أدلّة مدرسة أهل البيت على عصمة أهل البيت (ع)، وفي ما يأتي بيان بعض النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في إمامتهم، وقد قال الله تعالى في حقّ رسوله:

﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ النجم/ ٣ - ٤ .

اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده

قبل أن ندرس النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين أولي الأمر من بعده، ندرس شيئاً من اهتمام الرسول (ص) بهذا الأمر في ما يأتي:

إن أمر الإمامة بعد الرسول (ص) كان من الأمور المهمة التي لم تغب عن بال الرسول (ص) ومن كان حوله، بل كانوا يفكرون فيه منذ البدء؛ فقد رأينا يبحر من بني عامر بن صعصعة يشترط على رسول الله (ص) لإسلامهم أن يكون لهم أمر من بعد الرسول (ص)، ورأينا هوزة الحنفي يطلب من الرسول (ص) منحه شيئاً من الأمر.

وكذلك كان الرسول (ص) - أيضاً - يفكر في الأمر من بعده ويدبر له منذ أول يوم دعا إلى الإسلام، وأول يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي.

أما تدبيره في أول يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي، فقد كان ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والنسائي وابن ماجه في سننهما، ومالك في الموطأ، وأحمد في المسند، وغيرهم في غيرها - واللفظ للأول - قال:

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في (العسر واليسر والمنشط والمكره). وأن لا ننازع الأمر أهله...^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ح ١٦٣/٤.

ولفظ العسر واليسر في صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح ٤١ و ٤٢. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على أن لا تنازع الأمر أهله. وسنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب البيعة ح ٢٨٦٦. وموطأ مالك، كتاب

وعبادة هذا كان أحد النِّقَباء الاثني عشر على الأنصار يوم بيعة العقبة الكبرى^(٣) حين قال النبي (ص) للنيف والسبعين من الأنصار الَّذِينَ بَايَعُوهُ: أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم. فأخرجوا من بينهم اثني عشر نقيباً، فقال رسول الله (ص) للنِّقَباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الخواريث لعيسى بن مريم (ع) . . . (٣).

إنَّ عبادة بن الصَّامِت أحد أولئك النِّقَباء الاثني عشر روى من بنود البيعة التي بايعوا الرسول عليها: «أن لا يَنازِعوا الأمر أهله».



وإنَّها أراد رسول الله (ص) من (الأمر) الوارد في هذا الحديث الصَّحيح، والذي يذكر فيه أخذ البيعة من اثنتين وسبعين رجلاً وأمرأتين من الأنصار أن لا يَنازِعوا الأمر أهله، هو الأمر الذي تنازعوا عليه في سقيفة بني ساعدة^(٤)، وأهل الأمر هم الَّذِينَ ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٥).

وإنَّ رسول الله (ص) وإن لم يشخص هنا وليَّ الأمر من بعده، لأنَّه لم يكن من الحكمة أن يعرف وليَّ الأمر من بعده وهو من غير قبيلة الأنصار، ولعلَّ

الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، ح ٥. ومسنَد أحمد ٣١٤/٥ و٣١٦ و٣١٩ و٣٢١، وراجع ٤١١/٤ منه.

وترجمة عبادة بسير أعلام النبلاء ٣/٢. وتهذيب أبْن عساكر ٢٠٧/٧ - ٢١٩.

(٢) بترجمة عبادة في الاستيعاب ٤١٢/٢. وأسَد الغابة ١٠٦/٣ - ١٠٧.

(٣) الطبري. ط. أوربا ١٢٢١/١.

(٤) راجع نزاع الأنصار القَبَلِي مع المهاجرين في فصل السقيفة وبيعة أبي بكر، بلول الكتاب.

(٥) النساء/٥٩. ويأتي تفسيرها والأحاديث الواردة عن رسول الله (ص) حوله في بحوث الكتاب إن شاء الله تعالى.

نفوس بعض المبايعين لم تكن تتحمل ذلك يومئذ، غير أنه أخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه حين يعينه لهم بعد ذلك.

وقد عين الرسول (ص) ولي الأمر من بعده وشخص وصيه وخليفته في مجتمع أصغر من هذا المجتمع، وذلك في أول يوم دعا الأقربين إليه للإسلام، كما رواه جمع من أهل الحديث والسير مثل: الطبري، وأبن عساكر، وأبن الأثير، وأبن كثير، والمتقي، وغيرهم - واللفظ للأول^(٦) - قال: عن علي بن أبي طالب (ع) قال:

لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص): ﴿وأنذر عشيرتَك الأقربين﴾ الشعراء/ ٢١٤. دعاني رسول الله (ص) فقال لي:

يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني متى أباديهم بهذا الأمر، أرى ما أكره، فصمت عليه، حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك. فأصنع لنا صباحاً من طعام، وأجعل عليه رجل شاة، وأملأ لنا عساً من لبن، ثم أجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمة، والعباس، وأبو هب. فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجثت به. فلما وضعته تناول رسول الله (ص) حذية (أي: قطعة) من اللحم فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في

(٦) تاريخ الطبري ط. أوروبا ١١٧١/٣ - ١١٧٢. وأبن عساكر تحقيق المحمودي ج ١ من ترجمة الإمام. وتاريخ أبن الأثير ٢/٢٢٢. وشرح أبن أبي الحديد ٣/٢٦٣. وفي تاريخ أبن كثير ٣/٣٩، وقد حذف الألفاظ وقال: كذا وكذا. وكثر العمال للمتقي، ١٥/١٠٠ و ١١٥ و ١١٦ منه، وفي ص ١٣٠: يكون أخي وصاحبي وليكم بعدي. والسيرة الحلية نشر المكتبة الإسلامية بيروت ١/٢٨٥.

نواحي الصَّحفة، ثم قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم. وأيم الله الذي نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: إسقِ القوم. فجثتهم بذاك العسّ، فشربوا منه حتى رويوا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشدة ما سحركم صاحبكم. فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال الغد: يا عليّ إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلمهم، فعذ لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم أجمعهم إليّ.

قال: ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: إسقهم. فجثتهم بذاك العسّ، فشربوا حتى رويوا منه جميعاً. ثم تكلم رسول الله (ص) فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جثتكم به. إني قد جثتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه.

فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصي وخليفتي فيكم؟

قال: فاحجم القوم عنه جميعاً وقلت - وإني لأحدثهم ستاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحشهم ساقاً - : أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخى ووصي وخليفتي فيكم، فأسمعوا له واطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع.



كانت هذه الدعوة في السنة الثالثة من البعثة، وهي أوّل مرّة أظهر فيها الرّسول (ص) الدعوة إلى الإسلام، وشخص فيها الإمام من بعده وعرفه

للاقرين إليه . وإنما فعل ذلك هنا ، ولم يفعله بعدها بعشر سنوات ويوم أخذ البيعة من الأنصار لإقامة المجتمع الإسلامي ، لأن الإمام كان من غير قبائل الأنصار وكان بناء المجتمع عندهم على أساس قبلي ، ولم يكن من الحكمة أن يأخذ البيعة منهم لمن يلي الأمر بعده وهو ليس من قبائل الأنصار ، فأكتفى في ذلك المقام بأخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه في الأمر .

وفي هذه المرة شخّصه للأقرين إليه في محاورة شبيهة بمشاورة أصحابه في غزوة بدر ، فإنه مع علمه في غزوة بدر بعاقبة الأمر ، كما أخبر بها أصحابه بعد الانتهاء من المشاورة وأراهم مصارع المشركين ، مع ذلك استشارهم أول الأمر في ما يفعل ، وكذلك فعل هنا ، فإنه مع علمه بالعاقبة وأن الذي يقبل مؤازرته هو الإمام عليّ ، مع ذلك علّق تعيين الوزير والوصي والخليفة من بعده على قبول المؤازرة في التبليغ وليتقدّم بالقبول أيّهم شاء ، ولما أبى كلّهم ذلك ، وبادر بالقبول ابن عمّه عليّ ، أخذ برقبته وقال فيه ما مرّ وأمرهم بطاعته .



رأينا في ما مرّ بنا إلى هنا اهتمام الرسول (ص) بأمر الإمامة من بعده : يشخّصه في مكان ، ويأخذ البيعة أن لا ينازعوه في مكان آخر ، ويقابل طمع الطامعين بالرفض في غيرهما .

ومن أجل أن ندرك مدى اهتمام الرسول (ص) بأمر من يستخلفه من بعده ، ندرس في ما يأتي ما كان يعمل (ص) عندما يغيب عن المدينة أياماً معدودات في الغزوات ، وكيف كان يعيّن خليفة عليهم من بعده .

باب ذكر من استخلف الرسول (ص) على المدينة في غزواته

في السنة الثانية من الهجرة :

أذن لرسول الله (ص) بالقتال في صفر من السنة الثانية ، فغزا بالمهاجرين

يعترض عيراً لقريش فبلغ ودّان والأبواء^(٧).

أولاً: استخلف سعد بن عبادة سيّد الخزرج من الأنصار خمس عشرة ليلة، مدة غيبته عن المدينة.

ثانياً: استخلف في غزوة بواط^(٨) سعد بن معاذ من سادة الأوس من الأنصار في ربيع الأول.

ثالثاً: استخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوته لطلب كرز بن جابر الفهري - وكان أغار على سرح المدينة - فبلغ (ص) سفوان وفاته كرز والسرح^(٩).

رابعاً: استخلف أبا سلمة المخزومي في غزوة ذي العشيرة، حين ذهب في جمادى الأولى أو الثانية يعترض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، ففاته، وكان القتال بيدري في رجوعها من الشام^(١٠).

(٧) الأبواء: قرية من أعمال فراض على بعد ٢٣ ميلاً من المدينة، فيها قبر آمنه أمّ النبي (ص). وودّان: قرية على مرحلة من الجحفة بينها وبين الأبواء ستة أميال. معجم البلدان.

(٨) بواط: من جبال جهينة من طريق الشام، وبين بواط والمدينة ثمانية برد، ويرد: جمع البرد ويبلغ البرد: اثني عشر ميلاً. في معجم البلدان بإدابة بواط. يسدو جلياً مراعاة رسول الله (ص) في الغزوتين الأولين مشاعر الأنصار القبيلة حين استخلف في الأولى سيّد الخزرج وفي الثانية سيّدأ من الأوس.

(٩) كانت هذه الغزوة أيضاً في ربيع الأول وبعد بواط. وسفوان: وإد بناحية بدر. كرز بن جابر بن حسل الفهري: قتل يوم الفتح مع رسول الله (ص). راجع جهمرة أنساب العرب لابن حزم في ذكر نسب بني محارب بن فهر، ويترجمته من الإصابة.

(١٠) ذو العشيرة كما في التنبيه، بناحية ينبع يبعد عن المدينة تسعة برد. وأبو سلمة: عبد الله بن عبد الأسد، أمه برة عمّة الرسول (ص) وأبنة عبد المطلب. هاجر إلى الحبيشة ثم إلى المدينة. حضر بدرأ وخرج في أحد ومات منه في جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة. راجع ترجمته في أسد الغابة.

خامساً: استخلف ابن أم مكتوم الضرير في غزوة بدر الكبرى، وغاب عن المدينة تسعة عشر يوماً^(١١).

سادساً: استخلف أبا لبابة الأنصاري الأوسي في غزوة بني قينقاع^(١٢).
سابعاً: استخلف أيضاً أبا لبابة في غزوة السوق، وكان خروجه (ص) في طلب أبي سفيان حين أقبل في مائتي راكب ليبرّ بنذره أن لا يمسّ الطّيب والنساء حتى يثار لأهل بدر، وأنتهوا إلى العريض فبلغهم خروج النبيّ (ص) فجعلوا يلقون جرب السوق تحففاً، فسمّيت غزوة السوق^(١٣).

في السنة الثانية:

ثامناً: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة قرقر الكدر، وسار (ص) للنّصف من المحرم يريد سليم وغطفان - قبيلتين من قيس عيلان - فأنجفوا، وغنم من أموالهم، ورجع ولم يلق كيداً^(١٤).
تاسعاً: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة قرآن، وغاب عن المدينة عشرة

(١١) خرج الرسول (ص) من المدينة لثلاث خلون من شهر رمضان ووقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه.

(١٢) قال أهل السيرة: لما قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة منها، فاستخرجوها فأتوا العالية فنزل بنو النضير بطحان ونزلت بنو قريظة مهزوراً - وهما واديان يهبطان من حرة هناك - فاتخذ بنو النضير الحدائق والأطام وأقاموا فيها، وأقاموا بها إلى أن غزاهم النبيّ (ص) وأخرجهم منها. راجع مادة: (بطحان) و(مهزور) من معجم البلدان.

وأبو لبابة: بشير أورفاعة بن عبد المنذر، اشتهر بكنيته، أحد النقباء في بيعة العقبة، راجع ترجمة بشير ورفاعة وأبي لبابة في أسد الغابة.

(١٣) العريض: وادي المدينة. معجم البلدان، مادة: (عريض).

(١٤) قرقر الكدر: ناحية معدن بني سليم ممّا يلي حارة العراق إلى مكّة وهي على بعد ثمانية أيام من المدينة. معجم البلدان، مادة: (قرقر). سار إليها النبيّ في النصف من المحرم.

أيام من جمادى الآخرة، فتفرقوا ولم يلق كيداً^(١٥).

عاشراً: استخلف عثمان بن عفان في غزوة ذي أمر بنجد، سار (ص) يريد غطفان، فأنجفوا من بين يديه ولم يلق كيداً، وغاب فيها عن المدينة عشرة أيام.

حادي عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة أحد، وقاتل المشركين في سفح جبل أحد - على بعد ميل من المدينة - غاب فيها عن المدينة يوماً واحداً.
ثاني عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة حمراء الأسد - على بعد عشرة أميال من المدينة - سار في طلب أبي سفيان حين بلغه أنه يريد الكر على المدينة، ففاته أبو سفيان ومن معه، فأقام فيها ثلاثة أيام، ثم عاد إلى المدينة.

في السنة الرابعة:

ثالث عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة بني النضير بناحية الغرس، حصرهم خمسة عشر يوماً، ثم أجلاهم عنها^(١٦).

رابع عشر: استخلف عبد الله بن رواحة الأنصاري في غزوة بدر الثالثة ستة عشر يوماً، وأقام فيها ثمانية أيام لموعد أبي سفيان إياهم في أحد أنه سيقا تلهم العام القادم في بدر، وخرج أبو سفيان من مكة إلى عسفان، ثم عاد منها إلى مكة^(١٧).

(١٥) قرآن: معدن بني سليم بناحية الفرع من المجاز. معجم البلدان ولسان العرب، مادة: (قرآن).

(١٦) كانت منازل بني النضير من اليهود ببئر غرس بقبا وما والاها، وقبا: قرية على ميلين من المدينة، وأصله أسم بئر هناك عرفت القرية به. معجم البلدان، مادة: (غرس) و(قبا).

(١٧) عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي: كان نقيب بني الحارث في بيعة العقبه. شهد المشاهد مع رسول الله (ص) وكان أحد الأمراء الثلاثة الذين أشتهدوا في مؤتة. ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة.

في السنة الخامسة :

خامس عشر: استخلف في غزوة ذات الرقاع عثمان بن عفان خمس عشرة ليلة وخرج لعشر خلون من المحرم، فأجفلت العرب من بين يديه ولحقوا برؤوس الجبال وبطون الأودية^(١٨).

سادس عشر: استخلف ابن أم مكتوم في غزوة دومة الجندل حين سار إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني - وكان يعترض سفر المدينة ونجارتهم - فهرب وتفرق أهلها، فلم يجد بها أحداً، فأقام أياماً وعاد إلى المدينة وهي أول غزواته إلى الروم^(١٩).

سابع عشر: استخلف مولاة زيد بن حارثة في غزوة بني المصطلق على ماء المريسيع ثمانية عشر يوماً، خرج فيها لليلتين خلتا من شعبان^(٢٠).

ثامن عشر: استخلف في غزوة الخندق ابن أم مكتوم، وهو يقاتل الأحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوال أو ذي القعدة.

تاسع عشر: استخلف أبا رهم الغفاري في غزوة بني قريظة، وهم على بعض يوم من المدينة، حصرهم خمسة عشر يوماً أو أكثر، بدأهم بسبع بقين من ذي القعدة^(٢١).

(١٨) ذات الرقاع: جبل قريب من النخيل مما يلي السعد والشفرة مختلفة ألوانه فيه بقع حر وسود وبيض. راجع ترجمة الغزوة من التنبيه والإشراف للمسمودي.

(١٩) دومة الجندل: كانت حصناً مبنياً بالجندل في متسع من الأرض خمسة فراسخ، وهي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول (ص) خمس عشرة ليلة. راجع مادة: (دومة) بمعجم البلدان و ترجمة الغزوة في التنبيه والإشراف للمسمودي، ذكر السنة الخامسة.

(٢٠) ماء المريسيع: على طريق الفرع والفرع ثمانية برد من المدينة.

(٢١) أبو رهم: كلثوم بن الحصين: أسلم بعد قدوم النبي (ص) المدينة، شهد أحداً فرمى بسهم في نحره فبصق عليه النبي (ص) فبرأ. انظر ترجمته في أسد الغابة.

في السنة السادسة :

عشرين : استخلف في غزوة بني لحيان من هذيل ، بالقرب من عسفان ، ابن أم مكتوم ، أربع عشرة ليلة ورجع ولم يلق كيداً^(٢٢) .

حادي وعشرين : استخلف ابن أم مكتوم ، خمس ليال في غزوة ذي قرد ، على ليلتين من المدينة^(٢٣) .

ثاني وعشرين : استخلف ابن أم مكتوم في غزوة الحديبية^(٢٤) .

في السنة السابعة :

ثالث وعشرين : استخلف سباع بن عُرْفُطَةَ في غزوة خيبر ، وهي على بعد ثمانية برد من المدينة ، وبعد فتح قلاعها عنوة وصلحاً سار إلى وادي القرى فحصرهم أياماً حتى أفتتحها عنوة ، ثم صالح أهل تيباء وهي على ثمانية مراحل من الشام ، ووادي القرى بينها وبين المدينة^(٢٥) .

رابع وعشرين : واستخلف أيضاً سباع بن عرْفُطَةَ في عمرة القضاء^(٢٦) .

(٢٢) بنو لحيان ، نسبهم في جمهرة أنساب ابن حزم ط . مصر سنة ١٣٨٢ ، ص ١٩٦ -

١٩٨ .

وعسفان بين مكة والمدينة ، اختلفوا في تعيين موضعه . معجم البلدان ، مادة : (عسفان) .

(٢٣) ذي قرد : من طريق خيبر ، وكان عينة بن حصن الفزاري أغار على لقاحه وهو بالغابة وهي على برود من المدينة أو أكثر . فخرج (ص) يوم الأربعاء لثلاث أو لأربع خلون من شهر ربيع الأول فاستقذ بعضها وعاد إلى المدينة . التنبيه والإشراف ، ذكر السنة السادسة .

(٢٤) خرج الرسول (ص) يوم الاثنين هلال ذي القعدة للعمرة فصلى المشركون عن دخول مكة ، فاقام بالحديبية على تسعة أميال من مكة ، ثم وقع الصلح بين الرسول وقريش على أن يعتمر في السنة القادمة .

(٢٥) سباع بن عرْفُطَةَ الففاري : استعمله النبي على المدينة لما سار إلى خيبر وتيباء . ترجمته بأسد الغابة .

(٢٦) سار النبي (ص) لست ليال خلون من ذي القعدة .

في السنة الثامنة :

خامس وعشرين : استخلف على المدينة أبا رهم الغفاري في غزوة مكة .
سادس وعشرين : سار بعد غزوة مكة إلى هوازن لغزو حنين ، وحين وإد
إلى جانب ذي المجاز ببعد ثلاث ليال عن مكة ، وبقي - أيضاً - أبو رهم والياً
على المدينة في هذه الغزوة .

سابع وعشرين : وأستخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك - على بعد
تسعين فرسخاً من المدينة - .

وهي آخر غزواته ، وكانت غزواته ثمانية وعشرين غزوة إن اعتبرنا خيبر
ووادي القرى غزوتين ، ولأفهمي سبع وعشرين غزوة .



رجعنا في ذكر أسماء من أستخلفهم رسول الله (ص) على المدينة في غيابه
عنها إلى التنبيه والإشراف للمسموعي في ذكره التاريخ من السنة الثانية إلى
السنة الثامنة من الهجرة ، وقد يختلف في ذكر أسماء من ولأه رسول الله (ص)
على المدينة مع غيره أحياناً . أما ما ذكره في استخلاف الإمام عليّ على المدينة في
غزوة تبوك فقد قال ذلك - أيضاً - إمام الحنابلة في مسنده في ما رواه عن سعد
ابن أبي وقاص ؛ قال :

إن رسول الله (ص) حين خرج في غزوة تبوك أستخلف عليها علياً (رض)
على المدينة ، فقال عليّ : يا رسول الله ما كنت أحب أن تخرج وجهاً إلا وأنا
معك . فقال : أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا
نبي بعدي^(٢٧) .

ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب

(٢٧) مسند أحمد ١/ ١٧٧ .

غزوة تبوك حيث روى عن سعد بن أبي وقاص أيضاً أنه قال :
 إن رسول الله (ص) خرج إلى تبوك وأستخلف علياً فقال : أتخلفني في
 الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا
 أنه لا نبي بعدي ^(٢٨) .

وما رواه مسلم - أيضاً - في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنه قال :
 سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له
 علي : يا رسول الله خلفتني مع الصبيان والنساء ؟ فقال له رسول الله (ص) :
 أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي ^(٢٩) .



هكذا لم يرغب الرسول (ص) في غزواته عن المدينة أياماً معدودات دون
 أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه مدة غيابه عن المدينة ، بل إنه لم يغب يوماً
 عن المدينة أو بعض يوم دون أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه ، كما كان
 الشأن في غزوة أحد ، وكان جبل أحد على بعد ميل من المدينة ، فإنه (ص) قد
 عين خليفته عليهم مدة غيابه عنهم ، بل وفي غزوة الخندق أيضاً حيث كان
 يقاتل في المدينة وأستقرّ دون الخندق ، عين لأهل المدينة المرجع لانشغاله عنهم
 في الحرب .

إذا كان هذا دأب الرسول (ص) في غيابه عن المدينة بعض يوم ، كذلك
 في حال انشغاله عنهم بالحرب داخل المدينة ، فماذا فعل لأمنته من بعده هو

(٢٨) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب غزوة تبوك ٥٨/٣ .

(٢٩) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل علي بن أبي طالب ، ح ٣٢ ،
 وراجع أيضاً مسند أبي داود الطيالسي ٢٩/١ . وحلية الأولياء لأبي نعيم ١٩٥/٧ و ١٩٦ . ومسند
 أحمد ١٧٣/١ ، ١٨٢ ، ٣٣٠ و ١٥٣/٤ . وتاريخ بغداد للخطيب ٤٣٢/١١ . وخصائص
 النسايني ص ٨ و ١٦ . وطبقات ابن سعد ٣/١ ق ١٥/١ .

يتركهم أبد الدهر؟ هل تركهم هملاً، ولم يعين لهم المرجع من بعده؟ هذا ما سندرسه في ما يأتي من فصول هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .



مرکز تحقیقات کتاب و توثیر علوم اسلامی

التصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين ولي الأمر من بعده

نبدأ هذا الباب بذكر ما فعله الأنبياء في تعيين الوصي وولي الأمر لأمرهم من بعدهم .

الوصية في الأمم السابقة
قد سلسل المسعودي^(١) اتصال الحجج وأوصياء الأنبياء من لدن آدم حتى خاتم النبيين - صلوات الله عليهم أجمعين - وأوصيائه، فقد ذكر - مثلاً - :
أن وصي آدم كان هبة الله وهو شيث بالعبرانية .
وأن وصي إبراهيم كان إسماعيل (ع) .
وأن وصي يعقوب كان يوسف (ع) .
وأن وصي موسى كان يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف (ع) وخرجت عليه صفورا زوجة موسى (ع) .

(١) إثبات الوصية، للمسعودي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ص: ٥ - ٧٠ .
والمسعودي هو: أبو الحسن، علي بن الحسين المسعودي، ينتهي نسبه إلى الصحابي عبد الله ابن مسعود. توفي سنة ٣٤٦ هـ. وفي ترجمته بطبقات الشافعية ٣٠٧/٢: قيل كان معتزلي العقيدة. وأشار إلى هذا الكتاب الكتبي في فوات الوفيات ٤٥/٢، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ٩٤/١٣ وقال: له كتاب البيان في أسماء الأئمة، وفي الميزان، لابن حجر ٢٢٤/٤: له كتاب تعيين الخليفة. وسماه في الذريعة وغيرها: (إثبات الوصية).

وَأَنْ وَصِيَ عِيسَى كَانَ شَمْعُون (ع).
وَأَنْ وَصِيَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ (ص). كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ الْأَحَدُ
عَشَرَ مِنْ وَلَدِهِ (ع).
وَنَحْنُ نَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى ذِكْرِ خَبَرِ ثَلَاثَةِ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ آنِفًا:

أ - خَبَرُ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشِيثَ:
قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ فِي خَبَرِ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشِيثَ:
لَمَّا حَضَرَ آدَمَ الْوَفَاةَ . . . جَعَلَ وَصِيَّتَهُ إِلَى شِيثَ
وَقَالَ الطَّبْرِيُّ:
هَبَّةُ اللَّهِ؛ وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ: شِيثَ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى آدَمُ . . . وَكَتَبَ وَصِيَّتَهُ، وَكَانَ
شِيثَ فِي مَا ذَكَرَ وَصِيَ أَبِيهِ آدَمَ (ع).

وَقَالَ الْمُسَعَوْدِيُّ فِي خَبَرِ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشِيثَ ثُمَّ وَفَاتَهُ:
ثُمَّ إِنَّ آدَمَ حِينَ آدَى الْوَصِيَّةَ إِلَى شِيثَ، احْتَقَبَهَا وَأَحْتَفَظَ بِمَكُونِهَا، وَأَنْتَ
وَفَاةُ آدَمَ . . .

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ:
وَتَفْسِيرُ شِيثَ: هَبَّةُ اللَّهِ، وَهُوَ وَصِيَ آدَمَ، وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةَ عَهْدَ إِلَى
شِيثَ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ:
ذَكَرَ وَفَاةُ آدَمَ وَوَصِيَّتَهُ إِلَى ابْنِهِ شِيثَ (ع):
وَمَعْنَى شِيثَ: هَبَّةُ اللَّهِ . . . وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةَ عَهْدَ إِلَى ابْنِهِ
شِيثَ . . .

ب - خبر يوشع بن نون وصي موسى

أولاً: يوشع بن نون في التوراة:

ورد في مادة يوشع من قاموس الكتاب المقدس نقلاً عن التوراة: أن يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يتلوث بعبادة العجل على عهد هارون.

وفي آخر الإصحاح السابع والعشرين من سفر العدد^(١) ورد خبر تعيينه من قبل الله وصياً لموسى كالنص الآتي:

تَكَرَّرَ مُوسَى الرَّبُّ قَائِلاً: "لِيُؤَيِّدَ الرَّبُّ إِلَهُ
أَرْتَحِ جَمِيعَ الْبَنَرِ رَجُلًا عَلَى الْجَمَاعَةِ" يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ
وَيُدْخِلُهُمْ لِكَيْ لَا تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْقَسَمِ الَّتِي لَا رَاحِي لَهَا. فَقَالَ الرَّبُّ لِيُوشَعَ
خُذْ يَشُوعَ مَن نُوَيِّدُ رَجُلًا فِي رُوحٍ وَضَعَ يَدَكَ عَلَيْهِ "وَأَوْفَقَهُ قَدَامَ الْيَاكَّارِ الْكَاثِمِينَ
وَقَدَامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَلَوْ مِوَا أَمَامَ أَغْنِيُونِ. "وَأَجَلَّ مِنْ مِثْلِكَ عَلَيْهِ لَكِنِّي سَمِعْتُ لَكَ كُلَّ
جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. "فَبَيَّضَ أَمَامَ الْيَاكَّارِ الْكَاثِمِينَ قَبَالَ لَهُ بَيْضَاءَ الْأُورِيمِ أَمَامَ
الرَّبِّ. حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُ حَيًّا وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَهْلًا
الْجَمَاعَةِ. "فَنَقَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. أَخَذَ يَشُوعَ وَوَقَفَهُ قَدَامَ الْيَاكَّارِ الْكَاثِمِينَ
وَقَدَامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ "وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَلَوْصَاهُ كَمَا تَكَرَّرَ الرَّبُّ عَنْ يَدَيْ مُوسَى...

وورد خبر قيامه بأمر بني إسرائيل وحروبه في ثلاثة وعشرين إصحاحاً من سفر يوشع بن نون.

ثانياً: في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم؛ عُرِبَ يوشع بـ (اليسع) في سورة الأنعام، الآية: ٨٦ وسورة ص، الآية: ٤٨.

(٢) التوراة من الكتاب المقدس، بيروت، المطبعة الأمريكية سنة: ١٩٠٧م.

ثالثاً: في مصادر الدراسات الإسلامية :

في تاريخ البعقوبي ٤٦/١ :

وكان موسى لما حضرته وفاته أمره الله عز وجل أن يدخل يوشع بن نون إلى قبة الرُّمان فيقدّس عليه، ويضع يده على جسده لتحوّل فيه بركته، ويوصيه أن يقوم بعده في بني إسرائيل .

وجه الشبه بين وصيّ خاتم الأنبياء ووصيّ موسى (ع)

إنّ يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يعبد العجل . وأمر الله نبيه موسى أن يعيّنه وصيّاً من بعده لثلاث تكون جماعة الربّ كالغنم بلا راع .
وكان الإمام عليّ مع النبيّ في غار حراء ولم يعبد صنماً قطّ وأمر الله نبيه في رجوعه من حجة الوداع أن يعيّنه أمام الحجيج قائداً للأمة من بعده، ولا يترك أمته هملاً؛ وقد صدق بذلك رسول الله (ص) في غدير خم وعيّنه وليّاً للعهد من بعده كما سنذكره في ما يأتي، وصدق رسول الله (ص) حيث قال :
«لِيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النَعْلِ بِالنَعْلِ . . . » وقد أوردنا مصادره في أول الجزء الثاني من (خمسون ومائة صحابيٍّ مختلفيٍّ).

ج - خبر شمعون وصيّ عيسى

أولاً: شمعون في الانجيل :

ورد في قاموس الكتاب المقدّس ذكر عشرة أشخاص بهذا الاسم، منهم :
شمعون بطرس وشمعون أسمه في التوراة سمعون، وقد ورد خبره في إنجيل متى، الإصحاح العاشر كالآتي :

«ثمّ دعا - يعني عيسى - تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتّى يخرجوها، ويشفوا كلّ مرض وكلّ ضعف . وهذه أسماء الاثني عشر رسولاً : الأول سمعان الذي يقال له بطرس . . . »

وفي إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢١ العدد: ١٥ - ١٨ أن عيسى أوصى إليه وقال له: «ارح غنمي» كناية عن رعاية من آمن به .
وجاء في قاموس الكتاب المقدس أيضاً:
«عينه المسيح لهداية الكنيسة» .

ثانياً: شمعون في مصادر الدراسات الإسلامية:
ذكر خبره يعقوبي وسمّاه: سمعان الصفا .
وقال المسعودي في ٣٤٣/١:

قتل برومية بطرس وأسمه باليونانية: شمعون والعرب تسميه: سمعان .
وفي مادة: دير سمعان من معجم البلدان:
«دير سمعان: بناوحي دمشق، وسمعان هذا الذي ينسب إليه الدير أحد
أكابر النصراني، ويقولون إنه شمعون الصفا» .



أوردنا نتفاً من أخبار هؤلاء الأوصياء الثلاثة كمثال لأخبار بقية أوصياء
الأنبياء في الأمم السابقة .

ولم يكن خاتم الأنبياء بدعاً من الرسل ليترك أمته دون تعيين ولي الأمر من
بعده، وهو الذي لم يغب عن المدينة - المجتمع الإسلامي الصغير - في غزواته
ولا ساعة من نهار دون أن يستخلف عليها أحداً . كلاً لم يترك خاتم الأنبياء
والمرسلين المجتمعات الإسلامية للأبد دون أن يعين أولي الأمر من بعده، بل
عينهم بألفاظ مختلفة وفي أماكن متعددة؛ منها ما خصّ بالذكر الإمام من بعده
ومنها ما ذكر فيها جميع الأئمة .

ومما خصّ بالذكر الإمام علي بن أبي طالب وحده؛ الأحاديث الآتية:

وصي الرسول (ص) ووزيره وولي عهده وخليفته من بعده

الوصي في أحاديث الرسول (ص)

أوردنا في أول الباب قصة إنذار بني هاشم وأن رسول الله (ص) قال لعليّ ابن أبي طالب (ع) بمحضر من رجال بني هاشم في ذلك اليوم :
«إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيَّيْ وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَاطِيعُوا» .
وهذا القول عين الرسول (ص) وصيه وخليفته فيهم وأمرهم بإطاعته ،
وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الحشر/ ٧ .
وروى الطبراني عن سلمان ، قال : قلت : يا رسول الله ، إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيًّا فَمَنْ وَصِيَّكَ ؟ فسكت عنيّ ، فلَمَّا كَانَ بَعْدَ رَأْيِي فَقَالَ : يَا سَلْمَانَ .
فأسرعت إليه ، قلت : لَبَّيْكَ . قال : تَعْلَمُ مِنْ وَصِيٍّ مُوسَى ؟ قال : نعم ، يوشع ابن نون . قال : لم ؟ قلت : لِأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمُهُمْ يَوْمَئِذٍ . قال :
«فإِنَّ وَصِيَّيْ وَمَوْضِعَ سَرِّي وَخَيْرَ مَنْ أَتْرَكَ بَعْدِي وَيَنْجِزُ عِدَّتِي وَيَقْضِي دِينِي عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ» (٣) .

(٣) رواه الهيثمي عن الطبراني في المعجم الكبير ٢٢١/٦ . وجمع الزوائد ١١٣/٩ ، ورواه سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة خواص الأئمة ص ٤٣ ، باب حديث النجوى عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل وهذا لفظه :
قال أنس :

قلنا لسلمان : سَلِّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) مِنْ وَصِيِّكَ ؟ فَسَالَ سَلْمَانُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) ، فَقَالَ : مَنْ كَانَ وَصِيَّ مُوسَى بْنِ حَمْرَانَ ؟ فَقَالَ : يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ . قَالَ : إِنَّ وَصِيَّيَّ وَوَارِثِيَّ وَمَنْجِزَ وَعْدِي ، عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ . وَرَاجِعُ الرِّبَاضِ النَّصْرَةُ لِلْمَحَبِّ الطَّبْرِيِّ (٢/ ٢٣٤) .

وعن أبي أيوب أن رسول الله (ص) قال لابنته فاطمة :
 «أما علمت أن الله عز وجل أطلع على أهل الأرض فأختار منهم أباك
 فبعثه نبياً، ثم أطلع الثانية فأختار بعلك فأوحى إليّ فإنكحته وأتخذته
 وصياً»^(١).

وعن أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال :
 «إن وصي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي وينجز عدي ويقضي ديني
 عليّ بن أبي طالب»^(٢).

وعن أنس بن مالك أن الرسول توضأ وصلى ركعتين وقال له :
 «أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيّد المسلمين،
 ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين . . . » فجاء عليّ (ع) فقال (ص) : من جاء

١) مجمع الزوائد للهيتمي ٢٥٣/٨ ، وفي ١٦٥/٩ منه عن عليّ بن عليّ الهلالي : ووصي
 خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك - الحديث . ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد
 ٣١/٥ . وكنز العمال ، كتاب الفضائل ، الفصل الثاني ، فضائل عليّ بن أبي طالب ، ح ١١٦٣ ،
 ٢٠٤/١٢ .

وفي موسوعة أطراف الحديث من المعجم الكبير للطبراني ٢٠٥/٤ . وجمع الجوامع
 للسيوطي . رقم الحديث : ٤٢٦١ .

وأبو أيوب الأنصاري : اسمه خالد بن زيد الخزرجي . شهد بيعة العقبة وجميع مشاهد
 رسول الله (ص) وشهد مع الإمام عليّ الجمل وصفين ونهروان . وتوفيّ عند مدينة القسطنطينية
 سنة خمسين أو إحدى وخمسين . أسد الغابة ١٤٣/٥ .

٥) كنز العمال ، كتاب الفضائل ، الفصل الثاني ، فضائل عليّ بن أبي طالب ، ح ١١٩٢ ،
 الثانية ٢٠٩/٢ .

وفي أطراف الحديث عن كنز العمال ، الحديث ٣٢٩٥٢ . والطبراني ٢٧١/٦ .
 وأبو سعيد الخدري : سعد بن مالك الخزرجي ، كان من الحفاظ لحديث رسول الله (ص)
 (ت : ٥٥٤ هـ) . أسد الغابة ٢١١/٥ .

يا أنس؟ فقلت: عليّ. فقام إليه مستبشراً فأعنتقه - الحديث^(٦).

وعن الصحابي بريدة قال: قال النبي:

«لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وإنّ عليّاً وصيّ ووارثي»^(٧).

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي، ما موجه: إنّ جبرائيل جاء بهديّة من الله ليهديها الرسول (ص) إلى ابن عمّه ووصيّه علي بن أبي طالب - الحديث^(٨).

كان هذا ما وجدناه في الوصيّة في أحاديث الرسول (ص).

الوصيّة في كتب الأمم السّابقة

روى نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين والخطيب في تاريخ بغداد والمفّظ للأول:

إنّ الإمام عليّاً في مسيره إلى صفين عطش جيشه في صحراء، فأطلق بهم حتّى أتى بهم على صخرة، فأعانهم حتّى أقتلعوها وشرب الجيش حتّى أرتووا،

(٦) حلية الأولياء ٦٣/١. وتاريخ ابن عساكر ٤٨٦/٢. وشرح نهج البلاغة. ط. الأولى ٤٥٠/١. وفي موسوعة أطراف الحديث عن اتّحاف السادة المتّقين للزبيدي ٤٦١/٧.

وأنس بن مالك: أبو ثمامة الخزرجي، روى عنه البخاري ومسلم ٢٢٨٦ حديثاً. اختلف في سنة وفاته من ٩٠-٩٣ هـ. الاستيعاب. وأسد الغابة. والإصابة. مرّت ترجمته في ص ١٣٤.

(٧) مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر مصورة المجمع العلمي الإسلامي ج ١٢/ق ١٦٣/١ ب ترجمة الإمام علي وطبعتها على حدة دار التعارف بيروت سنة ١٣٩٥ في ثلاث مجلدات ورواية بريدة في ٥/٣ منها. والرياض النضرة ٢٣٤/٢ عن بريدة وهو:

أبو عبد الله بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي؛ قدم المدينة بعد أحد فشهد مع رسول الله (ص) مشاهدته وتحول بعده إلى البصرة وأبنتى بها داراً. ثم خرج غازياً إلى خراسان فأقام بمرو وتوفي بها سنة ٦٣ هـ. أسد الغابة ١/١٧٥، وتهذيب التهذيب ١/٤٣٢-٤٣٣.

(٨) المحاسن والمساوي لمحمد بن إبراهيم البيهقي (كان حيّاً قبل: ٣٢٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. القاهرة سنة ١٣٨٠هـ ١/٦٤-٦٥.

وكان بالقرب منهم دير، فلما أطلع صاحب الدير على هذا الأمر قال: ما بُنى هذا الدير إلا بذلك الماء وما أستخرجه إلا نبي أو وصي نبي^(٩).

خبر آخر يؤيد الخبر السابق:

في صفين لنصر بن مزاحم وتاريخ ابن كثير واللفظ للأول:
قال: لما نزل عليّ الرقة بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلي: إنَّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال علي: نعم، فما هو؟ قال الراهب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي قضى فينا قضى، وسطر فينا سطر، أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نعمة، وفي كل صعود وهبوط، تذللوا للستهم بالتهليل والتكبير والتسبيح، وينصره الله على كل من ناواه، فإذا توفاه الله أختلفت أمته ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله ثم أختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضي بالحق، ولا يرتشي في الحكم. الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الرياح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء. يخاف الله في السرّ،

(٩) وقعة صفين، ط. المدني بمصر سنة ١٣٨٢ هـ ص ١٤٥. وتاريخ الخطيب ٣٠٥/١٢.

وقد أوردنا الخبر بإيجاز من الأول.

وقد بني في مكان الدير منذ قرون مسجد برائا، وتغير مجرى نهر دجلة والفرات اللذين كانا يجريان في أرض العراق وأصبح مجرى نهر دجلة قريباً من المسجد المذكور.

وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم. من أدرك ذلك النبي (ص) من أهل هذه البلاد فأمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره؛ فإنَّ القتل معه شهادة.

ثم قال له: فأنا مصاحبك غير مفارقتك حتى يصيبني ما أصابك. قال: فبكى عليّ ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسياً. الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار. ومضى الراهب معه، وكان - فيما ذكروا - يتغذى مع عليّ ويتعشى حتى أصيب يوم صفين. فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليّ: أطلبوه. فلما وجدوه، صلى عليه ودفنه، وقال: هذا منا أهل البيت. وأستغفر له مراراً^(١٠).

الوصية في أحاديث الصحابة والتابعين

الوصية في خطبة أبي ذر

وقف أبو ذر على عهد عثمان بباب مسجد رسول الله وخطب وقال في خطبته:

(ومحمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه . . .).

سيأتي تمام الخطبة في ذكر النوع العاشر من أنواع الكتبان في مدرسة الخلفاء إن شاء الله تعالى.

الوصية في حديث الأشر

قال مالك بن الحارث الأشر لما بويع أمير المؤمنين (ع):

(١٠) صفين ص ١٤٧ - ١٤٨. وأبن كثير ٢٥٤/٧.

والبلخ: اسم نهر بالرقّة، يجتمع فيه الماء من عيون. معجم البلدان.

أيها الناس هذا وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء الحسن العناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل^(١١).

الوصية في حديث عمرو بن الحمق الخزاعي
عندما جمع أمير المؤمنين الناس بالكوفة وخاطبهم في شأن المسير إلى صفين
لحرب معاوية، قام عمرو بن الحمق الخزاعي وخاطب الإمام وقال:
يا أمير المؤمنين إني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة
مال تؤتيني، ولا ألتباس سلطان ترفع ذكرني به، ولكنني أحببتك بخصال
خمس: إنك ابن عم رسول الله (ص)، ووصيه، وأبو الذرية التي بقيت فينا
من رسول الله (ص)، وأسبق الناس إلى الإسلام، وأعظم المهاجرين سهماً في
الجهاد^(١٢).

(١١) تاريخ يعقوب ١٧٨/٢.

(١٢) سرح النج لابن أبي الحديد ٢٨١/١. وفي طبعة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

١٨١/٣.

وعمر بن الحمق الخزاعي: هاجر إلى النبي (ص) بعد الحديبية، سقى النبي (ص) فدعا
له وقال: اللهم منعه بشبابه، فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحية شعرة بيضاء. شهد مع
عليّ مشاهدته كلها وكان من أصحاب حجر بن عدي. وخاف زياد بن أبيه وهرب من الكوفة إلى
الموصل وأختفى في غار بالقرب منه، فأرسل معاوية إلى العامل بالموصل. وكان العامل عمرو بن
الحكم ابن أخت معاوية - ليحمل إليه عمراً فوجده ميتاً، كان قد نشته حية فقطع رأسه وبعث
به إلى خاله معاوية. وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام. وكان معاوية قد حبس زوجة عمرو
ابن الحمق، أمنة بنت الشريد، فوجه إليها رأس عمرو فألقي في حجرها فأرذاعت لذلك ثم
وضعت في حجرها ووضعت كفها على جبينه ثم لثمت فاه وقالت: غيبتموه عني طويلاً ثم
أهديتموه إليّ قتيلاً فأهلاً بها من هدبة غير قالية ولا مقلية. وكان قتله في ستة خمسين للهجرة.

الوصية في كتاب محمد بن أبي بكر
كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخر. سلام على أهل طاعة الله
مَنْ هو مسلم لأهل ولاية الله. أما بعد فإنَّ الله... أنتخب محمداً (ص)
فأختصه برسالته، وأختاره لوجيه، وأثمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصداً لما
بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربِّه بالحكمة
والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب، وصدق ووافق، وأسلم وسلم؛
أخوه وأبن عمه علي بن أبي طالب (ع)، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلِّ
حميم، فوقاه كلِّ هول، وواساه بنفسه في كلِّ خوف، فحارب حربه، وسالم
سَلَمَه، فلم يبرح مبتدلاً لنفسه في ساعات الأزل، ومقامات الروع، حتى برز
سابقاً لانظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله. وقد رأيتك تساميه وأنت
أنت، وهو هو المبرز السابق في كلِّ خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس
نيةً، وأطيب الناس ذريةً، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم. ثم
لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله،
وتجمعان على ذلك الجموع، وتبدلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل. على ذلك
مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك
من بقية الأحزاب رؤوس النفاق والشقاق لرسول الله (ص). والشاهد لعلي مع
فضله المبين وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأثنى الله
عليهم، من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون
بأسياقهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في أتباعه، والشقاء في

ترجمته بأسد الغابة ١٠٠/٤ - ١٠١.

خلافه، فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعليّ، وهو وارث رسول الله (ص)، ووصيّه وأبو ولده وأول الناس له أتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه ويشركه في أمره.

وكتب معاوية في جوابه :

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه عمّد بن أبي بكر. سلام على أهل طاعة الله. أمّا بعد فقد أناني كتابك، تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه وما أصفى به نبيّه، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف. ذكرت حقّ أبني أبي طالب، وقديم سوابقه وقرابته من نبيّ الله (ص)، ونصرته له ومواساته إيّاه في كل خوف وهول، واحتجاجك عليّ بفضل غيرك لا بفضلك. فأحد إلهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك. وقد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبينا (ص)، نرى حقّ أبني أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا فلمّا اختار الله لنبيّه (ص)، ما عنده، أتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجّته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من أبتزّه وخالفه. على ذلك اتّفقا وآتسقا، ثمّ دَعَوَاهُ إلى أنفسهم فأبطا عنها وتلكأ عليها، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما، حتّى قبضا وأنقضى أمرهما. ثمّ قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان، يهندي بهديهما - إلى آخر الكتاب.

أوردنا جواب معاوية لما فيه من الاعتراف بما ذكره محمّد بن أبي بكر. وأورد غمام الكتّابين نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين والمسدودي في مروج الذهب. وأشار إليهما الطبريّ وأبن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ست وثلاثين هجرية.

روى الطبري بسنده عن يزيد بن ظبيان :

أَنَّ محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي . فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعه العامة . . .

إذا فإن الطبري لم يورد في موسوعته التاريخية الكبرى ما دار بين محمد بن أبي بكر ومعاوية من مكاتبات لأنه لم ير من الحكمة أن يطلع عليها عامة الناس وليس من باب عدم أعماده على صحة الخبر . وتبعه العلامة ابن الأثير ولم يورد تلك المكاتبات في موسوعته التاريخية (الكامل) وذكر نفس العلة وقال : كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعه العامة^(١٣) .

الوصية في كتاب عمرو بن العاص

روى الخوارزمي كتابا لعمرو بن العاص إلى معاوية قال فيه :
فأما ما دعوتني إليه . . . ، وإعانتني إياك على الباطل ، وأخترط السيف في وجه عليّ وهو أخو رسول الله (ص) ووصيه ووارثه ، وقاضي دينه ومنحر وعده وزوج أبنته . . .^(١٤) .

الوصية في كلام الإمام عليّ (ع) واحتجاجه

روى الخوارزمي من كلام الإمام عليّ (ع) :
(أنا أخو رسول الله (ص) ووصيه . . .)^(١٥) .

١٣) الكتاب وجوابه في صفين لنصر بن مزاحم ، ط . القاهرة ، سنة ١٣٨٢ هـ ص ١١٨ .
١١٩ . وتاريخ الطبري ط . أوربا ١/٣٢٤٨ . وتاريخ ابن الأثير ط . أوربا ٣/١٠٨ . ومروج الذهب للمسعودي ط . بيروت ، سنة ١٣٨٥ هـ ١١/٣ ، وقال : إنَّ محمد بن أبي بكر كتب الكتاب إلى معاوية من مصر لما ولّاه الإمام عليّ . وابن أبي الحديد ١/٢٨٤ .

١٤) مناقب الخوارزمي ص ١٢٥ .

١٥) مناقب الخوارزمي ص ١٤٣ .

وروى آبن أبي الحديد، من كتاب للإمام عليّ (ع) إلى أهل مصر:
(وأعلموا أنه لا سوى: إمام الهدى وإمام الرّدى، ووصيّ النبيّ وعدو
النبيّ)^(١٦).

وذكر اليعقوبي احتجاج الخوارج على الإمام عليّ (ع) وجاء فيه أنه ضيّع
الوصيّة، فكان من جوابه (ع):
(أما قولكم إني كنت وصيّاً فضيّعت الوصيّة، فإن الله عزّ وجلّ يقول:
﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَفِيْرٌ
الْعَالمِينَ﴾ آل عمران/٩٧. أفرايتم هذا البيت لو لم يحجّ إليه أحد كان البيت
يكفر؟ إنّ هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلًا كفر، وأنتم كفرتم بترككم
إياي لا أنا بترككم لكم - الخ)^(١٧).

الوصية في خطب الإمام عليّ (ع)
في الخطبة ١٨٢ من نهج البلاغة، قال الإمام:
(أيّها النّاس إنّي قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأدبت
إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم . . .).

وفي الخطبة ٨٨ منه، قال:
(ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرقة على اختلاف حججها في دينها لا
يقتضون أثر نبيّ ولا يقتدون بعمل وصي).

وفي الخطبة الثانية منه، قال:
(لا يقاس بآل محمّد (ص) من هذه الأئمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت
نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين . . . ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم

(١٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٨/٢.

(١٧) تاريخ اليعقوبي ١٩٢/٢ - ١٩٣.

الوصية والوراثة . . .) .

وقال ابن أبي الحديد :

خطب عليّ عليه السلام فقال في أثناء خطبته : (أنا عبدُ الله ، وأخو
رسوله ، لا يقولها أحدٌ قبلي ولا بعدي إلّا كذب ؛ ورثتُ نبيَّ الرحمة ، ونكحْتُ
سيدة نساء هذه الأمة ، وأنا خاتم الوصيين)^(١٨) .

الوصية في خطبة الإمام الحسن (ع)

خطب الإمام الحسن (ع) بعد مقتل أبيه وقال في خطبته :
(أنا الحسن بن عليّ وأنا آبن النبيّ وأنا آبن الوصي)^(١٩) ، الحديث .

الوصية في تعزية الشيعة للإمام الحسين بوفاة أخيه الإمام الحسن (ع)
لما توفي الحسن وبلغ الشيعة ذلك ، اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن
صرد وكتبوا إلى الحسين بن عليّ يعزّونه على مصابه بالحسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإنّا
نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو . أمّا بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي
[فسلام عليه]^(٢٠) يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً . . . ما أعظم ما
أصيب به هذه الأمة عامّة وأنت وهذه الشيعة خاصّة بهلاك آبن الوصي وآبن
بنت النبيّ و . . .^(٢١) .

(١٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . ط . مصر الأولى ٢٠٨/١ .

(١٩) نقلنا الخبر من مستدرک الحاكم ١٧٢/٣ . وراجع ذخائر العقبى ص ١٣٨ . وفي مجمع

الزوائد للهيثمي ١٤٦/٩ عن الطبراني وغيره .

(٢٠) لم يرد هذا في النص ولكن السياق يقتضيه .

(٢١) تاريخ اليعقوبي ٢٢٨/٢ .

وفي مروج الذهب للمسعودي : قال ابن عباس لمعاوية لما بلغه وفاة الإمام الحسن وهو بالشام : ولئن أصبنا به فقد أصبنا قبله بسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعده بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة . . . (٢٢) .

الوصية في خطبة الإمام الحسين (ع)

خطب الإمام الحسين (ع) يوم العاشر من المحرم على جيش الخليفة يزيد وقال في خطبته في مقام الاحتجاج عليهم :

(أما بعد فأنسبوني فأنظروا من أنا؟ ثم أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها هل يجوز لكم قتلي وأنتهاك حرمتي . ألسنت ابن بنت نبيكم (ص) وأبن وصيه وأبن عمه وأول القوم إسلاماً وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بها جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟! أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟) (٢٣) .

إذاً كان ما وصف به الإمام الحسين أباه الإمام علياً من أنه وصي رسول الله (ص) مشهوراً عندهم كشهرة نبوة جده ، وأن عم أبيه حمزة سيد الشهداء ، وأن جعفر الطيار ذا الجناحين عمه . ولذلك ذكره في نسبه ولم يرد عليه أحد منهم .

عبد الله بن علي عم الخليفة العباسي السفاح يحتج بالوصية دعا العباسيون في بادئ أمرهم الناس إلى القيام ضد الأمويين بأسم آل

(٢٢) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٤٣٠ .

(٢٣) في الخطبة التي رواها الطبري في ط . أوربا ٢/ ٣٢٩ . وأبن الأثير ، ط . أوربا ٤/ ٥٢ . وذكر الخطبة ابن كثير في ٨/ ١٧٩ وحذف منها ما ذكره الإمام الحسين في وصف أبيه وكتب بدلها (وعلي أبي) ولورد الباقي .

محمد (ص) وكان يدعى أبو مسلم أمير آل محمد^(٢٤) وكانوا يحتجون على خصومهم بالنصوص التي وردت عن رسول الله (ص) في حق آلته بالحكم، ولما تم لهم الاستيلاء على الحكم أداروا ظهورهم لآل محمد (ص).

ومن أحتج بالوصية عم السفاح أول الخلفاء العباسيين؛ فقد روى الذهبي عن أبي عمرو الأوزاعي^(٢٥) ما موجه:

لما قدم عبد الله بن علي عم السفاح الشام وقتل بني أمية بعث إلي وقال في كلامه:

ويحك أوليس الأمر لنا ديانة؟

قلت: كيف ذلك؟

قال: أليس كان رسول الله (ص) أوصى لعلي؟

قلت: لو أوصى إليه لما حكم الحكمين. فسكت وقد اجتمع غضباً، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي، فقال بيده هكذا، أومي أن أخرجوه؛ فخرجت - الحديث.

إن الأوزاعي أحتج في رد الوصية بما أحتج به الخوارج على الإمام علي وجوابه جواب الإمام للخوارج، والذي مر ذكره تحت عنوان: الوصية في كلام الإمام علي (ع) وأحتج به.

محمد بن عبد الله بن الحسن يمتج على الخليفة المنصور بالوصية روى الطبري وآبن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ١٤٥ بتاريخيهما: أن محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عندما خرج على الخليفة العباسي

(٢٤) تاريخ البعقوي ٣٥٢/٢. والتنبيه والإشراف للمسمودي ص ٢٩٣. وتاريخ ابن الأثير ١٣٩/٥ - ١٤٢ - ١٩٤ في ذكر حوادث سنة ١٢٩ و ١٣٠.
(٢٥) بترجمته في تذكرة الحفاظ ١٨١/١.

أبي جعفر المنصور وبإيعام الناس بالمدينة، كتب في جواب أبي جعفر كتاباً مفصلاً يدلي بحججه في أنه أحق بالخلافة من المنصور وجاء فيه :
 . . . وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ . . .

فكتب إليه المنصور كتاباً يرد فيه على ما احتج به وسكت عن جواب هذه الحجة، وسكوت المنصور إقرار منه بصحتها لديهم^(٢٦).

الخليفة المهدي يرفض وصية لذكر (الوصي) فيها

في تاريخ الطبري :

قال أبو الخطاب لما حضرت القاسم بن مجاشع التميمي من أهل مرو بقرية يقال لها باران الوفاة أوصى إلى المهدي فكتب ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إلى آخر الآية ثم كتب والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك ويشهد أن محمداً عبده ورسوله (ص) وأن علي بن أبي طالب وصي رسول الله (ص) ووارث الإمامة بعده، قال : فغرضت الوصية على المهدي فلما بلغ هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها^(٢٧).

الخليفة هارون الرشيد يخبر بما بلغه من الأوصياء

في الأخبار الطوال عن الأصمعي^(٢٨) ما موجهه :

(٢٦) الطبري، ط ٢٠٩/٣. وتاريخ أبي الاثير ط. مصر الأولى ١٩٩/٥. وابن

كثير ٨٥/١٠

(٢٧) تاريخ الطبري ٥٣٢/٣.

(٢٨) الأصمعي : عبد الملك بن قريش (ت : ٢١٦ هـ) البصري اللغوي النحوي.

قيل : كان يحفظ اثني عشر ألف أرجوزة. ترجمته في الكنى والألقاب للقمي.

قال: دخلت على الرشيد فأرسل إلى ولديه محمد وعبد الله، فأتياه وأجلسهما عن يمينه وشماله وأمرني بمطارحتهما، فكنت لا ألقى عليهما شيئاً من فنون الأدب إلا أجابا به وأصابا، فقال: كيف ترى أدبهما؟

قلت: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما... قال: فضمّهما إلى صدره، وسبقته عبرته حتى تحدّرت دموعه، ثم أذن لهما، حتى نهضا وخرجا، قال:

كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويسودّ كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا شيء قضى به المنجمون عن مولدهم، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟

قال: بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما.

قالوا: فكان المأمون يقول في خلافته: قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد^(١)، فلذلك قال ما قال.



قال المؤلف:

قصد الرشيد من الأوصياء الأئمة من أهل البيت: موسى وأباه جعفر الصادق وجدّه محمد الباقر وجدّ أبيه علي بن الحسين ثمّ الحسن والحسين وأباهما علي بن أبي طالب (ع). وقصد من الأنبياء خاتم الأنبياء (ص).

ومن أجل ذلك فعل الخليفة هارون الرشيد ما لم يفعله خليفة من قبله ولا بعده وذلك كما رواه المؤرّخون وقالوا:

(ولمّا صار إلى مكّة صعد المنبر، فخطب، ثمّ نزل، فدخل البيت، ودعا

(٢٩) الأخبار الطوال، ط. القاهرة الأولى سنة ١٩٦٠، ص ٣٨٩ لأبي حنيفة الدينوري
(ت: ٢٨٢هـ). ومروج الذهب للمسعودي ٣/٣٥١.

بمحمّد والمأمون، فأمل على محمّد كتاب الشرط على نفسه، وكتب محمّد الكتاب، وأحلفه على ما فيه، وأخذ عليه العهد والمواثيق، وفعل بالمأمون مثله، وأخذ عليه مثل ذلك، وكان نسخة الكتاب الذي كتبه محمّد بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين، كتبه محمد بن هارون في صحّة من بدنه وعقله وجواز من أمره . إنّ أمير المؤمنين هارون ولآلئ العهد من بعده، وجعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعاً، وولّى أخي عبد الله بن أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدي برضى منّي وتسليم، طائعاً غير مكروه، وولّاه خراسان بشغورها وكورها، وأجنادها وخراجها وطرزها، وبريدها، وبيوت أموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها، وجميع أعمالها في حياته وبعد موته، وشرطت لعبد الله أخي عليّ الوفاء بما جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين بعدي . . . إلى آخر الكتابين .

وروى الطبري بعد ذلك وقال :

(وكتبنا لأمر المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما بمحضر من شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجّة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين أستودعهما أمير المؤمنين الحجّة وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة، فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كلّ في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاجّ والعُمرّاء وفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويَعُوّه ويعرفوه ويحفظوه ويُؤدّوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم . ففعلوا ذلك وقرئ عليهم الشرطان جميعاً في المسجد

الحرام ، فأنصرفوا . وقد أشتهر ذلك عندهم وأثبتوا الشهادة عليه . . . (٣٠) .

شهرة لقب وصي النبي (ص) للإمام علي (ع) وإنتشار ذكره في أشعار الصحابة والتابعين وكتب اللغة

في صدر الإسلام

كان لقب الإمام علي (ع) بالوصي مشهوراً في الصدر الإسلامي الأول
وإنتشر ذلك في كتب اللغة؛ فقد ورد في مادة: (الوصي) من لسان العرب:

وقيل لعلي (ع): وصي.

وفي تاج العروس: والوصي كَغْنِي لَقَبُ علي (رض).

وسأتي قول المبرد في الكامل في اللغة بعيد هذا.

وورد ذكره في شعر الشعراء منذ عصر الصحابة مثل قول حسان بن ثابت

شاعر النبي (ص) في قصيدته بعد وفاة النبي (ص):

جزي الله عنا والجزاء بكفه	أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
حفظت رسول الله فينا وعهده	إليك ومن أولى به منك من ومن
ألست أخاه في الهدى ووصيه	وأعلم منهم بالكتاب والسنة (٣١)

(٣٠) تاريخ البقوي ٤١٦/٢ - ٤٢١ . وأورد الطبري تفصيل ذلك في ذكر حوادث سنة ست وثلاثين ومائة ، ط . أوربا ٦٥٤/٣ - ٦٦٥ . وأشار إلى ذلك بإيجاز كل من المسعودي في مروج الذهب ، ٣٥٣/٣ . وأبن الأثير في تاريخه (الكامل) ، ط . أوربا ١١٧/٦ - ١١٨ . وأبن كثير في البداية والنهاية ١٨٧/١٠ .

(٣١) الموفقيات للزبير بن بكار ، ط . بغداد ، سنة ١٩٧٢ م ، ص ٥٧٤ - ٥٧٥ ، وجاء شعر حسان في تاريخ البقوي ١٢٨/٢ مع اختلاف في اللفظ ، وشرح نبح البلاغة لابن أبي الحديد ، ط . الأولى ١٥/٢ .

وروى الزبير بن بكار في الموفقيات عن بعض شعراء قريش في مدح عبد الله بن عباس قوله :

والله ما كلم الاقوام من بشر بعد الوصي علي كآبن عباس^(٣٢)
وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط في مقتل عثمان :

الا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التَّجِيبِي الَّذِي جاء من مصر
فأجابه الفضل بن عباس بأبيات جاء فيها :

الا إن خير النَّاس بعد محمد وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلى وصنو نبيه وأول من أردى الغزاة لدى بدر^(٣٣)

(٣٢) الموفقيات ص ٥٧٥ . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. مصر الأولى ٢٠١/١، وطبعة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢٦٢/٢.

(٣٣) تاريخ الطبري، ط. أوروبا ١/٣٠٦٤ و٣٠٦٥. وتاريخ ابن الأثير، ط. أوروبا ١٥٢/٣ في ذكرهما ما رثي به عثمان.

والوليد بن عقبة بن أبي معيط بن ذكوان وكان ذكوان عبداً لأمية فتبناه وألحقه بنسبه . وأم الوليد أروى أم الخليفة عثمان . أرسله رسول الله (ص) مصدقاً إلى بني المصطلق، فخرجوا يتلقونه، فهاهم فعاد إلى رسول الله (ص) وأخبر أنهم أرتدوا ومنعوا الصدقة، فنزلت فيه : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الحجرات/٦ . فأرسل إليهم رسول الله (ص) غيره فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام . ولأه الخليفة عثمان الكوفة فشرب الخمر وصل بهم صلاة الصبح أربعاً وهو سكران، فعزله عثمان، وقد ذكرنا تفصيل خبره في أول ذكر أخبار عصر الصهرين من كتاب أحاديث عائشة .

أقام في الرقة بعد عثمان وتوفي بها . ترجمته في أسد الغابة والإصابة .

والفضل بن العباس بن عبد المطلب، أكبر ولد العباس . شهد مع النبي (ص) فتح مكة وحينئذ وثبت معه حين أنهزم الناس، وشهد غسل رسول الله (ص) ودفنه وأستشهد يوم مرج الصفراء أو أجنادين بالشام وكلاهما سنة ثمان عشرة هجرية، وقيل : أسنشهد يوم اليرموك، وترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة .

قصد (بعد ثلاثة) أي بعد الرسول (ص) وأبي بكر وعمر، والتجيبى والتجوي: نسبة إلى

وقال النعمان بن عجلان شاعر الأنصار في قصيدته - أيضاً - بعد وفاة

النبي (ص):

وكان هوانا في عليّ وإنه لأهل لها با عمرو من حيث لا تدري
وصي النبي المصطفى وأبن عمه وقاتل فرسان الضلالة والكفر
قال ذلك في جواب عمرو بن العاص حين أغاظ الأنصار في حوادث
السقيفة وأنتصار الإمام عليّ للأنصار من مهاجرة قريش^(٣١).

وقال ابن أبي الحديد:

ومن الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كونه (ع) وصي رسول
الله (ص) قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:
ومنّا عليّ ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتابه
وصي النبي المصطفى وأبن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه؟

قبيلة من مذحج، كانت تسكن محلة بمصر وقيل لمن يسكن تلك المحلة - أيضاً - التجيبي
والتجوي. وكان منهم عبد الرحمن بن عديس البلوي الذي أشترك في قتل الخليفة عثمان، وإياه
عنى الوليد بالتجبي في شعره، ومنهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي التذولي قاتل الإمام عليّ،
وكانت داره إلى جنب ابن عديس، ومعنى البيت: ألا إن خير الناس بعد الرسول (ص) وأبي
بكر وعمر - أي عثمان - أصبح مقتولاً بيد التجبي الذي جاء من مصر.

راجع مادة: (التجبي) و (التذولي) في أنساب السمعاني، وراجع مادة: (التجبي) في
الإكمال لابن ماكولا ٢١٤/١ و ٢٥٦، ومادة: (التذولي) في اللباب في تهذيب الأنساب لابن
الأثير.

(٣٤) النعمان بن عجلان الزرقى الأنصاري، لسان الأنصار وشاعرهم. استعمله عليّ على
البحرين.

ترجمته في الاستيعاب، ط. حيدر آباد ١/٢٩٨، رقم: ١٣٢٣. وأسد الغابة ٢٦/٥.
والإصابة ٥٣٢/٣، ونسب في الجمهرة ص ٣٢٧ - ٣٣٨. والاشتقاق ص ٤٦١. والأبيات عن
كتاب الموقوفات للزبير بن بكار ص ٥٩٢ - ٥٩٤. ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة،
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٣١/٦.

وقال عبد الرحمن بن جعيل :

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة على الدين معروف العفاف موقفا
علياً وصي المصطفى وأبن عمه وأوّل من صلّى أخا الدّين والتقى^(٣٥)

الوصية في الأشعار التي قيلت في حرب الجمل^(٣٦)

وقال ابن أبي الحديد أيضاً :

وقال أبو الهيثم بن التيهان وكان بدرياً :

قل للزبير وقل لطلحة إننا نحن الذين شعارنا الأنصار
نحن الذين رأيت قريش فعلنا يوم القلب أولئك الكفار
كنّا شعار نبينا ودثاره يفديه منا الروح والأبصار
إن الوصي إمامنا ووليّنا برح الخفاء وباحت الأسرار
وقال عمر بن حارثة الأنصاري في عمّد بن الحنفية من أبيات أنشأها يوم

الجمل :

سمي النبي وشبه الوصي ورايته لونها المعنم
وقال رجل من الأزديّ يوم الجمل :
هذا عليّ وهو الوصيّ آخاه يوم النجوة النبيّ
وقال هذا بعدي الوليّ وعاه واع ونسي الشقيّ
وخرج يوم الجمل غلام من ضبة شابّ معلم من عسكر عائشة وهو يقول :
نحن بنو ضبة أعداء عليّ ذاك الذي يعرف قدماً بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل عليّ بالعمي

(٣٥) شرح نهج البلاغة ٤٧/١ . وراجع فتوح ابن أعثم ط . حيدر آباد عام ١٢٨٨ .

٢٧٧/٢ .

(٣٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٧/١ - ٤٩ . وراجع فتوح أعثم ٣٠٧/٢ .

لكنني أنمي ابن عفان التقي إن الولي طالب ثار الولي^(٣٧)
وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل، وكان في عسكر علي (ع):
قل للوصي أقبلت قحطانها فادع بها تكفيكها همدانها
وقال حجر بن عدّي الكندي في ذلك اليوم أيضاً:

يا ربنا سلم لنا علياً سلم لنا المبارك المرضياً
المؤمن الموحد التقياً لا خطل الرأي ولا غوياً
بل هادياً موفّقاً مهدياً وأحفظه ربّي وأحفظ النبيّ
فيه فقد كان له ولياً ثم أرّضاه بعده وصياً
وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وكان بدرتاً يوم الجمل أيضاً:

يا وصي النبيّ قد أجلت الحر ب الأعادي وسارت الأظمان
وأستقامت لك الأمور سوى الشد ام وفي الشام يظهر الإذعان
حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا وكانوا
وقال خزيمة يوم الجمل أيضاً في أبيات يخاطب بها أمّ المؤمنين عائشة:
وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذاك شاهد

وخطب ابن الزبير يوم الجمل، وخطب الحسن (ع) بعده، فقال عمرو
ابن أحيحة في ذلك:

حسن الخير يا شبيه أبيه قمت فينا مقام خير خطيب
قمت بالخطبة التي صدع الدد به عن أهلك أهل العيوب
وكشفت القناع فأنضح الأمم بر وأصلحت فاسدات القلوب
لست كأبن الزبير لجلج في القو ل وطاطا عنان فسل مريب
وأبى الله أن يقوم بها قا م به ابن الوصي وابن النجيب

(٣٧) راجع فتوح ابن اعثم ٢/٣٢١.

إنَّ شخصاً بين النَّبيِّ - لك الخية - ر - وبين الوصيِّ غير مشوب
وقال ابن أبي الحديد بعد إيراد الأبيات التي أوردنا مختصراً منها:
ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة
الجليل .
وأبو مخنف من المحدثين وممن يرى صحَّة الإمامة بالاختيار وليس من
الشيعة ولا معدوداً من رجالها .
ومما روَّاه من أشعار صفين التي تتضمَّن تسميته (ع) بالوصيِّ ما ذكره
نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفين وهو من رجال الحديث .

الوصية في الأشعار التي قيلت بصفين

لما كتب الإمام عليٌّ إلى جرير بن عبد الله البجلي والأشعث بن قيس
الكندي وكانا من ولاية عثمان في البلاد الإيرانية فأجاب جرير بشعر جاء فيه :

أنا كتابٌ عليٌّ فلم	نردَّ الكتاب، بأرض العجم
ولم نغص ما فيه لما أتى	ولما ندَّم ولما نلَّم
ونحن ولادة على ثغرها	نضيمُ العزيز ونحبي الذم
نساقبهم الموت عند اللقاء	بكأس المنايا ونشفي القرم
طحنناهم طحنةً بالقنا	وضرب سيوفٍ تُطير اللُثم
مضينا يقيناً على ديننا	ودين النبيِّ مجلي الظلم
أمين الإله وبرهانه	وعدل البرة والمعتصم
رسول الملوك، ومن بعده	خليفتنا القائم المدعّم
عليّاً عنيت وصي النبيِّ	نجالد عنه غواة الأمم ^(٣٨)

(٣٨) صفين ص ١٥ - ١٨ . وابن أبي الحديد ١/ ٢٤٧ . وراجع فتوح ابن اعثم ٢/ ٣٠٥ .

ومما قيل على لسان الأشعث في جواب كتاب الإمام (٣٩):

أتانا الرسول رسول علي	فسر بمقدمه المسلمونا
رسول الوصي وصي النبي	له الفضل والسبق في المؤمنين
بما نصّح الله والمصطفى	رسول الإله النبي الأمينا
يُجاهد في الله، لا ينسني	جميع الطغاة مع الجاحدين
وزير النبي وذو صهره	وسيف المنية في الظالمينا
وقيل على لسانه أيضاً:	

أتانا الرسول رسول الوصي	علي المهدب من هاشم
رسول الوصي وصي النبي	وخير البرية من قائم
وزير النبي وذو صهره	وخير البرية في العالم
له الفضل والسبق بالصالحات	لهذي النبي به يأتي
محمداً أعني رسول الإله	وغيث البرية والخاتم
أجبنا علياً بفضل له	وطاعة نصّح له دائم

(٣٩) كان الأمراء إذا لم يكونوا ممن ينظم الشعر يطلبون ممن معهم في موارد خاصة أن ينظموا في الجواب عنهم وكان هذا المقام من الأشعث من تلك الموارد.

وجرير بن عبد الله البجلي: أسلم قبل وفاة النبي (ص) بأربعين يوماً، شهد حرب الفداسية. أرسله رسول الله (ص) لتهديم صنم لختهم في ذي الخلصة فذهب إليه وأحرقه. توفي سنة إحدى أو أربع وخمسين هجرية. ترجمته في الاستيعاب. وأسد الغابة. والإصابة.

والأشعث بن قيس الكندي: أسلم مع وفد قومه إلى رسول الله (ص) في السنة العاشرة ولم يدفع الصدقة لجباة الخليفة أبي بكر، فقاتلوه وأسروه، فاطلقه الخليفة وزوجه أخته أم فروة، وشهد بعض فتوح الشام والعراق، واستعمله عثمان على أذربيجان، وشهد صفين مع علي وكان ممن أزم علياً بالتحكيم وشهد الحكمين بدومة الجندل. وتوفي بالكوفة بعد مقتل الإمام علي بأربعين ليلة. ترجمته في الاستيعاب، وأسد الغابة، والإصابة.

فقيهٌ حليمٌ له صولةٌ كليث عرينٍ بها سائِمٌ^(٤٠)
وبعد أن أعطى معاوية مصر لعمرو طعمة ليعينه على قتال الإمام علي،
قال الإمام في ذلك شعراً جاء فيه :

يا عجباً لقد سمعت منكراً
كذباً على الله يشيب الشعر
يسترق السَّمع ويغشي البصرا
ما كان يرضي أحداً لو خبرا
ان يقرنوا وصيه والأبتر
شأن الرسول واللَّعين الأخزرا^(٤١)

ولما وقع خلاف بين جيش الإمام علي في عزل الأشعث من قيادة قبيلته
وتعيين غيره، قال النجاشي في ذلك :

رضينا بما يرضى عليّ لنا به
ولأن كان في ما يأت جدع المناخر
وصي رسول الله من دون أهله
ووارثه بعد العموم الأكابر^(٤٢)

ومما ورد في الأشعار التي قيلت في يوم صفين ما جاء في شعر النضر بن
عجلان الأنصاري قوله :

(٤٠) صفين ص ٢٠ - ٢٤ .

(٤١) صفين ص ٤٣ .

(٤٢) صفين ص ١٣٧ .

والعموم جمع العمّ .

والنجاشي قيس بن عمرو : شاعر مخضرم . اشتهر في الجاهلية والإسلام . أصله من نجران
اليمن . سكن الكوفة . توفي نحو ٤٠ هـ . الأعلام للزركلي .

قد كنتُ عن صَفَيْنِ فيما قد خلا
قد كنتُ حقّاً لا أحاذرُ فِتْنَةً
فرايتُ في جمهور ذلك مُعظماً
كيف التفرّقُ والوصيُّ إمامنا
لا نَغْتَبِنُ عقولكم لا خيرَ في
وذروا معاوية الغويّ وتابعوا
وقال حجر بن عدّي الكندي :

ياربّنا سلّم لنا عليّاً
المؤمن المسترشد المرضيا
لا خطل الرأي ولا غيا
فإنّه كان له وليّاً

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي :

ألا أبلغ معاوية بن حرب
أكمل الدهر مرجوسٌ لغير
فإن تسلم وتبقى الدهر يوماً
يقودهم الوصيُّ إليك حتّى

وجنود صَفَيْنِ لَعْمَرِي غافلاً
ولقد أكونُ بذاك حقّاً جاهلاً
ولقيتُ من لهوات ذاك عياطلا
لا كيف إلّا حيرةً وتحاذلاً
مَنْ لم يكن عند البلابل عاقلاً
دين الوصيّ نصادفوه عاجلاً^(٤٣)

سلّم لنا المذهب النقي
وأجعله هادي أمة مهدي
وأحفظه ربّي حفظك النبيا
ثم أرتضاه بعده وصيّاً^(٤٤)

أما لك لا تنيب إلى الصواب
تُحاربُ مَنْ يقومُ لدى الكتابِ
نزرك بجحفل شبه الهضاب
يردك عن عُوائك وأرتياب^(٤٥)

(٤٣) صَفَيْنِ ص ٣٦٥.

(٤٤) صَفَيْنِ ص ٣٨١. وقد جاء إنشاده هذه الأبيات في شرح النهج لابن أبي الحديد في حرب الجمل.

وحجر بن عدّي الكندي المعروف بحجر الخير: وفد على النبيّ (ص) وشهد الفادسية وشهد مشاهد الإمام عليّ وكان على كندة بصَفَيْنِ. وأرسله زياد مع جماعة إلى معاوية فقتلهم بمرج عذراء سنة إحدى وخمسين هجرية. وقال حجر: إنّي لأوّل المسلمين كُبر في نواحيها، أي: عندما فتحتها للمسلمون.

(٤٥) صَفَيْنِ ص ٣٨٢ و(عُوائك): من العواء، أشتق أسم (معاوية)، فإن المعاوية:

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب:
 يا شرطة الموت صبراً لا يهولكم
 دين ابن حرب فإن الحق قد ظهر
 وقاتلوا كل من يبغي غوائلكم
 فإنما النصر في الضراً لمن صبر
 سيقوا الجوارح خذ السيف واحتسبوا
 في ذلك الخير وأرجوا الله والظفرا
 وأيقنوا أن من أضحى يخالفكم
 أضحى شقياً وأضحى نفسه خسراً
 فيكم وصي رسول الله قائدكم
 وأهله وكتاب الله قد نشر^(٤٦)
 وقال الفضل بن العباس أيضاً:
 وصي رسول الله من دون أهله
 وفارسه إن قيل هل من منازل^(٤٧)
 وقال المنذر بن أبي حمصة الوادعي في شعره:
 ليس منا من لم يكن لك في الدِّ
 ه ولياً يا ذا الولا والوصية^(٤٨)

الكلية تعاوي الكلاب.

(٤٦) صفين ص ٣٨٥.

والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب وهو أخو أبي سفيان بن الحارث الشاعر، وقال بعضهم
 إنها شخص واحد. ترجعها بأسد الغابة في الأسماء والكنى.

(٤٧) صفين ص ٤١٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. الأولى ٢٨٤/١

وسبأني تفصيل خبر البيت بعيد هذا إن شاء الله تعالى.

(٤٨) صفين ص ٤٣٦، وكان فارس همدان وشاعرهم، وادعة: بطن من همدان.

الاشتقاق لابن دريد.

الوصية في كتاب ابن عباس

قال ابن عباس في وقعة صفين في جواب كتاب معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فقد أتاني كتابك وفهمت ماسطرت فيه، فأما ما أنكرت من سرعتنا إلى أنصار عثمان بالمساءة وسلطان بني أمية، فلعمري لقد أدركت حاجتك في عثمان حين أستنصرك، فلم تنصره حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبينك وبينه في ذلك أخو عثمان لأمه الوليد بن عقبة. وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدي، فأبو بكر وعمر خير من عثمان، كما أن عثمان كان خير منك.

وأما قولك إنه لم يبق من رجال قريش إلا ستة رجال، فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها، وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا إلا من خذلك. وأما ذكرك الحرب، فقد بقي لك منا ما ينسبك ما كان قبله وتحاف ما يكون بعده.

وأما قولك إنني لو بايعني الناس لأسرعت إلى طاعتي، فقد بايع الناس علياً، وهو أخو رسول الله (ص) وابن عمه ووصيه ووزيره، وهو خير مني، وأما أنت فليس لك فيها حق، لأنك طليق وابن طليق ورأس الأحزاب وابن آكلة الأكباد، والسلام.

فلما انتهى كتاب ابن عباس إلى معاوية وقراه، قال: هذا فعلي بنفسني. والله لأجهدن أن لا أكتبه سنة. ثم أنشأ يقول:

دعوت ابن عباس إلى أخذ خطّة وكان آمراً أهدي إليه رسائلي
فأخلف ظني والحوادث جمّة ولم يك في ما نابني بمواصلي

وفي ترجمته في الإصابة: له إدراك، وهو أول من جعل سهم البراذين دون سهم العراب قبله الخبير الخليفة عمر فأعجبه ذلك وقال: امضوها على ما قال. الإصابة ٤٧٨/٣.

ولم يك في ما جاء ما يستحقه وما زاد أن أغلى عليه مراجلي
فقل لابن عباس أراك غمّوفاً بجهلك حلمي إنني غير غافل
فأبرق وأرعد ما أستطعت فإنني إليك بما يشجيك سبط الأنامل
وصفّين داري ما حييت وليس ما تربص من ذاك الوعيد بقاتلي

فأجابه الفضل بن العباس وهو يقول:

ألا يا ابن هند إنني غير غافل
وأنك ممّا تبغضي غير نائل
آلآن لما أخبت الحرب نارها
عليك وألقت بركها بالكلال
وأصبح أهل الشام صرعى فكلمهم
كفقة قاعٍ أو كشحمة آكل
وإيقنت أنا أهل حق وإنما
دعوت لأمر كان أبطل باطل
دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة
وليس لها حتّى يموت بقائل
فلا سلم حتّى يشجر الخيل بالقنا
وتضرب هامات الرجال الأوائل
وآليت لا تهدي إليه رسالة
إلى أن يحول الحول من رأس قابل
أردت بها قطع الجواب وإنما
رماك فلم يخطئ بشار المقاتل
قلت له لو بايعوك تبعتهم
فهذا عليّ خير حافٍ وناعل

وصي رسول الله من دون أهله
وفارسه إذ قيل هل من منازل
فدونكه إذ كنت تبغي مهاجراً
أشتم بنصل السيف ليس بناكل^(٤٩)

وقال مالك الأشر:

كل شيء سوى الإمام صغير
قد أصبنا وقد أصيب لنا اليو
واحد منهم بالف كبير
إن ذا الجمع لا يزال بخير
من رأى غرة الوصي علي
إنه والذي يحج له النأ
من رضاه إمامه دخل الجنة
بعد أن يقضي الذي أمر الله
وهلاك الإمام خطب كبير
م رجال بزل حماة صقور
إن ذا من ثوابه لكثير
فيه نعمة وسرور
إنه في دجى الحنادس نور
س سراج لدى الظلام منير
نة عفواً وذنبه مغفور
ه به ليس في الهدى تخير^(٥٠)

ونقل المسعودي في مروج الذهب:

(٤٩) كتاب الفتوح لابن أعمش ٢٥٤/٣ - ٢٥٨. وصفين ص ٤١٦. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. الأولى، ٢٨٤/١.

(٥٠) قال ابن أعمش في الفتوح (٢٢٦/٣) والخوازمي في المناقب ص ١٧٠ ما موجزه: إن الأشر وسائر أصحاب الإمام علي (ع) افتقدوه يوماً بصفين فبحثوا عنه وجدوه تحت ربابات ربعة فرأى الإمام الأشر متغيراً عن حاله باكياً فقال له: ما خبرك يا مالك أفقدت ابنك أم أصابك غير ذلك؟ فجعل الأشر ينشد ويقول... الأبيات.

حالة: جمع حام وهو المدافع الذي لا يُقرب أو الأسد لهامة.
الذجى: جمع دجبة وهي الظلمة.

الحنادس: جمع جندس، ليل جندس أي مظلم، والحنادس ثلاث ليال من الشهر لظلمتهن.

أ - في ذكر من رثى الإمام علياً بعد آستشهاده :

وفي ذلك يقول آخر من شيعة علي رضي الله عنه :

تأس فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصي وقتل الحسين وسَم الحسن

ب - في ذكر قتل حجر بن عدي :

وإن قاتل حجر بن عدي قال له ساعة قتله :

إن أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك ، يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان
والمسولي لأبي تراب ، وقتل أصحابك ، إلا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا
صاحبكم وتبرأوا منه ، فقال حجر وجماعة ممن كان معه : إن الصبر على حد
السيف لا يسر علينا مما تدعونا إليه ، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه
أحب إلينا من دخول النار^(٥١) .

وقال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن أنتمى إلى سامة بن لؤي بن

غالب :

وسامة منا فأما بنوه

فأمرهم عندنا مظلم

أناس أتونا بأنسابهم

خرافة مضطجع بحلم

وقلنا لهم مثل قول الوص

حي وكل أقاويله محكم

إذا ما سئلت فلم تدرما

تقول فقل : رنا أعلم^(٥٢)

(٥١) مروج الذهب أ : في ٤٢٨/٢ ، وب : ٤/٣ .

(٥٢) المسعودي في ذكر خبر ولد سامة أواخر ترجمة الإمام علي ٤٠٨/٢ . وولد سامة الذين

الوصية في شعر المأمون

قد دفعت سياسة التقرب إلى العلويين الخليفة العباسي المأمون، أن ينتخب الإمام علياً الرضا ولياً للعهد ويذكر الوصية في شعره؛ فقد قال:

ألأم على حبي الوصي أبا الحسن
وذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن^(٥٢)

وقال أيضاً:

ومن غاو يغص علي غيظاً إذا أدنيت أولاد الوصي^(٥٣)

اشتهار لقب الوصي للإمام علي (ع) مدى القرون

وروى المبرد في الكامل وقال: قال الكمي:

والوصي الذي أمال التجو بي به عرش أمة لانهدام
قال المبرد: قوله: الوصي، فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون^(٥٤).

تكلموا في انتسابهم إليه هم بنو ناجية.

أما علي بن محمد بن جعفر العلوي، فإن جعفرًا هذا هو الإمام جعفر الصادق بن الباقر وعليّ ابنه. نسب في الأنساب لابن حزم ص ٦١.

٥٣ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٢٢٢.

٥٤ المحاسن والسلوك للبيهقي ١/١٠٥.

٥٥ التجوي هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي التذولي، قاتل الإمام علي (ع). وقيل له النجبي والتجوي نسبة إلى المحلة التي كان يسكنها بمصر قبل هجرته إلى الكوفة. راجع الهامش رقم ٣٢ من هذا الفصل.

الكامل للمبرد، ط. مكتبة المعارف، بيروت ٢/١٥١.

والمبرد هو: أبو العباس، محمد بن زيد الأزدي الثمالي البصري. قال الخطيب البغدادي بترجمته: شيخ أهل النحو وحافظ علوم العربية، من تأليفه: الكامل في اللغة. توفي ببغداد سنة ٢٨٥هـ، ترجمته بتاريخ بغداد ٣/٣٨٠، وكشف الظنون، مادة: (الكامل).

والكميت: أبو المستهل أبن زيد الأسدي، من أهل الكوفة. كان عالماً بأدب العرب ولغاتها

←

إذا فالإمام عليّ كان مشهوراً بأنه وصيّ الرسول (ص) حتى أصبح الوصيّ لقباً له كما كان مشهوراً بكنيته أبي تراب .

وأستشهد المبرد على قوله بأنّ الامام عليّاً كان مشهوراً بلقب الوصيّ بما جاء في شعر أبي الأسود الدؤليّ قوله : (الوصي) مع أسم حمزة والعبّاس ، بلا تعريف لأحدهم حيث قال :

أحبّ محمداً حباً شديداً وعبّاساً وحمزة والوصيّا^(٥٦)
وقول الحميريّ :

إنّي أدین بما دان الوصيّ به يوم النخيلة من قتل المحلينا^(٥٧)
وقوله أيضاً :

والله منّ عليهم بمحمد وهداهم وكسا الجنوب وأطعما

وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه . ترجم شعره اغاشميات إلى الألمانية ، (ت : ١٢٦ هـ) . الأعلام للزركلي ٩٢/٦ .

٥٦ الكامل للمبرد ١٥٢/٢ . وأورده أبو الفرج بترجمة الحميري في الأغاني ، ط . ساسي ، ١٠/٧ . وتاريخ دمشق لابن عساكر مصورة للمجمع العلمي الإسلامي ٣١٠/٢/٨ ، ب .
وأبو الأسود : ظالم بن عمرو الدؤلي ، من الفقهاء والأعيان والشعراء ، واضع علم النحو ، رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو فكتب فيه أبو الأسود ، وأخذ عنه جماعة ، وهو أول من نَقَطَ المصحف ، شهد مع عليّ (ع) صفين ، توفي بالبصرة سنة ٦٩ هـ . الأعلام للزركلي ٣٤/٣ . وراجع العقد الفريد ط . مصر عام ١٣٧٢ ، ٢١١/٣ .

٥٧ الكامل للمبرد ١٧٥/٢ ، وأورد البيت وتفصيل سبب إنشاد السيد الحميري الشعر ، في الأغاني ، ط . ساسي ٢١/٧ يوم الخريبة . والعقد الفريد ٢٨٥/٣ وابن أبي الحديد ٤٣/١ وط . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣٢/١ .
والسيد الحميري ، إسماعيل بن محمد ، كان واحداً من ثلاثة ، أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ، كان مقدماً عند الخليفتين المنصور والمهدي العبّاسيين ، توفي سنة ١٧٣ هـ . الأعلام للزركلي ٣٢٠/١ .

ثم أنبروا لوصيه و وليه بالمنكرات فجرعوه العلقم^(٥٨)

وقال إمام الشافعية، محمد بن إدريس (ت : ٢٠٤هـ) :

إن كان حب الوصي رفضاً فإنني أرفض العباد^(٥٩)

وقال ابن دريد :

أهوى النبي محمداً ووصيه وأبنيه وأبنته البتول الطاهرة^(٦٠)

وفي ديوان المتنبي :

وقيل للمتنبي : ما لك لم تمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض)؟

فقال :

وتركت مدحي للوصي تعمداً

إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً

وإذا استقل الشيء قام بذاته

وكذا ضياء الشمس يذهب باطلاً^(٦١)

والبيت الثاني جرى مجرى الأمثال بهذا اللفظ :

وإذا استطال الشيء قام بنفسه

وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً^(٦٢)

٥٨) في ترجمة السيد الحميري، من الأغاني ٦/٩ يوم الخريبة.

٥٩) ديوان الشافعي ص ٣٥، ط. بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦٠) بترجمة ابن دريد في الكنى والألقاب ٢٧٤/١.

وإبن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري شاعر نحوي، لغوي ومن مؤلفاته :

الجمهرة (ت : ٣٢١هـ).

٦١) ديوان أبي الطيب المتنبي (ت : ٤٦٨هـ) تحقيق فريدريخ، ص : ٨٥٦، ط. برلين،

سنة ١٨٦١م.

٦٢) جاء بهذا اللفظ في ترجمة أبي نؤاس في الكنى والألقاب ١٦٢/١.

وقال بمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي كما في ديوانه
أيضاً:

هو أبْن رسول الله وأبْن وصيّه

وشبههما شَهِت بعد التجارب^(٦٣)

وقال شيخ الإسلام الحموي الجويني (ت: ٧٢٢هـ):

أخو أحمد المختار صفوة هاشم أبو السادة الغر الميامين مؤتمن
وصي إمام المرسلين محمد علي أمير المؤمنين أبو الحسن
- الأبيات^(٦٤). وقال أيضاً:

أخي خاتم الرسل الكرام محمد

رسول إله العالمين مطهر

علي وصي المصطفى ووزيره

أبي السادة الغر البهاليل حيدر^(٦٥)

وقال السيد محمد حبيب العبيدي (ت: ١٣٨٣هـ) مفتي الموصل، أيام
ثورة العراقيين عام ١٩٢٠ ميلادية، عند احتلال بريطانيا للعراق وفي دحض
أدعاء بريطانيا أن لها حق الوصاية على العراق والعراقيين. في صرخته الأولى،
كما سَمّاها في ديوانه:

أيّها الغرب جئت شيئاً فريباً ما علمنا غير الوصي وصيّاً



(٦٣) ديوان المتنبي ص ٣٣٣.

(٦٤) في مقدّمة كتابه فرائد السّمطين، الورقة: ٢ ب، مخطوطة مصورة المكتبة المركزية
بجامعة طهران برقم ١٦٩٠/١١٦٤. جمع في البيت الثاني بين ذكر الاسم (علي) وذكر الصفة
(وصي).

(٦٥) في أول السّط الأول من كتابه فرائد السّمطين، الورقة: ٧ ب.

قسماً بالقرآن والإنجيل ليس نرضى وصاية لقبيل
أو تسيل الدماء مثل السيول أفبعد الوصي زوج البتول

نحن نرضى بالإنكليز وصياً؟

دون ملك العراق بين الطلول لأبي عبد الله نجل البتول
قد أريق دماء خير قتيل أفبعد الحسين سبط الرسول

نحن نرضى بالإنكليز وصياً؟

قد ظلمنا العراق يا ساكنيه إن دمع النساء لا يجديه
حين تبكي السبطين أو تبكيه أفمن بعد المجتبي وأخيه

نحن نرضى بالإنكليز وصياً؟

يا محبي آل النبي الكرام أكون العراق ملك اللثام
وهو ميراث آل خير الأنام أفبعد الائمة الأعلام

نحن نرضى بالإنكليز وصياً؟

* * *

وقال في صرخته الثانية :

اشهدوا يا أهل الثرى والثريا قد أبت شيعة الوصي وصياً

* * *

قد نكثنا عهد النبي لدينا وأحتملنا إثمًا وعاراً وشيناً
إن قبلنا وصاية وغوينا أفلا يسخط الوصي علينا

إن رضينا بالإنكليز وصياً؟

ما عسى أن نقول يوم الجزاء لنبي الهدى أبي الزهراء
والشهيد المقيم في كربلاء وإمام الهدى بسامراء

إن رضينا بالإنكليز وصياً؟

وقال أيضاً في قصيدة ثانية :

لست منّا ولم تكن منك شيئاً فلماذا تكون فينا وصياً
 لم تكن يا أبن لندن علويّاً هاشميّاً ولم تكن قرشيّاً
 لا ولا مسلماً ولا عربيّاً من بني قومنا ولا شرقيّاً
 فلماذا تكون فينا وصياً؟

إلى قوله :

لا تقل جعفرية حنفيّة لا تقل شافعيّة زيدية
 جمعنا الشريعة الأحمدية وهي تأبى الوصاية الغريبة
 فلماذا تكون فينا وصياً؟

قد سئنا سياسة التفريق وأهتدينا إلى سواء الطريق
 يا عدوّاً لنا بثوب صديق أنت بين الوصي والصديق
 لست إلّا مزوراً أجنبيّاً فلماذا تكون فينا وصياً^(١)

* * *

كلّ ما ذكرناه في شأن الوصي والوصية كان مشهوراً لدى أتباع مدرسة
 الخلفاء منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر فقد قال الضبيّ من
 عسكر عائشة يوم الجمل :

نحن بنو ضبّة أعداء عليّ ذاك الذي يعرف قدماً بالوصيّ

كانوا يلقّبون الإمام عليّاً بالوصيّ ويلقّبونه مع الأحد عشر من بنيه
 بالأوصياء كما قاله الخليفة العباسي هارون الرشيد في ما أخبر عنه يقع من القتال
 بين ولديه الأمين والمأمون .

كانوا يلقّبون الإمام عليّاً بالوصي في حال الغفلة عن معنى هذا اللقب

(١٦) ثورة العشرين في ذكرها الخمسين ، معلومات ومشاهدات بقلم السيّد محمد علي كمال
 الدين . مطبعة التضامن . ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

ومغزاه . أما في حال التنبيه إلى معنى هذا اللقب ومغزاه فقد كانوا ينكرونه حيناً
ويكتمونه حيناً آخر، ويحرفون الكلام عن مواضعه آونة أخرى . كما سندرس
كل ذلك في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى .

مدرسة الخلفاء تبذل جهوداً كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصية وتأويل ما أنتشر منها

إنَّ أوَّل من وجدناه يفعل ذلك، أمَّ المؤمنين عائشة في ما روي عنها من حديث، غير أنَّ حديثها في إنكار الوصية يدل على أشتهار الإمام عليّ بلقب (الوصي) في عصرها، كما نبين ذلك في ما يأتي:

حديث عائشة يدلُّ على أنَّ عليّاً كان وصيَّ الرسول (ص) ومما يدلُّ على أنَّ الإمام عليّاً كان مشهوراً بين الصحابة بأنه وصيَّ رسول الله (ص) مضافاً إلى ما أوردناه؛ رواية أمَّ المؤمنين عائشة كما في صحيح مسلم، قال:

ذكروا عند عائشة أن عليّاً كان وصياً فقالت:
متى أوصى إليه فقد كنت مسندته إلى صدري - أو قالت: حجري - فدعا بالطست فلقد آنخنت في حجري وما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه^(١)؟



كانت أمَّ المؤمنين عائشة بحاجة إلى استنفار الناس لحرب الإمام عليّ والتي

(١) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الوصية، ٨٩/١١. وصحيح البخاري، كتاب المغازي باب مرض النبي، ٦٥/٣، وكتاب الوصية، باب الوصايا. وفتح الباري ٢٩١/٦. ومسنَد أحمد ٣٢/٦.

سميت في التاريخ بأسم حرب الجمل، ومن ثم نرى أن هذه المذاكرة لم تجر عفواً، وإنما كانت شبيهة بالاحتجاج عليها في ما أشتهر للإمام بأنه وصي النبي، وكان هذا الموقف منها متناسباً مع هذا الواقع التاريخي، وكذلك متناسباً مع مواقفها الأخرى من الإمام علي؛ فقد روى ابن سعد عن عائشة، في خبر مرض رسول الله (ص) أنها قالت:

فخرج بين رجلين تحط رجلاه في الأرض بين ابن عباس - تعني الفضل - وبين رجل آخر؛ قال عبيد الله: فأخبرت ابن عباس بما قالت، قال: فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت: لا! قال ابن عباس: هو علي! إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير^(٢).

وفي حديث آخر جاء في مسند أحمد ١١٣/٦:

جاء رجل فوقع في علي وفي عمار عند عائشة فقالت: أما علي، فلست قائلة لك فيه شيئاً؛ وأما عمار فإني سمعت رسول الله (ص) يقول فيه: «لا يجير بين امرين إلا اختار أرشدهما». هكذا كانت أم المؤمنين تدفع عن عمار الواقعة وتسكت عن ينال من الامام علي (ع).

وفي حديث ثالث:

وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ لمسلم: عن عائشة أن رسول الله (ص) بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه

(٢) طبقات ابن سعد، ط. بيروت ٢٣٢/٢.

وقد ذكر البخاري نفسه في صحيحه باب مرض النبي ووفاته ٦٣/٣، وهذا لفظه: (فقال ابن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال قلت: لا، قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب).

حذف البخاري من الحديث قول ابن عباس: (ان عائشة لا تطيب له نفساً بخير).

في صلاتهم بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكر لرسول الله (ص) فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك. فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فانا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله (ص): أخبروه أن الله يحبه^(٣).

ترى من يكون هذا الرجل الذي يحبه الله ولم تر عائشة أن تذكر اسمه؟ إنه لو كان والدها الخليفة أبا بكر أو الخليفة عمر أو غيرهما من ذوي عصبتها مثل أبين عمها طلحة ونظرائهم، لذكرت اسمه؛ ومهما بحثنا في مصادر مدرسة الخلفاء لم نجد اسمه، فأضطررنا إلى مراجعة مصادر مدرسه أهل البيت، فوجدنا الخبر في تفسير سورة الإخلاص من تفسير مجمع البيان وتفسير البرهان، وباب معنى ﴿قل هو الله أحد﴾ من كتاب التوحيد للشيخ أبي جعفر محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١هـ) واللفظ للأخير:

عن الصحابي عمران بن حصين:

أن النبي (ص) بعث سرية واستعمل عليها علياً (ع). فلما رجعوا سالمهم، فقالوا: كل خير، غير أنه قرأ بنا في كل صلاة بـ ﴿قل هو الله أحد﴾. فقال: لم فعلت هذا؟ فقال: لحبي لـ ﴿قل هو الله أحد﴾. فقال النبي (ص): ما أحببتها حتى أحبك الله عز وجل^(٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ ح ٢٦٣، ص ٥٥٧.

وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي (ص) أمته في توحيد الله تبارك وتعالى ١٨٢/٤.

(٤) تفسير مجمع البيان للشيخ أبي علي أمين الدين، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٦٨هـ)، تصحيح أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سنة ١٣٣٣ - ١٣٥٦هـ، ٥٧٦/١٠. وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني، (ت: ١١٠٧ هـ ١١٠٩هـ) ط. الثالثة، قم سنة ١٣٩٤هـ ٥٢١/٤. وتوحيد الصدوق، ط. طهران، سنة ١٣٨٧هـ ص ٩٤ ح ١١. وعمران بن حصين أبو نجيذ الخزاعي، أسلم عام خيبر، بعثه عمر ليفقه أهل البصرة، وكان

ولصحة هذا الحديث شاهدان قويان :

- أ - في صحيح البخاري وغيره أنّ أمّ المؤمنين عائشة عبّرت في حديثها عن الإمام عليّ بلفظ : رجل ، وكذلك فعلت في هذا الحديث .
ب - ورد في صحيح البخاري وغيره أنّ رسول الله (ص) قال لعليّ يحبه الله كما قال في هذا الحديث : أحبك الله .

هكذا لا تذكر أمّ المؤمنين عائشة أسم عليّ (ع) في حديثها وتكتفي عنه بالرجل ؛ ولم تقتصر على هذا المقدار من الجفوة بل زادت ، كما سنذكر بعضها في ما يأتي :

أمّ المؤمنين تظهر السرور بقتل الإمام عليّ (ع)
وأكثر من كلّ ما ذكرناه ما رواه أبو الفرج في مقتل الإمام عليّ (ع) وقال :
(لما أن جاء عائشة قتل الإمام عليّ ، سجدت) (٥) أي : سجدت شكراً لله تعالى بشروها به .

وروى الطبري وأبو الفرج وأبن سعد وأبن الأثير وقالوا :
لما أتى عائشة نعي عليّ قالت :
فألقت عصاها وأستقر بها النوى
كما قرّ عيناً بالإياب المسافر
ثمّ قالت : من قتله ؟ فقيل : رجل من مراد ، فقالت :
فإن يك نائياً فلقد نعاها غلام ليس في فيه التراب
فقالت زينب بنت أمّ سلمة : ألعليّ تقولين هذا ؟ فقالت : إذا نسيت

من فضلاء الصحابة ومحاب الدعوة ، توفي بالبصرة سنة ٥٢هـ . أسد الغابة ٤ / ١٣٧ - ١٣٨ .
(٥) مقاتل الطالبين ، ط . القاهرة ، سنة ١٣٦٨هـ ، ص ٤٣ .

فذكروني^(٦).

ثم تمثلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا بأسم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك فيهم في كل مجتمع طنين ذباب^(٧)

مقارنة أحاديث أم المؤمنين عائشة بأحاديث غيرها

كان ما ذكرناه بعض مواقف أم المؤمنين عائشة من الإمام عليّ (ع). أما قولها: (متى أوصى إليه، وأنخنت فمات في صدري أو حاقني وذاقني)^(٨). فقد تفرّدت هي بروايته وتعارضه الروايات الآتية:

قال ابن سعد في طبقاته: باب من قال توفي رسول الله (ص) في حجر عليّ بن أبي طالب، عن الإمام عليّ:

«قال: قال رسول الله (ص) في مرضه: أدعوا لي أخي؛ قال: فدعي له علي، فقال: أدن مني. فدنوت منه فاستند إليّ فلم يزل مستنداً إليّ وإنه ليكلمني حتى أن بعض ريق النبي (ص) ليصيبني. ثم نزل برسول الله (ص) ونقل في حجرني... الحديث».

وروى عن عليّ بن الحسين، قال:

(٦) تاريخ الطبري في ذكر سبب مقتل أمير المؤمنين من حوادث سنة ٤٠ هـ، ط. أوروبا ٣٤٦٦/١. وكذلك ابن الأثير، ط. أوروبا ٣٣١/٣، وط. الأولى، ١٥٧/٣. وطبقات ابن سعد ٢٧/٣. ومقاتل الطالبين ص ٤٢، وفي لفظه: (بناه غلام)، وفي لفظ غيره: (نعا).
(٧) جاء تمثل أم المؤمنين باليتين في مقاتل الطالبين ص ٤٢.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، الباب الأول، ٨٤/٢. وكتاب المغازي، باب مرض النبي ٦٣/٣ منه، وصحيح مسلم كتاب الوصية باب: ١٩، وأبن ماجة كتاب الجنائز، باب ٦٤، ومسند أحمد ٣٢/٦، ٦٤ و٧٧، والطبري ١٨١٤/١. وراجع قبله ص: ٢٩٨ من هذا الكتاب.

(قبض رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي).

وعن الشعبي، قال:

(توفي رسول الله (ص) ورأسه في حجر عليّ وغسله عليّ . . . الحديث).

وروى عن أبي غطفان، قال:

(سألت ابن عباس: أرايت رسول الله (ص) توفيّ ورأسه في حجر أحد؟

قال: توفيّ وهو لمستند إلى صدر عليّ، قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة أنها

قالت: توفي رسول الله (ص) بين سحري ونحري! فقال ابن عباس: أنعقل؟

والله لتُوفي رسول الله (ص) وإنه لمستند إلى صدر عليّ، وهو الذي غسله . . .

الحديث.

(أنّ كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير

المؤمنين:

ما كان آخر ما تكلم به رسول الله (ص)؟ فقال عمر: سل عليّاً، قال:

أين هو؟ قال: هو هنا. فسأله، فقال عليّ: أسندته إلى صدري فوضع

رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة! فقال كعب: كذلك آخر عهد

الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون. قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل

عليّاً؛ قال: فسأله فقال: كنت أنا أغسله وكان العباس جالساً وكان أسامة

وشقران يختلفان إليّ بالماء^(٩).

لو كان النبيّ أنخث وتوفيّ بين سحر عائشة ونحرها أو حاقنتها وذاقنتها،

كما قالت هي، لقال الخليفة عمر لكعب الأحبار: سلّ أم المؤمنين عائشة عن

آخر ما تكلم به رسول الله (ص) ولم يكن يجيله على الإمام علي (ع).

وأقوى من كلّ الروايات السابقة رواية من شهدت ذلك من أمّهات

(٩) هذه الأحاديث الخمسة في طبقات ابن سعد، باب: من قال: توفي رسول الله (ص) في

حجر عليّ بن أبي طالب. ط. أوروبا ٢/٢ ق ٥١/٢.

المؤمنين وهي أم سلمة فلأنها قالت :

(والذي أحلف به أن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص) عدناه غداة وهو يقول : جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ - مراراً - فقالت فاطمة كأنك بعثته في حاجة قالت : فجاء بعد ، فظننت أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت فقمعدنا عند الباب ، قالت أم سلمة : وكنت من أذناهم إلى الباب ، فأكبّ عليه رسول الله (ص) وجعل يسأره ويناجيه ، ثم قبض (ص) من يومه ذلك ، فكان أقرب الناس به عهداً^(١٠) .

وفي رواية عبد الله بن عمرو :

(أن رسول الله (ص) قال في مرضه : ادعوا لي أخي - إلى قوله - فدعي له عليّ فستره بثوبه وأكبّ عليه . . .)^(١١) الحديث .

ومما قاله الإمام عليّ (ع) عن وفاة رسول الله (ص) قوله :

(فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك ، فلما ناله وأنا إليه راجعون)^(١٢) .
وقال أيضاً :

(ولقد قبض رسول الله (ص) وإن رأسه لعلّني صدري . ولقد سالت نفسه

(١٠) أخرجه الحاكم في مستدركه ١٣٨/٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأعترف بصحته اللاهبي في تلخيص المستدرک ، وأخرجه ابن عساكر في باب : أنه كان أقرب الناس عهداً برسول الله (ص) ، من ترجمة الإمام عليّ ١٤/٣ - ١٧ بطرق متعددة ، وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣٤٨/٦ . ومجمع الزوائد ١١٢/٩ . وكتر العمال ، ط . الثانية : كتاب الفضائل ، فضائل عليّ بن أبي طالب ، ح ٣٧٤ ، ١٢٨/١٥ وأخرجه سبط ابن الجوزي ، في تذكرة خواص الأمة ، باب حديث النجوى والوصية عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل .

(١١) كتر العمال ، ط . الأولى ، ٣٩٢/٦ . وتاريخ ابن كثير ٣٥٩/٧ . وترجمة الإمام عليّ من تاريخ ابن عساكر ، ط . بيروت ، سنة ١٣٩٥هـ - ٢/٤٨٤ .

(١٢) نهج البلاغة ، الخطبة : ٢٠٢ .

في كَفِّي، فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غسله (ص) والملائكة أعوان، فضجَّت الدار والأفنية، ملا يهبط، وملا يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلُّون عليه حتَّى واريناه في ضريحه^(١٣).

مناقشة أحاديث أم المؤمنين عائشة

تفرَّدت أم المؤمنين عائشة برواية، أنَّ النبي (ص) توفِّي في حجرها في مقابل كلِّ تلكم الأحاديث.

وأغلب الظنَّ كما قلنا سابقاً أنَّها قالت ذلك في حرب البصرة، أي بعد زمان الخليفين عمر وعثمان، وكذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الإمام ويأمر بنقل ما يناقضها.

وعلى فرض صحَّة قول عائشة أنَّ النبي (ص) توفِّي على صدرها، هل كان ذلك مناقضاً لما تواتر من أنَّ الإمام عليّاً كان وصي رسول الله (ص)؟ وألم يكن ثمت زمان آخر ليبدل الرسول (ص) بوصاياه للإمام علي؟ كما تدلُّ عليه روايات كثيرة مثل ما رواه أصحاب السنن والمسانيد عن الإمام علي، قال:

(كان لي من رسول الله (ص) مُدْخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار، فكنت إذا أتيت وهو يصليّ تنحنح)^(١٤).

وفي رواية:

(كانت لي من رسول الله (ص) منزلة لم تكن لأحد من الخلائق؛ إني كنت أتيه كلَّ سحر فأسلم عليه حتَّى يتحنح...)^(١٥) الحديث.

(١٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٧.

(١٤) سنن أبن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستئذان، ح ٣٧٠٨، ومسند أحمد ٨٠/١.

(١٥) مسند أحمد ٨٥/١ و ١٠٧ ويأتي تفصيله في باب مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة أهل البيت.

ومن تاريخ ابن عساكر عن جابر:
 (لَمَّا كَانَ يَوْمُ الطَّائِفِ، نَاجَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلِيًّا، فَأَطَالَ نَجْوَاهُ فَقَالَ
 بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أَطَالَ نَجْوَى ابْنِ عَمِّهِ. فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا
 أَنْتَجِيتهُ؛ بَلِ اللَّهُ أَنْتَجَاهُ).

وفي لفظ آخر للرواية:

(فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَنْظُرَانِ وَالنَّاسُ، قَالَ: ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَيْنَا
 فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَالَتْ مَنَاجَاثُكَ الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: مَا أَنَا أَنْتَجِيتهُ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْتَجَاهُ)^(١٦).



أوردنا هذه الروايات من مصادر أخرى - أيضاً - في باب ذكر حاملي علوم
 الرسول (ص) من هذا الكتاب، وفي باب مصادر الشريعة الإسلامية لدى
 مدرسة أهل البيت (ع).

مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة وحديث الإمام علي (ع)
 تفردت أم المؤمنين عائشة برواية ما أخبرت به عن خبر آخر ساعات حياة
 الرسول الأكرم (ص) أنه طلب طستاً ليبول فأنخنث ومات بين حاققتها
 وذافقتها، وأمثال هذه الألفاظ، أضف إليه حديثها وحديث غيرها في بدء نزول
 الوحي:
 أن رسول الله (ص) عندما تلقى أول وحي هبط به جبرائيل من الله بآيات

(١٦) أخرج الحديثين ابن عساكر بترجمة الإمام علي ٣١٠/٢ و٣١١، وابن كثير في تاريخه
 ٣٥٦/٧، وفي شرح نهج البلاغة ط. مصر الأولى ٧٨/٢ ما ملخصه:
 دخلت عائشة وهما يتناجيان، فقالت: يا علي ليس لي إلا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا
 ابن أبي طالب؟!

سورة اقرأ، شك في جبرائيل أنه شيطان يريد أن يتلعب به، وشك في الآيات الكريمة أنها من قبيل سجع الكهان حتى طمأنه الرجل النصراني ورقة بن نوفل أنه نبي أوحى إليه كموسى بن عمران، فأطمأن وأدرك أنه نبي، إلى أحاديث أخرى لهذه المدرسة عن سيرة رسول الله (ص).

إن تلکم الأحاديث كما ذكرنا في البحوث التمهيدية كَوْنَتْ رؤية خاصة عن رسول الله (ص) لمن يعتقد بها، تحطّ من مقام أفضل الرسل عن مستوى الإنسان العادي، ولهذا حقّ للرجل (ذي المعرفة) السعودي أن يقول: محمد رجلاً مثلي مات.

أمّا في حديث الإمام عليّ عن بدء نزول الوحي وهو الشاهد الوحيد الذي كان عندئذ مع الرسول (ص) في غار حراء: أنه سمع رنة حينئذ وأنّ الرسول (ص) أخبره أنّ الرنة من الشيطان لأنه أيس من عبادته.

وفي حديثه أيضاً: أنّ الله قرن برسول الله (ص) منذ أن كان طفلياً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره.

وفي حديثه عن وفاة رسول الله (ص) أنه أدناه إليه وأخذ بناجيه وسرّ إليه ويوصي حتى قبض (ص)^(١٧) وسالت نفسه في كفّه فأمرها على وجهه وأنه أخذ في تغسيله وتكفينه والملائكة أعوانه في ذلك، وقد ضجّت الدار والأفنية ملاً يهبط وملاً يعرج، وأنه ما فارقت سمعه هينة منهم يصلّون عليه حتى وراه في ضريحه.

إنّ أمثال هذه الأحاديث عن سيرة الرسول بمدرسة أهل البيت - أيضاً - كَوْنَتْ رؤية خاصة لمن يعتقد بها، ولن يتيسّر تقارب بين المسلمين ما لم تدرس المجموعتان من الأحاديث معاً دراسة مقارنة لنصل إلى الحقيقة المنشودة ثمّ

(١٧) وقد أيد حديثه، حديث أم سلمة وغيرها في ذلك.

يتفاهم الإخوة المسلمون في ضوء تلك الدراسات إن شاء الله تعالى .
ونؤكد مرة أخرى أنّ في مقدمة ما ينبغي دراسته دراسة مقارنة؛ أخبار سيرة
الرسول الأكرم (ص) وتاريخ عصر الرسول (ص) وعصر من تشرّف بصحبته .

حديثان متعارضان من أم المؤمنين عائشة وموقفان مختلفان

روى ابن عساکر أنّ امرأتين سألتا عائشة، فقالتا:
يا أمّ المؤمنين أخبرينا عن عليّ، قالت: أي شيء تسألن عن رجل وضع
يده من رسول الله (ص) موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه،
وأختلفوا في دفنه، فقيل: إنّ أحبّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيّه. قالتا:
فلم خرجت عليه؟ قالت: أمر قضي، لوددت أن أفديه بما في الأرض^(١٨).
إنّ حديثها هذا يتفق مع حديث الإمام عليّ الذي قال فيه:
قبض رسول الله (ص) وإنّ رأسه على صدري، ولقد سالت نفسه في
كفّي وأمرتها على وجهي .

ويتعارض مع حديثها:
(انخث بين حاقنتي وذافنتي).
وروى ابن عساکر - أيضاً - عن عائشة أنّها قالت: قال رسول الله (ص)
وهو في بيتها لما حضره الموت:
أدعوا لي حبيبي . . .
فدعوا عليّاً فأثابه، فلمّا رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثمّ أدخله فيه فلم
يزل يحتضنه حتى قبض عليه^(١٩).

حديثها هذا يتفق مع حديث عبد الله بن عمرو الذي قال فيه:

١٨ و ١٩) كلا الحديثين أخرجهما ابن عساکر في ترجمة الإمام عليّ ١٥/٣ .

(إن رسول الله قال في مرضه: آدعوا لي علياً . . .) ويعارض أحاديثها، في أن الرسول (ص) توفي بين سحرها ونحرها، وأمثالها، ومنشأ صدور الحديثين المتعارضين من أم المؤمنين عائشة؛ وسببه، اختلاف موقفها من الإمام علي. وبيانه:

موقفان مختلفان تجاه الإمام علي (ع)

بعد وفاة الرسول (ص) بويع الخليفة أبو بكر، وبقي عليّ ومعه جميع بني هاشم ستة أشهر بحسب رواية أم المؤمنين عائشة لم يبايعوه حتى توفيت فاطمة^(٢٠)، ثم بقي الإمام عليّ بعيداً عن الساحة، حتى أخريات خلافة عثمان، حيث قادت أم المؤمنين عائشة^(٢١) المعارضين من طلحة والزبير وغيرهما لمجابهة الخليفة أماً منها في أن يلي بعده ابن عمها طلحة. ولما قتل عثمان وبايع المسلمون علياً أقامت عليه حرب الجمل، وأنكسرت فيها وأرجعها الإمام عليّ إلى المدينة، وبقيت حانقة عليه حتى استشهد، ومرّ بنا إظهارها للسرور من مقتله، ثم ولي الحكم معاوية وجمع بينهما الموقف الواحد من الإمام، ثم فترت العلاقة بينهما على أثر قتل معاوية لحجر بن عدي.

ولما أراد معاوية أن يأخذ البيعة ليزيد، كان شقيقها عبد الرحمن بن أبي بكر من أشدّ المعارضين لبيعة يزيد، وخطب مروان في مسجد الرسول (ص) وكان والياً على الحجاز من قبل معاوية، فقال:

إن أمير المؤمنين قد اختار لكم، فلم يأل، وقد استخلف لابنه يزيد بعده.

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت والله يا مروان! وكذب

(٢٠) مرّ مصادر الخبر في بحث السقيفة من هذا الكتاب.

(٢١) أوردنا تفاصيل موقف عائشة من عثمان ومعاوية في كتابنا: (أحاديث أم المؤمنين عائشة)

فصل: مع معاوية، وأوردنا فهرساً من تلك الوقائع.

معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل.

فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَتَىٰ لَكُمْ﴾ الأحقاف/ ١٧.

فسمعت عائشة مقالته من وراء الحجاب، فقامت من وراء الحجاب، وقالت: يا مروان! يا مروان! فأنصت الناس، وأقبل مروان بوجهه، فقالت: أنت القاتل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن؟ كذبت والله ما هو به، ولكنه فلان بن فلان، ولكنك فضض من لعنة الله.

وفي رواية، فقالت: كذب والله ما هو به، ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل^(٢٢).

وأخرج البخاري الحديث في صحيحه وقال:

(كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد ابن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَتَىٰ لَكُمْ أُنْعِدَانِي﴾. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري^(٢٣)).

هكذا حذف البخاري قول عبد الرحمن: (تريدون أن تجعلوها هرقلية...) وأبدله بقوله: (قال شيئاً) وحذف رواية أم المؤمنين عائشة في حق مروان. بينما أوردها ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري المسمى بفتح الباري مفصلاً، وفي لفظ بعضها: ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان في

(٢٢) تاريخ ابن الأثير ١٩٩/٣ في ذكر حوادث سنة ٥٦هـ.

والفضض: القطعة من الشيء.

(٢٣) صحيح البخاري ١٢٦/٣، باب ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ﴾ من تفسير سورة الأحقاف.

صلبه^(٢١).

ولأنهما فعل الشيخ البخاري ذلك لأن معاوية ويزيد هما من خلفاء المسلمين، ولا يرى البخاري أن يسمع العامة قول عبد الرحمن في حقهما، أنهما جعلوا الخلافة هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل مقامه.

وحذف رواية أم المؤمنين عائشة في مروان - أيضاً - لأن مروان أصبح خليفة للمسلمين ولا ينبغي ذكر ما يشينه. هكذا فعل الشيخ البخاري في صحيحه، فإنه حذف كل شيء يشين الخلفاء والحكام في كل حديث جاء فيه من ذلك شيء. ومن ثم أعتبرت مدرسة الخلفاء كتابه أصح الكتب بعد كتاب الله، وعُدَّ هو إمام أهل الحديث لديهم.



لما لم يستطع مروان أن يأخذ البيعة في الحجاز ليزيد، قدم معاوية الحجاز حاجاً ودخل المدينة، وكان من خبره ما رواه ابن عبد البر، حيث قال:

(قعد معاوية على المنبر يدعو إلى بيعة يزيد، فكلمه الحسين بن علي، وأبن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر، فكان كلام ابن أبي بكر: أهرقلية؟! إذا مات كسرى كان كسرى مكانه؟ لا نفعل والله أبداً. وبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد، فردّها عليه عبد الرحمن، وأبى أن يأخذها، وقال: أبيع ديني بدنياي؟! فخرج إلى مكة، فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد بن معاوية)^(٢٢).

(٢٤) فتح الباري ١٠/١٩٧-١٩٨، وأخرج الفصة بتفصيلها أبو الفرج في الأغاني ١٦/٩٠ - ٩١. وراجع ترجمة الحكم بن أبي العاص من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ومستدرک الحاكم ٤/٤٨١. وتاريخ ابن كثير ٨/٨٩. والإجابة في ما استدركت عائشة على الصحابة، وترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر في تاريخ دمشق لابن عساكر. (٢٥) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب ٢/٣٩٣. وأسد الغابة ٣/٣٠٦.

وذكر ابن عبد البر بعده وقال :

(إن عبد الرحمن مات فجأة بموضع يقال له : (الحبشي)^(٢٦) على نحو عشرة أميال من مكة فدفن بها . ويقال : إنه توفي في نومة نامها ، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة أم المؤمنين (رض) طلعت من المدينة حاجة حتى وقفت على قبره ، وكانت شقيقته ، فبكت عليه وتمثلت :

وكنا كندماني جذيمة حقة

من الدهر حتى قبل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأي ومالكا

لطول أجتاع لم نبت ليلة معاً^(٢٧)

أما والله لو حضرتك لدفتك حيث مت مكانك ، ولو حضرتك ما بكيتك) .

وفي مستدرك الحاكم :

(رقد في مقيل قاله : فذهبوا يوظفونه فوجدوه قد مات ، فدخل في نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شرٌ وعجل عليه فدفن وهو حي)^(٢٨) .



والإصابة ٤٠٠/٢ . وشذرات الذهب في ذكر حوادث سنة ٥٣هـ ، وقريب منه ما في مستدرك الحاكم ٤٧٦/٣ .

(٢٦) في معجم البلدان :

الحبشي : جبل بأسفل مكة ، بينه وبين مكة ستة أميال ، مات عنده عبد الرحمن بن أبي بكر فجأة ، فحمل على رقاب الرجال إلى مكة ، فقدمت عائشة من المدينة وأنت قبره وتمثلت : وكنا كندماني جذيمة . . . البينين .

(٢٧) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب بهامش الإصابة ٣٩٣/٢ .

(٢٨) مستدرك الحاكم ٤٧٦/٣ ، وكذلك في تلخيص المستدرك للذهبي وقد جاء فيه : (الحبشي) .

لوبيقي عبد الرحمن حياً لما تمت بيعة يزيد مع موقفه الصّارم ضد بيعته ومعه أم المؤمنين عائشة، فمات في طريق مكة، كما مات مالك الأشر في طريق مصر مسموماً بسم دسه إليه معاوية^(٢٩).

مات عبد الرحمن ليفسح الطريق لبيعة يزيد، كما توفي قبله الإمام الحسن بسم دسه إليه معاوية. اغتيل عبد الرحمن في هذا السبيل، كما اغتيل سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ولم يخف ذلك على أم المؤمنين عائشة، فأقامت على بني أمية عامة حرباً شعواء من الدعاية القويّة ضدّهم بدأتها بنشر ما سمعته من النبيّ (ص) في شأن مروان وأبيه الحكم، وقابلت سياسة معاوية خاصّة والتي كانت ترمي إلى طمس فضائل بني هاشم عامة وبيت الإمام خاصّة، لمقام الحسين عند المسلمين، وهو يريد أن يورث الخلافة في عقبه ويلغ الأمر به أن أمر بلعن الإمام عليّ (ع) على منابر المسلمين، عندئذ قابلت أم المؤمنين عائشة هذه السّياسة مقابلة قويّة وأخذت تنشر في هذا الدور فضائل الإمام عليّ وشبليه الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص) وزوجته فاطمة ابنة رسول الله (ص) ومن ثمّ روي عنها في فضائلهم بعض ما كانت سمعته من رسول الله (ص) وما شاهدته، ومن جملة الحديثان الأنفان المتعارضان مع أحاديثها الأخرى في وفاة الرسول (ص).



كان موقف أم المؤمنين عائشة من حديث الوصية جزءاً من عمل الخلافة القرشية مع أحاديث الرسول (ص) في شأن أهل بيته تبعاً لسياسة عامة قريش: (الآن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم) كما يأتي ذكرها في البحث الآتي بإذنه تعالى.

(٢٩) راجع فصل: مع معاوية، من كتابنا (أحاديث أم المؤمنين عائشة).

كتمان فضائل الإمام عليّ ونشر سبّه ولعنه والسبب فيهما

نبدأ في ما يأتي بذكر السبب في ذينك ثم نوالي إيراد أخبار كتمان فضائل الإمام عليّ ونشر سبّه ولعنه .

كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم

روى الطبري معاررتين جرتا بين الخليفة عمر وأبن عباس وقال : قال الخليفة في إحداهما لابن عباس :

ما منع قومكم منكم ؟ - أي ما منع قومكم قريشاً من ولايتكم -

قال ابن عباس : لا أدري !

قال عمر : لكنّي أدري ، يكرهون ولايتكم لهم !

قال ابن عباس : لم ونحن لهم كالخير ؟

قال : غفراً ؛ يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بَجْحاً بَجْحاً . لعلكم تقولون إن أبا بكر فعل ذلك ، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره . الحديث .

وفي الثانية قال :

يا ابن عباس ! أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ؟

فكرهت أن أجيبه ، فقلت : إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يُدريني .

فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتَبَجَّحُوا على قومكم بَجْحاً بَجْحاً ، فأختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت .

فقلت: يا أمير المؤمنين! إن تأذن لي في الكلام وتُخِط عني الغضب تكلمتُ.

فقال: تكلم يا ابن عباس.

فقلت: أما قولك - يا أمير المؤمنين - اختارت قريش لأنفسها فاصابت ووفقت؛ فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة؛ فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَنْهَاءَهُمْ﴾.

فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس؛ قد كانت تبغني عنك أشياء كنت أكره أن أُفَرِّقَ عليها فتزيل منزلتك مني.

فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنها صرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أما قولك - يا أمير المؤمنين - ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً؛ فإن إبليس حسد آدم فتحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات! أبت والله قلوبكم - يا بني هاشم - إلا حسداً ما يحول، وضغناً وغشاً ما يزول.

فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين! لا تصِف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش؛ فإن قلب رسول الله (ص) من قلوب بني هاشم.

فقال عمر: إليك عني يا ابن عباس.

فقلت: أفعل.

فلما ذهب أقوم استحيا مني فقال:

يا ابن عباس مكانك! فوالله إني لراعي لحقك، محب لما سرك.
فقلت: يا أمير المؤمنين! إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم؛ فمن حفظه
فحظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ. ثم قام فمضى^(١).

وقفة تأمل لدراسة الحديثين

في الحديثين صرح الخليفة عمر بأن قريشاً كرهوا أن يجتمع في بني هاشم
النسوة والخلافة فيتبجح بنو هاشم على قريش بجهأ أي يتباهوا بذلك على
قريش مباهاة.

وقال في الثاني: (فأختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت). إذا فقد
بحثت قريش في أمر الولاية عن مصلحة أنفسهم - في ظاهر الأمر الديني -
وليس مصلحة سائر المسلمين. وأي فرق للمسلمين أي قبيلة من قريش وليت
الحكم بعد رسول الله (ص).

وفي تصويبه عمل قريش لم يستدل بغير قوله (أختارت قريش لأنفسها) ولم
يذكر أي دليل آخر من كتاب الله أو سنة رسوله (ص).

ويستفاد من جواب ابن عباس (فلو أن قريشاً أختارت لأنفسها حيث
أختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها) أمران:

أولاً - إن اختيار قريش كان في غير ما اختاره الله، ويقصد حيث أختار
الله الإمام علياً (ع). كما سنورد الآيات والأحاديث في هذا الصدد بعيد هذا
إن شاء الله تعالى.

ثانياً - إنه ليس لقريش أن تختار غير ما اختاره الله. ويشير بقوله هذا إلى

(١) في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ هـ من تاريخ الطبري ط. مصر الأولى، ١/٣٠ -
٣٢، وطبعة أوروبا، ١/٢٧٦٨ - ٢٧٧٢، والثانية منها - أيضاً - في تاريخ ابن الأثير، ٣/٢٤ -
٢٥، والنقط للطبري.

قوله تعالى في سورة الأحزاب :

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ (٣٦). وشدد النكير على كراهية قریش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم وقال: إن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ (محمد/٩). وقد فصلنا القول في مدلول حبط الأعمال في بحث «جزاء الأعمال» من كتاب «عقائد الإسلام» فليراجع.

وفي جواب الخليفة لابن عباس لم يجد ردّاً لدعوى ابن عباس أن قریشاً اختاروا غير ما اختار الله وغير ما أنزل الله؛ بل جابهه بنقل ما بلغه أن ابن عباس قال: (إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً) ولم ينكر ذلك ابن عباس، بل أبان حجته في هذا القول وقال:

(أما قولك: ظلماً؛ فقد تبين للجاهل والخليم).

يعني ابن عباس من قوله هذا أن قوله: بأن بني هاشم ظلموا في تنحية الإمام علي عن الحكم ليس يخص ابن عباس وحده ليكون هو الذي كشف بقوله ذلك عن تلك الحقيقة، بل إن ذلك قد تبين لجميع الناس؛ العاقل الحصيف منهم، والجاهل الخسيس.

وأجاب عن قوله (حسداً) وقال: (إن إبليس حسد آدم ونحن ولده المحسودون).

ولعل ابن عباس يشير في كلامه هذا إلى قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إن الله أصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ (٣٣ - ٣٤) أي إن بني هاشم من ذرية من حسده إبليس لأن الله أصطفاهم، وللذرية أسوة في ذلك بأبائهم.

وأخيراً جاش صدر الخليفة بالغيظ ولم يتحمل أقوال ابن عباس وقال له:

(هيهات! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول، وضغناً وغشاً ما يزول).

فأجابه ابن عباس وقال: (مهلاً يا أمير المؤمنين! لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش؛ فإن قلب رسول الله (ص) من قلوب بني هاشم).

ونترك شرح كلمة الخليفة لما فيها من قسوة. أما كلمة ابن عباس فقد أشار فيها إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ (٣٣). ولما لم يستطع الخليفة أن يرد على ابن عباس قوله، أمره بالابتعاد عنه وقال له: (إليك عني يا ابن عباس!) أي ابتعد عني، ولما أطاع ابن عباس أمر الخليفة وأراد أن يقوم؛ لأن عليه الخليفة وختم الأمر بينهما بالحسنى، واستمرت الخلافة القرشية كسائر قريش في كرهها لاستيلاء بني هاشم على الحكم. كما يظهر ذلك من المحاورة التي دارت بين الخليفة وابن عباس بعد موت عامل حمص حيث خاطب الخليفة ابن عباس بقوله:

يا ابن عباس! إن عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير - وأهل الخير قليل - وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسي منك شيء لم أره منك، وأعياني ذلك، فما رأيك في العمل؟

قال: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك.

قال: وما تريد إلى ذلك؟

قال: أریده، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي، خشيتُ منه عليّ الذي خشيتُ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أني لست من أهله، فقبلت عملي هنالك، فأني قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته.

فقال: يا ابن عباس!، إنني خشيت أن يأتي عليّ الذي هو آت وأنت في

عملك فتقول: هلّم إلينا ولا هلّم إليكم دون غيركم... الحديث^(٢).

يظهر أنّ هذه المحاورة جرت بينهما في أخريات حياة عمر. وجرّت في آخر شهر من حياة الخليفة عمر ما رواه في هذا الصدد البخاري بسنده وقال:

عن ابن عباس أنّه قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن ابن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجّها إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين! هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً؟ فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلّا فلتة فتمت. فغضب عمر ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل فإنّ الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكناً، فيمي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها.

فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. فقال ابن عباس: فقدّمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس حتى أجده سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر فجلست حوله ثمس ركبتي ركبته فلم أنشب أن أخرج عمر ابن الخطاب فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ليقلن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف. فأنكر عليّ وقال: ما عسيت أن يقول ما

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٣٢١ - ٣٢٢.

لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر فلما سكّت المؤذنون قام فأتى على الله بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد! فإني قائل لكم مقالة قد قدّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ - إلى قوله - ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعة فلاناً فلا يَغْتَرُّ امرؤ أن يقول إنّها كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الاعتاق إليه مثل أبي بكر. من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرّة أن يقتل. - إلى قوله في آخر الخطبة أيضاً - فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرّة أن يقتل^(٣).

يا ترى! من هو فلان المعزوم على بيعته؟ ومن هو فلان الذي أهاج بقوله غضب الخليفة فخطب وقال في خطبته ما قال؟ إنّ ابن أبي الحديد الشافعي قد كشف في بعض ما رواه عن اسميهما وقال:

(إنّ الرجل الذي قال: لو قد مات عمر لبايعة فلاناً؛ عمّار بن ياسر قال: لو قد مات عمر لبايعة عليّاً. فهذا القول هو الذي أهاج عمر أن خطب بها خطب به)^(٤).

دراسة مفهوم الخطبة:

يفهم من كلام الخليفة أنه خشي أن يفلت زمام الأمر بعد وفاته من يد

(٣) صحيح البخاري ١١٩/٤ - ١٢٠، باب رجم الخيل من الزنا من كتاب الحدود. وقد أوردنا مورد الحاجة من الخطبة من ١٤٣ قبل هذا. و(ويضعونها) كذا جاءت في الأصل والنصواب: يضعونها.

(٤) في شرح الخطبة (٢٦) من شرح ابن أبي الحديد لتبج البلاغة.

قريش ويبادر غيرهم من المسلمين - صحابة وتابعين - إلى بيعه من يكرهون ولايته، وهو الإمام علي، ولذلك أبتكر طريقة سدّ بها الطريق على أولئك وقال: (من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرة أن يُقتل). قال ذلك في حين أنه بنفسه ولي أمر المسلمين دون مشورة المسلمين، وأستند في شرعية حكمه إلى تعيين الخليفة أبي بكر له، ومهما يكن من أمر فقد أمسك - بطرحه ذلك - بزمam الأمر بقوة بيده، ثم طرح بعد ذلك بقليل، وعندما طعن، وأمر بأن يجتمع ستة من قريش ليختاروا واحداً منهم للخلافة، وجعل أمر ترشيح الخليفة بيد عبد الرحمن بن عوف، وشرط هذا - للبيعة - عمل الخليفة بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فقبل عثمان الشرط ورفضه الإمام علي (ع)، وكانوا يعلمون أن الإمام علياً لا يقبل أن يجعل سيرة أبي بكر وعمر في عداد كتاب الله وسنة رسوله. وإذا رجعنا إلى ص ١٧٥ من هذا الكتاب نجد الخليفة عمر بن الخطاب سعيد بن العاص الأموي أن الذي يلي الأمر من بعده هو ذو رحم سعيد، وقد ولي بعد الخليفة عمر ذو رحم سعيد (عثمان بن عفان الأموي)، ولعلنا نجد السبب - أيضاً - في ص ١٧١ منه أن أبا بكر دعا عثمان خالياً فقال: (اكتب... هذا ما عهد أبو بكر إلى المسلمين، أما بعد) فأغص عليه فذهب عنه، (فكتب عثمان: أما بعد! فإنني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب) ولما أفاق أمضى ما كتبه عثمان من توليته عمر لأنه كان قد وافق قصده.

وعن أمر من يلي بعد عثمان روى اليعقوبي وقال:

إن عثمان اعتلّ علّة اشتدّت به، فدعا حمران بن أبان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الاسم، ثم كتب بيده: عبد الرحمن بن عوف، وربطه وبعث به إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان، فقرأه حمران في الطريق فأثنى عبد الرحمن فأخبره، فقال عبد الرحمن، وغضب غضباً شديداً: استعمله علانية،

ويستعملني سرّاً! ونمى الخبر وانتشر بذلك في المدينة. وغضب بنو أمية، فدعا عثمان بحمران مولاة، فضربه مائة سوط، وسيره إلى البصرة. فكان سبب العداوة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف.

ووجه إليه عبد الرحمن بن عوف بابه، فقال له قل له: والله لقد بايعتك، وإن في ثلاث خصال أفضلكَ بهن... الخبر^(٥).

ويظهر أنه كان قد بُت في أن يلي الحكم بعد عثمان عبد الرحمن بن عوف غير أن عبد الرحمن توفي قبل عثمان سنة ٣١ أو ٣٢هـ بعد أن اشتد الخصام بينهما^(٦)، وكذلك وقع الخلاف بين بني أمية «الأسرة الحاكمة من قريش» وسائر أفعاذ قريش، وقادت أم المؤمنين عائشة أسرتها من تميم والمخالفين حتى سقط الخليفة عثمان قتيلاً في داره في المدينة وبمحضر من المهاجرين والأنصار^(٧).

عند ذلك ملك المسلمون أمرهم وانحلوا من كل بيعة سابقة توثقهم فتهافتوا على الإمام علي (ع) يبايعونه وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله (ص)، ولما ولي الإمام علي (ع) الحكم ألغى جميع امتيازات قريش التي منحوها على عهد الخلفاء قبله، وسأوى بين سروات قريش وسائر المسلمين - العرب منهم والموالي - في تقسيم بيت المال والمنزلة الاجتماعية، فلملمت قريش أطرافها بعد أربعة أشهر من حكمه، وأقامت عليه حرب الجمل التي اجتمع فيها مروان (المطالب بدم عثمان) وطلحة والزبير (اللذان حرّضا على قتل عثمان) بقيادة أم المؤمنين عائشة التي أفتت بقتل عثمان ثم أقامت قريش عليه حرب صفين.

(٥) تاريخ البعقوبي، ١٦٩/٢.

(٦) راجع الأوائل لأبي هلال العسكري ط. بيروت ١٤٠٧، ص ١٢٩، وشرح النهج لابن أبي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/١٦٩.

(٧) راجع كتابنا: (أحاديث أم المؤمنين عائشة) ط. بيروت عام ١٤٠٨ ص ٨٧-١٦٢ فصل في عهد الصهرين.

أقامت الحربين عليه باسم الطلب بدم عثمان، وبذلك شوست قريش على المسلمين في خارج المدينة الرؤية الصحيحة. وبعد تحكيم الحكامين بصفين خرجت على الإمام علي الخوارج بنهروان. ولهذا كله تكرر شكوى الإمام من ظلم قريش مثل قوله في كتابه لأخيه عقيل:

«فَدَعُ عَنْكَ قَرِيْشًا وَتَرَكَا ضَهُمَ فِي الضَّلَالِ، وَتَخَوَّاهُمُ فِي الشَّقَاقِ، وَجَاهَهُمُ فِي التَّبِيْهِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى خَرْبِي كِجَاعِهِمْ عَلَى خَرْبِ رَسُوْلِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي؛ فَجَزَتْ قَرِيْشًا عَنِي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحْمِي... الكتاب»^(٨).

وأخبر عن مشاجرة وقعت بينه وبين أحدهم وقال:

وَقَدْ قَالَ قَاتِلُ: إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لَحَرِيصٌ.
فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ! وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقَّ لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ فَلَمَّا فَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَا الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ [بُهت] لَا يَذِرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيْثُكَ عَلَى قَرِيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيْمَ مُنْزَلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي؛ ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ [فِي] الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ^(٩).

(٨) نهج البلاغة، شرح محمد عبده - الرسائل، الكتاب رقم ٣٦. والأغاني ط. سامي ٤٤/١٥.

والتركاض: مبالغة في الركض، واستعاره لسرعة خواطرهم في الضلال، وكذلك التجوال من الجول والجولان، والشقاق: الخلاف، وجماهم: استعصاؤهم على سابق الحق، والتب: الضلال والغواية.

الجوازي: جمع جازية بمعنى المكافأة، دعاء عليهم بالجزاء على أفعالهم.

(٩) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة: ١٦٧. وطبعة بيروت للدكتور صبيح الصالح، الخطبة: ١٧٢.

وقال في خطبة أخرى:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَجَمِي
وَأَكْفَأُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلَا
إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُنَمِّعَهُ، فَأَصْبِرْ مَغْمُومًا أَوْ مُتَّسِفًا.
فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌ، وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ
عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى، وَصَبِرْتُ مِنْ
كَظَمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ، وَالْتَمَّ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشُّغَارِ»^(١).

وأخيراً استشهد الإمام (ع) بيد أحد الخوارج في محراب مسجد الكوفة
وبعد استشهاد الإمام علي (ع) أستولى معاوية على الحكم في سنة أربعين
للهجرة وسَمَوْا هذا العام بعام الجماعة وهو في الحقيقة عام الجماعة لقريش،

وضرب الوجه: كناية عن الرد والمنع، و«قرعته بالحجة»: من «قرعه بالعصا» ضربه بها،
وهبٌ: من هبب التيس - أي: صياحه - أي: كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب
كأنه محبول لا يدري ما يقول.

وأستعينك: أستصرك وأطلب منك المعونة، ويروى في مكانه «استعديك» أي: أطلب
منك أن تعديني عليهم وأن تتصف لي منهم.

و«ثم قالوا - الخ» أي: إنهم أعترفوا بفضله، وأنه أجدرهم بالقيام به ففي الحق أن يأخذه،
ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر، وقالوا للإمام: في الحق أن تتركه، فتناقض
حكمهم بالحقبة في القضيتين، ولا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توافرت فيه شروطه.

و«حرمة رسول الله» كناية عن زوجته، وأراد بها أم المؤمنين عائشة.

(١٠) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة: ٢١٢.

وقد جاء القسم الأول منها في كتاب الغارات للثقفى، ص ٣٩٢.

وأستعديك: أستعينك، وأكفأ الإناء أي قلبه، كناية عن تضييعهم حقه.

والرافد: المعين، والذاب: المدافع، و«ضننت» أي: بخلت، والقذى: ما يقع في العين،

والشجى: ما أعترض في الحلق من عظم ونحوه، يريد غصة الحزن.

والشغار: جمع شفرة، وهي حدّ السيف وغيره.

واستمرَّ حكم معاوية عشرين عاماً، وتوفي في سنة ستين للهجرة .



كان ذلكم بعض آثار كراهية قريش لحكم الإمام علي (ع)، ومن آثار تلك الكراهية منعهم نشر حديث الرسول (ص) كما سنذكرها في ما يأتي بإذنه تعالى .

منع كتابة حديث الرسول (ص)

روى عبد الله بن عمرو بن العاص وقال :

«كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص) فنهتني قريش وقالوا :
تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) بشر يتكلم في
الغضب والرضا ! فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فأومأ
بأصبعه إلى فيه وقال : أكتب ! فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق»^(١١) .

صرحت قريش بسبب نهيها عن كتابة حديث الرسول (ص) وهو أن
يكون حديثه في حال غضبه على أحد أو حال رضاه من أحد .

ففي الأولى يبقى حديث الرسول (ص) منقصة له ، ونحن نعلم كم
تحدث الرسول (ص) عن عتاة قريش وشرح الآيات التي نزلت تقريراً لهم !
وفي الثانية يبقى حديث الرسول (ص) نصاً في حق أحد لا يرضون أن
ينشر نص له .

ولهذا السبب نفسه منعوا كتابة وصية الرسول (ص) في مرض وفاته عندما
قال :

«هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» .

فقال عمر : إن النبي غلبه الوجع ، وعندكم كتاب الله ، فحسبنا كتاب

(١١) راجع مصادره في ص ٤٤ من المجلد الثاني من هذا الكتاب الطبعة الثالثة .

الله .

وقالوا : وما شأنه ! أمجر ؟^(١٢) .

كان هذا المنع وذلك النهي بسبب الخشية من أن ينشر نصُّ عن الرسول (ص) في حقِّ من يكرهون ولايته فتجتمع الخلافة والنبوة في بيتهم !
وبسبب تلکم الکراهية - أيضاً - منع الخليفة عمر في عهد خلافته من كتابة حديث الرسول (ص)، وأحرق ما كتبه الصحابة من حديث الرسول (ص)، وبقي المنع نافذاً حتى عصر الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز وجرت أمور أخرى ذكرناها في فصل : (منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء) من المجلد الثاني من هذا الكتاب، وجرى بعد عهد الخلفاء الأربعة ما سنذكره على التوالي في ما يأتي إن شاء الله تعالى :

سياسة الخلافة القرشية وسائر بني أمية

أ - على عهد معاوية :

ذكر الجاحظ بإيجاز سياسة الخلافة القرشية على عهد معاوية كما رواه ابن أبي الحديد وقال :

قال أبو عثمان الجاحظ : إنَّ معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسبِّ عليٍّ عليه السلام والبراءة منه .

وخطب بذلك على منابر الإسلام ، وصار ذلك سنةً في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبد العزيز (رض) فأزاله .

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أنَّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة : اللهم إنَّ أبا تراب ألحد في دينك ، وصدَّ عن سبيلك ؛ فالعنه لعناً

(١٢) راجع ص ٤٤ - ٤٦ من المجلد الثاني من هذا الكتاب المتن والهامش . ومرَّ ذكر ذلك في ص ١٤٠ - ١٤١ من هذا المجلد .

ويلاً، وعذبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الأفاق، فكانت هذه الكلمات يُشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز^(١٣).

روى الطبري^(١٤) وقال: استعمل معاوية المغيرة بن شعبه على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلما أمره عليها دعاه، وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا ترك شتم عليٍّ وذمّه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليٍّ، والإقصاء لهم، والإطراء لشيعته عثمان، والإدناء لهم. فقال له المغيرة: قد جُرْتُ وجُرْتُ وعملتُ قبلك لغيرك، فلم يذممني، وستبلو فتحمّد أو تذمّ، فقال: بل نحمّد إن شاء الله.

وروى ابن أبي الحديد عن المدائني في كتاب الأحداث وقال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب، وأهل بيته، وكان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفة^(١٥).

(١٣) شرح الخطبة السابعة والخمسين من خطب نهج البلاغة في شرح ابن أبي الحديد ط. الأولى فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعل ٣٥٦/١ وطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٨٧ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٥٦/٤. وهو مصدر ما نرويّه عن شرح ابن أبي الحديد في ما يأتي.

وأبو عثمان الجاحظ هو عمرو بن بحر اللبني البصري اللغوي النحوي توفي سنة ٢٥٥هـ في البصرة وكان مائلاً إلى النصب ومن كتبه (العشائرية) التي نفّض عليه أبو جعفر الإسكافي عمّد ابن عبد الله (ت: ٢٤٥هـ) والشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ).

(١٤) في حوادث سنة إحدى وخمسين من الطبري ط. أوروبا ١١٢/٢ - ١١٣. وط. الأولى ١٠٨/٦. وط. دار المعارف القاهرة ٢٥٣/٥ - ٢٥٤. وابن الأثير ٢٠٢/٣.

(١٥) شرح الخطبة (٢٠٨) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. مصر الأولى، ١٥/٣ - ١٦. ومنه نقل كل ما نقل من شرح ابن أبي الحديد.

وقال: كتب معاوية^(١٦) إلى عمّاله في جميع الأفاق: ألا يميزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه، وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأذنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرمهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم، وأسمه، وأسم أبيه، وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويُفضيه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه، وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عمّاله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إليّ وأقر إلى عيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان، وفضله، ففُرت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وعلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه، وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله...، فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة، وبهتان منتشرة، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة... الحديث^(١٧).

(١٦) قد نقل كتاب معاوية هذا أيضاً أحمد أمين في فجر الإسلام ص ٢٧٥.

(١٧) في شرح من كلام له، وقد سأله سائل عن أحاديث البدعة، من شرح النهج ١٥/٣.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: «إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغبون به أنوف بني هاشم»^(١٨).

وروى ابن أبي الحديد^(١٩) عن أبي جعفر الإسكافي وقال: «إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (ع) تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرغب في مثله». وروى في هذا الصدد عن الصحابة عن عمرو بن العاص، الحديث الذي أخرجه البخاري^(٢٠) ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن

١٦- أورد ابن أبي الحديد الرويتين المرويتين عن (المدايني). وهو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ٣١٥هـ) ذكر له النديم في الأحداث ٢٥ كتاباً (الفهرست ص ١١٥).

١٨ المصدر السابق؛ وص ٢١٣ من فجر الإسلام.

ونفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال في ترجمته بتاريخ بغداد: كان صدوقاً له مصنفات كثيرة؛ وقال المسعودي في ذكر المؤرخين وأصحاب الأخبار في أول كتابه مروج الذهب، ٢٣/١:

وكذلك تاريخ أبي عبد الله الملقب بنفطويه فمحمشو من ملاحه كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن أهل عصره تاليفاً وأملحهم تصنيفاً وذكر أسماؤه مؤلفاته في هدية العارفين ص ٥ وقال (ت: ٣٢٣هـ).

١٩ شرح النج ط. مصر الأولى، ٣٥٨/١. والإسكافي نسبة إلى الإسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط. وأبو جعفر الإسكافي في مادة الإسكاف من معجم البلدان عده في أهل بغداد أحد المتكلمين من المعتزلة (ت: ٢٠٤هـ) وقال ابن حجر في ترجمته: محمد بن عبد الله الإسكافي؛ من متكلمي المعتزلة وأحد أئمتهم؛ وإليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم؛ وهو بغدادى أصله من سمرقند؛ قال ابن النديم: كان عجيب الشأن في العلم والذكاء والصيانة ونبل الهمة والزاهة؛ بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد؛ وكان المعتصم يعظمه. وله مناظرات مع الكرابيسي وغيره. توفي سنة ٢٤٠، لسان الميزان، ٢٢١/٥.

٢٠ قد ذكر البخاري هذا الحديث في صحيحه ٣٤/٤ كتاب الأدب باب يبيل الرحم يبلاها

العاص، قال: سمعت رسول الله يقول جهاراً غير سر^(٢٢): «إِنَّ آلَ أَبِي طَالِبٍ لِيَسُوا لِي بِأَوْلِيَاءٍ، إِنَّمَا وَلِّيْتُ اللَّهَ وَصَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ».

وفي البخاري بعده بطريق آخر عنه: (ولكن لهم رحماً أبْلَهَا بِبِلَاهَا) - يعني أصلها بصلتها - انتهى.

كانت تلكم رواية ابن أبي الحديد عن صحيح البخاري وفي طبقات البخاري في عصرنا بدل لفظ (آل أبي طالب) بـ: (آل أبي فلان).

وروى الطبري أن المغيرة بن شعبه، أقام سبع سنين وأشهُراً في الكوفة لا يدع شتم عليٍّ والوقوع فيه، والعيب لقتلة عثمان واللَّعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه^(٢٣)، غير أن المغيرة كان يداري، فيشتد مرةً، ويلين أخرى.

وروى الطبري: أنَّ المغيرة بن شعبه قال لصعصعة بن صوحان العبدي وكان المغيرة يومذاك أميراً على الكوفة من قبل معاوية: «إِنَّكَ أَنْ يَبْلُغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَعِيبُ عُمَانَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّكَ أَنْ يَبْلُغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ عَلَانِيَةً، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِذَاكَرٍ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ شَيْئاً أَجْهَلُهُ، بَلْ أَنَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ هَذَا السُّلْطَانُ قَدْ ظَهَرَ، وَقَدْ أَخَذَنَا بِأَظْهَارِ عَيْبِهِ لِلنَّاسِ، فَنَحْنُ نَدْعُ كَثِيراً مِمَّا أَمَرْنَا بِهِ، وَنَذْكُرُ الشَّيْءَ الَّذِي لَا نَجِدُ مِنْهُ بَدْءاً نَدْفَعُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ أَنْفُسِنَا تَقِيَّةً، فَإِنْ كُنْتَ ذَاكراً فَضْلُهُ، فَادْكُرْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَصْحَابِكَ، وَفِي مَنَازِلِكُمْ سِرّاً، وَأَمَّا عَلَانِيَةً فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحْتَمِلُهُ الْخَلِيفَةُ لَنَا وَلَا يَعْذِرُنَا بِهِ...»^(٢٤) الحديث.

بطريقين عن ابن العاص. وفي ط البخاري كُنِيَ عَنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ بِآلِ أَبِي فُلَانٍ.
(٢١) هذه الزيادة في رواية البخاري الثانية عن ابن العاص وكُنِيَ - أيضاً - وقال آل أبي فلان، ومسلم ١٣٦/١ كتاب الإيذان باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم.

(٢٢) الطبري ط. أوروبا ١١٢/٢.

(٢٣) الطبري ط. أوروبا ٣٨/٢.

وقال البعقوبي^(٢٤) ما موجه:

وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحقم الخزاعي وأصحابها من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون علياً على المنبر، يقومون فيردون عليهم، ويتكلمون في ذلك.

فلما قدم زياد الكوفة وجّه صاحب شرطه إليهم، فأخذ جماعة منهم فقتلوا، وهرب عمرو بن الحقم الخزاعي إلى الموصل وعدّة معه، وأخذ زياد حجر بن عدي الكندي وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية فكتب فيهم أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، ووزّوا على الولاة، فخرجوا بذلك من الطاعة، وأنفذ شهادات قوم. فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال، أمر معاوية بإيقافهم هناك، ثم وجه إليهم من يضرب أعناقهم، فكلّمه قوم في ستّة منهم فأخلى سبيلهم، وأمر أن يعرض على الباقي البراءة من علي واللعن له فقالوا: إن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم، فأبرأوا منه نخل سبيلكم! قالوا: اللهم لسا فاعلي ذلك!

فحفروا لهم قبورهم وأدّيت أكفانهم، فقاموا الليل كلّه يصلون، فلما أصبحوا عرضوا عليهم البراءة من علي فقالوا: نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقتله فقال حجر دعوني أتوضأ وأصلي. فلما أتم صلاته قتلوه وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستّة مع حجر، فلما بلغوا عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن العقيف الخثعمي قالوا: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مقالته. فبعثوا بها إلى معاوية فلما دخلا عليه، قال معاوية للخثعمي: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك! قال أنبرأ من دين علي؟ فسكت، فقام ابن عم له فاستوهبه من معاوية فحبسه شهراً ثم

خَلَّى سَبِيلَهُ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْكُوفَةِ . أَمَّا الْعِزِّي فَقَدْ قَالَ لَهُ : يَا أَخَا رُبَيْعَةَ ! مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ ؟ قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَمِنَ الْأَمْرِينَ بِالْحَقِّ وَالْقَائِمِينَ بِالْقِسْطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ . قَالَ : فَمَا قَوْلُكَ فِي عِشْيَانٍ ؟ قَالَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الظُّلْمِ وَأَرْتَجَ أَبْوَابَ الْحَقِّ . قَالَ : قَتَلْتَ نَفْسَكَ . قَالَ : بَلِ إِيَّاكَ قَتَلْتُ ، فَبَعَثَ بِهِ مَعَاوِيَةَ إِلَى زِيَادٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ هَذَا الْعِزِّي شَرٌّ مِنْ بَعَثْتِ ، فَعَاقِبْهُ عَقُوبَتَهُ الَّتِي هُوَ أَهْلُهَا وَقَاتِلْهُ شَرَّ قِتْلَةٍ . فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى زِيَادٍ بَعَثَ زِيَادٌ بِهِ إِلَى قَسِّ النَّاطِفِ فَدَفَنَ بِهِ حَيًّا^(٢٥) .

وَمِنْ قِصَصِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ أَيْضاً مَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَيْفِي بْنِ فَسِيلٍ ، فَإِنَّهُ أَمَرَ فَجِيءَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! مَا تَقُولُ فِي أَبِي تَرَابٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْرِفُ أَبَا تَرَابٍ ؛ قَالَ : مَا أَعْرِفُكَ بِهِ ! قَالَ مَا أَعْرِفُهُ ، قَالَ : أَمَا تَعْرِفُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَذَاكَ ، - وَبَعْدَ مَحَاوِرَةٍ بَيْنَهُمَا - قَالَ : عَلِيٌّ بِالْعَصَا ، فَقَالَ : مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ ؟ قَالَ : أَحْسَنُ قَوْلٍ أَنَا قَاتِلُهُ فِي عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ أَقُولُهُ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : أَضْرِبُوا عَاتِقَهُ بِالْعَصَا حَتَّى يُلْصِقَ بِالْأَرْضِ ؛ فَضْرَبَ حَتَّى أُلْصِقَ بِالْأَرْضِ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَقْلَعُوا عَنْهُ ، فَتَرَكُوهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِيهِ مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ شَرِطْتَنِي بِالْمَوَاسِي وَالْمُدَى مَا قُلْتُ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنِّْي . قَالَ لَتَلْعَنْتَهُ أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ، قَالَ : إِذَا وَاللَّهِ تَضَرَّبَهَا قَبْلَ ذَلِكَ ، فَأَسْعِدْ وَتَشْفَى ، قَالَ : أَدْفَعُوا فِي رَقَبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَوْقِرُوهُ حَدِيداً وَاطْرَحُوهُ فِي السَّجَنِ ، ثُمَّ قَتَلَ مَعَ حَجَرٍ^(٢٦) .

(٢٥) تَوْرِدُهَا مَوْجِبٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَ سَبَأَ ٢/٢٦٨ - ٢٩٢ ، ط . نَشْرُ تَوْحِيدِ ١٤١٣ هـ وَفِي تَرْجُمَةِ حَجَرٍ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ لِأَبْنِ عَسَاكِرَ وَتَهْدِيَةِ تَفْصِيلِ الْخَبَرِ .
(٢٦) الطَّبْرِي ١٠٨/٦ و ١٤٩ . وَأَبْنُ الْأَثِيرِ ٣/٢٠٤ . وَالْأَغَاثِي ٧/١٦ ، وَأَبْنُ عَسَاكِرَ ٤٥٩/٦ .

وكتب إلى معاوية في رجلين حضرميين^(٢٧) أنهما على دين عليّ ورأيه، فأجابه: من كان على دين عليّ ورأيه، فاقتله، ومثل به، فصلبهما على باب دارهما بالكوفة^(٢٨).

كما أمره بدفن الخثعمي الذي مدح علياً وعاب عثمان حياً، فدفنه حياً^(٢٩). وختم حياته بما ذكره المسعودي، وأبن عساكر، قال ابن عساكر: جمع أهل الكوفة فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من علي^(٣٠). وقال المسعودي: وكان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن عليّ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف، ثم ذكر أنه أصيب بالطاعون في تلك الساعة فأفرج عنهم.

وكان عمرو بن الحمق الخزاعي ممن أصابه التشريد والقتل في هذه المعركة، فإنه فرّ إلى البراري، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه، فحزّوا رأسه وحملوه إلى معاوية، فأمر بنصبه في السوق ثم بعث برأسه إلى زوجته في السجن - وكان قد سجنها في هذا السيل - فالقي في حجرها^(٣١).

عمّت هذه السياسة بالبلاد الإسلامي، وأتبعها ونفذها غير من ذكرنا من الأمراء أيضاً، كبسر بن أرطاة في ولايته البصرة، وأبن شهاب في الري^(٣٢) فقد كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرخون، ثم أصبحت هذه سياسة بني أمية

(٢٧) نسبة إلى حضرموت من بلاد اليمن.

(٢٨) المحبر، ص ٤٧٩.

(٢٩) راجع قصة حجر بن عدي في عبد الله بن سبأ.

(٣٠) المسعودي في أيام معاوية ٣٠/٣، وأبن عساكر ٤٢١/٥.

(٣١) المعارف لابن قتيبة ١٢/٧، والاستيعاب ٥١٧/٢، والاصابة ٥٢٦/٢، وتاريخ ابن كثير ٤٨/٨، والمحبر، ص ٤٩٠.

(٣٢) في حوادث سنة ٤١ هـ من الطبري ٩٦/٦، وأبن الأثير ١٦٥/٣، وأبن شهاب في أبن الأثير ١٧٩/٣ في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من (حوادث سنة إحدى وأربعين).

التقليدية، ولعن علي بن أبي طالب على منابر الشرق والغرب ما عدا سجستان، فإنه لم يلعن على منبرها إلا مرة، وأمتنعوا على بني أمية، حتى زادوا في عهدهم أن لا يلعن على منبرهم أحد في حين كان يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة^(٣٣).

وقد كانوا يلعنون علياً على المنابر بمحضر من أهل بيته، وقصصهم في ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر واحدة أوردها ابن حجر^(٣٤) في تطهير اللسان، وقال:

(إن عمراً صعد المنبر فوق علي، ثم فعل مثله المغيرة بن شعبة، فقبل للحسن: إصعد المنبر لترّد عليهما، فامتنع إلا أن يعطوه عهداً أنهم يصدقوه إن قال حقاً، ويكذبوه^(٣٥)) إن قال باطلاً، فأعطوه ذلك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أنشدك الله يا عمرو! يا مغيرة! أتعلمان أن رسول الله (ص) لعن السائق والقائد أحدهما فلان؟ قال: بلى، ثم قال: يا معاوية! ويا مغيرة! ألم تعلم أن النبي (ص) لعن عمراً بكل قافية قالها لعنة؟ قال: اللهم بلى... الحديث.

ولما كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من أحاديث لا يرتضونها، خالفوا السنة وقدموا الخطبة على الصلاة، قال ابن حزم في المحل^(٣٦):

(٣٣) أوردها ملخصة من معجم البلدان ٣٨/٥ ط. المصرية الأولى في لغة سجستان، وهي من بلاد إيران.

(٣٤) في تطهير اللسان ص ٥٥، قال: وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً فمختلف فيه، لكن قوّاه الذهبي بقوله: إنه أحد الانبثات، وما فيه جرح أصلاً، ثم أورد الحديث.

(٣٥) كذا جاءت في الأصل والصحيح يصدقونه... ويكذبونه.

(٣٦) المحل لابن حزم تحقيق أحمد محمد شاكر ٨٥/٥ - ٨٦، وراجع كتاب الأم للشافعي

أحدث بنو أمية تقديم الخطبة على الصلاة، واعتلوا بأن الناس كانوا إذا صلّوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبة، وذلك لأنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب (رض) فكان المسلمون يفرّون، وحقّ لهم ذلك.
وقال اليعقوبي في تاريخه (٢/٢٢٣):

وفي هذه السنة - سنة ٤٤هـ - عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر إلى المصلّى في العيدين وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس إذا صلّوا، أنصرفوا لثلاثا يسمعون لعن علي فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة، ووهب فدكاً لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله (ص).
وفي الصحيحين^(٣٧) وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال:

خرجت مع مروان وهو أمير المدينة - في أضحى أو فطر - فلما أتينا المصلّى إذا منبر بناء كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي، فجبذت بثوبه، فجبذني، فارتفع، فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيّرتم والله. فقال: يا أبا سعيد! قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إنّ الناس لم يكونوا يجلسون لما بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة.

وكانوا لا يكتفون بذلك، بل يأمرون الصحابة به أيضاً، ففي صحيح مسلم^(٣٨) وغيره عن سهل بن سعد: قال:

٢٠٨/١

(٣٧) البخاري ١١/٢، ومسلم ٢٠/٣، وسنن أبي داود ١٧٨/١، وأبن ماجه ٣٨٦/١، والبيهقي ٢٩٧/٣، وفي مسند أحمد ١٠/٣ و٢٠ و٥٢ و٥٤ و٩٢، واسم المعترض على مروان في مسند أحمد غير أبي سعيد.

(٣٨) أوردته ملخصاً عن صحيح مسلم ١٢٤/٧ باب مناقب علي، وأورده البخاري محرفاً في صحيحه باب مناقب علي، وفي باب نوم الرجل في المسجد من كتاب الصلاة ١٩٩/٢، وفي إرشاد الساري ١١٢/٦: أن هذا الوالي هو مروان بن الحكم؛ وراجع البيهقي ٤٤٦/٢.

«استعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعيد فأمره أن يشتم علياً، فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعلي إسم أحب إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعي به، فقال له: أخبرنا عن قصته، لم سمي أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله (ص) بيت فاطمة، فلم يجد علياً في البيت، فقال: أين ابن عمك؟» إلى قوله:

«هو في المسجد راقد، فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداؤه عن شقه، فجعل رسول الله (ص) يمسحه عنه، ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب».

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: «أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ص) فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهم أحب إلي من حمر النعم».

سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (ص): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله؛ قال فتناولها، فقال: أدعوا لي علياً فأبى به أرمذ، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة، وحسناً، وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي^(٣٩).

(٣٩) مسلم ١٢٠/٧، والترمذي ١٣/١٧١، والمستدرک ١٠٨/٣ و ١٠٩، وزاد فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة، والاصابة ٥٠٩/٢، والنائي في الخصائص ص ١٥.

ورواه المسعودي^(١٠) عن الطبري هكذا: قال:

«لما حجَّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ أنصرف معاوية إلى دار الندوة، فاجلسه معه على سريريه، ووقع في عليّ، وشرع في سبّه، فزحف سعد، ثم قال: أجلسني معك على سريرك، ثم شرعت في سبِّ عليّ؟! والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال عليّ أحب إليّ، ثم ساق الحديث باختلاف يسير وذكر في آخره أنه قال: وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ثم نهض». أما ابن عبد ربّه فقد ذكره باختصار في أخبار معاوية من العقد الفريد وقال: ^(١١)

«ولما مات الحسن بن عليّ حجَّ معاوية، فدخل المدينة، وأراد أن يلعن علياً على منبر رسول الله (ص) فقيل له: إن هاهنا سعد بن أبي وقاص، ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد، ثم لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد، فلما مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا، فكتبت أم سلمة زوج النبي (ص) إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب، ومن أحبه، وأنا أشهد الله أن الله أحبه، ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها إنتهى^(١٢).
وقال ابن أبي الحديد:

روى أبو عثمان - الجاحظ - أيضاً أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير

(١٠) مروج الذهب ٣/٣٤ في أيام معاوية، ثم ذكر ما صدر عن معاوية في المجلس مما أربأ بقلمي عن ذكره.

(١١) العقد ٣/١٢٧.

(١٢) نقلته باختصار من كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة)، بحث دواعي وضع الحديث من فصل (مع معاوية). ط. بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ص: ٣٨٩.

المؤمنين! إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً! (٤٣)

تربية أهل الشام منذ زمن معاوية على بغض الإمام علي (ع) ولعنه روى الثقيفي في كتابه الغارات وقال: إنَّ عمر بن ثابت كان يركب بالشام ويدور في القرى بالشام فإذا دخل قرية جمع أهلها ثم يقول: أيها الناس! إنَّ علي بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً أراد أن ينحس برسول الله (ص) ليلة العقبة فآلعه قال: فيلعنه أهل تلك القرية ثم يسير إلى القرية الأخرى فيأمرهم بمثل ذلك (وكان في أيام معاوية) (٤٤).

خبر ليلة العقبة بإيجاز:

في إمتاع الأسباع (٤٥):

عندما رجع النبي سنة ٩ للهجرة من غزوة تبوك ومَرَّ بعقبة وفي أسفلها واد تسير القوافل منها فأمر الجيش أن يسيروا من بطن الوادي وسار هو ليلاً من طريق العقبة فتأمر بعض المنافقين على نفر ناقة الرسول ليلاً ليقتلوه فمنعهم من ذلك الصحابيَّان عمار بن ياسر وحذيفة اللذان كانا في صحبة الرسول، ونسب عميل معاوية هذا العمل إلى ابن عم الرسول (ص).

البعث لمعاوية على ما فعل:

إنَّ كان دافع سائر قريش في ما فعلته مع الإمام علي (ع)، كرهها أن

(٤٣) شرح الخطبة (٥٧) من شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة.

(٤٤) الغارات للثقيفي، ص: ٣٩٧.

(٤٥) إمتاع الأسباع ص: ٤٧٧، ومَرَّ الإشارة إلى الخبر ومصادره في ص: ١٢٥ من هذا

الكتاب.

تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم . فقد كان دافع معاوية القرشي الأموي مع ذلك حقه على بني هاشم كما يظهر ذلك في الخبر الآتي :

روى الزبير بن بكار وقال :

قال المطرف بن المغيرة بن شعبة :

دخلت مع أبي على معاوية . فكان أبي يأتيه فيتحدث معه ، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ، ويعجب بها يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ، ورايته مغتاً فانتظرته ساعة ، وظننتُ أنه لأمر حدث فينا فقلت : ما لي أراك مغتاً منذ الليلة ؟ فقال : يا بني ! جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم . قلت : وما ذاك ؟ قال : قلت له وقد خلوت به : إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم ، فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء يخافه ، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوبه ، فقال : هيهات هيهات ! أي ذكر أرجو بقاءه ! ملك أخونيم فعدل وفعل ما فعل ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل : أبو بكر ، ثم ملك أخو عدي فأجتهد وشمر عشر سنين ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره ، إلا أن يقول قائل : عمر .

وإنّ ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمداً رسول الله) فأبي عمل يبقى ؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك ؟ لا والله إلا دفناً دفناً^(٤٦) .

كان ذلكم من معاوية بسبب حقه على بني هاشم .

٤٦) الموفقيات ص ٥٧٦ - ٥٧٧ ، ومروج الذهب ٤٥٤/٢ ، وأبن أبي الحديد ١/٤٦٣ وط . مصر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٢٩/٥ - ١٣٠ . وكانت قريش تكني رسول الله (ص) أباً كبشة استهزاءً به .

أسباب حقد معاوية على بني هاشم :

لمعرفة أسباب حقد معاوية على بني هاشم ينبغي قراءة بحث (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أم المؤمنين عائشة) وكان في ما شرحناه هناك من تلك الأسباب :

إن معاوية ورث ذلكم الحقد من أمه هند التي لاكت كبد حمزة عم الرسول (ص) في غزوة أحد، وصنعت من أطرافه قلادة تشفياً لغيظها على بني هاشم .

وأخيراً شفى حقد آل أبي سفيان يزيد بن معاوية بقتله آل الرسول في كربلاء وقطع رؤوسهم وسبي نسائهم كما ذكرناه مفصلاً في المجلد الثالث من هذا الكتاب .

وولي بعد يزيد آل مروان من بني أمية وفي ما يأتي أمثلة من سياستهم مع آل الرسول بعد ذكر ما فعله ابن الزبير في دولته :

سياسة ابن الزبير

شرح ابن أبي الحديد ابن الزبير في دولته وقال :

روى عمر بن شبة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير، أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وآله، وقال : لا ينعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآناقها .

وقال :

وفي رواية محمد بن حبيب وأبي عبيدة معمر بن المثنى : إن له أهمل سوء يُغضون رؤوسهم عند ذكره .

وقال أيضاً :

وروى سعيد بن جبير أن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن عباس : ما

حديث أسمعك عنك! قال: وما هو؟ قال: تأنيبي وذمّي! فقال: إني سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «بش المرء المسلم يُشنع ويحوجُ جاره»، فقال ابن الزبير: إني لاكنم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة... الحديث. عرض ابن عباس إلى بخل ابن الزبير في حديثه.

وقال أيضاً: روى عمر بن شبة عن سعيد بن جبيرة، قال: خطب عبد الله ابن الزبير، فقال من علي عليه السلام، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية (ت: ٨١هـ)، فجاء إليه وهو يحطّب، فوضع له كرسي، فقطع عليه خطبته، وقال: «يا معشر العرب، شاهدت الوجوه! أئتنقص علي وأنتم حضور! إن علياً كان يدّ الله على أعداء الله، وصاعقة من أمره، أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه، فقتلهم بكفرهم فشنّوه وابعضوه، وأضمرّوا له السيف والحسد وأبى عنه صلّى الله عليه وآله حتى لم يمضَ؛ فلما نقله الله إلى جواره، وأحبّ له ما عنده، أظهرت له رجال أحقادها، وشقّت أضغانها، فمنهم من ابتزّه حقّه، ومنهم من اتّهم به ليقّله، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل؛ فإن يكن لذريته وناصري دعوته دولة تنشر عظامهم، وتحفر على أجسادهم؛ والأبدان منهم يومئذ بالية، بعد أن قتل الأحياء منهم، وتذلّ رقابهم، فيكون الله عزّ اسمه قد عدّهم بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم، وشقّا صدورنا منهم، إنّه والله ما يشتم علياً إلا كافر يُسرّ شتم رسول الله (ص) ويخاف أن يبوّخ به، فيكنّي بشتم علي عليه السلام عنه. أما إنّه قد تحطّط النية منكم من امتد عمره، وسمع قول رسول الله (ص) فيه: «لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يُبغضك إلا منافق، وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون»^(١٧).

(٤٧) شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ط. الأولى ٣٥٨/١ و ط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٦١/٤ - ٦٣.

ورواه اليعقوبي في تاريخه، ٢٦٢/٢، أكثر تفصيلاً من هذا، وأبى الزبير هو عبد الله بن

وقال ابن أبي الحديد:

وكان عبد الله بن الزبير يَغْضُضُ علياً عليه السلام، ويتقصه وينال من عِرْضِهِ^(٤٨).

وقال اليعقوبي:

تحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته، فقيل له: لِمَ تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إِنَّ له أهل سوء يشربون لذكروه، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به.

وأخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس، وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ليبياعوا له، فامتنعوا، فحبسهم في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليبياعن أو ليحرقنهم بالنار، فكتب محمد بن الحنفية إلى المختار بن أبي عبيد: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد فإن عبد الله بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبياعته، أو ليضرمناها علينا بالنار، فيا غوثاً^(٤٩) فوجه إليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبد الله الجدلي في أربعة آلاف راكب، فقدم مكة، فكسر الحجرة، وقال لمحمد بن علي: دعني وأبن الزبير! قال: لا أستجِل من قطع رحمه ما استحل مني^(٥٠).

الزبير الأسدي ببيع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤ في الحجاز والعراق واستمر حكمه حتى قتله الحجاج سنة ٦٧هـ.

(٤٨) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣٥٨/١.

(٤٩) في نسختنا: فيا غوثاً، والصحيح ما أثبتناه.

(٥٠) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦١. ومحمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب (ت: ٨١هـ).

بعد ابن الزبير:

بعد قتل ابن الزبير صفا الجوَّ للخلفاء الأمويين من آل مروان فتابعوا معاوية في سياسته في شأن الإمام علي (ع) كالآتي بيانه بحوله تعالى :

ب - علي عهد عبد الملك وأبنة الوليد

روى ابن أبي الحديد عن الجاحظ أنه قال :

وقال أبو عثمان : وما كان عبد الملك مع فضله وأناته وسداده ورُجْحانه ممن يخفى عليه فضلُ عليّ عليه السلام ، وإن لعنه على رؤوس الأشهاد ، وفي أعطاف الخطب ، وعلى صَهوات المنابر مما يعود عليه نقصه ، ويرجع إليه وهنه ، لأنها جميعاً من بني عبد مناف ، والأصل واحد ، ولكنه أراد تشييد الملك وتأكيد ما فعله الأسلاف ، وأن يقرّر في أنفس الناس أن بني هاشم لا حظّ لهم في هذا الأمر ، وأن سيّدهم الذي به يصلون ، وبفخره يفخرون ، هذا حاله وهذا مقداره ، فيكون مَنْ ينتمي إليه ويُدلي به عن الأمر أبعد ، وعن الوصول إليه أشحط وأنزح .

وقال أيضاً :

روى أهل السيرة أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر علياً عليه السلام ، فقال : لعنه «اللّه» بالجر ، كان لصّ ابن لصّ .
فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد ، ومن نسبته عليّاً عليه السلام إلى اللصوصيّة وقالوا : ما ندري أيهما أعجب ! وكان الوليد لحناً^(*) .

(*) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٥٦/١ وط . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

٥٨ - ٥٧/٤ .

وعبد الملك بن مروان بويع له بالخلافة سنة ٦٥هـ وتوفي سنة ٨٦هـ وبويع بعده لابنه الوليد بالخلافة .

ويؤيد أن الوليد كان لحناً ما رواه أهل السير وقالوا:
 إن روح بن زنباع قال دخلت يوماً على عبد الملك وهو مهموم فقال: فكُرت
 في من أوليه العرب فلم أجده! فقلت: وأين أنت عن ربحانة قريش وسيدها
 الوليد! فقال لي يا ابن زنباع إنه لا يلي العرب إلا من تكلم بكلامهم، قال
 فسمعها الوليد فقام من ساعته وجمع أصحاب النحو وجلس معهم في بيت
 وطين عليه ستة أشهر ثم خرج وهو أجهل مما كان. فقال عبد الملك أما إنه قد
 أعذر^(٥٢).



كان ذلكم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على عهد عبد الملك وأبنة
 الوليد وبعضه الآخر ندرسه من خلال دراسة ما فعله واليهما الحجاج في هذا
 الشأن.

بعض ما فعله الحجاج تنفيذاً للسياسة القرشية

روى ابن أبي الحديد بعض ما فعله الحجاج في هذا الشأن وقال:
 كان الحجاج لعنه الله يلعنُ علياً (ع)، ويأمر بلعنه. وقال له متعرض به
 يوماً وهو راكب: أيها الأمير، إن أهلي عَقُونِي فسموني علياً، فغَيَّرَ اسمي،
 وصلَّني بها أتبلغ به، فإني فقير. فقال: لِلطُّف ما توصلت به قد سميتك كذا،
 ووليتك العمل الفلاني فاشْخَصْ إليه^(٥٣).

ودروى المسعودي في هذا الشأن وقال:

قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هانئ وهو رجل من أود، حي من اليمن،

٥٢) ترجمة الوليد في تاريخ الإسلام للذهبي، ٦٥/٤، وقال الذهبي - أيضاً - في ترجمة روح
 ابن زنباع في سير أعلام النبلاء، ط. الأولى، ٢٥١/٤. وكان شبه الوزير للخليفة عبد الملك
 (ت: ٨٤هـ).

٥٣) شرح ابن أبي الحديد ٣٥٦/١ وط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٥٨/٤.

وكان شريفاً في قومه، وقد شهد مع الحجاج مشاهدته كلها، وشهد معه تحريق البيت، وكان من أنصاره وشيعته: والله ما كافأناك بعد، ثم أرسل إلى أسماء ابن خارجة - وكان من فزارة - أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك، فقال: لا والله، ولا كرامة، فدعاه بالسياط، فقال: أنا أزوجه، فزوجه، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية أن زوج عبد الله بن هانئ، قال: ومن أود؟ والله لا أزوجه ولا كرامة، قال: هاتوا السيف، قال: دعني حتى أشاور أهلي، فشاورهم، فقالوا: زوجة لا يقتلك هذا الفاسق، فزوجه، فقال له الحجاج: يا عبد الله، قد زوجتك بنت سيد بني فزارة وأبنة سيد همدان وعظيم كهلان، وما أود هنالك، فقال: لا تقل - أصلح الله الأمير - ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب، قال: وما هذه المناقب؟ قال: ما سُبَّ أمير المؤمنين عثمان في نادٍ لنا قط، قال: هذه والله منقبة، قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً، وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجل واحد، وكان والله ما علمته امرأ سوء، قال: وهذه والله منقبة، قال: وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب ولا تتولاه، قال: وهذه والله منقبة، قال وما منا امرأة إلا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، ففعلت، قال: وهذه والله منقبة، قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل، وقال: وأزيدكم آبنيه الحسن والحسين وأمهها فاطمة، قال: وهذه والله منقبة. قال: وما أحد من العرب له من الملاحاة والصباحة ما لنا، فضحك الحجاج وقال: أما هذه يا أبا هانئ فدعها. وكان عبد الله دميماً شديد الأدمة مجدوراً، في رأسه عَجَر، مائل الشدق، أحول قبيح الوجه، شديد الحول^(٥٤).

ودرى ابن سعد في ترجمة عطية بن سعد بن جنادة العوفي من طبقاته

(٥٤) مروج الذهب ٣/١٤٤، وابن أبي الحديد ١/٣٥٧ وط. تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم ٦١/٤.

وقال :

كتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن أدع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب وإلا فأضربه أربعمائة سوط وأحلق رأسه ولحيته . فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج فأبى عطية أن يفعل ، فضربه أربعمائة سوط وحلق رأسه ولحيته^(٥٥) .



وسار على نهج الحجاج أخوه وواله على اليمن كالآتي بيانه :

بعض ما فعله أخو الحجاج محمد بن يوسف زمان ولايته على اليمن
روى الذهبي عن حجر المدرى ما موزجه قال : قال علي بن أبي طالب :
كيف بك إذا أمرت أن تلعنني .

قلت : أو كائن ذلك ؟

قال : نعم !

قلت : فكيف أصنع ؟

قال : العني ولا تبرأ مني .

قال : فأمره محمد بن يوسف أخو الحجاج أن يلعن علياً .
فقال : إن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله . فما فطن لها إلا

٥٥) الطبقات الكبرى ط . أوربا ٢١٢/٦ - ٢١٣ ، والطبري ط . أوربا ٢/٢٤٩٤ ، وتهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٤ - ٢٢٦ ، وفي تقريب التهذيب :
وعطية أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي وأبو ماجه وتوفي سنة ١١١هـ .

ومحمد بن القاسم الثقفي كان على رأس جيش في بلاد فارس فأمره الحجاج سنة ٩٢هـ أن يذهب لفتح بلاد السند ففتح بلادها وقتل ملكها وكان في ما فتح من بلادها مدينة الكرانشي ومولتان من بلاد باكستان اليوم ، ولما وثي الخليفة سليمان أمر بتصفية ولاية الحجاج فمسجن محمد وقتل في السجن سنة ٩٢هـ



هكذا توالى سياسة الخلافة الأموية القرشية إلى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي قام بنقض تلکم السياسة كما سندرسه في ما يأتي:

ج - على عهد عمر بن عبد العزيز:

إن عمر بن عبد العزيز خالف سياسة الخلافة الأموية وأمر بترك لعن الإمام علي (ع). وذكروا في سبب ذلك وقالوا ما رواه ابن أبي الحديد وغيره واللفظ لابن أبي الحديد:

فأما عمر بن عبد العزيز (رض) فإنه قال: كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمر بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعبُ علماً، فكره ذلك ودخل المسجد، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وؤدي، فلما رأيَ قام فصلّ وأطال في الصلاة - شبه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك - فلما أنفقت من صلاته كَلَع في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني، أنت اللاعن علماً منذ اليوم! قلت: نعم، قال: فمتى علمت أن الله سَخَط على أهل بدر بعد أن رَضِيَ عنهم! فقلت: وهل كان عليّ من أهل بدر؟ فقال: وبحك! وهل كانت بدر كلها إلّا له! فقلت لا أعود، فقال: اللّهُ أنك لا تعود! قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها^(٥٧)، ثم كنت أحضر تحت

(٥٦) تاريخ الإسلام للذهبي، ٥١/٤ - ٥٢، في ترجمة محمد بن يوسف الثقفي.

وحُجّر هو ابن قيس الحمداني والمذري نسبة إلى مَذَر جبل باليمن قال ابن حجر تابعي ثقة أخرج حديثه أبو داود والنسائي وابن ماجة ترجمته في تهذيب التهذيب ٢١٥/٢ وتقريبه ١٥٥/١.

(٥٧) شرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٥٨/٤ - ٥٩. وأورد هذا الخبر ابن عساكر في تاريخ دمشق، ومصورة المجمع العلمي الإسلامي ١٣٢/١/١٢. في ترجمة عمر بن عبد العزيز.

منبر المدينة، وأبي يخطب يوم الجمعة، وهو حينئذ أمير المدينة، فكنت أسمع أبي يمر في خطبته تهدير شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجتمجم، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوماً: يا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حَفْلِكَ، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرّرت الكن عيباً! فقال: يا بني، إنَّ مَنْ نرى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمته في صدري؛ مع ما كان قاله لي معلمي أيام صفري، فأعطيت الله عهداً؛ لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيره، فلما منَّ الله علي بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(٥٨) يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(٥٩)، وكتبت به إلى الأفاق فصار سنة^(٦٠).

وقال كثير بن عبد الرحمن يمدح عُمَرَ ويذكر قطعه السب:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف

برياً ولم تقبل إساءة مجرم

وكفرت بالعفو الذنوب مع الذي

أتيت فاضحى راضياً كل مسلم^(٦١)

وقال الرضي أبو الحسن (ره):

وعمر بن عبد العزيز ولي الخلافة سنة ٩٩هـ. ومات مسموماً سنة ١٠١هـ.

٥٨ ذكر الخبرين بإيجاز كل من ابن الأثير في تاريخه، ١٦/٥. والمسعودي في مروج الذهب،

١٨٤/٣

٥٩ سورة النحل / ٩٠.

٦٠ شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وأوجز منه في تاريخ العقوي

٣٠٥/١.

٦١ الأغاني ٢٥٠/٩ (طبعة الدار مع إختلاف في الرواية).

يَا أَبْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ بَكَ سَتِ الْعَيْنُ فَمَيَّ مِنْ أُمِّيَّةٍ لَبَكَيْتُكَ
غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ إِنَّكَ قَدْ طَبَّ سَتَ وَإِنْ لَمْ يَطْبُ وَلَمْ يَزُكْ بَيْتُكَ
أَنْتَ نَزَهْتَنَا عَنِ السَّبِّ وَالْقَذُ فَبِ؛ فَلَوْ أَمَكَّنَ الْجَزَاءُ جَزَيْتُكَ^(١١)



إِنَّ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمْ يَنْجَحْ فِي مَسْعَاهُ لِسَبِّينَ :
أولاً - لَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَدْ أَعْتَادُوا عَلَى لَعْنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ وَرَأَوْا فِيهِ سَنَةً لَا
يَنْبَغِي تَرْكُهُ ، وَأَبَى بَعْضُهُمْ تَرْكَ لَعْنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع) عَلَى عَهْدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ مِثْلَ أَهْلِ حَرَّانَ كَمَا رَوَاهُ الْحَمُويُّ وَالْمَسْعُودِي حَيْثُ قَالَ :
قَدْ كَانَ أَهْلُ حَرَّانَ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى حِينَ أُزِيلَ لَعْنُ أَبِي تَرَابٍ - يَعْنِي عَلِيَّ
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ) - عَنِ الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَمْتَنَعُوا عَنْ إِزَالَتِهِ وَقَالُوا :
لَا صَلَاةَ إِلَّا بِلَعْنِ أَبِي تَرَابٍ . وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سَنَةً حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ
الْمَشْرِقِ وَظَهَرَ الْمَسُودَةُ مَا كَانَ^(١٢) .
ثانياً - لَأَنَّ الْخُلَفَاءَ الْأُمَوِيِّينَ مِنْ بَعْدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَعَادُوا تِلْكَ السَّنَةَ
السَّيِّئَةَ كَمَا نَدَرَسَهَا فِي مَا يَأْتِي بِإِذْنِهِ تَعَالَى .

د - عَلَى عَهْدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

رَوَى أَبُو بَكْرِ عَسَاكِرُ فِي تَرْجُمَةِ جَنَادَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَنْحِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْحَرَمِيِّ مَوْلَى بَنِي أُمِيَّةٍ وَقَالَ : إِنَّهُ رَوَى عَنْ جَدِّهِ الْجَنْحِيدِ أَنَّهُ قَالَ : أَتَيْتُ مِنْ حَوْرَانَ
إِلَى دِمَشْقَ لِأَخْذِ عَطَائِي فَصَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ بَابِ الدَّرَجِ فِإِذَا عَلَيْهِ
شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو شَيْبَةَ الْقَاصِ يَقْصُ عَلَى النَّاسِ فَرُغْبًا وَخَوْفًا فَبَكَيْنَا ،

(٦٢) ديوانه ، لوحة ١٢٤ . وابن أبي الحديد ٣٥٧/١ .

(٦٣) مروج الذهب ٢٤٥/٣ . ومادة حَرَّانَ مِنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ، وَالْفَلْظُ لِلْأَوَّلِ ، وَحَرَّانَ
مَدِينَةٌ بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَالشَّامِ وَتُرْكِيَا وَتَخْرُجُ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ تَيْمِيَّةٌ (ت : ٧٢٨هـ) مُؤَسِّسُ الْمَذْهَبِ السَّلْفِيِّ .

فلما أنقضى حديثه قال اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب فلعنوا أبا تراب عليه السلام . فالتفت إلى من على يميني فقلت له : فمن أبو تراب؟ فقال : علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وزوج أخته وأول الناس إسلاماً وأبو الحسن والحسين . فقلت : ما أصاب هذا القاص ، فقمتم إليه وكان ذا وفرة فأخذت وفرته بيدي وجعلت ألطم وجهه وأبطح برأسه الحائط فصاح فأجتمع أعوان المسجد فوضعوا رداي في رقبتي وساقوني حتى أدخلوني على هشام بن عبد الملك وأبو شيبة يقدمني ، فصاح : يا أمير المؤمنين ! قاصك وقاص أبائك وأجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم . قال : من فعل بك؟ فقال : هذا فالتفت إلي هشام وعنده أشراف الناس فقال : يا أبا يحيى متى قدمت؟ فقلت أمس وأنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني صلاة الجمعة فصليت وخرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقصّ فجلست إليه فقرأ فسمعنا فرغب من رغب وخوف من خوف ودعا فأمنا وقال في آخر كلامه إختموا مجلسنا بلعن أبي تراب فسألت من أبو تراب؟ فقبل : علي بن أبي طالب أول الناس إسلاماً وأبن عم رسول الله وأبو الحسن والحسين وزوج بنت رسول الله فوالله يا أمير المؤمنين لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر ولعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذي أحللت فكيف لا أغضب لصهر رسول الله وزوج أخته؟! فقال هشام : بش ما صنع ، ثم عقد لي على السند ثم قال لبعض جلسائه : «مثل هذا لا يجاورني هاهنا فيفسد علينا البلد فباعده إلى السند» فلم يزل بها إلى أن مات وفيه يقول الشاعر:

ذهب الجود والجنيد جميعاً فعلى الجود والجنيد السلام^(٦٤)



(٦٤) ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيد في تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ٤١٠/٣ واللفظ له وفي مختصره لابن منظور، ١١٧/٦ - ١١٨ .

كان ذلكم عمل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، وفي ما يأتي مثلاً
من عمل ولاته :

عمل خالد بن عبد الله القسري

ذكر المبرد في «الكامل» أن خالد بن عبد الله القسري لما كان أمير العراق
في خلافة هشام ، كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر ، فيقول : اللهم العن
علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، صهر رسول الله على ابنته ، وأبا
الحسن والحسين ! ثم يقبل على الناس فيقول : هل كُنَيْتُ^(٦٥) ؟
من هو خالد بن عبد الله القسري :

ابن النصرانية^(٦٦) أبو الهيثم بن عبد الله القسري كان كريماً بيت مال
المسلمين ينفقه ويكسب به حمد الناس في الدنيا . ولي مكة لأبناء عبد الملك
الوليد وسليمان وهشام ، ولي العراق هشام .
قال ابن عساكر في ترجمته :

ساق ماء إلى مكة فنصب طستاً إلى جانب زمزم ثم خطب فقال : قد
جئتكم بماء الغاية لا يشبه أم الخنافس (يعني ماء زمزم) ، وكان يقع في علي بن
أبي طالب .

وقال ابن عساكر : وذكر كلاماً لا يحل ذكره .

وقال - أيضاً - :

وخطب وقال في خطبته : والله لو كتب إلي أمير المؤمنين لنقضتها حَجْراً

(٦٥) الكامل ٤١٤ ط . أوربا ، وابن أبي الحديد ٣٥٦/١ .

والمبرد أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي الشامي شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية كان
من أهل البصرة فسكن بغداد (ت : ٢٨٥ هـ) بها وأشهر مؤلفاته الكامل ، راجع ترجمته في تاريخ
بغداد للخطيب .

(٦٦) هكذا جاء ذكره في فهرست الطبري ، ١٦٣ ، للمستشرق دي خويه .

حَجَرًا، يعني الكعبة.

وكان عاقبة أمر خالد أَنَّ الخليفة هشاماً سلَّمه إلى يوسف بن عمر واليه على العراق فقتله تعذيباً في السجن سنة ١٢٦هـ^(٦٧).

وقال ابن خلكان: بنى خالد كنيسة في داره لِأُمِّهِ^(٦٨).

كانت الخلافة الأموية تسمى جاهدة في إبعاد المسلمين عن ذكر الإمام علي بخير، وبلغت في ذلك أَنَّها منعت من تسمية أحد بأسم علي: كما نرى ذلك في الخبر الآتي:

بَنُو أُمَيَّةٍ يَقْتُلُونَ مَنْ سُمِّيَ عَلِيًّا

روى ابن حجر في ترجمة علي بن رباح وقال ما موجهه:

كان بنو أُمَيَّةٍ إذا سمعوا بمولود أسمه علي قتلوه، فبلغ ذلك رباحاً فقال: هو عَلِيٌّ، وكان يغضب من عَلِيٍّ وَيُخْرِجُ عَلِيَّ مِنْ سَمَاءِهِ بِهِ.

المعنى أَنَّ رباحاً كان يقول: أَسْمِ ابْنِي عَلِيًّا. . وقال ابن حجر:

قال علي بن رباح لا أجعل في حَلٍّ مِنْ سِمَانِي (عَلِيٍّ) فَإِنَّ أَسْمِي عَلِيًّا^(٦٩).



ويظهر من خبر عمر بن عبد العزيز وخبر هشام الآتي أَنَّ لعن الإمام علي من قبل بني أُمَيَّةٍ كان مع علمهم بمنزلته. فقد روى ابن أبي الحديد:

أَنَّ هشام بن عبد الملك لما حجَّ خطب بالموسم، فقام إليه إنسان، فقال:

(٦٧) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٣٦٩/٧ - ٣٨٤.

(٦٨) هكذا رواه ابن كثير في تاريخه، واللفظ له ٢١/١٠. وبعض أخباره في مروج الذهب،

١٢٠/٣ و ١٧٤ و ١٧٩ و ٢٨٠. وابن خلكان ٧/٢.

(٦٩) علي بن رباح اللخمي (ت: ١١٤ أو ١١٧هـ) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب،

٣١٩/٧.

يا أمير المؤمنين، إنَّ هذا يومٌ كانت الخلفاء تستحبُّ فيه لعنَ أبي تراب، فقال: أكفف، فما لهذا جئتُ؟^(٧٠).

إنَّ سببَ أمتناع هشام من لعن الإمام عليٍّ في خطبته في الموسم يوم عرفة هو الأمر نفسه الَّذي كان يتلجج بسببه عبد العزيز في لعنه الإمام عليًّا في خطبته في المدينة كما أبانه لابنه عمر بن عبد العزيز والَّذي أسلفنا ذكره، حيث قال له:

يا بنيَّ إنَّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم - جنده وخاصة من حوله - لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. إذًا فقد كانت سياسة الخلافة الأموية القرشية في هذا الأمر تبعاً لسياسة الخلافة القرشية في بادئ أمر الخلافة بعد الرسول (ص) وقد بقيت آثار تلك السياسة في المجتمع الإسلامي بعد بني أمية كما ندرس أمثلة مما جرى في هذا الشأن على عهد بني العباس في ما يأتي بإذنه تعالى.

على عهد العباسيين:

بقيت في المجتمع الإسلامي على عهد العباسيين آثار ما فعله الخلفاء، والولاء قبلهم. وندرس في ما يلي ثلاثة أمثلة من ثلاث طبقات في هذا الشأن على عهدهم:

أولاً - من عمل طبقة العلماء:

روى ابن حجر في ترجمة أبي عثمان حريز بن عثمان^(٧١) الحمصي وقال ما

(٧٠) شرح ابن أبي الحديد ٣٥٦/١.

(٧١) حريز بن عثمان دخل بغداد في عصر المهدي العباسي (ت: ١٦٣هـ) قال ابن حجر في ترجمته بهتذيب التهذيب، ٢/٢٣٧ - ٢٤٠. وتقريب التهذيب ١/١٥٩: ثقة ثبت روى بالنصب أخرج حديثه البخاري وغيره عدا مسلم، وراجع ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر

موجزه:

كان ينتقص علياً وينال منه ، وقال إسماعيل بن عباس^(٧٢) عادلته حريز ابن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه . وقال أيضاً : سمعت حريز بن عثمان يقول : هذا الذي يرويه الناس عن النبي (ص) أنه قال لعلي : وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، ولكن أخطأ السامع ، قلت : فما هو؟ قال : إنما هو : أنت مني بمنزلة قارون من موسى .

وذكر الأزدی أن حريز بن عثمان روى أن النبي (ص) لما أراد أن يركب جاء علي بن أبي طالب فحلّ حزام البغلة ليقع النبي (ص) .

وقيل ليحيى بن صالح^(٧٣) لم لا تكتب عن حريز؟ فقال : كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين ، فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة .

وقال ابن حبان^(٧٤) : كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة .

ثانياً - من عمل طبقة الحكم :

روى ابن حجر في ترجمة نصر بن علي ، وقال : لما حدث نصر بن علي حديث علي بن أبي طالب أن رسول الله (ص) أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان في درجتي

لابن بدران ١١٦/٤ - ١١٨ .

(٧٢) إسماعيل بن عباس بن سليم العنسي الحمصي (ت : ٨١ أو ٨٢ هـ) أخرجه حديث أصحاب السنن . تقريب التهذيب ، ٧٣/١ .

(٧٣) يحيى بن صالح الزحاطي الحمصي (ت : ٢٢٢ هـ) أخرجه حديثه أصحاب الصحاح والسنن تقريب التهذيب ، ٣٤٩/٢ .

(٧٤) ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت : ٣٥٤ هـ) .

يوم القيامة، أمر المتوكل بضربه ألف سوط، فكلمه فيه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا من أهل السنة فلم يزل به حتى تركه^(٧٥)

ثالثاً - من عمل عامة الناس:

روى الذهبي في ترجمة ابن السَّقَم من تذكرة الحفاظ، وقال:
الحافظ الإمام، محدث واسط، أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عثمان
الواسطي.

وأنفق أنه أملى حديث الطير، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا به فأقاموه،
وغسلوا موضعه فمضى ولزم بيته. فكان لا يحدث أحداً من الواسطيين، فلهذا
قل حديثه عندهم^(٧٦).



لم يقتصر ما جرى من الحكماء على آل البيت طوال القرون على ما أوردنا
أمثلة منه من قيامهم بلعنهم وأمر الناس بلعنهم والتبري منهم وترك رواية
أحاديث الرسول (ص) في مدحهم، بل شمل أنواع الأذى لهم وقتلهم قتل
إبادة، كما أوردنا بعضها في المجلد الثالث من هذا الكتاب، في ذكرنا ما جرى
على آل الرسول (ص) في كربلاء، ثم تسلسل قتل الحكماء إياهم على عهد
الأمويين والعباسيين، كما حفل بذكر أخبارهم أبو الفرج في كتابه مقاتل

(٧٥) نصر بن علي بن صهبان الأزدي الجهضمي (ت: ٢٥٠ أو ٢٥١ هـ) تهذيب التهذيب، ٤٣٠/١٠.

(٧٦) تذكرة الحفاظ ص ٩٦٥ - ٩٦٦.

وحديث الطير أن رسول الله (ص) أهدى إليه طير مشوي فوضع بين يديه فقال: اللهم
اتني بأحب الخلق إليك يأكل ممّي. فجاء علي بن أبي طالب وأكل معه. وراجع أسانيد حديث
الطير في: ١٠٥/٢ - ١٥٥، من سيرة الإمام علي في تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق البحاة
المحقق المحمودي ط. بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.

الطالبين. وأحياناً كان يجري عليهم من قبل الخلفاء العباسيين أشدّ مما كان يجري عليهم على عهد الخلفاء من قبلهم، كالآتي ذكر أمثلة منه بحوله تعالى:

أ - مثال مما جرى على آل الرسول (ص) على عهد المنصور
روى أبو الفرج أنّ المنصور قال لمحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن
أبن علي بن أبي طالب:
أنت الديباج الأصفر؟
قال: نعم.
قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك.
ثم أمر بأسطوانة ففرغت ثم أدخل فيها فبنيت عليه وهو حي^(٧٧).

ب - بعض ما جرى على آل الرسول على عهد المتوكل
روى الطبري في ذكر حوادث سنة (٢٣٦هـ)، وقال:
وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ وهدم ما حوله من المنازل والدور
وأن يجرث ويذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه. فذكر أنّ عامل
صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى
المطبق، فهرب الناس وأمتنعوا من المصير إليه وحرث ذلك الموضع وزرع ما
حواليه^(٧٨).

(٧٧) الطبري ١٩٨/٩، ومقاتل الطالبين ص ٢٠٠.

والديباج من الثياب ما كان من الحرير، وديباجة الوجه حسن بشرته.

والمنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عليّ ثاني الخلفاء العباسيين (ت: ١٥٨هـ).

(٧٨) الطبري ١٤٠٧/٣ في ذكر حوادث سنة ست وثلاثين ومائتين، والمتوكل على الله جعفر

ابن المعتصم بن هارون الرشيد. وفي الخلافة سنة ٢٣٢ وقل سنة ٢٤٧هـ. والمطبق: سجنه
الرهيب.

وقال أبن الأثير في ذكر حوادث سنة (٢٣٦هـ) من تاريخه :

في هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه . فنادى بالناس في تلك الناحية : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسه في المطبق فهرب الناس وتركوا زيارته وخرب وزرع . وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته . وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم . وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه تحت ثيابه عمدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون :

قد أقبل الأصلع البطين ، خليفة المسلمين ، يحكي بذلك علياً عليه السلام ، والمتوكل يشرب ويضحك . ففعل ذلك يوماً والمتنصر حاضر ، فأومأ إلى عبادة ينهده فسكت خوفاً منه ، فقال المتوكل : ما حالك ؟ فقام وأخبره ، فقال المتنصر : يا أمير المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخر فكُل أنت لحمه إذا شئت ، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه ، فقال المتوكل للمغنين : غنوا جميعاً :

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حر أمه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المتنصر قتل المتوكل^(٧٩) .

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين^(٨٠) :

وبعث برجل من أصحابه يقال له الديزج - وكان يهودياً فأسلم - إلى قبر الحسين ، وأمره بكرب قبره ومحوه وإخرا ب كل ما حوله ، فمضى لذلك وخرب ما حوله وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب ، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم

(٧٩) الكامل في التاريخ لابن الأثير ط . مصر الأولى ، ١٨/٧ .

(٨٠) مقاتل الطالبين ٥٩٨ - ٥٩٩ .

إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالحي، بين كلّ مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه .
وروى عن محمد بن الحسين الأشثاني أنه قال :

بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفاً، ثمّ عملت على المخاطرة بنفسي فيها، وساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين، نكمن النهار ونسبر الليل، حتّى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتّى أتينا القبر فخفي علينا، وجعلنا نسّمه ونتحرى جهته حتّى أتينا، وقد قلع الصندوق الذي كان حوالبه وأحرق، وأجرى الماء عليه فأنخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه فأكببنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قطّ كشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي، أيّ رائحة هذه؟ فقال لا والله ما شممت مثلها كشيء من العطر. فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدّة مواضع .

فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشيعة حتّى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه .
وقال - أيضاً - :

وأستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه أن أحداً أبرّ أحداً منهم بشيء وإن قلّ إلا أنهكه عقوبة، وأثقله غراماً، حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة، ثمّ يرقعنه ويحلسن على مغازلهن عواري حواسر، إلى أن قتل المتوكل، فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم، ووجه بهال فرقه فيهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله ومضادة مذهب طعننا عليه ونصرة لفعله^(٨١) .

(٨١) مقاتل الطالبين ص ٥٩٩ .

كانت تلکم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على آل الرسول مدى القرون . وسوف ندرس آثاراً أخرى لها بعد إيراد نتيجة البحث الآتية بحوله تعالى .



نتيجة البحث :

كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم فنهت من استطاعت أن تنهيه عن كتابة حديث الرسول (ص) في حياة الرسول (ص) كي لا يكتب نص عن الرسول (ص) يثبت حقاً في الخلافة لمن تكره أن يلي الحكم من بني هاشم بعد الرسول (ص) . وأيضاً لكي لا ينشر حديث من الرسول (ص) فيه منقصة لذوي أرومتهم من قريش تبعدهم عن الحكم وفضيلة لمنافسهم من بني هاشم خاصة والأمنار عامة .

وللسبب نفسه منعت الرسول (ص) من كتابة وصيته في آخر ساعة من حياته ، تلك الوصية التي قال عنها : لن تضلوا بعدها أبداً . وخشية أن يكتب نصاً لمن يتولى الحكم بعده من بني هاشم الذين كرهوا أن تجتمع فيهم النبوة والخلافة ، وللسبب نفسه سعى الصحابي عمر القرشي ومن معه من مهاجرة قريش في أخذ البيعة لأبي بكر القرشي التيمي بعد وفاة الرسول (ص) .

ولذلك - أيضاً - أدلى أبو بكر بالخلافة إلى صاحبه عمر القرشي العدوي بواسطة عثمان القرشي^(٨٢) .

وللسبب نفسه منع الخليفة عمر من كتابة حديث الرسول (ص) ونشره ، وأحرق ما كتبه الصحابة منه وسجن منهم في المدينة من خالفه ونشر حديث

٨٢ راجع أخبارها ومصادرها في فصل الواقع التاريخي لقيام الخلافة من هذا الكتاب ص ١٣٩ فما بعدها .

الرسول (ص) في البلاد خارج المدينة^(٨٣).

وللسبب نفسه كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول... جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد، وأنا شريككم^(٨٤).

وللسبب نفسه لم يؤل الخليفان أبو بكر وعمر أحداً من بني هاشم على جيش في الفتوح ولا على بلد مفتوح^(٨٥).

ولذلك - أيضاً - دبر الخليفة عمر تولية عثمان القرشي الأموي على الحكم بواسطة عبد الرحمن بن عوف في الشورى القرشية^(٨٦).

وللسبب نفسه جرد عثمان القرآن من حديث الرسول (ص) ونسخه في مصاحف ووزعه على البلاد الإسلامية وأحرق ما عداها من مصاحف الصحابة التي دون فيها مع القرآن أحاديث الرسول (ص) في تفسير القرآن. وجلب الصحابي عبد الله بن مسعود من الكوفة إلى المدينة لمخالفته إياه في إحراق المصاحف وأمر بضربه وقطع عطاءه من بيت المال^(٨٧).

ونفى الصحابي أبا ذر من المدينة إلى الربرة لنشره حديث الرسول بين العباد وفي البلاد^(٨٨).

وأدى بالخلافة إلى عبد الرحمن القرشي الزهري في وصيته التي كتبها في

٨٣) راجع ٤٤/٢ - ٤٥، من هذا الكتاب فصل منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء.

٨٤) تاريخ الطبري ١٩/٥، في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٣٠هـ.

٨٥) راجع مروج الذهب للمسمودي ٣٢١/٢ - ٣٢٢، ويؤيد ذلك أنهم لم يؤلوا أحداً من بني هاشم على عهد الخلفاء الثلاثة.

٨٦) أشرنا إلى هذا الخبر قبيل هذا.

٨٧) راجع بحث (على عهد عثمان) من (تاريخ القرآن) في كتابنا (القرآن الكريم وروايات المدرستين) وراجع خبر ابن مسعود في كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة فصل (على عهد الصهرين).

٨٨) راجع ٤٦/٢ من هذا الكتاب.

مرضه بالرعاف^(٨٩).

وعندما توفي عبد الرحمن في حياة عثمان وقتل عثمان ولم يتسنَّ له أن يوليَّ أحدًا من قريش على الحكم عندئذ ملك المسلمون زمام أمرهم فتهافتوا على الإمام علي (ع) يبايعونه يتقدمهم سروات قريش من الصحابة بعد فقدهم زمام المبادرة، وبعد أربعة أشهر من ذلك للممت قريش أطرافها وأقامت على الإمام علي حرب الجمل بقيادة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير لعلها تسلب الحكم من الإمام علي (ع)^(٩٠)، وثنت بإقامة حرب صفين عليه للسبب نفسه ولكي تتمكن من إقامة الحربين عليه أشاعت بين المسلمين خارج المدينة بأنَّ الإمام قتل الخليفة عثمان وأستولى على الحكم^(٩١)؛ ولما كان المسلمون خارج المدينة يأخذون معالم دينهم وأخبار سيرة الرسول (ص) وسيرة أهل بيته وأصحابه ممن يليهم من الصحابة، وولاتهم من رجالات قريش وحلفائها ومواليها، ولا يعلمون ما عدا القرآن من الإسلام وسيرة أهله غير ما يذيعه فيهم أولئك الرجال، ولا يملكون سبيلًا للمعرفة غير ذلك؛ فقد استطاعت قريش أن تشوّش على المسلمين رؤيتهم للإمام علي (ع)، وزاد في الطين بلة رفع جيش معاوية المصاحف عندما ضعفوا عن القتال في صفين ودعوتهم الإمام عليًّا (ع) وجيشه إلى تحكيم القرآن ثم إلى تحكيم الحكيم، وعندما أصرَّ القراء في جيش الإمام علي (ع) ومن تبعهم على قبول التحكيم وخدع الصحابي عمرو بن العاص القرشي الأموي الصحابي أبا موسى الأشعري في مقام الحكم، وانتشر خبر الخدعة؛ كبر ذلك على جمع ممن قبلوا التحكيم من قراء أهل الكوفة فكفروا عامّة المسلمين، وخرجوا على الإمام علي (ع) وحاربوه في النهروان فقتلهم

(٨٩) مضى ذكر مصدره.

(٩٠) راجع خبر الجمل في كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة فصل على عهد الصهرين.

(٩١) راجع أخبار صفين في تاريخ الطبري وأبن الأثير وابن كثير.

الإمام علي (ع)، ثم اغتال أحدهم الإمام في محرابه بمسجد الكوفة^(١). إنَّ كلَّ ذلك شوش على المسلمين خارج المدينة الرُّويَّة الصحيحة للإمام عليّ (ع) وسبَّب قبولهم ما ينشر عن الإمام علي (ع) خلافاً للواقع والحق.

ومن جانب آخر تبدَّل كره قريش أن يستولي على الحكم أحد من بني هاشم - والمقصود في هذه الكراهية استيلاء الإمام علي على الحكم إذ لم يكن غيره في بني هاشم مرشحاً للحكم غيره -، تبدَّل ذلك الكره في الحريين التي أقامتها قريش على الإمام علي (ع) إلى الحقد والعداء على الإمام علي (ع) وقام حكم قريش على المسلمين بعد ذلك على أساس الحقد والعداء للإمام عليّ (ع)، وظهر ذلك جلياً في حكم بني أمية على المسلمين كما نشير إليه في ما يأتي:

(٩٢) راجع أخبار صفين والنهروان في تاريخ الطبري وابن الأثير وآبن كثير وغيرها.

عداوة الخلافة الاموية للامام علي وآثارها

أولاً - في خلافة آل أبي سفيان وعلى عهد معاوية

عندما أستولى معاوية على الحكم بنى سياسة الحكم على أساسين:

١ - الادلاء بالخلافة لابنه يزيد بعد أن كانت سياسة الخلفاء قائمة على أساس تداول الخلافة في قريش وكان شعارهم في ذلك (وسّعوها في قريش تسع)^(٩٣).

٢ - سياسة العداوة لآل الرسول (ص) ولسيّدهم الإمام علي (ع) خاصّة .
لم نعلم في التاريخ مثيلاً لعداء معاوية للإمام علي (ع) خاصّة بالإضافة إلى عداوته لعامة بني هاشم ، ولذلك شدّد حكمه على ذمهم واختلاق المثالب في حقهم والمناقب لغيرهم ، ونشر ذلك بين الناس في البلاد ، وأمر بلعن الإمام علي (ع) في كل ناد وخاصة في خطب صلاة الجمعة في المساجد من أقصى بلاد الشرق إلى أقصى بلاد الغرب الإسلامية ، وآلى ألا يتركه حتى يهرم عليه الصغير ويفنى الكبير ، وقتل من أمتنع عن ذلك من أفاضل المسلمين بأنواع القتل ، وأرعى على ذلك ابنه يزيد حين قتل آل الرسول (ص) في كربلاء وقطع رؤوسهم وسبى ذريّة الرسول وطاف بالرؤوس وبالسبايا في البلاد ، وبذلك أنتهت أفعال الخلافة الاموية من آل أبي سفيان ، وانتهى الحكم إلى بني مروان من آل أميّة .

(٩٣) نجد خبر رفع قريش هذا الشعار بعد وفاة الرسول (ص) في ابن أبي الحديد ١٨/٢ وط . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤٣/٦ كما أنّ عملهم في تولية القرشيين على الحكم من بطون مختلفة من قريش خبر دليل على ذلك .

سياسة حكم الخلافة المروانية من آل أمية

تبع الخلفاء من آل مروان سياسة معاوية في تداول الحكم في أسرهم وفي لعن الإمام علي (ع) والتنقيص من قدره إلى زمان عمر بن عبد العزيز الذي أمر بترك لعن الإمام. غير أن الناس كانوا قد اعتادوا على لعن الإمام ورآه بعضهم فريضة لا يصح تركها ولا تقبل صلاة الجمعة دونها كما كان شأن أهل حران الذين قالوا: (لا صلاة دون لعن أبي تراب)، ولم يدم حكم ابن عبد العزيز أكثر من سنتين وأشهر^(٩٤) إذ سمّه آل أبيه^(٩٥) وعادت آل أمية بعده إلى عاداتها القديمة في لعن الإمام إلى أن جاء إلى الحكم بعدهم بنو العباس، وكانت سياستهم كالآتي:

سياسة حكم الخلافة العباسية:

كان في خلفاء بني العباس من زاد على بني أمية في قتل آل الرسول والحط من مكانتهم بين المسلمين مثل أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمتوكل، وفيهم من خالف أولئك ومال إلى أهل البيت^(٩٦). غير أن الناس كانوا قد تربوا تسعين عاماً مدة الخلافة الأموية^(٩٧) كما خطط معاوية تربيتهم على التبرّي من الإمام علي (ع) ولعنه وتنقيصه، وبقي أثر تلك التربية إلى عهد العباسيين، فقد كان على عهدهم من العلماء والمحدثين حريز

(٩٤) مروج الذهب للمسعودي ٣/٣٥ وغيره.

(٩٥) تاريخ ابن كثير ٢٠٩/٩.

(٩٦) مثل الناصر لدين الله الذي كان من أتباع مدرسة أهل البيت وقد شاهدت من آثاره في سامراء في مصل الأئمة تحت مسجد المهدي والمسمى بسرداب الغيبة كتابة خشبية في صُفْهنا نصبت في ارتفاع أكثر من متر من قاع الصفة كتب عليها أسماء الأئمة الاثني عشر وأنها شيدت بأمر الخليفة الناصر لدين الله.

(٩٧) راجع مروج الذهب للمسعودي ٣/٢٣٥.

ابن عثمان (ت: ١٦٢هـ) الذي كان يلعن الإمام بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة ووضع الأحاديث في ذم الإمام ورواها في بغداد وغيرها من عواصم البلاد الإسلامية.

وكان في عامة بلادهم أناس مثل أهالي واسط الذين اتفق لعالمهم ومحدث بلدهم عبد الله بن محمد بن عثمان (ت: ٣٧١هـ) أن أملى حديث الطبري، فأقاموه وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته.

اتفق لمحدث البلد مرة واحدة أن يتحدث بحديث واحد فيه فضيلة للإمام علي (ع) فأقامه أهل البلد وغسلوا الموضع الذي جلس فيه وحذث ذلك الحديث.



لم يقتصر الأمر على ما ذكرنا ومن ذكرنا، ولا على تلك العصور، بل امتد الأمر إلى غيرهم وإلى عصرنا الحاضر وإننا أقتصرنا في ما سبق على ذكر أمثلة من عمل الحكام طوال القرون في إخفاء ذكر أهل بيت الرسول (ص) ونشر الكراهية لهم والانتقاص من قدرهم كي لا يتجه المسلمون إليهم، ويدبروا عنهم. فينتفض حكمهم - حكم الخلافة القرشية - ويشاد على انتقاضه حكم لآل الرسول (ص)، وأنتجت سياسة الخلافة القرشية قادة وأتباعاً مع أهل البيت، أموية وعباسية، وغير أموية وغير عباسية إجراء عشرة أنواع من الكتمان والتحرif في مدرسة الخلفاء على سنة الرسول (ص) وأخبار سيرة أهل بيته وأصحابه في ما يخص منها أهل البيت، كما سندرسها في بحث: (دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) وسيرة أهل بيته وأصحابه) الآتي بإذنه تعالى.

عشرة أنواع من الكتمان والتحريف
لسنة الرسول (ص)
وأخبار سيرة أهل بيته وأصحابه

دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة لأتجاهها

في هذه العجالة نضرب - مثلاً - لما فعلته مدرسة الخلفاء بالنصوص التي تخالف أتجاهها بعملها مع النصوص التي فيها ذكر صفة الوصي للإمام عليّ (ع) في سنة الرسول (ص) وأقوال الصحابة ونقول:

روت الصحابة روايات متعددة موثوقة ومعتبرة أن رسول الله (ص) قال: عليّ وصي ووزير ووارثي. وفي بعضها: وخليفتي؛ وأشتهر الإمام عليّ بلقب الوصي من بين هذه الألقاب، وأصبح علماً له، ولم يعرف غيره بهذا اللقب، كما كناه رسول الله (ص) بأبي تراب، فأختص به وأشتهر وأصبح علماً له، ولم تعرف لغيره هذه الكنية. ثم أكرت الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من الشعراء ذكره بالوصي في أشعارهم كما ورد ذكره عند علماء أهل الكتاب وأخبروا الناس بذلك.

إنكار الوصية

لما كانت شهرة لقب (الوصي) للإمام عليّ تخالف سياسة مدرسة الخلفاء، فقد سعوا في مقابلة هذه الشهرة بإنكارها وكتبان النصوص الدالة عليها. بدأت أم المؤمنين عائشة بحملة دعاية قوية ضد شهرة الإمام عليّ بلقب الوصي وأنكرته، ثم استمرت حملاتهم ضد هذه الشهرة بأشكال أخرى مدى القرون.

ومن أهم ما فعلته مدرسة الخلفاء في هذا المقام كتمان النصوص الواردة في شأن الوصية، ويمجد الباحث المتتبع من كتمان النصوص التي تخالف سياسة الخلفاء بمدرستهم سواء ما كان منها في شأن الوصية أو في غيرها، أمراً هائلاً خطيراً.

ومن أمثلة الكتمان لدى مدرسة الخلفاء، الأصناف العشرة الآتية، نذكرها بحسب أهميتها في كتمان سنة الرسول (ص) بدءاً بالمهم فالأهم:

أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديله بكلمة مبهمة.

ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الإشارة إلى الحذف.

ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص).

د - حذف بعض أقوال الصحابة مع عدم الإشارة إليه.

هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه.

و - النهي عن كتابة سنة الرسول (ص).

ز - تضعيف الروايات ورواية سنة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص السلطان.

ح - إحراق الكتب والمكتبات.

ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه.

ي - وضع الروايات المختلفة بدلاً من روايات سنة الرسول (ص) الصحيحة وسيرة الصحابة الصحيحة.

أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة مبهمة من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة مبهمة بدل ما حذف، مثل ما فعله الطبري

وَأَبْن كَثِير بَخِرَ دَعْوَةَ بَنِي هَاشِمٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
حَيْثُ حَذَفَا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) : «وَوَصَّيَّيْ وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ» وَأَبْدَلَاهُ بِقَوْلِهِمَا :
[وَكَذَا وَكَذَا] .

وَمِنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْكُتْمَانِ مَا فَعَلَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مَعَ سِيرَةِ
الصَّحَابَةِ فِي خَبَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الَّذِي مَرَّبْنَا سَابِقاً ، حَيْثُ حَذَفَ قَوْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
لِمُرْوَانَ وَقَالَ : [فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ شَيْئاً] بِذَلِكَ كَلَامَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِقَوْلِ مَبْهَمٍ
وَأَضَافَ إِلَى ذَلِكَ حَذَفَ مَا رَوَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) مِنْ
الْحَدِيثِ فِي حَقِّ الْحَكَمِ وَالِدِ الْخَلِيفَةِ مُرْوَانَ .

وَمِنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْكُتْمَانِ - أَيْضاً - مَا فَعَلُوهُ بَخِرَ اسْتِشَارَةَ رَسُولِ
اللَّهِ (ص) أَصْحَابِهِ فِي شَأْنِ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَجَوَابِ أَصْحَابِهِ لَهُ ؛

فَقَدْ رَوَى أَبْنُ هِشَامٍ وَالطَّبْرِيُّ وَقَالَا :

(وَأَنَاءَ الْخَبَرِ عَنْ قُرَيْشٍ بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيْرَهُمْ ، فَاسْتَشَارَ النَّاسُ
وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَقَالَ وَأَحْسَنُ . ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابُ فَقَالَ وَأَحْسَنُ ، ثُمَّ قَامَ الْمُقَدِّدُ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْضُ لِمَا
أَمَرَكَ اللَّهُ فَنَحْنُ مَعَكَ ، وَاللَّهُ لَا نَقُولُ لَكَ مَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى :
﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ وَلَكِنْ ، أَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ
فَقَاتِلْ إِنَّا مَعَكُمْ مَقَاتِلُونَ - إِلَى قَوْلِهِ : - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) خَيْراً وَدَعَا لَهُ بِهِ) .

وَجَاءَ فِي جَوَابِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيِّ قَوْلُهُ :

(فَأَمْضُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (ص) لِمَا أَرَدْتُ ، فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَمْرَضْتَ بَنِي هَذَا الْبَحْرِ لَخَضَنَاهُ مَعَكَ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ . . . فَسُرُّ
رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشَطَهُ ذَلِكَ) .

تَرَى مَاذَا كَانَ جَوَابَ الصَّحَابِيِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص) الَّذِي
حُذِفَ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَأَبْدِلَ بِقَوْلِ مَبْهَمٍ وَهُوَ : [وَأَحْسَنُ] ؟ وَلَوْ كَانَ الْقَوْلُ

حسناً فلم حذف ذلك القول الحسن؟! بينا أثبت قول المقداد المهاجري وسعد ابن معاذ الأنصاري، نرجع إلى صحيح مسلم فنجد في روايته:
 أن رسول الله (ص) شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان قال:
 (فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه. ثم تكلم عمر فأعرض عنه...
 الحديث).

تري لماذا أعرض الرسول (ص) عن الصحابين، لو كان قولها حسناً؟
 ونبحث عن قولها لدى الواقدي والمقرئ فنجدهما يقولان هكذا، واللفظ
 للأول:

(قال عمر: يا رسول الله إنَّها والله قريش وعزَّها، والله ما ذلَّت منذ عزَّت،
 والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزَّها أبداً، ولتقاتلنَّك، فاتَّهب لذلك
 أهَّبه وأعدَّ لذلك عدَّتَه...) (١).

عرفنا من رواية ابن هشام والطبري ومسلم أن الصحابيَّ عمر تكلم بعد
 الصحابيَّ أبي بكر، ووصف الطبري وأبن هشام قول كلِّ منهما بـ [فأحسن]
 وفي رواية مسلم أن الرسول (ص) أعرض عن أبي بكر، ثم عن عمر، ومن ثمَّ
 نعرف أنَّ قولها كان أمراً واحداً، وعندما صرَّح الواقدي والمقرئ بقول عمر
 وكثما قول أبي بكر، كشف لنا قول عمر - أيضاً - عن قول أبي بكر.

ولمَّا كان قول الصحابين يسوء ذكره بعض الناس حذف قولها من رواية
 ابن هشام والطبري ومسلم، ومن أجل هذا النوع من الكتان، أصبحت هذه
 الكتب من أوثق الكتب بمدرسة الخلفاء.

وأصبح صحيح البخاري الذي لم يذكر شيئاً من هذا الخبر؛ مبهاً وغير
 مبهم أكثر أشتهاراً بالصحة والوثاقة من جميع الكتب.



(١) مرَّ بنا ذكر مصادر الخبر في بحث مناقشة الاستدلال بالشورى بهذا الكتاب.

إِنَّ الطَّبْرِيَّ وَأَبْنَ كَثِيرٍ أَبَدَا مِنْ حَدِيثِ الرَّسُولِ (ص) «وَصِيَّ وَخَلِيفَتِي»
بـ [كذا وكذا] لِأَنَّ هَذَا الْخَبَرَ يَنْبَغِي الْعَامَّةُ إِلَى حَقِّ الْإِمَامِ عَلِيٍّ فِي الْحُكْمِ، وَلَا
يَحْسُنُ أَنْتِشَارُهُ.

وَأَبْدَلَ الْبُخَارِيُّ قَوْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بـ (شَيْئاً)، لِأَنَّ قَوْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ
يُسَوِّهُ الْخُلَفَاءَ: مُعَاوِيَةَ وَيزِيدَ وَمُرْوَانَ، وَيَنْبَغِي الْعَامَّةُ عَلَى مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَنَبَّهُوا
إِلَيْهِ.

وَأَبْدَلَ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي جَوَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فِي كُلِّ مَنْ سِيرَ أَبْنُ
هَشَامٍ وَتَارِيخُ الطَّبْرِيِّ، وَحَذَفَ مِنْ رِوَايَةِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمَا فِيهِ مَا لَا يَزِينُ
الْخُلَفَاءَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَكُلَّهُمْ حَذَفَ بَعْضُ الْخَبَرِ وَأَهَمُّ فِي الْقَوْلِ.
وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْكُتْمَانِ كَثِيرٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ مَدْرَسَةِ الْخِلَافَةِ.

ب - حَذَفَ غَمَامُ الْخَبَرَ مِنْ سِيرَةِ الصَّحَابَةِ مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْحَذْفِ
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْكُتْمَانِ عِنْدَهُمْ مَا فَعَلُوهُ بِمَكَاتِبَاتٍ جَرَتْ بَيْنَ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ
وَمُعَاوِيَةَ، فَقَدْ وَجَدْنَا فِي كِتَابِ صَفِّينَ لِلنَّصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ (ت: ٢١٢هـ) وَمَرْجُوحِ
الذَّهَبِ لِلْمَسْعُودِيِّ (ت: ٣٤٦هـ) تَفْصِيلَ كِتَابِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهِ
ذَكَرَ فُضَائِلَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ بِمَا فِيهَا أَنَّهُ وَصِيَّ النَّبِيِّ، وَأَعْتَرَفَ مُعَاوِيَةُ فِي جَوَابِهِ بِهَا،
وَفِي الْكُتَابَيْنِ ذَكَرَ مَا لَا يَزِينُ الْخُلَفَاءَ نَشْرَهُ، فَحَذَفَهُمَا الطَّبْرِيُّ (ت: ٣١٠هـ)
مَعَ ذِكْرِهِ لِسَنَدِهِ إِلَى الْكُتَابَيْنِ، وَأَعْتَذَرَ عَنْ ذَلِكَ بِعَدَمِ أَحْتِمَالِ الْعَامَّةِ لِسَبَاحِ مَا
فِيهِمَا، أَيْ أَنَّهُ أَخْفَى الْحَقَائِقَ عَنِ النَّاسِ.

وَجَاءَ بَعْدَهُ أَبْنُ الْأَثِيرِ (ت: ٦٣٠هـ) وَفَعَلَ كَذَلِكَ وَأَعْتَذَرَ بِالْعَذْرِ نَفْسَهُ.
وَجَاءَ بَعْدَهُمَا أَبْنُ كَثِيرٍ وَأَشَارَ إِلَى كِتَابِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي مُوسَوْعَتِهِ
التَّارِيخِيَّةِ الْكُبْرَى^(١) وَأَقْتَصَرَ بِقَوْلِهِ: (وَفِيهِ غُلْظَةٌ).

(٢) الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٣١٤/٧. وَقَدْ ذَكَرْنَا الْكُتَابَيْنِ مَعَ تَعْلِيقِنَا عَلَيْهِمَا، وَعَلَى مَا فَعَلَهُ الطَّبْرِيُّ

قصد الطبري وأبن الأثير من قولها: (عدم احتمال العامة لسماع ما فيهما):
أن العامة لا تبقى على عقيدتها بالخلفاء بعد سماع الكتابين.
وهذا الصنف من الكتان، أي: حذف تمام الخبر مع الإشارة إلى الخبر
المحذوف، نادر عند علماء مدرسة الخلفاء.

ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص)
من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء تأويل معنى الرواية كما فعل الذهبي^(٣)
بترجمة النسائي صاحب السنن؛ فإنه قال: سئل النسائي أن يخرج فضائل
معاوية، قال: أي شيء أخرج؟! حديث: اللهم لا تشيع بطنة؟
فقال الذهبي:
(قلت: لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي (ص): اللهم من لعنته أو
شتمته فأجعل ذلك له زكاة ورحمة).

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) [لعل...]. وجاء بعده ابن كثير (ت:
٧٧٤هـ) وقال:

(وقد أنتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه).
وهذا نص كلامه^(٤) في الرواية التي جاءت في شأن معاوية، في صحيح
مسلم، باب (من لعنه النبي أو سبّه، جعله الله له زكاة وطهوراً) من كتاب البرّ
والصلة، عن ابن عباس قال:

كنت أَلعب مع الصبيان فجاء رسول الله (ص) فتواريت خلف باب،
قال: فجاء فخطاني خطاة وقال: «اذهب وادع لي معاوية». قال: فجئت

في ما سبق.

(٣) تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨ - ٧٠١.

(٤) البداية والنهاية ١١٩/٨.

فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: «اذهب فادع لي معاوية». قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: «لا أشبع الله بطنه»^(٥). كان هذا لفظ مسلم.

وأورد الحديث ابن كثير في تاريخه وزاد على كلام رسول الله (ص) بعد قوله. «اذهب وادع لي معاوية» جملة: (وكان يكتب الوحي) وهذا لفظ ابن كثير:

(عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله (ص) قد جاء، فقلت: ما جاء إلّا إليّ، فأختبأت على باب فجاءني فخطاني خطاة أو خطائين، ثم قال: اذهب فادع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال: فذهبت فدعوته له، فقيل: إنه يأكل. فأتيت رسول الله (ص) فقلت: إنه يأكل، فقال: اذهب فادعه، فأتيت الثانية فقيل: إنه يأكل، فأخبرته، فقال في الثالثة: لا أشبع الله بطنه. قال: فما شبع بعدها. وقد أنتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أمّا في دنياه، فإنه لما صار إلى الشام أميراً^(٦) كان يأكل في اليوم سبع مرّات يجماء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول: والله ما أشبع وإنّما أعيأ، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كلّ الملوك. وأمّا في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة، أنّ رسول الله (ص) قال:

اللهمّ إنّما أنا بشر فأنيأ عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه، وليس لذلك أهلاً، فأجعل ذلك كفارة وقربة تقرّبه بها عندك يوم القيامة. فركب مسلم من

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة ج ٩٦ ص ٢٠١٠.

وخطاني: ضربني باليد البسطة بين الكتفين. في تاريخ ابن كثير (خطاني) تصحيف.

(٦) وهذه الإضافة إلى آخرها من كلام ابن كثير.

الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك^(٧). انتهى كلام ابن كثير. وأراد بها قال أن دعاء الرسول على معاوية دعاء له في الدنيا والآخرة؛ أمّا في الدنيا فيها ذكره من مزية كثرة الأكل للملوك، وأمّا الآخرة فأعتمد الأحاديث التي نسبت إلى رسول الله (ص) أنه كان يلعن المؤمنين - معاذ الله - ودعا أن يكون لهم زكاة وطهوراً، وأن مسلماً حين أورد هذا الحديث في آخر هذا الباب أثبت لمعاوية رضواناً وتقرباً إلى الله يوم القيامة. وهكذا يؤكّدون الأحاديث والأخبار التي فيها ذمّ لدوي السلطة من الخلفاء والولاة إلى ما فيه مدحهم والثناء عليهم. ولنا هنا نظرة تأمل في ما ورد أن النبي لعن المؤمنين - معاذ الله -.

نظرة تأمل في ما روي في باب من لعنه النبي (ص)
 روي واللفظ هنا لمسلم في صحيحه، باب من لعنه النبي: أن رسول الله (ص) قال:
 «اللهم إني أتحذّ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيت، شتمته، لعنته، جلّدته، فأجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقرّ به إليك يوم القيامة».

أشعر - وأنا أكتب هذا - بمثل طعن المدى في قلبي لعظم ما نسب إلى رسول الله (ص)!! يروون هذا الحديث في مقابل قول الله سبحانه وتعالى: «وإنك لعلّ خلقك عظيم»، وينبغي دراسة هذا الحديث في الصنف الثامن من أنواع الكتبان: (وضع الروايات المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة)، فإنها نسبت إلى رسول الله (ص) في مقابل ما تواتر عند جميع المسلمين من سيرة رسول الله الصحيحة في باب سموّ أخلاقه الكريمة، وإنها رويت أمثال هذه

الرواية عن رسول الله (ص) لكتبان ما مر بنا من رواية أم المؤمنين عائشة أن رسول الله (ص) لعن الحكم بن أبي العاص والد الخليفة الأموي مروان، وكتبان ما تواترت روايته عن رسول الله (ص) في حق الخليفة معاوية التي أولها أبن كثير إلى ما فيه مدح معاوية؛ وبما أننا قد ناقشنا هذه الأحاديث في الجزء الثاني من كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة) والثالث من (قيام الأئمة بإحياء السنة)، فلا نعيد تلك البحوث في هذا الكتاب.



عود على يده

نعود إلى بحث تأويل معنى الرواية من أصناف الكتبان ونقول: وكان من هذا الباب من التأويل وما يأتي بحثه^(٨) في خبر درء سعد بن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، وتمحل أبن فتحون وأبن حجر في تأويل قول سعد لأبي محجن: (والله لا نجلدك على الخمر). وسيأتي في بحث نص رسول الله (ص) على أن عدد الأئمة الخلفاء بعده اثنا عشر، كيف ارتبكوا في تأويله عندما رأوا أنه لا يصدق على غير الأئمة الاثني عشر من آل رسول الله (ص). وأول كل واحد من العلماء الحديث على غير الأئمة الاثني عشر من آل الرسول (ص) بما لم يرض به العالم الآخر ونقضه.

ومن هذا الباب من الكتبان ما فعله الطبراني بالحديث الآتي كما في مجمع الزوائد^(٩).

(عن سلمان، قال: قلت: يا رسول الله، إن لكل نبي وصيًا، فمن وصيك؟ فسكت عني، فلما كان بعد رأيي فقال: يا سلمان فأسرعت إليه قلت: ليبيك، قال: «تعلم من وصي موسى؟» قلت: نعم: يوشع بن نون، قال:

(٨) في بحث انتشار أحاديث سيف... في الصنف العاشر من أصناف الكتبان.

(٩) مجمع الزوائد ١١٣/٩ - ١١٤.

«لم؟» قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذ، قال: «إِنَّ وصِيَّ وموضع سرِّي وخير من أترك بعدي وينجز عِدَّتِي ويقضي ديني عليَّ بن أبي طالب». رواه الطبراني وقال: وصيَّ: أنه أوصاه بأهله لا بالخلافة). انتهى ما نقله الهيتمي عن الطبراني في مجمع الزوائد.

دراسة للحديث النبوي الشريف ونظرة تأمل في تأويل الطبراني إياه لمعرفة مدى صحّة تأويل الطبراني للحديث الشريف ندرس ثلاثة جوانب من الحديث: السائل، والسؤال، وحكمة النبيّ في الجواب.

السائل هو: سلمان الفارسيّ نسباً، ولم يكن من بني عبد المطلب أو أقرباء أزواج الرّسول أو أصهاره ليعنيه من يخلفه الرّسول على أهله وإنّا كان ممّن عاشر رهبان النصارى وعلماءهم قيل أن يسلم على يدي الرّسول (ص)، وأخذ منهم علم الأجم السابقة وأخبار أنبيائها وأوصيائها، ومن ثمّ قال للرّسول (ص): (إِنَّ لكلّ نبيّ وصيّاً فمن وصيّك؟). فهو إذن يسأل عن وصيّ النبيّ على شريعته ووليّ عهده في أمته، ولم يقل له أَنَّ ربّ كلّ عائلة يعيّن وصيّاً فمن وصيّك من بعدك؟ ليفهم منه أنّه يسأل عن خليفته على أهله.

أمّا جواب النبيّ (ص) وتأخّره عن الإجابة فقد كان هذا شأن النبيّ (ص) في الأمور المهمّة. ينتظر أمر السّماء مثل أنتظاره في المدينة أمر السّماء في تحويل القبلة إلى الكعبة وهو يعلم أنّها قبلته، حتّى نزلت عليه: ﴿قد نرى تقلّب وجهك في السّماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ البقرة/ ١٤٤. ولما كان رسول الله (ص) يعلم تنافس الإنسان العربيّ على الإمرة كما مرّ بنا بعض أخباره^(١) فيما سبق، وكان المجتمع الإسلاميّ الصغير في المدينة الذي بدأ النبيّ (ص) بتأسيسه لا يتحمّل نشر خبر ولاية عهد الإمام

(١٠) في فصل مصطلحات بحث الإمامة والخلافة.

علي بعد النبي (ص)، تأخر النبي (ص) في جواب سلمان، ولعله أجاب سلمان حين أذن له بذلك، وعندئذ فاتح سلمان وأعدّه لاستماع الجواب بالسؤال منه عن وصي موسى وهو يعلم أن سلمان يعلم ذلك بما عنده من علماء أهل الكتاب، فلما أجابه بأن يوشع بن نون كان وصي موسى، سأله النبي (ص) وقال له: «لم؟» فلما قال سلمان في جوابه: (لأنه كان أعلمهم يومئذ) قال النبي (ص): «إن وصي و... علي بن أبي طالب».

والحكمة في جواب النبي (ص) لسلمان بهذا الأسلوب ما يأتي:

أولاً: ضرب النبي (ص) المثل بيوشع بن نون لأنه كان أشهر أوصياء الأنبياء، ولأن موسى بن عمران (ع) كان قد أستخلفه على أمته من بعده، فقاد بني إسرائيل ومارس الحروب، كما فعل الإمام علي بعد النبي (ص) في مدة حكمه.

ثانياً: سأل عن سبب كون يوشع وصياً لموسى وأجاب سلمان أنه كان أعلمهم.

بهذه المحاورة بين رسول الله (ص) أن علياً وصيه. ليس لكونه آبن عم الرسول (ص) أو لأنه دافع عن الإسلام في حروب النبي (ص) ببسالة فائقة، بل لأنه أعلمهم، أي أنه كشف عن قابلية الإمام عليّ للوصاية على الإسلام والمسلمين وأكد ذلك بقوله (ص): «موضع سرّي وخبر من أترك بعدي». وهذا الكلام - أيضاً - أوله الطبراني وقال: «خير من أترك بعدي من أهل بيتي». كان هذا تأويل الطبراني في حديث لم يجد فيه مغزاً من ضعف وما شاكلة من القول.

حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية

قال ابن أبي الحديد الشافعي في شرح الوصية في كلام الإمام علي (ع):

(لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الأئمة أحد... هم أساس الدين... ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصية والوراثة) ما يأتي:
 (أما الوصية فلا ريب عندنا أن علياً (ع) كان وصي رسول الله (ص) وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعني بالوصية النصّ على الخلافة ولكن أموراً أخرى لعلّها إذا لمحت اشرف وأجل). انتهى كلام آبن أبي الحديد.

ونقول في جوابه:

إن الإمام علياً (ع) لم يقل: لي حقّ الولاية والوصية والوراثة، كي يمكن تأويل قوله إن له حقّ الولاية والوصية على أهل رسول الله (ص)، بل قال: (آل محمد هم أساس الدين... وفيهم الوصية). أثبت الإمام الصفات المذكورة لآل رسول الله (ص) بما فيها الوصية، ولا معنى للقول بأنّ آل رسول الله (ص) لهم حقّ الوصية على آل رسول الله (ص)، أثبتها الإمام لآل رسول الله (ص) وهو أحدهم وسائرهم الأئمة الأحد عشر من بنيه. ومن ثمّ حار العلامة الشافعي في تأويل الوصية هنا ولم يستطع أن يردد تأويل الطبراني، وإنما قال: (لسنا نعني بالوصية النصّ على الخلافة ولكن أموراً أخرى)، فما هي الأمور الأخرى التي لم تذكرها أيّها العالم المختار في تأويل الحديث؟

وخلاصة القول إنّ العلماء في هذا الصنف من الكتان يؤوكون من سنة رسول الله (ص) حديثه وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة على المسلمين من خلفاء وولاة وما فيه تقدّمهم إلى ما فيه مصلحتهم ومدحهم والثناء عليهم.

د - حذف بعض من أقوال الصحابة مع عدم الإشارة إليه
 من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء؛ حذف بعض الخبر الذي يتقلونه دونها

إشارة إلى المحذوف؛ مثل ما فعلوه مع قصيدة الصَّحابيِّ الأنصاريِّ النعمان بن عجلان الَّتِي آسْتَشْهَدُنَا بَيَّتَيْنِ مِنْهَا فِي بَابِ الْأَشْعَارِ الَّتِي قِيلَتْ فِي الْوَصِيَّةِ، وَقَدْ رَوَاهَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ بِتِمَامِهَا ضَمَّنَ إِيرَادَهُ أَخْبَارَ السَّقِيفَةِ وَمَا وَقَعَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ خُصُومَةٍ وَمَحَاجَّجَاتٍ، مِنْهَا أَقْوَالُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ضَدَّهُمْ، فَأَجَابَهُ النُّعْمَانُ بِقَصِيدَةٍ ذَكَرَ فِيهَا مَوَاقِفَ الْأَنْصَارِ فِي حُرُوبِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) مَعَ قُرَيْشٍ، ثُمَّ إِيْوَاءَهُمْ مَهَاجِرَةَ قُرَيْشٍ وَمَقَاسِمَتَهُمُ الْأَمْوَالِ، ثُمَّ ذَكَرَ حَوَادِثَ السَّقِيفَةِ وَقَالَ:

وَقُلْتُمْ: حَرَامٌ نَصَبُ سَعْدٍ وَنَصَبُكُمْ
عَتِيقُ بْنُ عَثْمَانَ حَلَالٌ أَبَا بَكْرٍ
وَأَهْلُ أَبُو بَكْرٍ لَهَا خَيْرٌ قَائِمٌ
وَإِنَّ عَلِيًّا كَانَ أَخْلَقَ بِالْأَمْرِ
وَكَانَ هَوَانًا فِي عَلِيٍّ وَإِنَّهُ
لَأَهْلٌ لَهَا يَا عَمْرُوءُ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
فَذَلِكَ بَعُونَ اللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْبَغْيِ وَالنَّكَرِ
وَصِيَّ النَّبِيِّ الْمُسْطَفَى وَأَبْنِ عَمَّةٍ
وَقَاتِلِ فِرْسَانَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ
وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ يَهْدِي مِنَ الْعَمَى
وَيَفْتَحُ آذَانًا ثَقُلْنَ مِنَ الْوَقْرِ
نَجِيَّ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْغَارِ وَحْدَهُ
وَصَاحِبَهُ الصَّدِيقِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
- الْآيَاتُ (١١).

(١١) راجع مصادر ترجمته وشعره في الهامش رقم ٣٤ ص ٣٠٦. في باب: شهرة لقب وصيِّ

وأورد ابن عبد البر تمام القصيدة بترجمة النعمان بن عجلان من الاستيعاب
غير أنه حذف منها البيتين الآتين :
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى

وينهى عن الفحشاء والبغى والنكر
وصي النبي المصطفى وأبن عمه

وقاتل فرسان الضلالة والكفر
حذف هذين البيتين لما فيهما من ثناء على ابن عم الرسول (ص) أنه وصي
الرسول (ص) وأبقى البيتين الذين فيها مدح أبي بكر.
وجاء بعده ابن الأثير وقال بترجمة النعمان من أسد الغابة :

ومن شعره يذكر أيام الأنصار ويذكر الخلافة بعد النبي (ص) ، ثم ذكر
من أول القصيدة أبياته في أيام الأنصار فحسب وحذف من القصيدة الأبيات
التي يشير فيها إلى الخلاف الذي وقع يوم ذاك في أمر الخلافة والبيتين اللذين
مدح فيها الإمام علياً وخاصة أنه كان وصي النبي .
وجاء ابن حجر بعده فقال في ترجمته :

(وهو القاتل يفخر بقومه من أبيات) ثم أورد أبياته في المفاخرة بأيام
الأنصار ولم يذكر من أبيات هذه القصيدة ما فيه ذكر الخلافة .
وهكذا كلما تأخر الزمن حذف العلماء من الروايات ما لم يرق لهم ذكره ،
فأبتعدنا عن فهم الواقع التاريخي .

إذا نرى أن الزبير بن بكار (ت : ٢٥٦هـ) غفل وذكر في كتابه الموفقيات
ما وقع من الاختلاف في أمر الخلافة بعد رسول الله (ص) وما تفاولوا فيه من
خطب وشعر ، ومن ضمنها قصيدة النعمان بن عجلان التي فيها بيتان ذكر فيها
فضائل الإمام علي وخاصة أنه وصي النبي ، وتنبه لها ابن عبد البر (ت :

النبي (ص) للإمام علي وانتشار ذكره في أشعار الصحابة والتابعين من هذا الكتاب .

٤٦٣هـ) فحذف البيتين .

وجاء بعده ابن الأثير (ت : ٦٣٨هـ) وتنبيه إلى أن ذكر ما وقع من الخلاف في الخلافة - أيضاً - لا يصلح ، فحذف من القصيدة ما فيه ذكر الاختلاف في أمر الخلافة وقال : (ويذكر الخلافة) هذا إضافة إلى حذفه ما فيه وصف الإمام عليّ .

وجاء بعدهما ابن حجر (ت : ٨٥٢هـ) فحذفها كذلك ولم يقل إن في القصيدة ذكراً للخلافة .

وهكذا كلما تأخر الزمن زاد العلماء من حذف الحقائق ما لا يصلح ذكره لمدرسة الخلفاء .



إذا راجعنا ما سبق إيراده في بحث الوصية وما يأتي في بحث أصناف الكتّان ، وما كتّموه من خبر الوصية ، يتّضح جلياً ، أن انتشار تعيين الرسول عليّاً وصيّاً له كان يسوء مدرسة الخلفاء ، فحذفوا من القصيدة والخبر هذا القسم دون أن يشيروا إلى أنهم حذفوا منها شيئاً ، وهذا النوع من الكتّان من أكثر أصناف الكتّان بمدرسة الخلفاء سواء في حديث الرسول (ص) أو سيرته أو سيرة صحابته ، ويطول بنا المقام لو أردنا أن نأتي بأمثلة منها في غير شأن الوصية من سنة الرسول (ص) في هذا المقام .

هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه
إنّ ابن هشام^(١٢) أخذ من سيرة ابن إسحاق برواية البكائي ما أورد في

(١٢) ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري .

قال ابن خلّكان : (جمع سيرة رسول الله (ص) من المغازي والسير لابن إسحاق وهذّبها . . .) .

سيرته من روايات سيرة الرسول (ص) وقال في ذكر منهجه بأول الكتاب :
(وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب . . . وأشياء يشنع
الحديث به وبعض يسوء الناس ذكره . . .) .

وكان ممّا حذفه ابن هشام من سيرة ابن إسحاق (مما يسوء الناس ذكره)
خبر دعوة الرسول بني عبد المطلب عندما أوحى الله إليه : ﴿وانذر عشيرتك
الأقربين﴾ فقد روى الطبري في تاريخه عن ابن إسحاق بسنده أنّ رسول
الله (ص) قال في دعوته لبني عبد المطلب :

(وأتاكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصى وخليفتى
فيكم؟) فأحجم القوم عنها جميعاً . وقال عليّ بن أبي طالب :
أنا يا نبيّ الله ، أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي - رقة عليّ بن أبي طالب -
ثم قال :

(إنّ هذا أخى ووصى وخليفتى فيكم ، فآسمعوا له واطيعوا) .
قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع

وقال السيوطي في بغية الوعاة، ص ٣١٥ : (مذهب السيرة النبوية، سمعها من زياد
البكائي صاحب ابن إسحاق ونقحها . . .) .
قصداً من مذهبها ونقحها ؛ أنه حذف من سيرة ابن إسحاق ما كان مخالفاً لمصلحة السلطة
الحاكمة .

توفي بمصر سنة ٢١٨ أو ٢١٣ هـ .
والبكائي : هو زياد بن عبد الله بن طفيل البكائي العامري (ت : ١٨٣ هـ) .
وإبن إسحاق : هو أبو عبد الله أو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار الملقبى بـ «ولاء»، كتب
السيرة بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنة الخليفة المهديّ . توفي سنة ١٥١ أو ١٥٢ هـ
١٥٤ هـ .

ذكرنا هذه التراجم من مقدمة محمد حسين هيكل على سيرة ابن هشام ، ط . القاهرة سنة
١٣٥٦ هـ ، ورجعنا إلى هذه الطبعة في ما ذكرناه في المتن .

لابنك وتطيع) (١٣).

حذف ابن هشام هذا الخبر وأخباراً كثيرة أخرى كان يرى أن ذكرها يسوء الناس وهم عصبية الخلافة (١٤). ولهذا السبب أهملت سيرة ابن إسحاق لأن فيها أخباراً لا يرغبون في نشرها حتى فقدت نسخها (١٥). وأشتهرت سيرة ابن هشام وأصبحت أوثق سيرة عند الناس.

وقد أدرك الطبري أهمية هذا النص في حق الإمام علي بعد أن أثبتته في تاريخه فتدارك في تفسيره ما غفل عنه في تاريخه، فإنه لما أورد الخبر بالسند نفسه في تفسيره آية «وأندر عشيرتك الأقرين» قال:

فايكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا... ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا فآسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب... الحديث (١٦).

وكذلك فعل - أيضاً - ابن كثير في تاريخه (١٧) وتفسير الآية من تفسيره.

وهذا ما نسميه بحذف بعض الخبر مع الإيهام في القول.

وأكثر من هذا ما فعله محمد حسين هيكل حيث أورد الخبر في ص ١٠٤

من الطبعة الأولى من كتابه (حياة محمد) ولفظه:

«فايكم يؤازرنى على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم».

وحذفه في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ص ١٣٩ من كتابه (١٨).

(١٣) ذكرتها ملخصة من تاريخ الطبري، ط. مصر الأولى ٢/٢١٦ - ٢١٧.

(١٤) ذكرنا بعضها في كتابنا المخطوط: (من تاريخ الحديث).

(١٥) طبع أخيراً قسم من سيرة ابن إسحاق في الرباط بالمغرب سنة ١٣٩٦ هـ.

(١٦) تفسير الطبري، ط. الأولى، بولاق سنة ١٣٢٣ - ١٣٣٠ هـ، ١٩/٧٢ - ٧٥.

(١٧) البداية والنهاية ٤٠/٣.

(١٨) نقلناه من كتاب الغدير للمعبر الحجة الأميني، ط. طهران، سنة ١٣٧٢ هـ، ٢/٢٨٨.

وهذا الصنف من الكتان أي كتان تمام الخبر دونها إشارة إليه كثير عند علماء مدرسة الخلفاء .

و - النهي عن كتابة سنة الرسول (ص)

من أهم أصناف كتان سنة الرسول (ص) بمدرسة الخلفاء نهى الخلفاء عن كتابة سنة الرسول (ص) . وكان بدء النهي في عصر رسول الله (ص) حيث نهت قریش عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة حديث الرسول (ص) وقالت له : تكتب كل ما سمعته من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب . وقریش هنا هم المهاجرون من أصحاب رسول الله (ص) وهم الذين منعوا الرسول عن كتابة وصيته في آخر ساعة من حياته ، ثم لما ولّوا الحكم بعد رسول الله (ص) نهوا عن كتابة حديث الرسول (ص) وبقي منع كتابة الحديث سارياً حتى عصر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز حيث رفع الحظر وأمر بتدوين حديث الرسول (ص) . وسيأتي تفصيل أخبار النهي عن كتابة حديث رسول الله (ص) في الجزء الثاني من الكتاب في بحث مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين ، ومضى ذكر خبر منع الرسول (ص) من كتابة وصيته في خبر السقيفة .

والله أعلم كم من حديث لرسول الله (ص) في أمر الوصية ، نسي مع ما نسي من سنة الرسول (ص) بسبب عدم كتابتها طيلة هذه القرون .



ويلحق بهذا الصنف من الكتان الخبران الآتيان :

أولاً - خبر الأنصار مع معاوية وعمرو بن العاص ، كما رواه صاحب الأغاني وقال ما موجزه :

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان ، فخرج إليهم حاجبه

سعد أبو ذرّة، فقالوا له : استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، وقال : الأنصار بالباب. فقال عمرو: ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً يا أمير المؤمنين؟ أريد القوم إلى أنسابهم، فقال [له معاوية : إني أخاف من ذلك الشّعة، فقال : هي كلمة تقولها إن مضت عرثهم ونقصتهم وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له : اخرج فقل : من كان هاهنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلّهم إلا الأنصار، فنظر معاوية إلى عمرو ونظر منكر، فقال له : باعدت جداً، فقال : اخرج فقل : من كان هاهنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها [فلم يدخل أحد، فقال معاوية : أخرج فقل : من كان هاهنا من الأنصار فليدخل، فخرج فقالها] فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير، وهو يقول :

يا سعد لا تبعد الدعاء فما لنا
نسب نخبره إلا لقسومنا
أنقل به نسباً على الكفار
إن الذين نؤوا يندبر منكم
وقام مغضباً فأنصرف. فبعث معاوية فرده وترضاه، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار.

فقال معاوية لعمرو: كنّا أغنياء عن هذا^(١٩).

نرى السلطة الحاكمة في هذا الخبر تنهى عن نشر لقب الأنصار الذي هو من سنة الرسول (ص) لما فيه من ثناء على الأنصار البيهاتين، وليسوا من عصبة الخلافة، والجامع بين هذه الموارد التي أوردناها هو نهي السلطة عن نشر سنة الرسول، حقاً على خصومها.

ثانياً - ما رواه - أيضاً - بسنده عن ابن شهاب، قال : قال لي خالد بن

(١٩) الأغاني، ط. ساسي ١٢٠/١٤ و ١٢٢، وط. بيروت ١٦/١٣ و ١٧.

عبد الله القسري : أكتب لي النسب، فبدأت بنسب مُضر، [فمكثت فيه أياماً، ثُمَّ أتيت، فقال لي : ما صنعت؟ فقلت : بدأت بنسب مُضر] وما أتممت، فقال : اقطعه قطعة الله مع أصولهم، وأكتب لي السيرة . فقلت له : فإنه يمرّ بي الشيء من سيرة عليّ بن أبي طالب أفأذكره؟ فقال : لا ، إلا أن تراه في قعر الجحيم^(٢٠).

نرى أنّ السلطة الحاكمة تمنع من كتابة أسم الإمام عليّ (ع) إلا إذا ما كان فيه ذمّ له . فكيف إذاً تسمح بكتابة سنّة الرسول (ص) التي تنصّ على أنّ الرسول (ص) عينه وصياً من بعده؟!

نهى الخلفاء عن نشر سنّة الرسول (ص) وكان مصير من يخالفهم ويروي أو يكتب ما يخالف آتجابههم مدى القرون القتل المعنوي أو الجسدي كما سنشير إلى أمثلة منه في ما يأتي إن شاء الله .

ز - تضعيف الروايات ورواية سنّة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص السلطان وقتل المخالفين أحياناً

لا يستطيع الباحث أن يحصي عمل العلماء في تضعيف الراوي والكتاب اللذين ينتقصان السلطان، وكذلك تضعيفهم الروايات التي فيها انتقاص لمقام السلطة من خليفة ووالٍ وأمير وأحياناً تقتل العامة العالم المخالف لهذا الاتجاه،

(٢٠) الأغاني، ط. سامي ٥٩/١٩ وط. بيروت ٢٣/٢٢.

وأبن شهاب : هو محمد بن مسعود القرشي الزهري . أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت : ١٢٥ هـ أو بعده بسنة أو سنتين) . تقريب التهذيب ٢/٢٠٧ .
وخالد بن عبدالله : ولي مكّة سنة ٨٩ هـ للوليد، والعراقيين البصرة والكوفة سنة ١٠٥ هـ هشام ابن عبد الملك، ثم عزله سنة ١٢٠ . وقتله والي العراق من بعده . وقد رمي في نسب ودينه . راجع ترجمته في الأغاني وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٧٦ - ٨٠ وغيره .

وكي لا يطول البحث في هذا الصنف من الكتمان تقتصر على ذكر أربعة أمثلة منه في ما يأتي:

١ - انتقاص من يذكر الوصية

قال ابن كثير ما موجهه:

(وأما يفتّر به كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى إلى عليّ بالخلافة، فكذبٌ وبهتٌ وأفتراء، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة ومالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته - إلى قوله - : وما قد يقصّه بعض القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعليّ في الأدب والاختلاق . . . كلّ ذلك من الهذيان، فلا أصل لشيء منه بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة ولا يعول على ذلك ولا يفتّر به إلّا غبيّ عبيّ)^(٢١).

هكذا تكلم ابن كثير بتوتر عصبي شديد من عناء هذه المشكلة، ولنرّ من هم الذين اغتربهم جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء . إنهم كلّ من الأشخاص الآتية أسماؤهم :

أولاً - من الصحابة :

أ - الإمام علي بن أبي طالب المهاجري .

ب - سلمان المحمّدي (الفارسي) .

ج - أبو أيوب الأنصاري .

د - أبو سعيد الخدري الأنصاري .

هـ - أنس بن مالك الأنصاري .

و - بريدة بن الحصيب الأسلمي المهاجري .

ز - عمرو بن العاص القرشي .

(٢١) البداية والنهاية ٧/ ٢٢٤ .

- ح - أبو ذر الغفاري .
ط - الإمام الحسن سبط الرسول الأكبر .
ي - الإمام الحسين السبط الشهيد .
ك - حسان بن ثابت الأنصاري .
ل - الفضل بن العباس بن عبد المطلب .
م - النعمان بن عجلان الأنصاري .
ن - عبد الله بن أبي سفيان الحرث بن عبد المطلب .
س - أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري .
ع - سعيد بن قيس الأنصاري .
ف - حجر بن عدّي الكندي .
ص - خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين .
ق - عمرو بن الحمق الخزاعي .
ر - عبد الله بن عباس .
ش - المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب .
ت - الأشعث بن قيس الكندي وهو من خصوم الإمام علي .
- ثانياً - من التابعين :
- أ - جرير بن عبد الله البجلي .
ب - النجاشي الشاعر قيس بن عمرو .
ج - محمد بن أبي بكر (الخليفة الأول) .
د - المنذر بن حمضة الوادعي .
هـ - عبد الرحمن بن جعيل .
و - النضر بن عجلان .
ز - مالك الأشتر .

ح - عمر بن حارثة الأنصاري .

ط - عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي .

ثالثاً - من حكام مدرسة الخلفاء وأئمة مذاهبهم :

أ - الأمير علي بن عبد الله عمّ الخليفة العباسي السفاح .

ب - الخليفة العباسي هارون الرشيد .

ج - الخليفة العباسي المأمون .

د - إمام الشافعية محمد بن إدريس الشافعي .

رابعاً - من المؤلفين الذين أخرجوا أحاديث الوصبة عن رسول الله (ص) :

أ - إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) في كتابه : مناقب علي .

ب - الدينوري (ت : ٢٨٢ هـ) في الأخبار الطوال .

ج - إمام المؤرخين الطبري (ت : ٣١٠ هـ) في تاريخه .

د - البيهقي (كان حياً قبل ٣٢٠ هـ) في المحاسن والمساوئ .

هـ - مسند الدنيا، الطبراني إمام المحدثين في عصره (ت : ٣٦٠ هـ) في

معاجمه .

و - أبو نعيم الإصبهاني (ت : ٤٣٠ هـ) في حلية الأولياء .

ز - الحافظ ابن عساكر الشافعي (ت : ٥٧١ هـ) في تاريخ مدينة دمشق .

ح - ابن الأثير (ت : ٦٣٠ هـ) في تاريخه .

ط - ابن أبي الحديد الشافعي (ت : ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة .

ي - المتقي الهندي (ت : ٩٧٥ هـ) في كنز العمال .

هؤلاء هم جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء على حسب تعبير ابن كثير الذين أغتروا بروايات الوصية ورووها وأخرجوها في كتبهم ، إلى كثير من نظرائهم من الصحابة والتابعين الذين أغتروا بها واحتجوا بها في أشعارهم

وخطبهم ورواها عنهم أمثال :

الزبير بن بكار في الموفقيات ، والطبري وآبن الأثير في تاريخيهما ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، والمعوذي الشافعي في مروج الذهب ، والإمام المقدم في الحديث الحاكم في المستدرک ، والذهبي في تذكرة الحفاظ ، وأمثالهم .
كنتم أبن كثير كل ما ذكرناه أنفاً ، وكنتم أكثر مما أشرنا إليه مما كان في تناول أيدي علماء ذلك العصر ، وذهبت عنا لتكنهم الشديد عليها وإخفائها عن الناس ، كنتمها جميعاً ولم يخرج منها شيئاً في موسوعته التاريخية .
وكنتمها - أيضاً - بتضعيف الرواة والروايات والكتب التي خرجتها ، وتسخيف المحتجين بها كي لا يصدق من يصل إليه شيء مما كنتمها من كتاب آخر وقال : (ما يغتر به جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء) .
وهذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلفاء .

٢ - الطعن في رواية الحديث

نقل أبن عبد البر عن الشعبي أنه قال في الحارث الهمداني :
(حدثني الحارث وكان أحد الكذابين) قال أبن عبد البر :
(ولم بين من الحارث كذب ، وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي وتفضيله له على غيره ، ومن هاهنا والله أعلم كذبه الشعبي لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنه أول من أسلم)^(٢٢) انتهى قول أبن عبد البر .

٣ - الطعن في أئمة الحديث

في مدرسة الخلفاء يطعنون أحياناً في أئمة الحديث الذين يروون حديثاً يخالف اتجاهها ، مثل ما جرى للحاكم الشافعي كما رواه الذهبي بترجمته^(٢٣)

(٢٢) جامع بيان العلم ، باب حكم العلماء بعضهم في بعض ٢/ ١٨٩ .

(٢٣) تذكرة الحفاظ ص ١٠٣٩ - ١٠٤٥ .

وفي ما يلي ما أورده بإيجاز:

الحافظ الكبير إمام المحدثين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد ابن حدوديه النيسابوري المعروف بآبن البيع. ولد سنة ٣١٢هـ، وتوفي سنة ٤٠٥هـ. طلب الحديث من الصّغير ورحل إلى العراق وحجّ وجال في خراسان وما وراء النهر وسمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك، بلغت تصانيفه قريباً من خمسمائة جزء. ومن تأليفه فضائل الشافعي، ونقل أنّ مشايخ الحديث كانوا يذكرون أيامه وأنّ الأئمة من مقدّمي عصره كانوا يقدّمونه على أنفسهم ويراعون حقّ فضله ويعرفون له الحرمة الأكيدة.

قال الذهبي: وسئل الحاكم عن حديث الطبري فقال: (لا يصحّ، ولو صحّ لما كان أحد أفضل من علي (رض) بعد النبي (ص)).

وقال: ثمّ تغبّر رأي الحاكم وأخرج حديث الطبري في مستدرّكه. ونقل الذهبي عن العلماء أنّهم قالوا عن مستدرّكه: إنّهُ جمع فيه أحاديث وزعم أنّها على شرط البخاري ومسلم، منها حديث الطبري، ومن كنت مولاه فعليّ مولاه، فأنكرها عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا إلى قوله. وقال الذهبي:

أمّا حديث الطبري، فله طرق كثيرة جدّاً قد أفردتها بمصنّف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل.

وأما حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فله طرق جيّدة، وقد أفردت ذلك أيضاً. يعني الذهبي أنّه ألف في حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه» كتاباً خاصّاً.

قال المؤلف:

أمّا حديث «من كنت مولاه فسيأتي بحثّه في ذكر النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع) إن شاء الله تعالى.

وحديث الطبر برواية الصحابي أنس وغيره من الصحابة، أنه أهدى إلى رسول الله طير مشوي فدعا أن يأتيه الله بأحب الخلق إليه - أي بعد رسول الله (ص) - فيأكل معه، فجاء علي وأكل معه، وبما أن الحديث يدل على أن الإمام علياً أفضل الناس بعد رسول الله (ص) فقد أنكروا على الحاكم وغيره رواية هذا الحديث، ولم نخرجها نحن في باب النصوص، لأننا لسنا بصدد إيراد فضائل الإمام علي (ع) وإنما نورد النصوص الصريحة في حق آل الرسول (ص) في الحكم.

نقل الذهبي فضل الحاكم الشافعي في علم الحديث بمدرسة الخلفاء، وبما أنه خرج في مستدركه أحاديث في فضل الإمام علي (ع) وما فيه انتقاص لمعاوية، طعنوا فيه وقالوا ما نقله الذهبي:

(ثقة في الحديث، رافضي خبيث).

(كان يظهر التسنن في التقديم والخلافة وكان منحرفاً عن معاوية وآله - يعني يزيد - متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه).

قال الذهبي:

(قلت: أما أنحرافه عن خصوم علي فظاهر، وأما أمر الشيخين فمعظم لهما بكل حال فهو شيعي لا رافضي، وليته لم يصنف المستدرک فإنه غص من فضائله بسوء تصرفه). انتهت أقوال الذهبي.

ولإمام المحدثين بمدرسة الخلفاء أسوة بإمام المذهب الشافعي محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤ هـ) حيث رمى بالرفض كما رواه البيهقي، فقال الشافعي في ذلك:

قالوا ترفضت، قلت كلاً
لكن توليت غير شك
ما الرفض ديني ولا اعتقادي
محير إمام وخير هادي

إِنْ كَانَ حَبِّ الْوَصِيِّ^(٢٤) رَفْضاً فَإِنِّي أَرَفُضُ الْمَعْبَادِ
وَمَا قَالَ أَيْضاً:

إِنْ كَانَ رَفْضاً حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي
وَيُظْهِرُ أَنَّهُ كَانَ يَضْطَرُّ إِلَى الْكُتْمَانِ أحياناً فَقَدْ قَالَ:

مَا زَالَ كُتْمًا مِنْكَ حَتَّى كَأَنِّي بَرَدَ جَوَابِ السَّائِلِينَ لِأَعْجَمٍ
وَأَكْتَنَمَ وَدِّيَ مَعَ صَفَاءِ مَوَدَّتِي لِتَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ وَأَسْلَمَ^(٢٥)
غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَنْفَعَهُ الْكُتْمَانُ وَرَمِيَ بِالرَّفْضِ كغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَا
يَكْتُمُونَ رَأْيِهِمْ فِي مَا جَاءَ عَنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ (ص) وَسِرَّةِ الصَّحَابَةِ، وَإِنْ أَغْلَبَ
عُلَمَاءُ الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ بِمَدْرَسَةِ الْخُلَفَاءِ لَا يَكْتُمُونَ الْحَدِيثَ كَمَا يَفْعَلُهُ عُلَمَاءُ
الْمَذَاهِبِ الْآخَرَى فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ وَلِذَلِكَ يَرْمُونَ بِالرَّفْضِ.

* * *

فِي هَذَا الْبَابِ لَاحِظْنَا أَنْوَاعاً مِنَ الْإِنْكَارِ بَدَأُ بِتَضْعِيفِ الرَّائِي وَالرَّوَاةِ إِلَى
طَعْنِهِمُ بِالْتَّشْيِيعِ وَالرَّفْضِ وَالَّذِي كَانَ يُؤَدِّي إِلَى إِسْقَاطِ الْحَدِيثِ عَنِ الْإِعْتِبَارِ.
وَكُلُّ أَنْوَاعِ الْإِنْكَارِ مِنْ أَسْهَلِ الْأُمُورِ فِي بَابِ الْإِحْتِجَاجِ لِلْمُنْكَرِ وَمِنْ أَصْعَبِ
الْأُمُورِ عِنْدُنَا إِثْبَاتُ الْحَقِّ، فَإِنَّ الْمُنْكَرَ يَسْهُلُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ،
بَاطِلٌ، كَذِبٌ. وَعَلَى صَاحِبِ الْحَقِّ أَنْ يَأْتِيَ بِالْدَّلِيلِ تَلْوِ الدَّلِيلِ وَلَيْسَ لِلْمُنْكَرِ فِي

(٢٤) جَاءَ فِي دِيْوَانِ الشَّافِعِيِّ ط. بَيْرُوت ١٤٠٣هـ، وَكَذَلِكَ فِي (النَّصَائِحِ الْكَافِيَةِ لِمَنْ يَتَوَلَّى
مَعَاوِيَةَ) لِمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْعُلَوِيِّ (ت: ١٣٥٠هـ)، وَذَكَرَ أَبُو حَجَرٍ فِي الصَّوَاغِقِ الْمُحَرَّقَةِ
ص ١٣١: (الْوَلِيِّ) بَدَلًا مِنْ (الْوَصِيِّ). وَلَنَا أَنْ نَعُدَّ هَذَا التَّبْدِيلَ فِي الصَّوَاغِقِ مِنْ مَوَارِدِ الْكُتْمَانِ
لَدَى أَتْبَاعِ مَدْرَسَةِ الْخُلَفَاءِ.

(٢٥) هَذَا مُوجِزٌ مَا ذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ (ت: ٩٧٤هـ) فِي الصَّوَاغِقِ، ط. مِصْرُ الثَّانِيَةِ، سَنَةِ
١٣٧٥هـ، ص ١٣١، مَعَ قَوْلِ الْبَيْهَقِيِّ ذَكَرَ جَمِيعَهَا مُفَصَّلًا وَابْتِغَاءً: إِنْ كَانَ رَفْضًا... مَعَ
بَيِّنَتَيْنِ آخَرَيْنِ رَوَاهُمَا أَيْضًا أَبُو الصَّبَّاحِ الْمَالَكِيُّ الْمَكِّيُّ (ت: ٨٥٥هـ) فِي كِتَابِهِ الْفُصُولِ حَسَبَ نَقْلِ
صَاحِبِ الْكُتُبِ وَالْأَلْقَابِ بِتَرْجُمَةِ الشَّافِعِيِّ.

مقابله أكثر من الإنكار وعدم القبول، وهو في حقيقته قتلٌ معنويٌّ للرواة، وأحياناً يقتلُ الراوي الذي يروي ما يخالف مصلحة مدرسة الخلفاء جسدياً، كما نذكر في ما يأتي مثلاً واحداً منه لما جرى لأحد أصحاب الصحاح الستة بمدرسة الخلفاء.

٤ - النسائي أحد مؤلفي الصحاح الستة وقصة قتله.

نقل خبره وقصة قتله من كتابي الذهبي وأبن خلكان فقد قالاً بترجمته^(٢٢) ما موجزه:

الحافظ، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كان إمام أهل عصره في الحديث وله كتاب السنن تفرد بالمعرفة وعلو الإسناد، وأستوطن مصر. وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويجتهد في العبادة ليلاً. وخرج مع أمير مصر إلى الغزو، وكان يجترز عن مجالسه والانبساط في المأكّل، وخرج آخر عمره حاجاً وبلغ دمشق، وصنّف في دمشق كتاب الخصائص في فضل عليّ بن أبي طالب (رض) وأهل البيت، وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن حنبل، فأنكروا عليه ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن عليّ بها كثير، فصنّفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله بهذا الكتاب، فقيل له: ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرج؟ حديث اللهم لا تشيع بطنه؟ فسكت السائل، وسئل - أيضاً - عن معاوية وما جاء من فضائله، فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يُفضل، فما زالوا يدفعون في خصييه وداسوه حتى أخرج من المسجد وحمل إلى الرملة.

قال الحافظ أبو نعيم: مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول.

وقال الدارقطني: أمتحن بدمشق وأدرك الشهادة. وكان ذلك سنة

(٢٢) تذكرة الحفاظ ص ٦٨٩. ووفيات الأعيان ٥٩/١.

ولا ينحصر من أودى وقتل في سبيل نشر سنة الرسول (ص) بالنسائي وحده، فقد لاقى الصحابي أبو ذر أيضاً كما سيأتي ذكره بعيد هذا في بقية بحوث كتبه سنة الرسول (ص) وقتل عدد غير قليل من العلماء، ترجم بعضهم العلامة الحبر الأميني في كتابه: شهداء الفضيلة.

ومن يجزم مع هذه الحالة أن يروي النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في فضائل آل فضل عن ذكر النصوص الواردة في حق آل في الحكم. ألا يحق لابن كثير، إذا كان يريد أن يداري من يطالب العلماء بإيراد فضائل معاوية أن يؤول ما فيه أنتفاص لمعاوية إلى ما فيه له فضيلة في الدنيا والآخرة!!!

وكيف يتيسر نشر سنة الرسول (ص) مع هذه الحالة!؟

ذكرنا شيئاً من مصير من يخالف مدرسة الخلفاء ويروي أو يكتب من سنة الرسول (ص) ما يخالف مصلحة الخلفاء، وفي ما يأتي نُشير إلى مصير الكتب التي حوت من سنة الرسول (ص) ما يخالف سياسة هذه المدرسة.

ح - إحراق الكتب والمكتبات

من أصناف الكتمان بمدرسة الخلفاء، إحراق الكتب التي فيها سنة الرسول (ص) سيرة وحديثاً مما لا ترغب في نشره. وقد بدأ ذلك الخليفة عمر ابن الخطاب كما سيأتي ذكره في باب بحوث مدرسة الخلفاء من مصادر الشريعة الإسلامية.

عن طبقات ابن سعد، قال: إِنَّ الأحاديث كثرت على عهد عمر، فأنشد

الناس أن يأتوه بها، فلمّا أتوه بها، أمر بتحريقها.

وروى الزبير بن بكار^(٢٧): أن سليمان بن عبد الملك في زمان ولايته للعهد مرّ بالمدينة حاجّاً، وأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي (ص) ومغازيه، فقال أبان: هي عندي أخذتها مصحّحة ممّن أئق به، فأمر عشرة من الكتاب بنسخها، فكتبوها في رقّ، فلمّا صارت إليه، نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبين - يقصد بيعة الأنصار في العقبين الأولى والثانية - وذكر الأنصار في بدر، فقال سليمان: ما كنت أرى هؤلاء القوم هذا الفضل فإمّا أن يكون أهل بيتي - أي الخلفاء الأمويين - غمضوا عليهم، وإمّا أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير! لا يمتنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم - يقصد الخليفة عثمان - من خذلانه، أن نقول الحقّ. هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتّى أذكره لأمر المؤمنين - يقصد والده عبد الملك - لعلّه يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرّق، ولمّا رجع أخبر أباه بما كان، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل تعرّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها، قال سليمان: فلذلك أمرت بنحريق ما نسخت حتّى أستطلع رأي أمير المؤمنين، فصوّب رأيه.

* * *

هكذا يأمر خلفاء المسلمين وأولياء عهدهم بإحراق كتب سنة الرسول (ص) لئلا يعرف المسلمون ما يخالف مصالح السّلطة، وقد فعلت أكثر من ذلك حين أحرقت مكاتبات فيها من كتب سنة الرسول (ص) ما يخالف آجهاها نظير ما يأتي بيانه:

إحراق مكتبة إسلامية ببغداد

قال ابن كثير^(٢٨) في ذكر حوادث سنة ٤١٦ هـ بترجمة سابور بن أردشير: كان كثير الخير سليم الخاطر إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة، وقد وقَّف داراً للعلم في سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها كتباً كثيرة جداً، ووقَّف عليها غلة كبيرة، فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجيء طغرل في سنة ٤٥٠ هـ وكانت في محلة بين السورين.

وقال الحموي بترجمة بين السورين في معجم البلدان:

بين السورين، اسم لمحلة كبيرة كانت بالكرخ وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها وزير بهاء الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولهم المحررة وأحرقت في ما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد.

وقال ابن كثير^(٢٩) - أيضاً - بترجمة الشيخ أبي جعفر الطوسي، من حوادث سنة ٤٦٠ هـ:

أحرقت داره بالكرخ وكتبه سنة ٤٤٨ هـ.

وفعل أكثر من ذلك مع مخازن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر كما ذكره المقرئ^(٣٠) (ت: ٨٤٨ هـ) في ذكر الخزانات التي كانت في قصر الفاطميين وقال عن خزانة الكتب:

وكانت من عجائب الدنيا ويقال: إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر. ويقال: إنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب، وقال قبلها: (أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم

(٢٨) البداية والنهاية ١٢/١٩.

(٢٩) نفس المصدر ٩٧/١٢.

(٣٠) خطط المقرئ ٢/٢٥٤ - ٢٥٥.

عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تأولاً منهم أنها خرجت من قصر السلطان وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب).



أسس مكتبة الكرخ وزير البويهيين من أتباع مدرسة أهل البيت (ع). فلما استولى السلاجقيون من أتباع مدرسة الخلفاء أحرقوها وأحرقوا مكتبة الشيخ الطوسي بالكرك، وفعل أكثر من ذلك بخزائن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر عند استيلاء صلاح الدين على الحكم.

يا ترى كم كنتم عنا من سنة الرسول (ص) بسبب تحريق الكتب والمكتبات التي كان أصحابها من مخالفي مدرسة الخلفاء؟ وكم كان فيها أحاديث صحيحة مسلسلّة عن رسول الله (ص) في حق آل الرسول من ضمنها أحاديثه في الوصية ذهبت عنا بسبب هذا النوع من الكتمان؟ الله أعلم بذلك. وأهم من كل ما ذكرنا من أصناف كتمان سنة الرسول (ص) تحريف سنة الرسول وسيرة الصحابة التي ذكره في البحثين التاليين:

ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء حذف بعض الخبر وتحريفه، كما فعل ذلك ابن كثير في خطبة الإمام الحسين في تاريخه، فقد أورد الخطبة الطبري وابن الأثير في تاريخيهما وفي لفظهما:

(أما بعد فأنسبون، فأنظروا من أنا، ثم أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، هل يجوز لكم قتل وأنتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم (ص) وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بها جاء من عند ربّه؟ أو ليس حمزة

سيد الشهداء عمّ أبي؟ أو ليس جعفر الطيار ذو الجناحين عمّي . . . (٣١).

حرّف ابن كثير هذا الخبر في تاريخه ونقل أنّ الإمام الحسين قال:

(راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا ابن بنت نبيكم، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيري، وعليّ أبي، وجعفر ذو الجناحين عمّي، وحمزة سيد الشهداء عمّ أبي) (٣٢).



إنّ ابن كثير حذف ذكر الوصيّة من خطبة الإمام الحسين، لأنّ ذكرها كما قلنا ينبّه العامة على حقّ الإمام عليّ وسبطي الرسول (ص) في الحكم وهو ما يسوء السلطة نشر خبره، ثمّ حرّف الخطبة. وهذا نوع من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء، ويوجد نظير هذا الحذف في سيرة الرسول (ص) وسنشير إلى شيء منه في الصنف العاشر من أصناف الكتان الآتي بحثه بعد هذا.

ي - وضع الروايات والأخبار المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء، وضع الأخبار المختلفة ونشر الروايات المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة. وإليك مثلاً واحداً منها:

روى الطبري في تاريخه خبر أبي ذرّ وقال:

(وفي هذه السنة أعني سنة ثلاثين كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ ومعاوية وإشخاص معاوية إليّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها. فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصّة كتب إليّ بها السريّ يذكر أنّ شعيباً حدّثه سيف . . .) الحديث.

(٣١) تاريخ الطبري ط. أوربا ٢/ ٣٢٩. وتاريخ ابن الأثير، ط. أوربا ٤/ ٥٢. وط. مصر الأولى ٢٥/ ٤.

(٣٢) ابن كثير ٧/ ١٧٩.

وتبعه ابن الأثير وقال - أيضاً - في ذكره حوادث سنة ٣٠ من الهجرة :
(وفي هذه السنة كان ما ذكر من أمر أبي ذر وإشخاص معاوية إليّاه من الشام إلى المدينة ، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة من سبب معاوية إليّاه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به . . .) .

فمن هو سيف هذا الذي أورد الطبري القصة التي رواها في خبر أبي ذر ،
وغسك بها العاذرون معاوية ؟ وما هو نوع أخباره ورواياته ؟
هو سيف بن عمر التميمي (توفي حدود سنة ١٧٠هـ) روى أخباراً عن
عصر الرسول (ص) والسقيفة وبيعة أبي بكر وحروب الردة والفتوح وحرب
الجمل .

وصفه علماء الرجال وقالوا في نعته :
ضعيف ، متروك الحديث ، ليس بشيء ، كذاب ، كان يضع الأحاديث ،
اتهم بالزندقة (٣٣) .

نوع أخباره ورواياته

إختلف في رواياته أكثر من خمسين ومائة صحابيٍّ لرسول الله (ص) نشرنا
دراسات مفصلة عن ثلاثة وتسعين في المجلدين الأول والثاني من كتاب
(خمسون ومائة صحابيٍّ مختلف) جعل سيف تسعة وعشرين منهم من قبيلته
تميم ، إختلف لهم أخباراً في الفتوح وكثيراً من المعجزات والشعر ورواية

٣٣) كان ما ذكرناه بعض ما ذكره في وصفه علماء أمثال : يحيى بن معين (ت : ٢٣٣هـ) ،
أبي داود (ت : ٢٧٥هـ) ، النسائي صاحب الصحيح (ت : ٣٠٣هـ) ، ابن أبي حاتم الرازي
(ت : ٣٢٧هـ) ، ابن حبان (ت : ٣٥٤هـ) ، الحاكم (ت : ٤١٥هـ) وتفصيل ما ذكروا في حق
سيف ومصادر ترجمة سيف بكتاب (عبدالله بن سبأ) الجزء الأول .

الحديث، غير أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أشخاصهم ولا شيئاً من أخبارهم، بل اختلقهم سيف جميعاً، كما اختلق عشرات الرواة وروى عنهم أخباره، وقد نشرنا، في جزأي (عبد الله بن سبأ) و (خمسون ومائة صحابي مخلق) دراسات عن نيف وسبعين راوياً منهم، تتبّعنا في حدود قدرتنا روايات سيف عنهم فوجدنا لراوٍ واحد منهم والذي سماه محمد بن سواد بن نويرة ٢١٦ رواية، ومنهم من روى عنه أقل من ذلك، إلى رواية واحدة.

وكذلك اختلق شعراء للعرب وقادة للفرس والرومان وأراضي في البلاد الإسلامية وغيرها، وحرف سبني الحوادث التاريخية، كما حرف أسماء أشخاص ذكروا في التاريخ الإسلامي، ونشر الخرافات بين المسلمين في ما اختلق منها في أحاديثه، واختلق حروباً في الردّة والفتوح لم تقع، وذكر مئات الألوف ممن قتلهم المسلمون قتلاً فظلياً في تلك الحروب مما لم يكن شيء منها، وأشاع في ما وضع واختلق أنّ الإسلام انتشر بحدّ السيف، وقد بيّنا زيفها في أول الجزء الثاني من كتابنا (عبد الله بن سبأ).

انتشرت رواياته الموضوعة في أكثر من سبعين مصدراً^(٣٤) من كتب الحديث والتاريخ والأدب وغيرها من مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء انتشر فيها ما روى سيف واختلق منذ عصر الرسول (ص) حتّى عصر معاوية، وكان أكثر من أخذ عنه الطبريّ في تاريخه وروى عنه أمثال الأخبار^(٣٥) الأتية:

أ - مسير الجيش على ماء البحر من الساحل إلى دارين مسيرة يوم وليلة

(٣٤) ذكرنا أسماء أكثرها في أول الجزء الأول من كتاب (خمسون ومائة صحابي مخلق).

(٣٥) راجع أخبارها في ذكر فتح دارين والقلادية والسوس وهرسير ودراسة مقارنة لأخبار سيف هذه بروايات صحيحة لغيره في كتاب (خمسون ومائة صحابي مخلق) الجزء الأول بتراجم عفيف بن المنذر وعاصم بن عمرو والأسود بن قطبة من الصحابة الذين اختلقهم سيف بن عمر التميمي من قبيلته نجيم.

لسفن البحر، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل .

ب - تكليم الأبقار لعاصم بن عمرو التميمي الصحابي المختلق في حرب القادسية بلسان عربي فصيح . وإن بكيراً قال لفرسه أطلال عند نهر أراد أن يعبره يومئذ : (ثبي أطلال) . فنطقت وقالت : (وثباً وسورة البقرة) أي أنها أقسمت بسورة البقرة، ثم وثبت !!!

ج - إنشاد الجنّ الشعر في فتح القادسية وثناؤهم على موقف تميم في الحرب .

د - فتح السوس بضرب الدجال باب السوس برجله وقوله : (انفتح بظان) .

هـ - تكلم الملائكة على لسان الأسود بن قطبة التميمي في فتح بهرسبر . ومن تاريخ الطبري أنتشرت أكاذيب سيف في كتب التاريخ الإسلامي التي ألقت بعده إلى عصرنا الحاضر كما سنشير إلى بعض ذلك فيما يأتي .

انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ وسببه
قال ابن الأثير في مقدمة تاريخه الكامل :

إنّي قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد ، فأبتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري ، إذ هو الكتاب المعول عند الكفاة عليه والمرجوع عند الاختلاف إليه . . . فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعت وأضفت إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه . . . إلّا ما يتعلّق بها جرى بين أصحاب رسول الله (ص) فإنّي لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً إلّا ما فيه زيادة بيان أو أسم إنسان ، أو ما لا يطمعن على أحد منهم في نقله ، على أنّي لم أنقل إلّا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة

مَنْ يَعْلَمُ صَدَقَهُمْ فِي مَا نَقَلُوهُ وَصَحَّحَهُ مَا دَوَّنُوهُ . . . (٣٦).
وقال ابن كثير بعد أنتهائه من ذكر أخبار الصحابة في الردة والفتوح
والفتن :

هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري - رحمه الله - عن أئمة هذا الشأن ،
وليس في ما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلفة على
الصحابة والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بها فيها (٣٧).
وقال ابن خلدون :

هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة والفتوحات
والحروب ثم الاتفاق والجماعة ، أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتب محمد
ابن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رأينا في ذلك وأبعد عن المطاعن
والشبه في كبار الأمة من خيار الأمة وعدولهم من الصحابة والتابعين (٣٨).

نظرة تأمل في سبب اختيار كبار العلماء الأفاضل روايات سيف في أخبار صدر الإسلام

قال الطبري في خبر أبي ذر الصحابي الفقير - مثلاً - مع معاوية الأمير :
(كرهت ذكر أكثرها ، فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك
قصة . . . عن سيف).
وقال ابن الأثير :
(. . . مِنْ سَبِّ مُعَاوِيَةَ إِثْبَاتًا وَتَهْدِيدًا بِالْقَتْلِ وَحَمْلًا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الشَّامِ بِغَيْرِ

(٣٦) تاريخ ابن الأثير ط . مصر سنة ١٣٤٨ هـ - ٥/١ .

(٣٧) تاريخ ابن كثير ٢٤٦/٧ .

(٣٨) تاريخ ابن خلدون ٤٥٧/٢ .

وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به). ثم أورد قصة سيف ووصفهم كذلك بالعاذرين.

إنَّ العالمين الكبيرين لم يتركوا روايات غير سيف لعدم اعتمادهما عليها، بل لأنهما لم يجدوا فيها العذر للسلطة الحاكمة، ووجدوا العذر عند العاذرين معاوية الأمير وعثمان الخليفة، وهم سيف الزنديق وسلسلة رواياته المختلفين، فحسب الطبري تاريخه الكبير بروايات سيف، وللسبب نفسه أخذ ابن الأثير روايات سيف من تاريخ الطبري، وكذلك فعل ابن كثير حيث قال في آخر ذكره خبر واقعة الجمل من أخبار سنة ست وثلاثين هجرية عما نقله من أخبار سيف في حوادث ما بعد وفاة رسول الله (ص) إلى واقعة الجمل:

(هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري - رحمه الله - عن أئمة هذا الشأن) وقصد من أئمة هذا الشأن الذين ذكر ابن جرير الطبري الأخبار عنهم سيف الزنديق ورواياته المختلفين.

وقد أفصح العلامة ابن خلدون أكثر منهم في سبب اختيارهم روايات سيف المنتشرة في تاريخ الطبري عن أخبار الخلافة أي بيعة الخلفاء والرثة والفتوح والجماعة أي الاجتماع على بيعة معاوية وقال:

(إنه أوثق ما رأيناه في ذلك وأبعد عن المطاعن والشبهة في كبار الأئمة).

إذاً فإن روايات سيف في تاريخ الطبري عن تلك الأخبار أوثق عندهم، لأنها أبعد عن المطاعن والشبهة في كبار الأئمة من الصحابة والتابعين، وهم الخلفاء والولاة وذووهم، وإليك دليلاً آخر على أنه من المعيب أن يذكر ما يورد النقد على الكبراء وينبغي البحث عن العذر لهم في ما يوجه النقد إليهم كيف ما كان؛ في خبر درة سعد بن أبي وقاص الحدّ عن أبي محجن والبحث عن العذر لسعد الأمير.

كان أبو محجن الثففي كما في ترجمته من الاستيعاب وأسد الغابة

والإصابة ، مدمناً للخمر وحده الخليفة عمر سبع مرّات لذلك ، وأخيراً نفاه من المدينة ، والتحق بسعد بن أبي وقّاص في حرب القادسية فقيده لشربه الخمر وأطلقت زوجة سعد سراحه وكانت له مواقف مشهورة في الحرب ، فدرأ سعد الحذّ عنه لموقفه وقال : والله لا نجلدك على الخمر أبداً . قال أبو محجن : وإذن لا أشرها أبداً .

كان هذا خبر درء سعد الحذّ عن أبي محجن ، وفي هذا الشأن نقل ابن حجر في ترجمة أبي محجن في كتابه الإصابة عن كتاب ابن فتحون (ت : ١٩٥هـ) : (التذييل على استيعاب أبي عمر بن عبد البر) وقال :

(وقد عاب ابن فتحون أبا عمر على ما ذكره في قصة أبي محجن ، أنه كان منهمكاً في الشراب - إلى قوله - : وأنكر ابن فتحون على من روى أن سعداً أبطل عنه الحذّ وقال : [لا يظنّ هذا بسعد] ثم قال : [لكن له وجه حسن] ولم يذكره وكأنه أراد بقوله لا يجلده في الخمر بشرط أضمره وهو : إن ثبت عليه أنه يشربها ، فوفقه الله أن تاب توبة نصوحاً فلم يعد إليها . . .) (٣٩) .



هكذا يبحث أتباع مدرسة الخلفاء عمّا يرفع النقد عن الكبراء وهم الخلفاء والولاة وذووهم من الخلفاء الأوائل حتّى معاوية ومروان بن الحكم ويزيد بن معاوية وولاتهم الذين يسمّونهم الكبراء أو كبراء الصّحابة والتابعين . وبما أن سيف بن عمر الزنديق عرف من أين تؤكل الكتف ، فقد وضع روايات موافقة لرغبات جميع الطبقات بمدرسة الخلفاء مدى العصور ، وطلا رواياته بطلاء الدفاع عن الخلفاء وذوهم في ما أنتقدوا عليه ونشر فضائلهم .
وتحت هذا الغطاء السميك أستطاع أن يخفي أهدافه في الطعن بالإسلام

والإضرار به ونشر الخرافات الضارة بالعقائد الإسلامية بين المسلمين، وكذلك استطاع أن ينشر ويذيع بين الناس أن الإسلام أنتشر بحدّ السيف.

استطاع سيف أن يصل إلى كلّ أهدافه في ما اختلق بدافع زندقته. وسنورد أمثلة مما ذكرنا في ما يأتي.

ومن أمثلة نشره الخرافات الضارة بالعقيدة الإسلامية ما رواه في خبر الأسود العنسي المتنبّي وخبر مناجاة كسرى مع الرسول (ص) عند الله كالآتي.

أولاً - قصة الأسود العنسي في روايات سيف

روى الطبري في قصة الأسود العنسي^(٤٠) عدة روايات عن سيف تلخص في ما يلي:

إنّ الأسود لما ادّعى النبوة وتغلّب على اليمن وقتل ملكها شهر بن باذان وتزوّج أمراته وأسند أمر الجيش إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء - وهم أبناء الفرس باليمن - إلى فيروز ودأذويه، كتب النبيّ (ص) إلى هؤلاء بقتال الأسود إمّا مصادمة أو غيلة. فأتفقوا على أغتياله، فأخبره شيطانه فأرسل إلى قيس وقال: يا قيس! ما يقول الملك؟ قال قيس: وما يقول؟ قال: يقول: (عمدت إلى قيس فأكرمته حتّى إذا دخل منك كلّ مدخل، وصار في العزّ مثلك، مال ميل عدوك؛ وحاول ملكك وأضمر على الغدر! إنّه يقول: يا أسود، يا أسود، يا سوءة! يا سوءة! إقطف قُتته^(٤١) ونحذ من قيس أعلاه وإلّا سلبك أو أخذ قُتتك!)، فقال قيس: فحلف به وكذب: (وذّي الحمار^(٤٢) لأنّ أعظم

(٤٠) نسبة إلى عرس بن مذحج وهم حمّ من زيد بن كهلان بن سبأ، ترجمتهم في أنساب ابن حزم ص ٣٨١.

(٤١) إقطف قُتته أي قطع رأسه، وقُتة كل شيء أعلاه مثل القلّة.

(٤٢) كان الأسود يلقّب ذا الحمار أو ذا الحمار.

في نفسي وأجلّ عندي من أن أحدث بك نفسي)، قال الأسود: (ما أحفاك! أنكذب الملك؟! وعرفت الآن أنك تائب عما أطلع عليه منك) يعني ما أطلع عليه شيطانه الذي يسميه الملك.

وقال سيف: ثم خرج فليس وأخبر جماعته بما جرى له مع الأسود وتواطوا على إنفاذ ما اتفقوا عليه من قتله، فدعا الأسود قيساً ثانية، وقال له: (ألم أخبرك الحقّ وتخبرني الكذابة إنه يقول - يعني شيطانه الذي يسميه الملك -: يا سوء! يا سوء! إلا تقطع من قيس يده يقطع قُتتك العليا)، فقال له قيس: (ليس من الحقّ أن أقتلك وأنت رسول الله فمُر بي بها أحببت، فلما الخوف والفرع فأنا فيها مخافة! اقتلي! فموتة أهون عليّ من موتات أموتها كل يوم)، قال سيف: فرق له فأخرجها! وقال: دعا الأسود بهائة جزور بين بقرة وبعير، وخطّ خطأ فأقيمت من وراء الخطّ، وقام من دونها، فنحرها غير محبسة ولا معقولة، ما يقتحم الخطّ منها شيء، ثم خلاها فجالت إلى أن زهقت. ونقل سيف عن الراوي أنه قال: (ما رأيت أمراً كان أفظع منه، ولا يوماً أوحش منه).

قال سيف: وتواطوا مع زوجته على اغتياله - ليلاً - فلما دخلوا عليه ليقتلوه بادره فيروز، فأنذره شيطانه بمكان فيروز وأيقظه. فلما أبطأ تكلم الشيطان على لسانه وهو يغطّ في نومه وينظر إلى فيروز قال له: (مالي ولك يا فيروز؟). فدقّ فيروز رقبته وقتله.

قال: (ثم دخل الباقون ليحتزوا رأسه، فحرّكه شيطان فأضطرب فلم يضبطوا أمره حتى جلس أثنان على ظهره وأخذت المرأة شعره، فجعل يربير بلسانه فأحتزّ الآخر رقبته فخار كاشدّ خوار ثور سمع قطعاً، فأبندر الحرس الباب، وقالوا: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبيّ يوحى إليه، فحمد... الحديث.



روى هذا الخبر عن سيف كل من الطبري والذهبي في تاريخيهما، وأخذه من الطبري كل من ابن الأثير وابن كثير وابن خلدون، غير أن الأخير أورده بإيجاز.

دراسة خبر الأسود العنسي

أ - رواية الخبر:

روى سيف هذا الخبر في إحدى عشرة رواية رواها عن أربعة رواية أختلفهم وهم كل من:

١ - سهل بن يوسف الخزرجي السلمي .

٢ - عبيد بن صخر الخزرجي السلمي .

٣ - المستير بن يزيد النخعي .

٤ - عروة بن غزية الدثيني .

هكذا تخيلهم سيف الزنديق غير أن الله لم يخلق رواية بهذه الأسماء وإنما أختلفهم سيف بن عمر لروايته .

ب - دراسة متن الخبر:

قد قارنّا روايات سيف المختلقة في خبر الأسود العنسي بالروايات الصحيحة وبيّنا أختلافه الروايات والرواة في هذا الخبر في الجزء الثاني من (عبد الله بن سبأ) .

ثانياً - خبر مناجاة كسرى مع الرسول عند الله في رواية سيف

روى سيف في قصّة مسير يزدرجرد إلى خراسان بعد واقعة جلولاء وقال :

(كان يزدرجرد بن شهريار بن كسرى وهو يومئذ ملك فارس، لما أنهزم أهل جلولاء خرج يريد الريّ وكان ينام في محمله والبعر يسير به ولا يعرسون، فأنتهوا به إلى غحاصة وهو نائم في محمله فأنبهوه ليعلم ولثلاً يفرع إذا خاض البعير،

فعنف وقال : بشيا صنعتم ، والله لو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمة ، إنّي رأيت : أني وعمداً تناجينا عند الله ، فقال له :

- إملكهم مائة سنة .

فقال : - زدني .

فقال : - عشرأ ومائة سنة .

فقال : - زدني .

فقال : - عشرين ومائة سنة .

فقال : - لك .

وأنيهموني ، فلو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمة . . . (١٣) .

دراسة خبر مناجاة كسرى والرسول (ص)

أ - دراسة رواية الخبر:

روى سيف أسطورة مناجاة كسرى والرسول (ص) عند الله عن مختلفاته

من الرواة الآتية أسأؤهم :

١ - محمد ، وقد تخيّل : محمد بن عبد الله بن سواد بن نيرة .

٢ - المهلب ، وهو عنده : المهلب بن عقبة الأسدي .

٣ - عمرو ، وقد أختلق سيف راويز باسم عمرو ، تخيّل أحدهما : عمرو

ابن ريان والآخر : عمرو بن رفل ، ويثنا أختلاقه هذه الأسماء في الجزء الأول من

(عبد الله بن سبأ) و (خمسون ومائة صحابي مختلق) .

ب - دراسة متن الخبر:

درسنا متن هذا الخبر في أول الجزء الأول من (خمسون ومائة صحابي

٤٣) راجع مصادره في البحث الأول من البحوث التمهيدية في الجزء الأول من (خمسون

ومائة صحابي مختلق) .

مختلف) وبيننا زيفه ولا حاجة لإعادة البحث في هذه العجالة .

ماذا أستهدف الزنديق من وضع هذين الخبرين؟

زعم سيف أن الأسود الذي أدعى النبوة كان يخبر قيساً بكل ما ينويه مرة بعد أخرى ويقول:

(قال الملك!) وكان الملك الذي يخبره هو الشيطان! وظهرت من الأسود مدعي النبوة معجزة باهرة حين خطَّ خطأً أوقف وراءه مائة جزور بين بقرة وبعير وقام من دونها ونحرها جميعاً غير محبسة ولا معقولة ما يقتحم الخط منها شيء، ثم خلاها فجالت إلى أن زهقت، وإن الراوي استعظم هذا الأمر! وقال في الخبر الثاني: (إن كسرى رأى في المنام أنه اجتمع مع الله ورسوله في مؤتمر ثلاثي... الحديث).

ليس مغزى الأسطورة الأولى أن نبي المسلمين أدعى النبوة وكان من يسميه (الملك) يخبره بالغيب، وتصدر منه المعجزات.

والأسود العنسي أيضاً أدعى النبوة وكان من يسميه (الملك) يخبره بالغيب وتظهر منه المعجزات؟ هل نشر الزنديق هذه الأسطورة دون أن يقصد إلقاء الشبهات في أذهان المسلمين؟

وفي الأسطورة الثانية، ألم يقصد الزنديق الاستهزاء برب المسلمين ونبيهم حين جمعهما في مؤتمر واحد مع عدوهما يزدجرد ملك الفرس في ما رآه!!؟

هكذا نقل كبار العلماء عن سيف أساطير الخرافة وحشوا بها كتب التاريخ الإسلامي وأصبحت تلك الأساطير جزءاً من مصادر الدراسات الإسلامية، وكذلك نشروا في كتب التاريخ الإسلامي ما أشاعه سيف الزنديق بأن الإسلام أنتشر بحدّ السيف، نظير الأخبار الآتية:

إشاعة الزنديق أن الإسلام أنتشر بالسيف وإراقة الدماء
أشاع سيف في ما أختلف من أخبار حروب الردّة والفتوح بأن الإسلام

أنتشر على وجه الأرض بحدّ السيف وإراقة الدماء؛ ومآً أختلق بأسم حروب الردة، الأكاذيب والتهويلات الآتية:

تهويلات وأكاذيب في ما رواه سيف من أخبار حروب الردة
مهّد سيف لما أراد أن يذكر في حروب الردة من تهويلات بما روى في روايات قصيرة له أوردتها الطبري في أول أخبار الردة، قال سيف فيها:
(كفرت الأرض وتضرّمت ناراً، وأرتدت العرب من كلّ قبيلة خاصتها أو عامتها إلا قريشاً ونقيفاً). ثم ذكر أرتداداً في غطفان، وأمتناع هوازن من دفع الصدقة، وأجتاع عوام طحى وأسد على طليحة، وأرتداد خواصّ بني سليم، وقال: (وكذلك سائر الناس بكلّ مكان) وقال: (وقدمت كتب أمراء النّبي من كلّ مكان بأنتقاض القبائل خاصتها، أو عامتها).
ونقل الخبر كذلك أبين الأثير وأبين خلدون بتاريخيهما، ونقله أبين كثير بالمعنى حيث قال في تاريخه^(١١):

(ارتدت العرب عند وفاة رسول الله (ص) ما خلا أهل المسجدين مكة والمدينة).

ثمّ ذكر سيف في ما أختلقه من حروب الردة كيف أرجع المرتدون إلى الإسلام بحدّ السيف كما زعمه الزنديق في رواياته. ومن أمثلة ما روى في حروب الردة ما سّمّاها بحرب الأخابث كالآتي:

ردة عكّ والأشعرين وخبر طاهر ربيب رسول الله (ص) في روايات سيف

وقال سيف في خبر الأخابث من عكّ:

كان أول من أنتفض بتهامة العكّ والأشعرين لما بلغهم نبأ وفاة النبيّ (ص) تجمعوا وأقاموا على الأعلاّب (طريق الساحل) فكتب بذلك طاهر إلى أبي بكر، ثم سار إليهم مع مسروق العكّي حتّى التقى بهم، فأقتلوا، فهزّمهم الله وقتلهم كلّ قتلّة، وأنتنت السبيل لقتلهم، وكان مقتلهم فتحاً عظيماً.

وأجاب أبو بكر طاهراً - من قبل أن يأتيه كتابه بالفتح - : (بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك واستنفارك مسروقاً وقومه إلى الأخابث بالأعلاّب، فقد أصبت، فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفهوا عنهم، وأقيموا بالأعلاّب حتّى يأتكم أمري). فسَمّيت تلك الجموع ومن تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث، وسَمّي ذلك الطريق طريق الأخابث، وقال في ذلك طاهر بن أبي هالة :

ووالله لولا الله لا شيء غيره	لما فضّ بالأجراع جمع العناث
فلم تر عيني مثل يوم رأيتـه	بجنب صحارٍ في جموع الأخابث
قتلناهم ما بين قنّة خامر	إلى القيعـة الحمراء ذات النبـاث
وفئنا بأموال الأخابث عنوة	جهاراً ولم نحفل بتلك الهـاث

قال : وعسكر طاهر على طريق الأخابث، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمر أبي بكر.



أدار سيف خبردّة عكّ والأشعرين على من تحيّل طاهر بن أبي هالة، فمن هو طاهر في أحاديث سيف؟

طاهر في أحاديث سيف

تحيّل سيف طاهر بن أبي هالة التميمي من أمّ المؤمنين خديجة وريب رسول الله (ص) وعامله في حياته، وذكر من أخباره في عصر أبي بكر إبادته

للمرتدين من عكّ والأشعرين، ومن أحاديث سيف أستخرجوا ترجمته وذكره في عداد الصّحابة في كلّ من الاستيعاب ومعجم الصّحابة وأسد الغابة وتجريد أسماء الصّحابة والإصابة وغيرها، وكذلك ترجم في معجم الشعراء وسير النبلاء.

وذكر خبره في نوارخ الطبري وأبن الأثير وأبن كثير وأبن خلدون وميرخواند.

وأعتمد (شرف الدين) على هذه المصادر وذكر أسم طاهر في عداد أسماء الشيعة من أصحاب عليّ في كتابه (الفصول المهمّة).

وأعتماداً على أخبار سيف ترجم البلدانون الأعلام والأخبار في عداد الأماكن مثل الحموي في معجم البلدان وعبد المؤمن في مراصد الاطلاع.

مناقشة الخبر

روى سيف أخبار طاهر في خمس من رواياته في أسانيدنا خمس رواة اختلفهم بأسم سهل عن أبيه يوسف السلمي وعبيد بن صخر بن لوزان وجريز ابن يزيد الجعفي وأبي عمرو مولى طلحة.

ولم يكن وجود لردة عكّ والأشعرين.

ولم يخلق الله أرضاً بأسم الأعلام والأخبار.

ولا صحابياً شيعياً ربيعاً لرسول الله (ص) من أمّ المؤمنين خديجة أسمه طاهر بن أبي هالة.

ولم تقع حرب الإبادة لعكّ والأشعرين المرتدين كما تخيلها سيف، ولا الرواة الذين روى عنهم أخبار طاهر وردّة عكّ والأشعرين والأخبار.

اختلف سيف الردّة، وحربها، والأراضي، والشعر، وكتاب أبي بكر، والصحابي، والرواة، ووصل من خلالها إلى هدفه أنّ الناس ارتدّوا بعد رسول

الله (ص) عامة عدا قريش وثقيف، وهكذا حاربهم المسلمون حرب إبادة، وقد ناقشنا كل هذه الأخبار وأسانيدها في ترجمة من سَمَاه بطاهر بن أبي هالة في الجزء الأول من كتاب (خمسون ومائة صحابيً مختلق).

كانت هذه إحدى حروب الردّة التي آخلتها سيف، ومما آخلت من حروب الردّة وآخلت أخبارها، ما سَمَاه بردّة طيئ وردّة أم زمل وردّة أهل عمان والمهرة وردّة اليمن الأولى وردّة اليمن الثانية.

اخْتَلَقَ آرْتَدَادُ تِلْكَ الْقَبَائِلِ وَالْبِلَادِ وَحُرُوبِهَا وَحُرُوبَ رَدَّةٍ أُخْرَى زَعَمَ أَنَّهَا وَقَعَتْ فِي عَصْرِ أَبِي بَكْرٍ، كَذَبَ فِيهَا جَمِيعاً. وَكَذَبَ وَأَفَرَى فِي ذِكْرِ عَدَدٍ مِنْ قَتْلِ فِي تِلْكَ الْمَعَارِكِ وَذَكَرَ تَهَاوِيلَ مَزْعُومَةٍ سَوَّدَ بِهَا وَجْهَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ النَّاصِعِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي أَخْبَارِ الْفَتْوحِ حَيْثُ ذَكَرَ مَعَارِكَ لَمْ تَقَعْ، وَقَتْلًا وَإِبَادَةً مِنْ قَبْلِ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَجُودٌ فِي التَّارِيخِ بِنَتَائِ كَالْآتِي ذَكَرْهُمَا:

فتح اليس وتخريب أمغيشيا في أحاديث سيف

روى الطبري عن سيف في خبر اليس وأمغيشيا من فتوح سواد العراق وقال في خبر اليس:

فَأَقْتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَالْمَشْرُكُونَ يَزِيدُهُمْ كَلْبًا وَشِدَّةً مَا يَتَوَقَّعُونَ مِنْ قُدُومِ بِهِمَنْ جَاذُوهُ، فَصَابَرُوا الْمُسْلِمِينَ لِلَّذِي كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَصِيرَهُمْ إِلَيْهِ وَخَرَّبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ خَالِدٌ: اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ إِنْ مَنَحْتَنَا أَكْتَفَاهُمْ أَلَّا أَسْتَبْقِيَ مِنْهُمْ أَحَدًا قَدَرْنَا عَلَيْهِ حَتَّى أَجْرِيَ نَهْرَهُمْ بِدِمَائِهِمْ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَشَفَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَمَنَحَهُمْ أَكْتَفَاهُمْ، فَأَمَرَ خَالِدٌ مَنَادِيَهُ فَنَادَى فِي النَّاسِ: الْأَسْرَ الْأَسْرَ، لَا تَقْتُلُوا إِلَّا مَنْ آمَنَعَ فَأَقْبَلَتِ الْخِيُولُ بِهِمْ أَفْوَاجًا مُسْتَأْسِرِينَ يَسَاقُونَ سَوْقًا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِمْ رِجَالًا يَضْرِبُونَ أَعْنَاقَهُمْ فِي النَّهْرِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَطَلَبُوهُمْ الْغَدَ وَبَعْدَ الْغَدِ حَتَّى أَتْنَاهُ إِلَى النَّهْرَيْنِ وَمَقْدَارَ ذَلِكَ مِنْ

كلّ جوانب أليس، فضرب أعناقهم وقال له القمعاق وأشباه له: لو أنّك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم إنّ الدماء لا تزيد على أن تترقّق منذ نهيت عن السيلان ونهيت الأرض عن نشف الدماء، فأرسل عليها الماء، تبرّ بيمينك، وقد كان صدّ الماء عن النهر فأعاده فجرى دماً عيباً فسَمي نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم. وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصية وبلغنا أنّ الأرض لما نشفت دم أبْن آدم نُهيت عن نشف الدماء ونُهي الدم عن السيلان إلّا مقدار برّده.

وقال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام. . . .

وقال بعده في خبر هدم مدينة أمغيشيا:

لما فرغ خالد من وقعة أليس، نهض فأتى أمغيشيا وقد أعجلهم عمّا فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد، فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكلّ شيء كان في حيزها، وكانت مصرأ كالخيرة، وكانت أليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قطّ.

اختلق سيف جميع هذه الأخبار بتفاصيلها مع روايتها ولتأمل في ما وضع وأختلق في الخبرين.

نظرة تأمل في رواية سيف عن أليس ومدينة أمغيشيا

قال سيف:

في وقعة أليس أتى خالد أن يجري نهرهم بدمائهم، فلما غلب غير مجرى الماء من نهرهم وأستأسر فلول الجيش الفارسي والمدنيين من أهل الأرياف من كلّ جوانب أليس مسافة يومين وأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين ووكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم على النهر يوماً وليلة، والدم ينشف فقال له القمعاق

- الصحابي الذي اختلقه سيف - وأشباهُ له : لو قتلت أهل الأرض لم نجر دماؤهم ، أرسل عليها الماء تبرّيعينك ، فأرسل عليها الماء فأعاده فجرى النهر دماً عيظاً فسُمي نهر الدم لذلك إلى اليوم . ثم قال : ذهب خالد إلى أمغيثيا وكانت مصرأ كالحيرة فأمر بهدم أمغيثيا وكل شيء كان في حيزها وبلغ عدد قتلاهم سبعين ألفاً .



وأما هدم مدينة أمغيثيا التي آخلت سيف المدينة وحيزها وخبر هدمها ، فقد كان له نظير في التاريخ من قبل طغاة مثل هولاءكو وجنكيز وكذلك قتل الأسرى ، غير أن سيفاً نسب إلى خالد ما لم يجر له نظير في تاريخ الحروب وهو أنه أجرى نهرهم بدمائهم ، وانه لذلك سُمي نهرهم بنهر الدم إلى اليوم .
إخترق سيف كل هذه الأخبار وأخترق أخبار معارك النبي والمذار والمقر وم فرات بادقلي وحرب المصيح وقتلهم الكفار يومذاك حتى أمتلأ الفضاء من قتلاهم ، فما شبهوهم إلا بغنم مصرعة وكذلك معركة الزميل والفراض وقتل مائة ألف من الروم فيها .

إخترق سيف جميع أخبار هذه الحروب ونظائرها وانتشرت في تواريخ الطبري وأبن الأثير وأبن كثير وأبن خلدون وغيرهم ، ولا حقيقة لواحدة منها ، وقد ناقشنا أخبارها وأسانيدنا في بحث (انتشار الإسلام بالسيف والدم في حديث سيف) من كتاب (عبد الله بن سبأ) الجزء الثاني .

ألا يحقّ لخصوم الإسلام مع هذا التاريخ المزيف أن يقولوا : (إن الإسلام انتشر بحدّ السيف)؟!

وهل يشكّ أحد بعد هذا في هدف سيف من وضع هذا التاريخ وما نواه من سوء للإسلام؟! وما الدافع لسيف إلى كل هذا الدُس والوضع إن لم تكن الزندقة التي وصفه العلماء بها؟!

وأخيراً هل خفي كل هذا الكذب والافتراء على إمام المؤرخين الطبري؟
وعلمائهم آبن الأثير؟ ومكترهم ابن كثير؟ وفيلسوفهم آبن خلدون؟ وعلى
عشرات من أمثالهم، كآبن عبد البر وآبن عساكر والذهبي وآبن حجر؟

كلّا فلأنهم هم الذين وصفوه بالكذب ورموه بالزندقة! وقد ذكر الطبري
وآبن الأثير وآبن خلدون في توارخهم في وقعة ذات السلاسل: أن ما ذكره سيف
فيها خلاف ما يعرفه أهل السير!

إذاً فما الذي دعاهم إلى اعتياد رواياته دون غيرها مع علمهم بكذبه
وزندقته، إن هو إلا أن سيفاً حلّ مفترياته بإطار من نشر مناقب ذوي السلطة
من الصحابة، فبذل العلماء وسعهم في نشرها وترويجها، مع علمهم بكذبها؟
ففي فتوح العراق - مثلاً - أورد مفترياته تحت شعار مناقب خالد بن الوليد، فقد
وضع على لسان أبي بكر أنه قال بعد معركة اليرموك: هدم مدينة أمغيشيا: (يا
معشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن
ينشن مثل خالد).

كما زين ما أختلق في معارك الردّة بإطار من مناقب الخليفة أبي بكر،
وكذلك فعل في ما روى وأختلق عن فتوح الشام وإيران على عهد عمر، والفتن
في عصر عثمان، وواقعة الجمل في عصر عليّ، فإنه زين جميعها بإطار من مناقب
ذوي السلطة والدفاع عنهم في ما أنتقدوا عليه وبذلك راجت روايات سيف
وشاعت أكاذيبه ونسيت الروايات الصحيحة وأهملت، على أنه ليس في ما
وضعه سيف وأختلق - على الأغلب - فضيلة للصحابة بل فيه مذمة لهم.

ولست أدري كيف خفي على هؤلاء أن جلب خالد عشرات الألوف من
البشر وذبحهم على النهر ليجري نهرهم بدمائهم ليست فضيلة له، ولا هدمه
مدينة أمغيشيا ولا نظائرها إلا على رأي الزنادقة في الحياة من أنها سجن للنور،

وأنّه ينبغي السعي في إنهاء الحياة لإنقاذ النور من سجنه^(٤٥).
ومهما يكن من أمر، فإنّ بضاعة سيف المزجاة إنّما راجت لأنّه طلائها بطلاء
من مناقب الكبراء، وإنّ حرص هؤلاء على نشر فضائل ذوي السلطة والدفاع
عنهم أدّى بهم إلى نشر ما في ظاهره فضيلة لهم وإن لم تكن لهم في واقعه فضيلة!
والأنكى من ذلك أنّ سيفاً لم يكتف بأختلاق روايات في ظاهرها مناقب
للصحابة من ذوي السلطة ويدسّ فيها ما شاء لهدم الإسلام، بل أختلق
صحابة للرسول (ص) لم يخلقهم الله! ووضع لهم ما شاء من كرامات وفتوح
وشعر ومناقب كما شاء! وذلك معرفة منه بأنّ هؤلاء يتمسكون بكلّ ما فيه مناقب
لأصحاب الحكم كيف ما كان، فوضع وأختلق ما شاء لهدم الإسلام! اعتماداً
منه على هذا الخلق عند هؤلاء! وضحكاً منه على ذقون المسلمين! ولم يجيب
هؤلاء ظنّ سيف، وإنّا روجوا مفترياته زهاء ثلاثة عشر قرناً!



أوردنا إلى هنا أمثلة ممّا أختلقه سيف للطعن بالإسلام وأطره بإطار مناقب
كبراء الصحابة والتابعين أي ذوي السلطة منهم، وفي ما يأتي ندرس أمثلة
أخرى منها ممّا أطره بإطار حلّ معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون، كما سيأتي
بيانها.

كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصي معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون

رأينا في ما مرّ بنا كيف دارت المعركة الكلامية بين المدرستين حول نصّ
الوصية مدى سبعمائة سنة منذ عهد أمّ المؤمنين عائشة حتّى عصر ابن كثير،

(٤٥) راجع بحث الزندقة والزنادقة من البحوث التمهيدية في الجزء الأول من (خسون ومائة صحابيّ تخلق).

لأن نص الوصية كان يُشخص قصد الرسول (ص) في سائر النصوص التي نص بها على حق آله في الحكم بدءاً بالإمام عليّ وأنتهاءً بالإمام المهدي، مثل حديث الغدير وحديث أن عليّاً ولي الأمر بعد الرسول (ص) ووارثه، إلى غيرهما. بينما كانت مدرسة الخلفاء تؤوّل تلك النصوص إلى مدلول الفضيلة لآل الرسول (ص). ومما يوضح ذلك أن علماء أهل الكتاب - مثلاً - عندما كانوا يتكلمون عن وصي خاتم الأنبياء، ما كانوا يعنون غير وليّ عهده من بعده.

وإن أنصار الإمام عليّ (ع) عندما كانوا يذكرون الوصية في خطبهم وأشعارهم. يحتجون بها على حق الإمام عليّ (ع) في الحكم مثل أبي ذرّ على عهد عثمان ومالك الأشتر يوم بيعة الإمام عليّ (ع) ومحمد بن أبي بكر في كتابه لمعاوية، والمهاجرين والأنصار في أشعارهم في الجمل وصفين، والإمام الحسن (ع) عندما خطب ليبيع له، والإمام الحسين عندما خطب على جيش الخلافة بكر بلاء، كلّهم كانوا يحتجون بالوصية، لأنها كانت تشير إلى جميع النصوص التي جاءت بحقهم وتشملها، فكانهم في احتجاجهم بالوصية يدلون بجميع تلك النصوص.

وإن قيام العلويين المطالبين بالحكم لم ينته باستشهاد الإمام الحسين (ع) وإنما استمرت ثوراتهم على الخلفاء حتى عصر العباسيين، وكان في مقدمة ما يضابق مدرسة الخلفاء في كلّ تلكم القرون في المعركة السياسية شهرة الإمام عليّ (ع) بأنه وصي النبي (ص) لما كان يحتج بها المطالبون بالحكم من العلويين باعتبار أنها تدلّ كما ذكرنا آنفاً على نص النبي (ص) بحق الإمام عليّ (ع) وولده في الحكم.

ومن ثمّ لما أراد المأمون تهدئة ثورات العلويين تظاهر بالاستدلال بالوصية وولى الإمام الرضا العهد من بعده، وبذلك هذا العلويين في كلّ مكان وجلب

رؤوسهم إلى عاصمته وقضى على جُلهم بالسَّم وانتصر عليهم.

إذا كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصي هي معضلة مدرسة الخلفاء مدى القرون، فكيف حل سيف هذه المعضلة؟

سيف يضع حلاً لمعضلة مدرسة الخلفاء

مرُّ بنا كيف كانت مدرسة الخلفاء تعتمد إلى كتمان كلِّ ما فيه ذكر للوصية حذفاً وتحريفاً وطعناً على رواية الحديث والمحتجِّين به، وتأويلاتٍ للنصوص الصريحة للوصية، ولم يبلغ أحدهم شأو سيف في ما وضع من حلِّ لهذه المشكلة العويصة بتحريفه الحقائق إلى ما يناقضها في ما أختلقه من روايات نذكرها في ما يأتي:

أ - روى الطبري^(٤٦) في أول أخبار سنة خمس وثلاثين للهجرة الرواية الآتية:

(عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبا يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام. فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فأعتمر فيهم، فقال لهم في ما يقول: لَعَجَبٌ مَن يزعم أنَّ عيسى يرجع ويكذب بأنَّ محمداً يرجع وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ فمحمَّد أحقُّ بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه فوضع لهم الرجعة فتكلَّموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنَّه كان ألف نبيٍّ ولكلِّ نبيٍّ وصي، وكان عليّ وصيَّ محمَّد. ثم قال: محمَّد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم

(٤٦) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/٢٩٤١ - ٢٩٤٤.

الأوصياء . ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يُجِز وصية رسول الله (ص) ووثب على وصي رسول الله (ص) وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله (ص) فأنهضوا في هذا الأمر فحركوه وأبدأوا بالظعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وأدعوهم إلى هذا الأمر .

فبث دعائه وكاتب من كان أستفسد في الأمصار ، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون ، فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة . وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يُظهرون ويسرون غير ما يُبدون ، فيقول أهل كل مصر : إنا لفي عافية مما أبطل به هؤلاء ، إلا أهل المدينة ، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا : إنا لفي عافية مما فيه الناس وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان ، قالوا : فأتوا عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين ، آياتيك عن الناس الذي يأتينا ، قال : لا والله ما جاءني إلا السلامة ، قالوا : فلما قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم ، قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فاشيروا علي ، قالوا : نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم . فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام وفرق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا : أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعاً : الأمر أمر المسلمين إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم ، وأستبطا الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل ، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم

أَنَّ عَمَّارًا قَدْ آسَتْهُلَهُ قَوْمٌ بِمِصْرَ وَقَدْ أَنْقَطَعُوا إِلَيْهِ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السُّودَاءِ وَخَالِدُ بْنُ مِلْجَمٍ وَسُودَانُ بْنُ حِرَّانَ وَكَثَانَةُ بْنُ بَشَرَ .

ب - روى الذهبي^(٤٧) في أوائل ذكره أخبار سنة خمس وثلاثين هجرية الحديثين الآتين :

أَوَّلًا - (قال سيف بن عمر عن عطية ، عن يزيد الفقعسي ، قال : لما خرج ابن السُّوداء إلى مصر نزل على كنانة بن بشر مرة وعلى سودان بن حمران مرة ، وأنقطع إلى الغافقي ، فشجّه الغافقي فكلمه ، وأطاف به خالد بن ملجم وعبد الله بن رزين واشبّاهُ لهم فصرف لهم القول فلم يجدهم يُجيبون إلى الوصية . . .) إلى آخر الحديث الطويل .

ثانيًا - روى بعد هذا الحديث خبر عَمَّارٍ في مصر كالآتي :

(قال سيف : عن مبشر وسهل بن يوسف ، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، قال : قدم عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مِنْ مِصْرَ وَأَبِي يَسَّالُ ، فَلَبِغَهُ فَبِعَثْنِي إِلَيْهِ أَدْعُوهُ ، فَقَامَ مَعِيَ وَعَلِيهِ عِمَامَةٌ وَسُخَّةٌ وَجَبَّةٌ فَرَأَى ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سَعْدٍ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ يَا أَبَا الْيَقْظَانِ ، إِنْ كُنْتَ فِينَا لِمَنْ أَهْلُ الْخَيْرِ فَمَا الَّذِي بَلَّغَنِي عَنْكَ مِنْ سَعْيِكَ فِي فِسَادِ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّأَلُّبِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمَعَكَ عَقْلُكَ أَمْ لَا ؟ فَأَهْوَى عَمَّارٌ إِلَى عِمَامَتِهِ وَغَضِبَ فَتَزَعَّهَا وَقَالَ : خَلَعْتُ عُثْمَانَ كَمَا خَلَعْتُ عِمَامَتِي هَذِهِ . فَقَالَ سَعْدٌ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَيْحَكَ حِينَ كَبُرَتْ سُنَّتُكَ وَرَقَّ عَظْمُكَ وَنَفَدَ عَمْرُكَ ، خَلَعْتَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِكَ وَخَرَجْتَ مِنَ الدِّينِ عَرِيَانًا . فَقَامَ عَمَّارٌ مَغْضَبًا مَوْلِيًا وَهُوَ يَقُولُ : أَعُوذُ بِرَبِّي مِنْ فِتْنَةِ سَعْدٍ . فَقَالَ سَعْدٌ : أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، اللَّهُمَّ زِدْ عُثْمَانَ بَعْفَوْهُ وَحِلْمَهُ عِنْدَكَ دَرَجَاتٍ ، حَتَّى خَرُجَ عَمَّارٌ مِنْ

(٤٧) تاريخ الإسلام ١٢٢/٢ - ١٢٨ .

الباب . فاقبل عليّ سعد يبكي حتى أخضل لحيته وقال : من يأمن الفتنة ، يا بُنيّ لا يخرجنّ منك ما سمعت منه فإنه من الأمانة وإنّي أكره أن يتعلّق به الناس عليه يتناولونه ، وقد قال رسول الله (ص) : الحقّ مع عتار ما لم تغلب عليه ولهة الكبر ، فقد وله وخرف . وممنّ قام على عثمان ، محمّد بن أبي بكر الصديق ، فسأل سالم بن عبد الله في ما قيل عن سبب خروج محمّد ، قال : الغضب والطمع وكان من الإسلام بمكان ، وغرّه أقوام فطمع وكانت له دالّة ولزمه حقّ فأخذه عثمان من ظهره .

ج - روى الطبري^(٤٨) في أخبار سنة ثلاثين أمر أبي ذرّ كالآتي :

(عن سيف ، عن عطية ، عن يزيد الفقعسي ، قال : لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذرّ فقال : يا أبا ذرّ ألا تعجب إلى معاوية يقول : المال مال الله ، ألا إنّ كلّ شيء لله كأنه يريد أن يحتجته دون المسلمين ويمحو أسم المسلمين ، فأتاه أبو ذرّ فقال : ما يدعوك إلى أن تُسمّي مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله يا أبا ذرّ ، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ، قال : فلا تقله . قال : فإنّي لا أقول إنّه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين . قال : وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له : من أنت ؟ أظنك والله يهودياً . فأتى عبادة بن الصامت فتعلّق به فأتى به معاوية فقال : هذا والله الذي بعث عليك أبا ذرّ . وقام أبو ذرّ بالشام وجعل يقول : يا معشر الأغنياء وأسوأ الفقراء ، بشرّ الذين يكتنزون الذهب والفضّة ولا يُنفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبه على الأغنياء وحتى شكّا الأغنياء ما يلقون من الناس . فكتب معاوية إلى عثمان : إنّ أبا ذرّ قد أعضل بي وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب إليه عثمان : إنّ

(٤٨) تاريخ الطبري ، ط . أوروبا ١/٢٨٥٨ - ٢٨٥٩ .

الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها فلم يبق إلا أن تثبت فلا تنكأ القرع وجهه
أبا ذر إلى وأبعث معه دليلاً وزوده وأرفق به وكفكف الناس ونفسك ما
استطعت فإنها تمسك ما أستمسكت، فبعث بأبي ذر ومعه دليل، فلما قدم
المدينة ورأى المجالس في أصل سلع قال: بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب
مذكارة. ودخل على عثمان فقال: يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذربك؟ فأخبره
أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالاً، فقال: يا أبا ذر
علي أن أقضي ما علي وأخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن ادعوهم
إلى الاجتهاد والاقتصاد، قال: فتأذن لي في الخروج؟ فإن المدينة ليست لي
بدار. فقال: أو تستبدل بها إلا شراً منها، قال: أمرني رسول الله (ص) أن
أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً. قال: فأنفذ بها أمرك به. قال: فخرج حتى
نزل الريزة فحط بها مسجداً وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين
وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابياً، ففعل).

دراسة روايات سيف في أخبار الفتن

اختلف سيف هذه الاخبار ونظائرها في الدفاع عن الخلفاء الأمويين:
عثمان، ومعاوية، ومروان، والولادة: الوليد، وسعد بن أبي سرح، وغيرهم من
كبراء بني أمية، فراجت قصصه المختلفة في أخبار تلك الفتن، وانتشرت في
مصادر الدراسات الإسلامية أنتشار النار في الهشيم، كما برهننا على ذلك في أول
الجزء الأول من (عبد الله بن سبأ)، وأثبتنا الصحيح من أخبار تلك الفتن في
فصل (في عصر الصهرين) وفصل (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أم المؤمنين
عائشة) الجزء الأول، ونشير في ما يأتي إلى أمثلة من أنواع الاختلاق والتحريف
في روايات سيف السابقة.

الاختلاق والتحريف في روايات سيف الأنفة الذكر

أولاً - أمثلة من الاختلاق في الروايات السابقة :

أ - اختلق سيف رواة الحديث : عطية ومبشر وسهل بن يوسف ويزيد الفقعسي وهذا بيانه :

أمّا عطية، فقد تخيّل سيف : أبن بلال بن أبي بلال، هلال الضبي وأختلق له أبناً سواه الصّعب، وأسند إليهم رواية بعض مختلفاته من الروايات ؛ تارة يروي الابن منهم عن أبيه، وتارة يروي عن غيره، وهؤلاء درسناهم وأحصينا الروايات التي أسندها سيف إليهم في كتابنا (رواة مختلفون)، وقارناً بين بعض ما أسند إليهم سيف من روايات في ترجمة القعقاع الصحابي المختلق بكتابنا (خمسون ومائة صحابي مختلق) الجزء الأول، وفي خبر العللاء الحضرمي بكتابنا (عبد الله بن سبأ) الجزء الأول .

وسهل بن يوسف تخيّل سيف نسبه هكذا : سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري، وقد ترجمناهم وأحصينا روايات سيف عنهم في كتاب (رواة مختلفون) ودرسنا روايات سيف عنهم في ترجمة القعقاع بكتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) .

ومبشر تخيّل : مبشر بن فضيل وقد درسناه ودرسنا رواية سيف عنه في خبر السقيفة بكتابنا (عبد الله بن سبأ) الجزء الأول .

ويزيد الفقعسي : لم نجد له ذكراً في ما بحثنا من كتب الحديث والسير والتاريخ والأدب والأنساب والطبقات وتراجم الرجال عدا خمس روايات لسيف في تاريخ الطبري ورواية واحدة له في تاريخ الإسلام للذهبي، وكأنّ الله لم يخلقه إلا لبروي سيف عنه، ولذلك اعتبرناه من مختلفات سيف من الرواة .

ب - اختلق سيف، العافقي وغيره، في متون الأحاديث السابقة وترك

إحصاء ما أختلق فيها والبرهنة عليها ، لثلاً يطول بنا الكلام .

وأختلق في متون الأحاديث السابقة أيضاً الأخبار الآتية :

أ - قصة عبد الله بن سبأ في تلك الفتن ويكفي لمعرفة ما أختلقه مقارنتها بالأخبار الصحيحة التي أوردناها في فصلي (في عصر الصهرين) و (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة) الجزء الأول .

ب - من ضمن هذه الأخبار المختلفة متابعة الصحابين عمار وأبي ذر لعبد الله بن سبأ الذي تخيله يهودياً من أهل اليمن . . . وألحق بهما في متابعتها عبد الله بن سبأ ، صحابة وتابعين آخرين وسمى جميعهم بالسبائيّة .

ج - اختلق خبر إرسال الخليفة عثمان رجلاً إلى الأمصار لتحقيق ما تصل إليه من الشكاوي ، وتخيلهم هكذا : محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعمار بن ياسر إلى مصر ، وعبد الله بن عمر إلى الشام ، وأن جميعهم رجعوا مخبرون عن رضا الناس عن ولايتهم ما عدا عمار بن ياسر الذي تبع عبد الله بن سبأ اليهودي وبقي في أرض مصر يفسد فيها .

إختلق سيف جميع تلك الأخبار بتفاصيلها ، ولم يرد ذكر شيء منها عند أي واحد من المؤرخين غيره . والخبر الصحيح في ذلك ما ذكرناه في كتاب (أحاديث عائشة) عن أنساب الأشراف للبلاذري وغيره .

د - إختلق خبر أبي ذر مع معاوية وحرفه والروايات الصحيحة في خبره - أيضاً - ما أوردناه في كتاب (أحاديث عائشة) .

هـ - إختلق غيرها مثل المكاتبات التي تخيل أنها جرت بين الخليفة عثمان وعياله وغير ذلك .

ثانياً - أمثلة من التحريف في الروايات السابقة :

أ - تحريف في الأسماء :

حرف اسم عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي وعبد الله بن وهب

السبائي من رؤساء الخوارج في حرب النهروان وسماهما خالد بن ملجم وعبد الله ابن سبأ كما برهننا على ذلك في فصل (تصحيف وتحريف) من كتاب (عبد الله ابن سبأ) الجزء الثاني.

ب - تحريف في الأخبار، مثل :

تحريفه خبر عبادة بن الصامت ومعاوية . والصحيح منه ما أورده في فصل (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة) .

وتحريفه خبر القول بالرجعة وقوله : إِنَّ أَبِن سَبَأَ أَخْتَرَعَهُ ، ويطول بنا البحث عن أدلته في الكتاب والسنة ، ونقتصر على إبراد خبر واحد كالآتي :

لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ (ص) كَانَ الصَّحَابِيُّ أَبُو بَكْرٍ يَمْنُزِلُهُ فِي السَّنْحِ ، وَأَخَذَ الصَّحَابِيُّ عُمَرُ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَوَفَّى . وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَا مَاتَ ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فَغَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ قِيلَ مَاتَ ، وَاللَّهُ لِيرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ^(٤٩) .

وتحريفه خبر القول بالوصية ونسبته إلى أبين سبأ اليهودي وقد مر بنا البحث عنها في ما سبق .

وتحريفه رواية رسول الله (ص) في حق عمار بقوله : (الْحَقُّ مَعَ عَمَّارٍ مَا لَمْ تَغْلِبْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْكِبَرُ) وَأَنَّ سَعْدًا قَالَ : إِنَّ عَمَّارًا وَلَهُ وَخَرَفَ ، بَيْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي حَقِّهِ الْحَدِيثُ الْآتِي :

عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله :
«إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ ، كَانَ أَبِنُ سَبِيَّةٍ مَعَ الْحَقِّ» ^(٥٠) .

(٤٩) راجع تفصيل الخبر في فصل وفاة الرسول (ص) من كتاب (عبد الله بن سبأ) ، الجزء الأول .

(٥٠) راجع تاريخ الذهبي ١٧٩/٢ . وتاريخ أبين كثير ٢٧٠/٧ .

وفي طبقات ابن سعد^(٥١): قال الإمام علي في رثاء عمار:
(إنَّ عماراً مع الحقِّ والحقَّ معه، يدور عمار مع الحقِّ أينما دان).
إنَّ سيف بن عمر حرَّف هذه الأحاديث في حقِّ عمار وزاد فيها: (ما لم
تغلب عليه ولهة الكبر).

ومن حديث رسول الله في عمار ما رواه ابن هشام في خبر بناء مسجد
الرسول (ص) أنَّ رجلاً تعرَّض لعمار، فقال رسول الله (ص):
«ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إنَّ عماراً جلدة ما بين
عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فأجتنبه». روى الحديث
ابن هشام ولم يذكر اسم الرجل الذي تعرض لعمار. وذكر أبو ذر في شرح سيرة
ابن هشام أنَّ هذا الرجل هو عثمان بن عفان، وتفصيل الخبر بكتاب (أحاديث
عائشة)، فصل (في عصر الصهرين).

أمَّا أبو ذر فقد قال رسول الله (ص) فيه:
«ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي
ذر»^(٥٢).

مقارنة خبر سيف في الفتن بأخبار غيره
قال الذهبي في تاريخه^(٥٣) في خبر الفتن على عهد عثمان:
(عن الزهري قال: ولي عثمان فعمل ست سنين لا ينقم عليه الناس

(٥١) ط. بيروت ٢٦٢/٣.

(٥٢) سنن ابن ماجة المقدمة، باب ١١ ح ١٥٦. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب
مناقب أبي ذر (رض). ومسند أحمد ١٦٣/٢ و ١٧٥ و ٢٢٣ و ٣٥١ و ٣٥٦ و ٤٤٢/٦. وطبقات
ابن سعد، ط. أوربا ٤/٤ ق ١/١٦٨.

(٥٣) ١٢٢/٢.

شيئاً. وإنه لأحب إليهم من عمر، لأن عمر كان شديداً عليهم. فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم، ثم إنه توانى في أمرهم وأستعمل أقباءه وأهل بيته في الست الأواخر، وكتب لمروان بخمس مصر أو بخمس أفريقية، وآثر أقباءه بالمال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، وأتخذ الأموال وأستسلف من بيت المال، وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإني أخذته فقسمته في أقبائي. فانكر الناس عليه ذلك.

قلت: ومما نعموا عليه أنه عزل عمير بن سعد عن حمص وكان صالحاً زاهداً، وجمع الشام لمعاوية، ونزع عمرو بن العاص عن مصر، وأمر ابن أبي سرح عليها، ونزع أبا موسى الأشعري عن البصرة وأمر عليها عبد الله بن عامر، ونزع المغيرة بن شعبة^(٥٤) عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص.

وقال: دعا عثمان ناساً من الصحابة فيهم عمار فقال: إني سألكم وأحب أن تصدقوني. نشدتكم الله أن تعلمون أن رسول الله (ص) كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكتوا، فقال: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلوها^(٥٥).

* * *

لا يتسع المجال لذكر ما فعله الولاة والأمراء من بني أمية في السنوات الست التي ذكرها المؤرخون في مصر والشام والكوفة والبصرة والمدينة، وما جرى بينهم وبين أبرار الصحابة والتابعين، وإنما تقتصر على ذكر بعض ما كان من أمر أبي ذر خاصة معهم.

٥٤) في النسخة: المغيرة بن شعبة خطأ، ولما نزع سعد بن أبي وقاص.

٥٥) قال المؤلف: ولكن مفاتيح بيوت أموال المسلمين كانت بيده.

أبو ذرٍّ في موسم الحج بمنى

عن أبي كثير عن أبيه ، (قال : أتيت أبا ذرٍّ وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه ، فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال : أُولمُ تَنَّهُ عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال : أَرَقِيبُ أَنْتَ عَلِيٌّ؟ لو وضعتُم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفَذْتُ كَلِمَةَ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَبْلَ أَنْ تَحْجِزُوا عَلَيَّ لِأَنْفَذْتُهَا) (٥٦).

اختزل هذا الخبر البخاري في صحيحه وقال :
(قال أبو ذرٍّ : لو وضعتُم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أَنْفَذْتُ كَلِمَةَ سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ (ص) قَبْلَ أَنْ تَحْجِزُوا عَلَيَّ لِأَنْفَذْتُهَا) (٥٧).

وفي شرحه من فتح الباري قال ابن حجر :
(إِنَّ الَّذِي خَاطَبَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَالَّذِي نَهَاهُ عَثْمَانُ (رَضِيَ)) (٥٨).
وقال : (ونكر (كلمة) ليشمل القليل والكثير، والمراد به يبلغ ما تحمله في كلِّ حال، ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل). انتهى كلام شارح البخاري وفسر في ما قال كلام أبي ذرٍّ بأنَّه أراد أنَّه سَيُبَلِّغُ ما سمعه عن رسول الله (ص) وَإِنْ كَانَ كَلِمَةً وَاحِدَةً وَلَا يَنْتَهِي عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ أَشْرَفَ عَلَى الْقَتْلِ.
وفي تذكرة الحفاظ للذهبي :

(وعلى رأسه فتى من قريش، فقال: أما هناك أمير المؤمنين عن الفتيا...) (٥٩) الحديث.

٥٦) سنن الدارمي ١/١٣٧ ، وطبقات ابن سعد ٢/٣٥٤ .

٥٧) كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ١/١٦ .

٥٨) ١/١٧٠ - ١٧١ .

٥٩) ١/١٨ .

أبو ذرٍّ في بيت الله الحرام
 في مستدرك الحاكم^(١٠) بسنده عن حنشل الكناني^(١١)، قال: سمعت أبا
 ذرٍّ يقول وهو يأخذ بباب الكعبة:
 أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذرٍّ، سمعت
 رسول الله يقول:
 «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».
 قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

أبو ذرٍّ في مسجد الرسول (ص) وغيره
 أورد اليعقوبي تفصيل خبر أبي ذرٍّ مع السلطة في تاريخه^(١٢) وقال:
 (ويبلغ عثمان أن أبا ذرٍّ يقعد في مسجد رسول الله، ويحتمع إليه
 الناس^(١٣))، فيحدث بها فيه الطعن عليه. وأنه وقف بباب المسجد فقال:
 أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرٍّ الغفاري، أنا
 جندب بن جنادة الرَبْذِي «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران
 على العالمين ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم» محمد الصفوة من نوح،
 فالآل^(١٤) من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعتره الهادية من محمد إنه
 شرف شريفهم، وأستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسقاء المرفوعة وكالكعبة

١٠ (٦٠/٢) ٣٤٣.

١١ (٦١) حنشل في الإصابة، رجل من غفار.

١٢ (٦٢/٢) ١٧١.

١٣ (٦٣) يظهر من سياق الخبر أن أبا ذرٍّ كان يفعل ذلك في مسجد الرسول في موسم الحج كفعله
 في منى وبباب الكعبة، فإنه لو كان في غير موسم الحج لم يكن بحاجة إلى أن يُعرف نفسه لإخوته
 الذين كانوا يعاشرونه في المدينة.

١٤ (٦٤) في النسخة المطبوعة: (فالآل)، خطأ مطبعي.

المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونية أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد، ووارث علمه. آيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها! أما لو قدمتم من قدم الله، وأخرتم من أخر الله، وأقررتهم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لا كلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف أثنان في حكم الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه، فأما إذا فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

وقال اليعقوبي بعده:

(وبلغ عثمان أيضاً أن أبا ذر يقع فيه، ويذكر ما غير ويدل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر، فسره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المسجد، فيقول كما كان يقول ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه . . .) الحديث.

وقال اليعقوبي بعد ذلك ما موجه:

(إن معاوية كتب إلى عثمان أنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر، فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطاء، فقدم به المدينة وقد ذهب لحم فخذه وجرى له مع عثمان ما أدى بعثمان أن ينفيه إلى الريزة، وجرى للوليد والي الكوفة مع أبين مسعود نظير ذلك، فجلده الخليفة إلى المدينة وأمر به، فضرب به الأرض وتوفي على أثر ذلك، وفعل نظير ذلك بعثمان^(٦٥)).

(٦٥) راجع تفصيل أخبارهما بكتاب أحاديث عائشة.

خلاصة خبر الفتن في أخريات عهد عثمان

أطلق الخليفة عثمان يد الولاة من بني أمية على المسلمين وفي بيوت أموالهم، وكلما أشتكى المسلمون إلى الخليفة من ظلم ولاته لم يبال بهم، فتأروا عليه وأصبحت بنو تميم عندئذ تعارض عثمان وتطمح بالخلافة لطلحة وآل الزبير للزبير، وكان ما عداهم وما عدا بني أمية جلّ الأنصار وسائر أصحاب رسول الله (ص) يدعون للإمام عليّ. وأخيراً قتلّ الثائرون عثمان ولم ينصره الأنصار وغيرهم، ثمّ تجمّع المهاجرون والأنصار على الإمام عليّ فبايعوه وخضع طلحة والزبير للرأي العام وبايعا عليّاً في مقدمة من بايعه من صحابة رسول الله (ص). ولما قسّم الإمام عليّ بيوت الأموال بالسوية ثارت نائرة الطبقة المتميزة وعلى رأسهم طلحة والزبير، فأجتمعوا مع أم المؤمنين عائشة بمكة، وجمعوا حولهم بني أمية، وأظهروا الطلب بدم عثمان، وساروا إلى البصرة وتغلّبوا عليها، وجّهوا جيشاً لقتال الإمام عليّ، فخرج الإمام من المدينة وآلتقى بهم خارج البصرة، وركبت أم المؤمنين عائشة جملًا، وقادت العسكر، وقاتلوا جيش الإمام عليّ، فقتل في المعركة منهم من قتل وأستسلم الباقون، فعفا عنهم الإمام عليّ.

هذه خلاصة خبر الفتن في عصر عثمان وبيعة الإمام عليّ وحرب الجمل بالبصرة، ذكرنا أخبارها ومصادر الأخبار في كتاب (أحاديث عائشة).

نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المخلتقة في الفتن والروايات الصحيحة

روى سيف أن يهوديًا من صنعاء اليمن أسمه عبد الله بن سبا أبى الأمة السوداء تظاهر على عهد عثمان بالإسلام وسار في عواصم البلاد الإسلامية ومدنها: المدينة والشّام والكوفة ومصر يدعو إلى القول برجعة الرسول بعد وفاته

وَأَنَّ عَلِيًّا وَصِيَّهُ وَأَنَّ عَثْمَانَ غَاصِبٌ حَقٌّ هَذَا الْوَصِيُّ، فَيَجِبُ السُّوْبُ عَلَيْهِ
لِلْإِرْجَاعِ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَمَّنْ بِهِ أَبْرَارُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) نَظَرَاءَ أَبِي ذَرٍّ
وَعَمَّارٍ وَحَجْرِ بْنِ عَدِيٍّ إِلَى عَشْرَاتِ أَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ سَمَّاهُمُ بِالسَّبَائِيَّةِ وَأَنَّ أَبْنَ سَبَا
الْيَهُودِيَّ عَلَّمَهُ هَؤُلَاءِ أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَنْ
يَكْتُبُوا فِي عَيْبٍ وَلَا تَهْمُ وَيُثِيرُوا النَّاسَ عَلَيْهِمْ، فَفَعَلُوا، وَأَنَّ عَمَّارًا كَانَ قَدْ خَرَفَ
كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ الرَّسُولُ، وَكَذَلِكَ أَبُو ذَرٍّ، فَأَمْتَلِ السَّبَائِيَّةُ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعُونَ
تَعْلِيمَاتِ أَبْنِ سَبَا، وَجَلَبُوا النَّاسَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَتَلُوا عَثْمَانَ فِي دَارِهِ وَبَايَعُوا عَلِيًّا،
وَسَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ لِلطَّلَبِ بِدَمِ عَثْمَانَ، وَسَارَ خَلْفَهُمُ الْإِمَامُ
عَلِيٌّ وَالتَّقُوا خَارِجَ الْبَصْرَةِ وَتَذَاكُرُوا فِي الصَّلَاحِ وَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى الصَّلَاحِ، فَتَخَوَّفَ
السَّبَائِيُّونَ^(٦٦) مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِمْ وَأَنْدَسُوا فِي أَلْجِيشِينَ لِيَلَّا وَتَرَامُوا بِالسَّهَامِ مِنَ
الْجَانِبِينَ وَأَثَارُوا الْحَرْبَ بَيْنَ الْجِيشِينَ، فَقَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ دُونَ أَنْ يَتَنَبَّهُ
إِلَى مَكِيدَتِهِمْ مِنَ الْجِيشِينَ أَحَدٌ، لَمْ يَتَنَبَّهُوا هُمْ وَقَادَتِهِمْ إِلَى مَنْ يَرْمِي السَّهَامَ مَعَ
أَنَّ رِمَاةَ السَّهَامِ كَانُوا مَنْدُسِينَ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ.

قال سيف: هكذا وقعت الحرب وانتهت بنصرة جيش الإمام علي.
روى سيف هذه الأخبار في مشات من رواياته المختلفة ورواها عَمَّنْ
اختلفهم من الرواة من ضمنهم من ذكر أسماءهم في الروايات السابقة، وقد
أشرنا إلى الصحيح من أخبارها في ما مضى، ولم يخف على فطاحل العلم أمثال
الطبري وأبن الأثير وأبن عساكر وأبن كثير وأبن خلدون وغيرهم أَنَّ سَيْفَ بْنَ
عَمْرِ مَتَّهَمٌ بِالزُّنْدَقَةِ وَأَنَّ عُلَمَاءَ الرِّجَالِ أَجْمَعُوا عَلَى نَعْتِهِ بِالْكَذِبِ وَلَمْ يَوْثِقْ أَحَدٌ
مَنْهُمْ، بَلْ رَأَيْنَا هَؤُلَاءِ بَأَنْفُسِهِمْ يَضَعُفُونَ حَدِيثَهُ كَمَا نَقَلْنَا عَنْهُمْ فِي كِتَابِنَا (عبد

(٦٦) السَّبَائِيُّونَ فِي رَوَايَاتِ سَيْفٍ هُمْ عَمَّارٌ وَحَجْرُ بْنُ عَدِيٍّ وَصَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ وَمُعَمَّدُ بْنُ
أَبِي بَكْرٍ وَمَالِكُ الْأَشْثَرُ وَنَظَرَاؤُهُمْ. رَاجِعْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَا الْجُزْءَ الثَّانِي، فَصَلْ (حَقِيقَةُ أَبْنِ سَبَا
وَالسَّبَائِيَّةِ).

الله بن سبأ)، وكذلك لم تحفّ عليهم الروايات الصحيحة في تلك الأخبار وإنما كرهوا ذكرها كما نصّوا على ذلك، فكتبوا الأخبار الصحيحة لما قالوا إنّ العامة لا تحتمل سماعها، وليتهم أكتفوا بكتان الأخبار الصحيحة في هذا الشأن كما فعلوا بكثير من الأخبار الأخرى ولم ينقلوا الأخبار المكذوبة بدلاً من الأخبار الصحيحة ولم ينشروا الأخبار المختلفة بين الناس مع علمهم بكذبها، فإنهم كانوا يعلمون بكذب ما نسب سيف إلى عمّار وأبي ذرّ وأبن مسعود وحجر بن عدي إلى عشرات غيرهم من الصحابة والتابعين في ما افتراه عليهم من أنهم اتّبِعوا يهودياً أمرهم بالإفساد بين المسلمين وإيقاع الفتنة والفساد بينهم حتى قتل بعضهم البعض الآخر وهم لا يدركون ما يعملون! على عقول من صدّق هذه الخرافات، العفا! كيف يصدّقون أنّ الخليفة عثمان لم يتنبّه إلى هذا اليهودي على حدّ زعم سيف في إثارة الفتن! وكيف لم يسأل عمّار وأبو ذرّ الإمام عليّاً عما يدعوا له اليهودي من أنه وصيّ رسول الله (ص)؟ وكيف لم يسأله ربيبه عمّد بن أبي بكر عن صدق مزعمة هذا اليهودي؟!

لست أدري كيف يصدّقون هذه الأكاذيب؟! ولست أزعم أنّ العلماء صدّقوا بحديث سيف، كلاً، فإنهم يعلمون كذب ما آخذه وأفتراه وإنما عجبني من عامّة الناس كيف يصدّقون هذه الأساطير الخرافية؟ فإنّ العلماء الذين نشروا أكاذيب سيف كانوا يعلمون كذبه وإنما تقبّلوا لأنّ الزنديق طلائها بطلاء الدفاع عن ذوي السلطة في ما انتقدوا عليه، مثل ما فعل في ما انتقد عليه خالد على قتله مالك بن نويرة ونكاحه زوجته في ليلته، وفي ما رُمي به المغيرة بن شعبه زمان إمارته على البصرة، وفي خبر دره سعد بن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، وفي خبر الوليد وحدّه على شرب الخمر. إنّ سيف ابن عمر عالج جميع ما انتقد عليه هؤلاء وغيرهم من الخلفاء والولاة وذوهم، فلم يهتمّ كبار العلماء عندئذ أنّ ينشروا ما افتراه هذا الزنديق على أبرار الصحابة

الفقراء، أمثال ابن مسعود وأبي ذرٍّ وعمّار تحت غطاء الدفاع عن أولئك، لأنَّ المهمَّ عندهم كتمان ما يعاب عليه الخلفاء والولاة وذوهم عن عامة النَّاس. وينشر أكاذيب سيف بلعوا غايتهم وبلغ سيف - أيضاً - غايته من تسخيف صحابة النبيِّ الأبرار ونشر الأراجيف السخيفة في التاريخ الإسلامي بدافع الزندقة.

ويظهر من قول الطبري في ذكر سبب قتل عثمان: (فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل لدعت إلى الإعراض عنها)^(٢٧) أنَّ العلل التي دعت إلى كتمان الأخبار الصحيحة، هي كتمان الأخبار التي تعاب بها سلطة الخلافة عن عامة النَّاس، كما سبق لنا أن نقلنا منه أنَّه قال: (مما لا يتحمَّله عامة النَّاس).

وخلاصة القول: إنَّهم في هذا الصنف من الكتمان، يحرفون حديث الرسول (ص) وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه وأخبارهم الصحيحة ويبدلونها بأخبار مختلفة، كما فعل سيف ذلك بدافع زندقته. وأنَّ العلماء يروجون هذه الروايات المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة مع علمهم بأنَّها غير صحيحة لما يجدون فيها دفاعاً عن السلطة الحاكمة وذوهم من خلفاء وولاة وأمراء!!! وهذا النوع من الكتمان غير قليل عند علماء مدرسة الخلفاء.

خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء

قد رأينا العلماء بمدرسة الخلفاء مجمعين على كتمان كلِّ رواية أو خبر يسبب توجيه النقد إلى ذوي السلطة في صدر الإسلام، وولاتهم وذوهم، محتجِّين في ذلك بأنَّ أولئك كانوا من صحابة الرسول (ص). ولا يصحَّ ذكر ما يسبب انتقادهم، بينما هم نشروا من الروايات المكذوبة ما فيه طعن على أبرار صحابة رسول الله (ص) الفقراء أمثال عمّار وأبي ذرٍّ وابن مسعود.

(٦٧) تاريخ الطبري، ط. أوروبا ١/ ٢٩٨٠.

وفي سبيل الدفاع عن ذوي السلطة، تارة يكتمون كل الرواية والخبر، وأحياناً يمحذون من الخبر والرواية بعضها الذي يُوجّه النقد إلى ذوي السلطة بسببها، ويأتون بباقي الرواية تمّاً لا يوجب النقد عليهم، وتارة أخرى يبذلون من الرواية والخبر ما يسبب النقد على الولاة بكلمة مبهمّة لا يفهم منها شيء من المراد، وأخرى يُحرّف بعضهم الخبر والرواية بأنواع التحريف حتّى يبلغ الأمر أن يجعل الحليم البارّ ظالماً سفيهاً، والظالم المتعنت بارّاً حليماً؛ أيّ يبذل الشيء إلى نفيضة تماماً ثمّ يتسابق الآخرون إلى نشر ذلك الخبر المحرّف والرواية المختلفة وتوثيقها وإشاعتها في المجتمعات الإسلامية بّدل الخبر الصحيح والرواية الصحيحة التي تُسبّب النقد على الحكّام والأمراء، ويتسابقون كذلك ويتعاونون في تضعيف الرواية التي تسبّب النقد لذوي السلطة والطعن على رايها وعلى مؤلّف الكتاب الذي أورد الرواية فيه بأنواع الطعون والتضعيف والتسخيف، وإنّ لم يستطيعوا كلّ ذلك أولوا تلك الرواية والخبر إلى ما فيه مصلحة ذوي السلطة ويبذل النقد الموجّه إليهم إلى مدحهم والثناء عليهم.

ويحترمون من ألّزم هذا الاتجاه ويحلوّنه على قدر ألّزمه الأسلوب المذكور، يؤثّقون الراوي الملتزم بذلك ويصفون خبره بالصحيح، ويصفون تأليف المؤلف الملتزم بهذا النهج بالوثاقة والصحة على قدر ألّزامها المسلك المتفق عليه، ويشهرونها ويذكرونها بكلّ تجلّة واحترام. ومن ثمّ اشتهرت سيرة ابن هشام في مدرسة الخلفاء ومن تابعهم بالوثاقة للالتزام ما اتّفقوا عليه، وأهمّلت سيرة ابن إسحاق لعدم التزام الأسلوب المقبول عندهم، وتركوا تدارسها وأستنساخها حتّى أدّى ذلك إلى فقدان سيرة ابن إسحاق في حين أنّ ابن هشام أخذ جميع ما حوته سيرته من سيرة ابن إسحاق مع إسقاط (ما يسوء الناس ذكره) من سيرة ابن إسحاق بحسب تعبيره.

ومن ثمّ - أيضاً - أصبح تاريخ الطبري أوثق مصادر التاريخ الإسلامي

وأكثرها شهرة وأعتباراً وأصبح مؤلفه الطبري إمام المؤرخين بمدرسة الخلفاء، لأنه باتباعه المنهج المذكور بثّ روايات سيف التي كان يعلم كذبها ومغالفتها للحق والواقع التاريخي في أخبار عصر الصحابة أو بالأحرى الخلفاء الأوائل، ثم تهافت العلماء على أخذ ما جاء منها في تاريخ الطبري ونشرها في مصادر الدراسات الإسلامية وأهمّلوا الأخبار الصحيحة في مقابلها حتى نسيت وفقدت من المجتمعات الإسلامية.

ومن ثمّ - أيضاً - أصبح البخاري إمام المحدثين بمدرسة الخلفاء، وأصبح صحيحه أصحّ كتاب بعد كتاب الله عندهم، وأصبحت الأحاديث الصحيحة في غير صحيحه أو صحيح مسلم غير معتبرة.

منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية

إذا أمعنا النظر في بحوثنا السابقة وما يأتي في بحوث أبحاث الخلفاء من الجزء الثاني لهذا الكتاب، عرفنا منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية، فقد وجدنا في الموردين أحاديث وُضعت موافقة لسياسة السلطات الحاكمة ومصلحتها، مقابل الروايات الصحيحة التي كانت تخالف سياستهم ومصلحتهم، ومن ثمّ أنكشف لنا ميزان ثابت لتمييز الحديث القوي من الضعيف، فإنّ الضعيف من الأحاديث المتعارضة في صحيح البخاري في شأن البكاء على الميت - مثلاً - ما وافق سياسة السلطة الحاكمة التي تنهى عن البكاء على الميت وتنسب النهي إلى الرسول (ص)، والحديث القويّ ما خالفها مثل حديث أم المؤمنين عائشة وحديث غيرها التي أخبرت عن جواز البكاء على الميت وأنه من سنة الرسول (ص). وكذلك الضعيف في حديثي أم المؤمنين عائشة المتعارضين في بيان من كان إلى جنب رسول الله (ص) في آخر ساعات حياته ما فيه: (متى أوصى إليه وقد آنخت ومات في صدري)، والقويّ منها حديثها

الآخر الذي جاء فيه أَنَّ الإمام علياً كان إلى جنب الرسول في آخر ساعات حياته لموافقة الأول منها لرغبات الحُكَّام ومخالفة الثاني لسياستهم .

هذا هو الميزان الثابت لمعرفة القوي من الضعيف في أحاديث سَنَةِ الرسول (ص) وسيرة الصحابة والتابعين وسيرة الأنبياء السابقين والأحكام التي اجتهد فيها الخلفاء وفقاً لرأيهم وأمثاها .

نتيجة البحوث وحقيقة الأمر

يرى الباحث المتتبع أَنَّ الميزان الثابت لمعرفة الحق من الباطل بمدرسة الخلفاء إنما هو مصلحة ذوي السلطة ، وَأَنَّ كُلَّ رواية أو خبر يوجّه النقد لهم أو يشينهم فهو ضعيف وغير صحيح وباطل ، وكلُّ كتاب وكلُّ راوٍ أو مؤلّف يروي شيئاً من ذلك فهو ضعيف وغير ثقة ، ويُرمَى بأنواع الطعون . وإذا جاء الحديث أو الخبر من راوٍ لا يستطيعون الطعن عليه وعلى مؤلّف الكتاب ، فإنهم حينئذٍ يؤولون الحديث إلى ما يرغبون فيه . ومن جهة أخرى كلُّ مؤلّف أو راوٍ يذكر مناقب ذوي السلطة ويترك ما يوجّه النقد إليهم ، فهو ثقة وصدوق ، فإذا استطاع أَنْ يُدافع عنهم في ما يروي ويؤلّف ، فهو الثقة المأمون المصدق ، وتنتشر رواياته في الكتب وتذاع . ومن هذا الباب الواسع أدخل سيف الزنديق في سَنَةِ رسول الله (ص) وسيرته وحديثه بمقتضى زندقته ما شاء ، ولذلك - أيضاً - أنتشرت رواياته في أكثر من سبعين مصدراً من مصادر الدراسات الإسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً .

إنَّ سيف بن عمر أدخل في سَنَةِ رسول الله (ص) حديثاً وسيرة ما أختلفه ودرسه في أبواب «رسل النبي (ص)» و«عمال رسول الله (ص)» و«الوافدون على رسول الله (ص)» و«ريب رسول الله (ص)» من كتاب (خمسون ومائة صحابيٍّ مختلف) وكتابنا (رواة مختلفون) وقد مرّ بنا في ما سبق كيف حرّف سيف

حديث رسول الله (ص) في حق عمّار.

كان هذا رأينا في سيف ونظائره مثل أبي الحسن البكري مؤلف كتاب «الأنوار» الذي أدخل أحاديث خرافية في كتاب: سيرة النبي (ص) المختار وغيره من كتبه، ومثل كعب الأحبار الذي أدخل الإسرائيليات في مصادر الدراسات الإسلامية، وقد درسنا أخبارهم وآثارهم في سلسلة (أثر الأئمة في إحياء السنة). كان هذا شأن هؤلاء عندنا.

أما البخاري وصحيحه، وأبن هشام وسيرته، والطبري وتاريخه، وأمثالهم من العلماء الذين ناقشنا أسلوبيهم، فلهم عندنا شأن آخر فإنهم وإن كانوا ينتقدون في شيء من أسلوبيهم، فإنهم مع ذلك قد ذكروا في كتبهم الكثير من سنة رسول الله (ص) الصحيحة سيرة وحديثاً مما نعتمدها ونروها عنهم، وكذلك دأب علماء مدرسة أهل البيت مع من يرون خطأ في عمله العلمي، فإنهم عندئذ ينتقدون أسلوبه أشد الانتقاد رغم أنهم يُحِبُّونَه ويحترمونه ويأخذون منه غير الذي أنتقدوه فيه، وهذا معنى عدم تقليدهم لمن تقدّمهم من العلماء لا في الأحكام الفقهية ولا في دراية الحديث، إنّ علماء مدرسة أهل البيت يُضَعِّفون الحديث الضعيف في أصول الكافي وصحيح البخاري معاً، ويأخذون - أيضاً - الحديث الصحيح من كليهما، وإن المجلسي الكبير (ت: ١١١١هـ) عندما شرح كتاب الكافي في كتابه مرآة العقول نبّه فيه على آلاف الأحاديث الضعيفة الواردة في أبواب كتاب الكافي، وهو أشهر كتاب حديث في مدرسة أهل البيت، وهذا الأمر بمدرسة أهل البيت غالف لما عليه أتباع مدرسة الخلفاء الذين يرون لصحيح البخاري ما يرونه لكتاب الله، ويعتقدون أنّه ليس فيه حديث غير صحيح، بل يرون أكثر من ذلك حيث يرون صحّة ما جاء في صحيح البخاري ومسلم من سنة الرسول (ص) مما لم يرد في كتاب الله، ويصعب عليهم أن يتقبلوا صحّة سنة الرسول (ص) التي جاءت في غير

صحيح مسلم والبخاري ، والكتب الأربعة الأخرى التي سميت جميعها بالصحيح الستة . على أن الكثير من حفظة الحديث بمدرسة الخلفاء غير أولئك الذين ذكرناهم ألفوا في الحديث : الصحيح والمسانيد والسنن والمصنفات والزوائد وغيرها أمثال :

صحيح أبين خزيمة (ت : ٣١١هـ) .

صحيح أبين حبان (ت : ٣٥٤هـ) .

الصحيح المأثورة عن رسول الله (ص) للحافظ أبي علي أبين السكن (ت :

٣٥٣هـ) .

مسند الطيالسي (ت : ٢٠٤هـ) .

مسند أحمد (ت : ٢٤١هـ) .

سنن البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) .

السنن لأبي بكر الشافعي (ت : ٣٤٧هـ) .

المعاجم الثلاثة للطبراني (ت : ٣٦٠هـ) .

المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (ت : ٢١١هـ) .

مصنف أبين أبي شيبه (ت : ٢٣٥هـ) .

مجمع الزوائد للهيثمي (ت : ٨٠٧هـ) .

المستدرك للحاكم (ت : ٤٠٥هـ) .

وعشرات الموسوعات الحديثية الأخرى لمحدثين آخرين .

وفي سيرة النبي والصحابة والفتوح ألف أمثال :

خليفة بن خياط (ت : ٢٤٠هـ) الطبقات والتاريخ .

البلاذري (ت : ٢٧٩هـ) فتوح البلدان وأنساب الأشراف .

المسعودي (ت : ٣٤٥هـ) التنبيه والإشراف ومروج الذهب .

الواقدي (ت : ٢٠٧هـ) المغازي .

ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) الطبقات .

وعشرات المؤلفات المعتبرة الأخرى لمؤلفين آخرين .

لماذا اختص بالاهتمام الصحاح الستة في الحديث إلى حد إهمال غيرها، وفي السير والمغازي: سيرة ابن هشام، وفي التاريخ: تاريخ الطبري، مع عدم العناية بغيرهما .

وخلاصة القول: إن علماء مدرسة الخلفاء يوجّه إليهم النقد في عملهم العلمي لأمرين:

أولاً - إنهم يكتمون من سنة رسول الله (ص) سيرة وحديثاً ومن سائر الأخبار ما يخالف سياسة السلطات الحاكمة مدى القرون سواء أكان ذلك مما يخص سيرة الأنبياء السلف أو سيرة خاتم الأنبياء وأهل بيته وصحابته، أو في العقائد الإسلامية أو تفسير القرآن، كما شاهدنا ذلك من الطبري وابن كثير في تفسير آية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ في كتابهم لفظ (ووصي وخليفتي) في حق الإمام عليّ وتبديلها بـ (كذا وكذا)، وكذلك فعلوا بالنصوص التي تُبين سنة الرسول (ص) في الأحكام الإسلامية التي تخالف أجتهدات الخلفاء، كما سيأتي بيانه في بحث مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى .

ثانياً - لا ينبغي للمسلمين في هذا اليوم وهم على أبواب نهضة إسلامية شاملة أن يبقوا على تقليد أئمة المذاهب الأربعة في الفقه ولا على تقليد أصحاب الصحاح الستة في تصحيح الحديث وتضعيفه وخاصة البخاري ومسلم، وكذلك في الأحكام الإسلامية التي أجتهد الخلفاء فيها في مقابل نصوص سنة رسول الله (ص) بحسب ما رأوه من المصلحة في عصرهم، بل ينبغي أن يبحثوا عن سنة رسول الله (ص) الصحيحة ويظهرها ما أخفي منها بمقتضى سياسة الخلفاء مدى القرون، ثم يجاهدوا في سبيل الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين

والعمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) الصحيحة، وبذلك يتيسر توحيد كلمة المسلمين حول كتاب الله وسنة رسوله (ص) المجمع عليها وما ذلك من لطف الله على المسلمين ببعيد.

عود على بدء في بحث الوصية

لما كانت النصوص الدالة على حق الإمام علي في الحكم بعد النبي (ص) وحق الأئمة من ولده فيها من أهم ما يوجه النقد لمن ولي الحكم دونهم، لم يأل العلماء بمدرسة الخلفاء جهداً في كتمان تلكم النصوص، وكان من أهمها بحث علماء أهل الكتاب بعد وفاة رسول الله (ص) عن وصيه وأقواهم فيه، مثل خبر الرايين اللذين مرّ عليهما الإمام علي في طريق صفين. بينما حفظ نظير تلك الأخبار علماء مدرسة أهل البيت في كتبهم^(٦٨)، مثل خبر عجيء يهوديين في عصر أبي بكر وسؤالهما عن وصي النبي وبعد أن أشار الناس إلى أبي بكر، ولم يجدا أجوبة أسئلتهما عنده، أرسلوا إلى الإمام علي، فحضر وأجاب عن أسئلتهما، فقالا: أنت وصي خاتم الأنبياء، وأسلمنا. وخبر آخرين من أهل الكتاب جاؤوا على عهد عمر وجرى لهم مع عمر وعلي مثل ما سبق ذكره على عهد أبي بكر، وقد مرّ بنا في ما سبق سؤال كعب الأحبار من الخليفة عمر عن أشياء من أحوال رسول الله (ص) وإحالة عمر إياه إلى علي بن أبي طالب، واستمرت أمثال هذه المراجعات من أهل الكتاب وإسلامهم إلى عصور متأخرة، فقد قال ابن كثير في تاريخه^(٦٩) بعد ما نقل من التوراة: أن الله بشر إبراهيم بإسماعيل وأنه يُنميه ويجعل من ذريته اثني عشر عظيماً، ونقل عن ابن تيمية أنه قال: (وهؤلاء البشر بهم في حديث جابر بن سمرة، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا).

(٦٨) راجع أخبارهم في البحار، ط. طهران، الثانية ١٠/١٠ - ٥٠.

(٦٩) ٢٥٠/٦.

قال: وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود، فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فأتبعوهم).

يا ترى ما هي أخبار الكثير من اليهود الذين تشرفوا بالإسلام وأتبعوا الرافضة.

إن العلماء أرتأوا ما قاله الطبري: (لا يحتمل سماعها العامة) فأسقطوا أخبار أهل الكتاب الذين أسلموا وأتبعوا الرافضة جملة وتفصيلا.

عدد الأخبار والروايات والنصوص التي أسقطوها

إذا قارنا ما رواه ابن كثير في تاريخه من الحديث عن رسول الله (ص) في أمر الخوارج الذين قاتلهم الإمام علي (ع) في النهروان والذي بلغ سبع عشرة صفحة من كتابه مع التزوير اليسير من روايات رسول الله (ص) التي بقيت في الكتب في أمر الجمل وصفين أو غيرها مما فيه فضيلة للإمام علي، يمكننا أن نعذر عظم الخسارة في ما أخفي عن الناس من حديث رسول الله (ص) وإنما أبقوا الروايات التي جاءت في شأن الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي، لأن الخوارج أستمروا خروجهم على السلطة بعد الإمام علي أيضاً، وكان في نشر تلكم الأحاديث مصلحة للسلطة، فرووها في جميع كتب الأحاديث وبقيت سالمة إلى يومنا هذا.

ومن أحاديث الرسول (ص) التي كانت تخالف سياسة مدرسة الخلفاء وسعوا في كتمانها، أحاديث الرسول (ص) في حق الإمام علي بأنه وصيه، وكذلك فعلوا بها جاء في شأنه في شعر الصحابة أو نثرهم، كما رأينا أم المؤمنين عائشة أنكرت الوصية، وناقشنا الخبر الذي روي عنها في ذلك؛ وكذلك رأينا: أ - حذف بعضهم من الكلام ما فيه ذكر الوصية دون أن يشير إلى ذلك، كما فعلوه مع قصيدة النعمان بن عجلان الأنصاري.

- ب - حذف بعضهم بعض الخبر مع الإيهام في القول، كما فعله الطبري، وأبن كثير في تفسيرها بلفظ (وصي وخليفتي) في حديث رسول الله (ص).
- ج - حذف بعضهم من الخبر لفظ الوصية وحرف الخبر كما فعله أبن كثير مع خطبة الإمام الحسين (ع).
- د - حذف بعضهم تمام الخبر الذي فيه ذكر الوصية مع الإشارة إليه، كما فعل ذلك الطبري وأبن الأثير وأبن كثير مع كتاب محمد بن أبي بكر.
- هـ - حذف بعضهم تمام الخبر الذي فيه ذكر الوصية مع عدم الإشارة إليه كما فعله ذلك أبن هشام في خبر دعوة الرسول (ص) لبني هاشم لما فيه قوله في علي: «ووصي وخليفتي فيكم».
- و - أول بعضهم معنى الوصية، كما فعل ذلك الطبراني في حديث الرسول (ص) وأبن أبي الحديد في كلام الإمام علي.
- ز - غفل بعضهم عنها وأثبتها في كتاب له، وحذفها وأبدلها بقول مبهم في كتاب آخر له، كما فعله الطبري في تاريخه وتفسيره.
- ح - أثبتها بعضهم في الطبعة الأولى من كتابه، وحذفها في الطبعة الثانية منها، كما فعله محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد (ص).

ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّ آله في الحكم

كُنّا في صدد إيراد النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في حقّ الأئمة من آل الرسول (ص) وكان لابدّ لنا في هذا السبيل من تقديم البحوث السابقة ليعرف أنّ النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّهم مُنيّة بأنواع من الكتمان الذي ذكرناه لأنّها كانت مخالفة لسياسة الخلفاء مدى القرون، ولم يبق منها في كتب مدرسة الخلفاء سوى التزوير اليسير التي غفل العلماء عنها وذكروها في كتبهم ووقفنا الله تعالى للعثور عليها، وها نحن نذكرها في ما يأتي بحوله تعالى، مضافاً إلى ما سبق إيراده من النصوص.

تعيين الوصيّ بالفاظ مختلفة

ذكرنا في تعريف الوصيّ والوصيّة في بحث المصطلحات أنّ تعيين الوصيّ يكون تارة بلفظ الوصيّة ومشتقاتها، مثل أن يقول الموصي لوصيّهِ: أوصيك بعدي بكذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤدّي معنى الوصيّة، مثل أن يقول الموصي لوصيّهِ: أطلب منك أن تفعل كذا وكذا، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بذلك فإنّه يقول تارة - مثلاً - : عهدت إلى فلان، أو أوكلت إليه بأمر كذا وكذا. وقلنا: إنّ جميع هذه الالفاظ ونظائرها تدلّ على أنّ الشخص القتال أوصى إلى الشخص الثاني بما أمّره، بعده. وكذلك شأن رسول الله (ص) في تعيين وصيّهِ من بعده.

ومن تلکم الألفاظ ، ما جاء في اتّخاذ الرسول (ص) أبين عمّه وزيراً له ،
كما يرد في بحث وزير النبی الآتي :

وزير النبی (ص)

أ - في القرآن الكريم مع بيانه من سنّة الرسول :
سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَوْلَ الرَّسُولِ (ص) لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ :
«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟» .

وقد ذكر الله منزلة هارون من موسى في ما حكاه من أمرهما ؛ قال سبحانه
في ما حكاه من طلب موسى من ربّه :
﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي ، أَشَدُّ بِهِ أَزْوَاجاً طه / ٢٩ - ٣١ .

وقال سبحانه في استجابة طلبه :
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾
الفرقان / ٣٥ .

ب - متى اتّخذ الرسول (ص) عليّاً وزيراً ؟
يوم دعا رسول الله (ص) بني عبد المطلب وقال لهم : «أيكم يُؤازرنِي على
هذا الأمر . . . » وأجابه من بينهم الإمام علي وحده ، اتّخذ رسول الله (ص)
يومئذ وزيراً في أمره .

وروت أسماء بنت عميس قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :
«اللّهُمَّ اجْعَلْ لِي وزيراً من أهلي» ، دعا رسول الله (ص) ربّه وقال :
«اللّهُمَّ إِنِّي أَقُولُ كما قال أخِي موسى : اللّهُمَّ اجْعَلْ لِي وزيراً من أهلي

أخي علياً، أشدد به أزرى»^(١).

وبتفسير آية ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي﴾ من تفسير السيوطي:
لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ربه وقال: «اللهم أشدد أزرى بأخي
علي» فأجابه إلى ذلك.

وروى ابن عمر عن رسول الله (ص) أنه قال للإمام علي:
«أنت أخي ووزيرني تقضي ديني وتنجز موعدي...» إلى آخر الحديث في
فضل الإمام علي^(٢).

وأثبت رسول الله (ص) للإمام علي (ع) بقوله له: «أنت مني بمنزلة
هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» جميع ما كان هارون من موسى عدا
النبوّة وفي مقدمة ما كان هارون أنه كان وزير موسى، وسيأتي ذكر مصادره.
وفي نهج البلاغة^(٣): أن رسول الله (ص) قال للإمام علي:
«ولكنك وزير».

وجاء في ما نظم على لسان الأشعث في جوابه لكتاب الإمام علي إليه:
«وزير النبي وذو صهره...»
يتضح جلياً من قول الرسول (ص) لابن عمّه: أنت أخي ووزيرني،
تقضي ديني وتنجز موعدي، أنه عينه وصياً من بعده.
وكذلك الأمر في قوله: خليفتي، الآتي:

خليفة النبي (ص)

ذكرنا في باب من أستخلف النبي (ص) على المدينة في غزواته عن

(١) الرياض النضرة ١٦٣/٢، عن مناقب أحمد بن حنبل.

(٢) معجم الزوائد ١٢١/٩. وكنز العمال، ط. الأولى ١٥٥/٦، عن الطبراني.

(٣) الخطبة ١٩٠.

صحيح البخاري، باب غزوة تبوك: أن رسول الله (ص) لما خرج إلى تبوك وأستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي».

وقد حكى الله عن خبر هارون في ذلك وقال: «وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح...» (الأعراف/ ١٤٢). وفي لفظ إحدى روايتي أحمد بن حنبل بمسنده^(١) عن خبر دعوة الرسول (ص) بني عبد المطلب جاء قول الرسول (ص) في حق علي: «وخليفتي».



هذا ما أمكننا إيرادَه في الوصي والوزير واخليفة في هذه العجالة. وفي ما يأتي ما تبقى من النصوص بعد الكتان بمدرسة الخلفاء. ومنها قوله (ص) في حق ابن عمه، أنه ولي المسلمين بعده، كما يأتي:

ولي المسلمين بعد الرسول (ص)
نص رسول الله (ص) على أن الإمام علياً ولي أمر المسلمين في أماكن متعددة، منها ما في الأحاديث الآتية.

أولاً - حديث الشكوى

في مسند أحمد وخصائص النسائي، ومستدرک الحاکم، وغيرها، واللفظ للأول:

(عن بريدة، قال: بعث رسول الله (ص) بعثين إلى اليمن، على أحدهما

عليّ بن أبي طالب (ع)، وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعليّ على الناس، وإن أفرقتما فكلّ واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فأقتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فأصطفى عليّ (ع) امرأة من السي لنفسه. قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله (ص) يخبره بذلك، فلما أتيت النبي (ص) رفعت الكتاب فقرأ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائد، بعثني مع رجل وأمرني أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله (ص):

«لا تقع في عليّ، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي، وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي»^(٥).

وفي رواية:

(فقلت: يا رسول الله، بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً. قال: فما فارقتني حتى بايعته على الإسلام)^(٦).

وفي صحيح الترمذي، ومسندي أحمد والطبراني، وغيرها، واللفظ للأول، عن عمران بن حصين:

(إن أربعة من أصحاب رسول الله (ص) تعاهدوا - في هذه الغزوة - أن يشكوا علياً إذا لقوا رسول الله (ص). فلما قدموا عليه، قام أحدهم فقال: يا

(٥) مسند أحمد ٣٥٦/٥، وخصائص النائي ص ٢٤، باختلاف يسير. ومستدرک الصحيحين ١١٠/٣ مع اختلاف في اللفظ. وجمع الزوائد ١٢٧/٩. وفي كنز العمال ٢٠٧/١٢ مختصراً عن ابن أبي شيبة، وفي ٢١٠/١٢ منه عن الديلمي؛ وراجع كنوز الحقائق للمناوي ص ١٨٦.

(٦) مسند أحمد ٣٥٠/٥ و٣٥٨ و٣٦١. وجمع الزوائد ١٢٨/٩، عن الطبراني في الأوسط عن بريدة ولفظه: «من كنت وليه فعليّ وليه».

رسول الله، ألم تَر إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله (ص).

وفعل الثاني منهم والثالث والرابع مثل أوّلهم، وفي كلّ مرّة يعرض الرسول عن الشاكّي. قال:

فأقبل رسول الله (ص) والغضب يعرف في وجهه، فقال:
«ما تريدون من عليّ؟! ما تريدون من عليّ؟! ما تريدون من عليّ؟! إنّ عليّاً منّي وأنا منه، إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»^(٧).

شكوى ثانية

في أسد الغابة، وجمع الزوائد، وغيرهما واللفظ للأوّل:
(عن وهب بن حمزة: صحبت عليّاً (رض) من المدينة إلى مكّة فرأيت منه بعض ما أكره فقلت: لئن رجعت إلى رسول الله (ص) لأشكوّنك إليه. فلما قدمت لقيت رسول الله (ص) فقلت: رأيت من عليّ كذا وكذا. فقال:
«لا تغل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي»^(٨)).

زمان الشكوى

ذكر المؤرخون وكتاب السير خُرُوجَ جَينَ للإمام عليّ إلى اليمن، ونراها ثلاث خرجات كما يأتي بيانها إن شاء الله تعالى في باب الاجتهاد، وعلى كلا التقديرين، فإنّ آخرها كانت في السنة العاشرة للهجرة، حيث التحق الإمام برسول الله (ص) في حجّة الوداع قبل يوم التروية. والشكوى المذكورة في

(٧) سنن الترمذي ١٣/١٦٥ باب مناقب علي بن أبي طالب. ومسنّد أحمد ٤/٤٣٧. ومسنّد الطيالسي ٣/١١١ ح ٨٢٩. ومسنّدك الحاكم ٣/١١٠. وخصائص النسائي ص: ١٦ و١٩، ورحلّة أبي نعيم ٦/٢٩٤. والرياض النضرة ٢/١٧١. وكتر العمال ١٢/٢٠٧ و١٥/٢٢٥.
(٨) أسد الغابة ٥/٩٤. وجمع الزوائد ٩/١٠٩.

خرجاته لليمن إن كانت قدّمت لرسول الله (ص) مرتين فإنّ أولاهما وقعت في المدينة قبل العام العاشر، والثانية في مكة وبعد وصول صاحب الإمام إلى النبي (ص) قبل يوم التروية، حيث وصلوا مكة قبل أيام الحجّ. وعلى هذا، فقد توهّم من العلماء من قال: إنّ قصة الغدير وقعت من أجل هذه الشكوى، وذلك لأنّ قصة الغدير وقعت بعد الحجّ، وفي الجحفة وبمحضر من جماهير المسلمين، وحديث الرسول (ص) هنا كان مع الشاكين خاصّة وفي نفس المجلس وبعد إظهارهم الشكوى مباشرة. أما الشكوى الثانية، فصريح الحديث أنها كانت بعد رجوعهما إلى المدينة.

ثانيا - نصوص أخرى لم يعبّر زمانها

عن ابن عباس:

«إنّ النبيّ قال لعليّ: أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي»^(٩).

وعن عليّ:

«أنا النبيّ قال له: «إنّك وليّ المؤمنين بعدي»»^(١٠).

(٩) مسند الطيالسي ١١/٣٦٠ ح ٢٧٥٢. والرياض النضرة ٢/٢٠٣.
 (١٠) تاريخ بغداد للخطيب ٤/٢٣٩. وكنز العمال ١٥/١١٤ و١٢/٢٢١.

الاحتفال بتنصيب الإمام عليٍّ ولياً للعهد بعد الرسول (ص) ووصياً على الإسلام والمسلمين

إحتفال عظيم يقيمه الرسول (ص) لتعيين وليّ عهده من بعده ووصيه على الإسلام والمسلمين، فقد روى الحاكم الحسكاني:

(عن ابن عباس وجابر قالوا: أمر الله محمداً (ص) أن ينصب علياً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله (ص) أن يقولوا حابئ ابن عمه، وأن يقطعوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: **يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** المائدة/ ٦٧. فقال رسول الله (ص) بولايته يوم غدير خم^(١)).

وروى عن زياد بن المنذر أنه كان يقول:

(كنت عند أبي جعفر محمد بن عليّ (ع) وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له: يا ابن رسول الله، جعلني الله فداك، إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولا يخبرنا من الرجل **يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ**

(١) الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الحذاء الحنفي البسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، ترجمته في تذكرة الحفاظ ط. ١٣٩٠/٤، مصر ١٢٠٠/٣، بآخِر الطبعة ١٤. وقد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودي ط. بيروت عام ١٣٩٣ هـ. والحديث في ١٩٢/١ ورقم الحديث ٢٤٩.

رَبِّكَ . . . ﴿١٢﴾ . فقال : لو أراد أن يخبر به لأخبر به ، ولكنّه يخاف . إنّ جبرئيل هبط إلى النبيّ (ص) - إلى قوله : - فقال : إنّ الله يأمرك أن تدلّ أمتك على ولّهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجّهم ، ليلزمهم الحجة من جميع ذلك ، فقال رسول الله (ص) : يا ربّ إنّ قومي قريبو عهد بالجاهليّة ، وفيهم تنافس وفخر ، وما منهم رجل إلّا وقد وتره وليهم ، وإنّي أخاف - أي من تكذيبهم - . فأنزل الله تعالى : ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته - يريد فما بلغتّها تامّة - والله يعصمك من الناس﴾ فلما ضمن الله له بالعصمة وخوفه أخذ بيد عليّ . . . ﴿١٣﴾ .

وروى الحاكم الحسكاني :

عن ابن عباس في حديث المعراج ، أنّ الله عزّ اسمه قال لنبيّه في ما قال : «وإنّي لم أبعث نبياً إلّا وجعلت له وزيراً ، وإنك رسول الله (ص) وإنّ عليّاً وزيرك» .

قال ابن عباس : [فهبط] ﴿١٣﴾ رسول الله (ص) ففكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهليّة - إلى قوله : - فأحتمل رسول الله حتّى إذا كان اليوم الثامن عشر أنزل الله عليه : ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك . . . ﴿١٤﴾ - إلى قوله : - فقال :

«يا أيّها الناس ، إنّ الله أرسلني إليكم برسالة ، وإنّي ضقت بها ذرعاً ، مخافة أن تتهموني وتكذبوني ، حتّى عاتبني ربّي فيها بوعيد أنزله عليّ . . . » ﴿١٤﴾ .

وروى الحسكاني وأبن عساكر :

١٢) شواهد التنزيل ١/ ١٩١ ، وراجع تفسير الآية في أسباب النزول للواحدي ، ونزول القرآن لأبي نعيم .

١٣) كذا جاءت .

١٤) شواهد التنزيل للحسكاني ١/ ١٩٢ - ١٩٣ ، وفي ص ١٨٩ منه نزول الآية فقط .

عن أبي هريرة: أنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ - فِي عِلِّيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ (١٥).
قصد أبو هريرة أنَّ المقصود أن يبلغ ما نزل في علي.
روى الحسكاني:

(عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم وتلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾ ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم قال: «ألا من كنت مولاه...» (١٦).
وروى الواحدى في أسباب النزول والسيوطي في الدر المنثور عن أبي سعيد الخدرى قال:

نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب:
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ (١٧).
وفي تفسير السيوطي:

(عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله (ص) يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - أَنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

(١٥) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٨٧، ورواها ابن عساكر بترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق بطرق كثيرة في الحديث ٤٥٢.
(١٦) الحسكاني ١/١٩٠.

وعبد الله بن أبي أوفى: علقمة بن خالد الحارث الأسلمي. صحابي شهد الحديبية، وعمر بعد النبي (ص)، مات سنة ست أو سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بتقريب التهذيب ١/٤٠٢. وأسند الغابة ٣/١٢١.

(١٧) أسباب النزول ص: ١٣٥. والدر المنثور ٢/٢٩٨، وأراه هو الحديث المرقم ٢٤٤ من شواهد التنزيل، وراجع فتح القدير ٢/٥٧، وتفسير النيسابوري ٦/١٩٤.
الواحدى، هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، ورجعنا إلى كتابه أسباب النزول ط. بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

رسالته . . .) (١٨).

قصد ابن مسعود أنهم كانوا على عهد رسول الله يقرأون في تفسير الآية هكذا.

وكان نزول هذه الآية في غدير خم، وفي ما يلي تفصيل الخبر.

خبر يوم الغدير

لما صدر رسول الله من حجة الوداع^(١٩) نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة^(٢٠) آية ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ . . .﴾^(٢١). فنزل غدير خم من الجحفة^(٢٢) وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام^(٢٣) ووقف هناك حتى لحقه من بعده ورد من كان تقدّم^(٢٤) ونهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهم، ثم بعث إليهم فقم ما تحتهم من الشوك^(٢٥) ونادى بالصلاة جامعة^(٢٦) وعمد إليهم^(٢٧) وظلل لرسول الله (ص)

(١٨) الدر المنثور ٢/٢٩٨.

(١٩) مجمع الزوائد ٩/١٠٥ و١٦٣ - ١٦٥. وأنقل عن هذه الصفحات في ما يأتي من هذا البحث.

(٢٠) رواه الحاكم الحسكاني في ١/١٩٢ - ١٩٣.

(٢١) سبق ذكر مصادره.

(٢٢) مجمع الزوائد ٩/١٦٣ - ١٦٥. وأبن كثير ٥/٢٠٩ - ٢١٣.

(٢٣) مادة (الجحفة) من معجم البلدان.

(٢٤) في تاريخ ابن كثير ٥/٢١٣.

(٢٥) مجمع الزوائد ٩/١٠٥ والسمري: نوع من الشجر، وقم: كُنس. وقريب منه لفظ ابن كثير ٥/٢٠٩.

(٢٦) مسند أحمد ٤/٢٨١. وسنن ابن ماجه باب فضل علي، وتاريخ ابن كثير ٥/٢٠٩، و٥/٢١٠.

(٢٧) مجمع الزوائد ٩/١٦٣ - ١٦٥.

بثوب على شجرة سمرة من الشمس^(٢٨)، فصل الظهر بهجير^(٢٩) ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟» قالوا:

نشهد أنك بآلعت ونصحت فجزاك الله خيراً؛ قال:
«اليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق؟» قالوا:
بلى نشهد ذلك.
قال: «اللهم أشهد».
ثم قال: «ألا تسمعون؟»
قالوا: نعم.

قال: «يا أيها الناس إني فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإن عرضه ما بين بصري إلى صنعاء^(٣٠) فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما». فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟
قال: «كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به، لا تفلتوا ولا تبدلوا؛ وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنها لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لها ربي، فلا تقدموهما فتهلكما، ولا تقصروا عنها فتهلكما، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم^(٣١)».
ثم قال: «ألستم تعلمون أيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

(٢٨) مسند أحمد ٤/٣٧٢. وأبن كثير ٥/٢١٢.

(٢٩) مسند أحمد ٤/٢٨١، سنن ابن ماجه باب فضل علي. وأبن كثير ٥/٢١٢.

(٣٠) كانت بصري أسماً لقريه بالقرب من دمشق، وأخرى بالقرب من بغداد.

(٣١) مجمع الزوائد ٩/١٦٢ - ١٦٣ و١٦٥، وبعض ألفاظه في روايات الحاكم ٣/١٠٩.

١١٠، وأبن كثير ٥/٢٠٩.

قالوا: بلى يا رسول الله! (٣٢).

قال: «الستم تعلمون - أو تشهدون - أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى يا رسول الله (٣٣).

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما (٣٤)، ثم قال:

«أيها الناس! الله مولاي وأنا مولاكم (٣٥)؛ فمن كنت مولاه، فهذا علي مولاه (٣٦). اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه (٣٧)، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله (٣٨)، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه (٣٩).

(٣٢) مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩، ٤/٢٨١. وسنن أبن ماجة ١/٤٣ ح ١١٦، وجاء (نعم) في مسند أحمد ٤/٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢. وأبن كثير ٥/٢٠٩. ولدى أبن كثير ٥/٢١٠: (الست أولى بكل أمرئ من نفسه).

(٣٣) مسند أحمد ٤/٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، وأبن كثير ٥/٢٠٩ و ٢١٢.

(٣٤) في رواية الحاكم الحسكاني ١/١٩٠، فرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه. وفي ص ١٩٣ منه: حتى بان بياض إبطيهما. وضبعاه: الضع يسكون الباء: وسط العضد بلحمه. لسان العرب مادة: (ضبع).

(٣٥) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/١٩١، وعند أبن كثير ٥/٢٠٩: وأنا مولى كل مؤمن.

(٣٦) في جميع المصادر التي ذكرناها إلى هنا في جميع روايات الباب.

(٣٧) مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩ و ٤/٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٥/٣٤٧ و ٣٧٠. ومستدرك الحاكم ٣/١٠٩. وسنن أبن ماجة، باب فضل علي. والحاكم الحسكاني ١/١٩٠ و ١٩١. وتاريخ أبن كثير ٥/٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١٣، وقال أبن كثير في ٥/٢٠٩: قلت لزيد: هل سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه. ثم قال أبن كثير: قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

(٣٨) مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩. وجمع الزوائد ٩/١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧. وشواهد التنزيل ١/١٩٣. وتاريخ أبن كثير ٥/٢١٠ و ٢١١.

(٣٩) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٩١. وتاريخ أبن كثير ٥/٢١٠.

ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَشْهَدُ»^(٤٠).

ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقَا - رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ - حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة/٣.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص):

اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتِمَامِ النِّعْمَةِ، وَرِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ^(٤١).

وَفِي بَابِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ تَارِيخِ الْيَعْقُوبِيِّ:

(إِنَّ آخِرَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ وَهِيَ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ، وَكَانَ نَزُولُهَا يَوْمَ النَّصِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - بِغَدِيرِ خَمٍّ^(٤٢).

فَلَقِيهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ:

هَنِيئًا لَكَ يَا أَبَنُ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ^(٤٣).

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ لَهُ:

بَخٍ بَخٍ لَكَ يَا أَبَنُ أَبِي طَالِبٍ^(٤٤).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى:

هَنِيئًا لَكَ يَا أَبَنُ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ

(٤٠) شَوَاهِدُ التَّنْزِيلِ ١/ ١٩٠.

(٤١) رَوَاهُ الْحَاكِمُ الْحَسَكَانِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ١/ ١٥٧ - ١٥٨ ح ٢١١ وَ ٢١٢، وَعَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ ص ١٥٨ ح ٢١٣، وَفِي تَارِيخِ ابْنِ كَثِيرٍ ٥/ ٢١٤ بِإِيجَازٍ.

(٤٢) الْيَعْقُوبِيُّ ٢/ ٤٣.

(٤٣) مُسْنَدُ أَحْمَدَ ٤/ ٣٨١. وَلَفْظُ (بَعْدَ ذَلِكَ) مِنْ تَارِيخِ ابْنِ كَثِيرٍ ٥/ ٢١٠.

(٤٤) شَوَاهِدُ التَّنْزِيلِ ١/ ١٥٧ وَ ١٥٨.

ومؤمنة^(٤٥).

تنويع الإمام

وكانت لرسول الله عمامة ، تسمى السحاب كساها علياً^(٤٦) وكانت سوداء اللون^(٤٧) وكان الرسول يلبسها في أيام خاصة^(٤٨) مثل يوم فتح مكة^(٤٩)، ورووا في كيفية تنويع الإمام بها يوم الغدير كما يلي :

عن عبد الأعلى بن عدي البهراني قال :
دعا رسول الله (ص) علياً يوم غدير خَمَ فَعَمَّمَهُ وأرخى عذبة العمامة من خلفه^(٥٠).

وعن عليّ (ع) قال :
عَمَّمَنِي رسول الله (ص) يوم غدير خَمَ بعمامة سوداء طرفها على منكبي^(٥١).

وفي مسند الطيالسي وسنن البيهقي قال :
عَمَّمَنِي رسول الله (ص) يوم غدير خَمَ بعمامة سدها خلفي ، ثُمَّ قال : إِنَّ

٤٥) مسند أحمد ٢٨١/٤ ، وسنن أبين ماجة باب فضائل عليّ ، والرياض النضرة ١٦٩/٢ ، ولفظ (بعد ذلك) في تاريخ ابن كثير ٢١٠/٥ .

٤٦) في زاد المساد لابن القيم ، (فصل في ملابسه) : أي الرسول (ص) ، بهامش شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١٢١/١ .

٤٧) جاء ذكر لون العمامة التي تَوَجَّ بها الإمام في رواية عبد الله بن بشر الآتية والإمام نفسه .

٤٨) أشير إلى ذلك في كتب الحديث .

٤٩) صحيح مسلم كتاب الحج ح ٤٥١ - ٤٥٢ . وسنن أبي داود ٥٤/٤ باب في العمامات ، وشرح المواهب ١٠/٥ ، عن معرفة الصحابة لأبي نعيم .

٥٠) الرياض النضرة ٢٨٩/٢ في ذكر تعميمه إياه (ص) بيده ، وأسد الغابة ١١٤/٣ .

٥١) في ترجمة عبد الله بن بشر من الإصابة ٢٧٤/٢ ، قال : أخرجه البخوي .

الله عزَّ وجلَّ أمَدني يوم بدر وحنين بملائكة يعتَمون هذه العمة . . . وقال : إِنَّ
العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين . . . (٥٢).

وعن عليّ (ع) : أَنَّ النبي (ص) عَمَّه بيده، فذَنَّب العِمامة من ورائه ومن
بين يديه، ثُمَّ قال له النبي (ص) : «أدبر»، فأدبر. ثُمَّ قال له : «أقبل»،
فأقبل. وأقبل على أصحابه فقال النبي (ص) : «هكذا تكون تيجان
الملائكة» (٥٣).

وعن أبْن عَبَّاس قال :
لَمَّا عَمَّ رسول الله (ص) عليّاً بالسحاب قال له : «يا عليّ، العمامت تيجان
العرب . . .» (٥٤).

وعن عبد الله بن بشر قال :
بعث رسول الله (ص) يوم غدير خَمَّ إلى عليّ فعَمَّه وأسدل العمامة بين
كتفيه، وقال : «وهكذا أمَدني ربِّي يوم حنين بالملائكة معَمِّين وقد أسدلوا
العمائم، وذلك حجز بين المسلمين والمشركين» (٥٥).

المناشدة

جمع عليّ الناس في رجة مسجد الكوفة (٥٦)، ثُمَّ قال لهم :
أنشد الله كُلَّ امرئٍ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خَمَّ ما سمع

(٥٢) كنز العمال ٤٥/٢٠ . ومسنَد الطيالسي ٢٣/١ . والبيهقي ١٤/١٠ .

(٥٣) كنز العمال ٤٥/٢٠ عن مشيخة أبْن باذان .

(٥٤) كنز العمال عن الديلمي .

(٥٥) هكذا رواه أبْن طاووس في أمان الأخطار، غير أنها في ترجمة عبد الله بن بشر بالإصابة
٢٧٤/٢، رقم الترجمة ٤٥٦٦، ليس فيها لفظ (يوم غدير خَمَّ).

(٥٦) تاريخ أبْن كثير ٢١١/٥ .

إلا قام^(٥٧) ولا يقوم إلا من قد رآه^(٥٨)، فقام ثلاثون من الناس . - وفي رواية - فقام ناس كثير^(٥٩) . وقال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بدرياً، كأنني أنظر إلى أحدهم^(٦٠) فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس : «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، قالوا: نعم يا رسول الله^(٦١) . قال : «من كنت مولاه، فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٦٢)، وأنصر من نصره وأخذل من أخذله^(٦٣)» .

قال عبد الرحمن : فقام إلا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته^(٦٤) .

(٥٧) رواه أبو الطفيل، عامر أو عمرو بن وائلة الليثي، ولد عام أحد، ورأى النبي وعمر إلى أن مات سنة عشر ومائة، وهو آخر من مات من الصحابة، روى عنه جميع أصحاب الصحاح . التهذيب ٣٨٩/١ .

وروايته بسند أحمد ٣٧٠/٤، وفي ١١٨/١ منه بثلاثة أسانيد :

أ - عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم .

ب - عن سعيد بن وهب الهمداني الجنواني، وهو كوفي، ثقة، مخضرم، مات سنة خمس أو ست وسبعين، ترجمته في تهذيب التهذيب وقد رواها أحمد عنه مختصراً في ٣٦٦/٥ .

ج - عن زيد بن شريح الهمداني الكوفي، ثقة، مخضرم، من الطبقة الثانية من الرواة، ترجمته بتهذيب التهذيب ٢٧٧/١ .

(٥٨) في رواية عبد الرحمن بن أبي ليل الأنصاري المدني، الكوفي، ثقة من الثانية روى عنه جميع أصحاب الصحاح، ومات سنة ثيف وثمانين، ترجمته بتقريب التهذيب ٤٩٩/١، والرواية في مسند أحمد ١١٩/١ ح ٩٦٤ .

(٥٩) مسند أحمد ٣٧٠/٤ في حديث أبي الطفيل . وأبين كثير ٢١٢/٥ .

(٦٠) حديث عبد الرحمن بمسند أحمد ٩٦١/١، وفي ٣٧٠/٥ . وأبين كثير ٢١١/٥ .

(٦١) في مسند أحمد ١١٨/١ و ٣٧٠/٤ . وأبين كثير ٢١١/٥ . وجمع الزوائد ١٠٥/٩ .

(٦٢) في مسند أحمد ١١٨/١ و ١١٩، و ٣٧٠/٤، و ٣٧٠/٥، وأبين كثير ٢١١/٥ .

(٦٣) مسند أحمد ١١٨/١ . وتاريخ ابن كثير ٢١٠/٥ .

(٦٤) مسند أحمد ١١٩/١ ح ٩٦٤ .

قال أبو الطفيل: فخرجت وكأَن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إِنِّي سمعت علياً (رض) يقول كذا وكذا. قال: فما تنكره قد سمعت رسول الله يقول ذلك له^(٦٥).

وفي رواية: فقام ثلاثون من الناس^(٦٦).

وفي رواية: جاء رهط من الأنصار إلى علي في الرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا. قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب. قالوا: سمعنا رسول الله (ص) يوم حَمَ يقول: «من كنت مولاه فلانَ هذا مولاه». قال الراوي: فلما مضوا تبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار منهم أبو أيوب. وفي رواية: فقال: من القوم؟ قالوا: مواليك يا أمير المؤمنين^(٦٧).

ما أشبه تعيين الوصي في هذه الأمة

بتعيين الوصي في أمة موسى (ع)

رأينا في التوراة يقول في صدد تعيين الوصي لموسى بن عمران (ع) ما موجزه:

فقال الرب لموسى: خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم وأجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل حسب قوله يدخلون وحسب قوله يخرجون. ففعل موسى ما أمره الرب، أخذ يشوع وأوقفه قدام كل الجماعة ووضع يديه عليه وأوصاه كما تكلم الرب. . . .

ورأينا في القرآن الكريم بعد ما أوحى الله إلى خاتم أنبيائه (ص) في شأن

(٦٥) مسند أحمد ٤/٣٧٠.

(٦٦) مسند أحمد ٤/٢٧٠. والرياض النضرة ٢/١٦٢. وابن كثير ٥/٢١٢.

(٦٧) مسند أحمد ٥/٤١٩. وابن كثير ٥/٢١٢.

الإمام عليّ ما أوحى ، رأيناه يقول : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل لما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ ورأينا النبيّ (ص) بعد ذلك يأمر بالحجيج أن يجتمعوا في غدِير خم ، يرجع إليه من تقدم عليه ويلتحق به من تأخر عنه ، ثمّ يوقف الإمام عليّاً ويرفعه أمام كلّ الجماعة وهم ينوفون على سبعين ألف ومخاطب الجمع ويقول لهم :

«الستم تشهدون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» ولما قال الجمع : اللهم بلى ، جعل الرسول من هيته هذا على الإمام عليّ وقال :

«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»



كان ما أوردناه بعض النصوص الواردة في السّنة النبويّة في تعيين إمام الأئمة وولي الأمر من بعده . ونذكر في ما يأتي بعض ما جاء في كتاب الله في هذا الصدد .



مرکز تحقیقات کلام و تفسیر علوم اسلامی

الولاية وأولو الأمر في القرآن الكريم

أ - ولاية عليّ في القرآن الكريم

نصّت الأحاديث السابقة على ولاية الإمام عليّ على المؤمنين بعد رسول الله (ص)، وهذا بعينه ما عنته الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المائدة/ ٥٥ .
ويؤيد ذلك الروايات الآتية :

في تفسير الطبري ، وأسباب النزول للواحدي وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني وأنساب الأشراف للبلاذري وغيرها^(١) :

عن ابن عباس وأبي ذرٍّ وأنس بن مالك والإمام عليّ وغيرهم ما خلاصته :
(إنّ فقيراً من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول (ص) وسأل، وكان عليّ راكعاً في صلاة غير فريضة^(٢)، فأوجع قلب عليّ كلام السائل، فأوماً بيده اليمنى إلى خلف ظهره، وكان في إصبعه خاتم عقيق يهاني أحمر يلبسه في

(١) تفسير الطبري ١٨٦/٦ . وأسباب النزول للواحدي ص ١٣٣ - ١٣٤ ، وفي شواهد التنزيل ١٦١/١ - ١٦٤ خمس روايات عن ابن عباس وفي ص ١٦٥ - ١٦٦ روايتان عن أس بن مالك، وست روايات أخرى في ص ١٦٧ - ١٦٩ . وأنساب الأشراف للبلاذري ح ١٥١ من ترجمة الإمام ١/ الورقة ٢٢٥ . وغرائب القرآن للسياقوري بهامش الطبري ١٦٧/٦ - ١٦٨ . وأخرج السيوطي كثيراً من رواياتنا في تفسيره ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤ ، وقال في لباب النقول في أسباب النزول ص ٩٠ - ٩١ بعد إيراد الروايات : (فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضاً) .
(٢) يستفاد ذلك من رواية أنس حيث قال : خرج النبيّ إلى صلاة الظهر فإذا هو يعليّ يركع . ونظيرها رواية ابن عباس ، وكلتاهما في شواهد التنزيل ١/ ١٦٣ - ١٦٤ .

الصلاة، وأشار إلى السائل بنزعه، فترعه ودعا له ومضى فما خرج أحد من المسجد حتى نزل جبرئيل (ع) بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾ الآية^(٣)، فانشأ حسان بن ثابت يقول أبياتاً منها قوله:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكم فدتك نفوس القوم يا خير راكم
فأنزل فيك الله خير ولاية فأنبتها في محكمات الشرائع^(٤)

إيراد على دلالة الآية

أورد بعضهم على مصاد الروايات السابقة أن لفظ الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكمون﴾ جمع، فكيف يعبر بلفظ الجمع ويراد به الواحد وهو الإمام علي (ع)؟

قال المؤلف: توهم من قال ذلك، فإن الذي لا يجوز إنها هو استعمال اللفظ المفرد وإرادة الجمع منه، أما العكس فجائز وشائع في المحاورات، وقد جاء نظائره في موارد متعددة في القرآن الكريم، مثل التعابير التي جاءت في سورة المنافقين:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوأو رؤوسهم وأرأيهم يصّدون وهم مستكبرون﴾ إلى قوله: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزانة السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لنن

(٣) إلى هنا أوردنا ملخصه من شواهد التنزيل.

(٤) نقلاً عن كفاية الطالب الباب ٦١ ص ٢٢٨، وبقية مصادر الحديث في تاريخ ابن كثير.

رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ والله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴿ المنافقون / ١ - ٨ .

قال الطبري في تفسير السورة :

إنّما عني هذه الآيات كلّها عبد الله بن أبي سلول . . . وأنزل الله فيه هذه السورة من أولّها إلى آخرها ، وبالنحو الذي قلنا ، قال أهل التأويل وجاءت الأخبار^(٥) .

وروى السيوطي بتفسير الآيات عن أبين عباس أنّه قال :

وكلّ شيء أنزله في المنافقين - في هذه السورة - فإنّما أراد عبد الله بن أبي^(٦) .

وموجز القصة كما نقلها أهل السير وجاء في التفاسير :

(أنّ أجير عمر بن الخطاب ، جهجاه الغفاري ، أزدحم بعد غزوة بني المصطلق مع سنان الجهني حليف بني الخزرج على الماء فأقتلا فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبي ومعه رهط من قومه وفيهم زيد بن أرقم ، غلام حديث السنّ فقال : أقدم فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه إلّا كما قال القائل : سَمَنَ كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ ، ثمّ أقبل على من حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم ومشى به إلى رسول الله وأخبره وعنده عمر بن الخطاب^(٧) .

فقال عمر بن الخطاب : دعني أضرب عنقه يا رسول الله . فقال : إذا ترعد

(٥) تفسير الطبري ٢٨ / ٢٧٠ .

(٦) تفسير السيوطي ٦ / ٢٢٣ .

(٧) تفسير الطبري ٢٨ / ٧٥ .

له آنف كثيرة يثيرب . قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين ، فمر به سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة فيقتلانه . فقال : إني أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه .

فذهب عبد الله إلى رسول الله ، وحلف أنه لم يكن شيء من ذلك ، فلام الأنصار زيدا على قوله . وقالوا لعبد الله : لو رأيت رسول الله يستغفر لك . فلوى رأسه وقال : أمرعوني أن أومن فأممت ، وأمرعوني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت ، فما بقي لي إلا أن أسجد لمحمد ، فنزلت السورة فيه وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾^(٨) .

وهو المقصود من قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوأرؤوسهم...﴾^(٩) .



في هذه السورة عبر الله عن عبد الله بن أبي القائل الواحد ، بقوله تعالى : ﴿هم الذين يقولون﴾ وبقوله عز اسمه : ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوأرؤوسهم﴾ . القائل والفاعل واحد كما أجمع على ذلك المفسرون ، واطبقت الروايات على ذلك ، وإننا ذكرنا هذا على سبيل المثال وإلا فنظائرهما متعددة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى :

﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن﴾ التوبة / ٦١ .

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ آل عمران / ١٧٣ .

﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ آل عمران / ١٥٤ .

(٨) تفسير الطبري ٧٤ / ٢٨ .

(٩) لخصنا روايات متعددة جاءت في تفسير الطبري ٧١ / ٢٨ فيما بعدها ، وتفسير السيوطي ٢٢٢ / ٦ فيما بعدها إلى غير ذلك مما جاء في التفسير والسير .

هذه إلى غيرها مما عُبِّرَ فيها بلفظ الجمع وأريد بها الواحد، تعدّد نظائرها في القرآن الكريم .

ب - أولو الأمر: عليّ والأئمة من ولده

أثبتت الروايات المتظافرة المتواترة السابقة أنّ عليّاً هو مولى المؤمنين ووليّ أمرهم بعد رسول الله (ص)، كما أنّها تفسّر المراد من أولي الأمر في الآية الكريمة :

﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ النساء/ ٥٩ .

ودلّت على ذلك أيضاً الأحاديث الآتية :

أ - في شواهد التنزيل عن عليّ أنّه سأل رسول الله عن الآية وقال : يا نبي الله من هم؟ قال : أنت أوّهم .

ب - وعن مجاهد : ﴿وأولي الأمر منكم﴾ .

قال : عليّ بن أبي طالب ولآه الله الأمر بعد محمّد في حياته حين خلفه رسول الله بالمدينة فأمر الله العباد بطاعته وترك الخلاف عليه .

ج - وعن أبي بصير، عن أبي جعفر :

أنّه سأله عن قول الله : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ .

قال : نزلت في عليّ بن أبي طالب .

قلت : إنّ الناس يقولون : فما منعه أن يسمّى عليّاً وأهل بيته في كتابه؟

فقال أبو جعفر :

قولوا لهم ؛ إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً حتّى كان رسول الله هو الذي يفسّر ذلك ، وأنزل الحجّ فلم ينزل طوفوا أسبوعاً حتّى

فسرّ لهم ذلك رسول الله ، وأنزل : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فنزلت في عليّ والحسن والحسين وقال رسول الله (ص) أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي إني سألت الله أن لا يفرق بينها حتى يردا عليّ الخوض ، فأعطاني ذلك^(١٠).

ج - قول النبي (ص) : مثل أهل بيتي كسفينة نوح (ع) ومثل باب حطة في بني إسرائيل

روى من الصحابة وأهل البيت كلّ من الإمام علي وأبي ذرّ وأبي سعيد الخدري وأبن عباس وأنس بن مالك :
أن رسول الله (ص) قال :

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .
وفي ألفاظ بعضهم :

«ومثل باب حطة في بني إسرائيل» .
المصادر :

ذخائر العقبى للمحبّ الطبري ص : ٢٠ .

مستدرك الحاكم ٣٤٣/٢ ، و ١٥٠/٣ .

حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٠٦/٤ .

تاريخ بغداد للخطيب ١٩/١٢ .

مجمع الزوائد للهيتمي ١٦٨/٩ .

الدر المنثور للسيوطي بتفسير الآية : ﴿وآدخلوا الباب سجّداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾ البقرة/٥٨ .

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ص : ٢٧٠ بترجمة المنصور : عن المأمون عن

(١٠) الأحاديث : أ ، ب ، ج جاءت متواترات في شواهد التنزيل ١٤٨/١ - ١٥٠ .

الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن أبي بن عباس عن النبي (ص):

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».

كنز العمال، ط. الأولى ١٥٣/٦ و ٢١٦.

الصواعق لابن حجر ص: ٧٥، رواها عن الدارقطني والطبراني وأبن

جرير وأحمد بن حنبل وغيرهم.

كل ما ذكرناه في ما سبق نصوص من الكتاب والسنة تدل على تعيين الله

ورسوله (ص) ولي الأمر بعد الرسول (ص). وفي ما يأتي نصوص أخرى بالفاظ

أخرى كما ترد في البحوث الآتية.





مرکز تحقیقات کلام و تفسیر علوم اسلامی

الأئمة: علي وبنوه عليهم السلام مبلغون عن رسول الله صلى الله عليه وآله

حصر القرآن الكريم في عدة آيات وظيفة الرسل في التبليغ مثل قوله تعالى:

﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ المائدة/ ٩٩ .
وقوله ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ النور/ ٥٤ ، والعنكبوت/ ١٨ .

وقوله: ﴿إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ المائدة/ ٩٢ ، والتغابن/ ١٢ .
وقوله: ﴿فهل على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ النحل/ ٣٥ .
وحصر كذلك وظيفة خاتم الرسل خاصة في التبليغ بقوله تعالى:
﴿فإنما عليك البلاغ﴾ آل عمران/ ٢٠ ، والنحل/ ٣٥ ، والرعد/ ١٣ .
وقوله: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ الشورى/ ٤٨ .

وينقسم التبليغ إلى تبليغ مباشر وتبليغ بواسطة ، وإلى تبليغ ما حان وقت عمله وما لم يحن ، مثل حكم الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين وواجب المسلمين تجاه الحاكم الجائر ، وينقسم ما يبلغه الرسول إلى قسمين:

أ - ما أوحى إلى الرسول لفظه ومعناه وهو كتاب الله ويسمى في هذه الأمة بالقرآن الكريم .

قال سبحانه: ﴿وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ الأنعام/ ١٩ .

ب - ما أوحى إلى الرسول معناه دون لفظه . وبلغه الرسول بلفظه الشريف ، مثل تبليغه تفصيل أحكام الشرع .
وقال الله سبحانه : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ الشورى / ١٣ .

إن الرسول (ص) عندما يعين عدد ركعات الصلاة وأذكارها ، ويبين سائر أحكامها وسائر أحكام الشرع الإسلامي ، أو يبلغ أنباء الأمم السابقة والغيوب الآتية في هذه الدنيا أو العالم الآخر ، إنها يبلغ ما أوحى إليه في غير القرآن الكريم ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ويسمى هذا النوع من التبليغ في هذه الأمة بالحديث النبوي الشريف .



حصرت الآيات السابقة وظيفة الرسول بالتبليغ ، وعلى هذا فإن الصفة المميزة للرسول هي التبليغ ، وإذا قال الرسول عن شخص : « إنه مني » يعني إنه منه في أمر التبليغ ولا نقول هذا اعتباطاً ، بل قد وجدنا الرسول يصرح بذلك في قسم من تلك الأحاديث ، مثل ما جاء في قصة تبليغ آيات البراءة التالية :

قصة تبليغ آيات البراءة

جاءت قصة تبليغ سورة البراءة في صحيح الترمذي وتفسير الطبري وخصائص النسائي ومستدرک الصحيحين وغيرها ، عن أنس وأبن عباس وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعمر بن ميمون وعلي بن أبي طالب^(١) ، وأبي بكر . ونختار هنا ذكر موجز رواية الامام عليّ الواردة

(١) سنن الترمذي ١٣/١٦٤ - ١٦٥ . ومسنند أحمد ١/١٥١ ، و٣/٢٨٣ ، وراجع ١٥٠/١ . وخصائص النسائي ص ٢٨ - ٢٩ . وتفسير الطبري ١٠/٤٦ . ومستدرک الصحيحين

في مسند أحمد، قال :

دعا النبي أبا بكر فبعثه براءة لأهل مكة ، لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله (ص) مدة فأجله إلى مدته ، والله بريء من المشركين ورسوله .
قال : فسار بها ثلاثاً ثم قال لعليّ : «إلحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلغها أنت» .
قال : ففعل . فلما قدم على النبي (ص) أبو بكر بكى وقال : يا رسول الله حدث فيّ شيء؟
قال : «ما حدث فيك إلا خير، ولكنّي أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني»^(٣) .

وفي رواية عبد الله بن عمر :

«ولكن قيل لي : أنّه لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»^(٣)

وفي رواية أبي سعيد الخدري :

«لا يبلغ عني غيري أو رجل مني»^(٤) .

تدلّنا القرائن الحالية والمقالية في المقام ، أن القصد من التبليغ في هذه الروايات وما شابهها تبليغ ما أوحى الله إلى رسوله من أحكام إلى المكلفين بها في بادئ الأمر ، وهذا ما لا يقوم به إلا الرسول أو رجل من الرسول .
ويقابل هذا التبليغ الذي يقوم به المكلفون بتلك الأحكام بعد ما بلغوا بها بواسطة الرسول أو رجل من الرسول ، فإنّ لهم عند ذاك أن يقوموا

٣/٥١ و ٧/٢٩ ، و ٩/١١٩ .

(٢) مسند أحمد ٣/١ ، ح ٤ من مسند أبي بكر وقال أحمد شاكر : (إسناده صحيح) . وراجع كنز العمال كتاب التفسير تفسير سورة براءة ٢/٢٦٧ و ٢٧٠ ، وذخائر العقبى ، ص ٦٩ .

(٣) في مستدرک الصحيحين ٣/٥١ .

(٤) في الدرّ المشور بتفسير : «براءة من الله» .

بتبليغها إلى غيرهم، ويَطْرُد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كل من بلغه الحكم إلى أبد الدهر.

وواضح أن الرسول (ص) عني بقوله: «لا يبلغ عني غيري أو رجل مني» التبليغ من النوع الأول.

ويفسر أيضاً لفظ «مني» في أحاديث الرسول (ص) حديث المنزلة الآتي:

عليّ من النبيّ (ص) بمنزلة هارون من موسى

في صحيح البخاري، ومسلم، ومسنّد الطيالسي، وأحمد، وسنن الترمذي، وأبن ماجة وغيرها^(٥) واللفظ للأول: أن رسول الله (ص) قال لعليّ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيّ بعدي».

ولفظ مسلم وغيره:

«إلا أنه لا نبيّ بعدي».

وفي رواية أبن سعد في الطبقات عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا: لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب: إنه لا بدّ من أن أقيم أو تقيم، فخلفه، فلما فصل رسول الله (ص) غزياً قال ناس: ما خلف عليّاً إلا لشيء كرهه منه فبلغ ذلك عليّاً فاتبع رسول الله (ص) حتّى انتهى إليه فقال له: ما جاء بك يا عليّ؟ قال: لا يا رسول الله إلا أنّي سمعت ناساً يزعمون أنك إنما خلّفتني لشيء كرهته مني، فتصاحك

(٥) صحيح البخاري ٢٠٠/٢ باب مناقب علي بن أبي طالب. وصحيح مسلم ١٢٠/٧ باب من فضائل علي بن أبي طالب. والترمذي ١٧١/١٣ باب مناقب علي. والطيالسي ٢٨/١ و٢٩ وج ٢٠٥ و٢٠٩ و٢١٣. وأبن ماجة باب فضل علي بن أبي طالب ح ١١٥. ومسنّد أحمد ١٧٠/١ - ١٧٣ - ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٢٣٠ و ٣٢٠ و ٣٢٢ و ٣٢٨ و ٣٦٩/٦ و ٤٣٨. ومستندرك الحاكم ٣٣٧/٢. وطبقات أبن سعد ١٤/١/٣ و ١٥. وجمع الزوائد ١٠٩/٩ - ١١١. ومصادر أخرى كثيرة.

رسول الله (ص)، وقال: يا عليّ، أما ترضى أن تكون منّي كهارون من موسى غير أنّك لست بنبيّ؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فإنّه كذلك^(١).

وقد مرّ بعض ألفاظ الحديث في باب من استخلفه النبيّ (ص) على المدينة في غزواته.

المراد من لفظ «منّي» في أحاديث الرسول (ص):

إنّ لفظ «منّي» في حديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» يوضح المراد من هذا اللفظ في أحاديث الرسول (ص) الأخرى، وذلك أنّ هارون لما كان شريك موسى في النبوة ووزيره في التبليغ، وكان عليّ من خاتم الأنبياء بمنزلة هارون من موسى بأستثناء النبوة، يبقى لعليّ الوزارة في التبليغ.

وكذلك بين الرسول (ص) المراد من لفظ «منّي» في حديثه يوم عرفات في حجة الوداع حيث قال:

«عليّ منّي وأنا من عليّ. لا يؤدّي عنيّ إلّا أنا أو عليّ»^(٢)، وعلى هذا فإنّ الرسول (ص) فسّر لفظ «منّي» في هذه الأحاديث بكلّ وضوح وجلاء، وصرّح (ص) أنّ القصد منه؛ أنّه منه في مقام التبليغ عن الله إلى المكلفين بلا واسطة. ومن ثمّ يتضح معنى «منّي» في أحاديث أخرى للرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ والذي جاء فيها غير مفسّرة.

مثل ما جاء في رواية بريدة في خبر الشكوى أنّ الرسول (ص) قال له:

(٦) طبقات ابن سعد ٣/١٥١. ومجمع الزوائد للهيتمي ١١١/٩ باختلاف سبيل.
(٧) أخرجه ابن ماجة في كتاب المقدمة، باب فضائل الصحابة ص ٩٢ من الجزء الأوّل من سننه، والترمذي، كتاب المناقب، ١٣/١٦٩ وهو الحديث ٢٥٣١ في ص ١٥٣ من الجزء السادس من الكتّز في طبعة الأولى، وقد أخرجه الامام أحمد في ص ١٦٤ و١٦٥ من الجزء الرابع من مسنده من حديث جثبي بن جنادة بطرق متعددة.

ولا تقع في علي فإنه مني و...^(٨)
ورواية عمران بن حصين: «إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي...»^(٩).



في كل هذه الروايات قصد الرسول (ص) أَنْ عَلِيًّا والأئمة (ع) من ولده، من رسول الله (ص) في حمل أعباء التبليغ إلى المكلفين مباشرة ووظيفتهم من نوع وظيفته، وعلى هذا فهُم منه وهو منهم، يشتركون في التبليغ ويختلفون في أنه يأخذ الأحكام التي يبلِّغها من الله عن طريق الوحي، وهم يأخذونها عن طريق رسول الله (ص) فهم مبلِّغون عن رسول الله (ص) إلى الأمة وقد أعدَّهم الله ورسوله (ص) لحمل أعباء التبليغ، وذلك بما عصمهم الله من الرجس وطهرهم تطهيراً، كما أخبر سبحانه عن ذلك في آية التطهير، وبما أفاض الرسول (ص) على الإمام عليٍّ خاصةً ممَّا أوحى الله إليه، ثم ورث الأئمة من أبيهم الإمام عليٍّ ذلك واحداً بعد الآخر، كما نصَّت على ذلك الروايات الآتية.

حامل علوم الرسول (ص)

في تفسير الرازي وكنز العمال قال علي:

(علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم وتشعب لي من كل باب ألف باب)^(١٠).

وفي تفسير الطبري وطبقات أبين سعد وتهذيب التهذيب وكنز العمال وفتح الباري واللفظ للأخير:

عن أبي الطفيل قال: شهدت عليًّا وهو يخطب ويقول:

(سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أحدثكم به،

٨ و٩) مضي ذكر سندهما في باب: ولي أمر المسلمين.

١٠) بتفسير الآية «إِنَّ اللَّهَ أَصْلَفَىٰ آدَمَ...» وكنز العمال ٣٩٢/٦ و٣٠٥.

وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل . . .)^(١١) .

ومن هنا قال في حقّه رسول الله (ص) كما رواه جابر بن عبد الله :
«أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب» . قال
الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد^(١٢) .

وفي رواية :

«فمن أراد العلم فليأت الباب»^(١٣) .

وفي رواية :

سمعتُ رسول الله (ص) يوم الحديبية وهو آخذ بيد عليّ يقول :
«هذا أمير البرّة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله،
- يمدّ بها صوته - أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد البيت فليأت
الباب»^(١٤) .

ولفظه في رواية ابن عباس :

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»^(١٥) .

وفي رواية الإمام عليّ ، قال رسول الله (ص) :

-
- (١١) تفسير ابن جرير ١١٦/٢٦ . وطبقات ابن سعد ٢/٢ ق/١٠١/٢ . وتهذيب التهذيب ٣٣٧/٧ . وفتح الباري ٢٢١/١٠ . وحلية الأولياء ٦٧/١ - ٦٨ ، وكنز العمال ٢٢٨/١ .
(١٢) مستدرک الصحيحين ١٢٦/٣ . وفي ص ١٢٧ منه بطريق آخر ، وفي تاريخ بغداد ٣٤٨/٤ و ١٧٢/٧ و ٤٨/١١ ، وفي ص ٤٩ منه عن يحيى بن معين أنّه صحيح . وفي أسد الغابة ٢٢/٤ . وجمع الزوائد ١١٤/٩ . وتهذيب التهذيب ٣٢٠/٦ و ٤٢٧/٧ . وفي متن فؤاد القدير ٤٦/٣ . وكنز العمال ط . الثانية ٢٠١/١٢ ، ح ١١٣٠ . والصواعق المحرقة ص ٧٣ .
(١٣) مستدرک الصحيحين ١٢٧/٣ - ١٢٩ .
(١٤) تاريخ بغداد للخطيب ٣٧٧/٢ .
(١٥) كنز العمال ط . الثانية ، ٢١٢/١٢ ، وح ١٢١٩ . وراجع كنز الحقائق للمناوي .

«أنا دار العلم وعليّ بابها»^(١٦).
 وقال في حقّه - أيضاً - كما رواه أبين عباس :
 «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب»^(١٧).
 وفي رواية الإمام عليّ، قال رسول الله (ص):
 «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»^(١٨).
 وقال في حقّه كما في رواية أبي ذر:
 «عليّ باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به بعدي...»^(١٩).
 وقال كما في رواية أنس بن مالك:
 «أنا النبي (ص) قال لعلّي (ع):
 «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي». قال الحاكم: هذا حديث
 صحيح على شرط الشيخين»^(٢٠).
 وفي رواية قال له:
 «أنت تؤذي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»^(٢١).
 وقد يسر الله لحاتم أنبيائه أن يزقّ أبين عمه العلم فيها هيّا لهما من الاجتماع
 في بيت واحد منذ أن كان الإمام عليّ طفلاً كما رواه الحاكم:

-
- (١٦) الرياض النضرة ١٩٣/٢.
 (١٧) تاريخ بغداد للخطيب ٢٠٤/١١، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عليّ
 ابن أبي طالب.
 (١٨) سنن الترمذي ١٧١/١٣ باب مناقب علي بن أبي طالب، قال: وفي الباب عن أبين
 عباس. وحلية الأولياء لأبي نعيم ٦٤/١. وكنز العمال ط. الأولى ١٥٦/٦.
 (١٩) كنز العمال ط. الأولى ١٥٦/٦.
 (٢٠) مستدرک الصحيحين ١٢٢/٣. وكنز العمال ط. الأولى ١٥٦/٦. وراجع المناوي في
 كنوز الحقائق ص ١٨٨.
 (٢١) حلية الأولياء ٦٣/١.

(كان من نعم الله على عليّ بن أبي طالب (ع) ما صنع الله وأراد به من الخير، أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب في عيال كثير فقال رسول الله (ص) لعمة العباس وكان من أيسر بني هاشم .

يا أبا الفضل إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله آخذ أنا من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفلهما عنه، فقال العباس : نعم، فأنطلقا حتّى أتيا أبا طالب، فقالا : إنّنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتني لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله (ص) عليّاً فضمّه إليه، وأخذ العباس جعفرأ فضمّه إليه، فلم يزل عليّ (ع) مع رسول الله (ص) حتّى بعثه الله نبياً فأتبعه وصدّقه، وأخذ العباس جعفرأ وضمّه إليه ولم يزل جعفر مع العباس حتّى أسلم وأستغنى عنه^(٢٢).

وروي عن زيد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جده (ع) قال :
(أشرف رسول الله (ص) من بيت ومعه عمّاه العباس وحزرة، وعليّ وجعفر وعقيل في أرض يعملون فيها، فقال رسول الله (ص) لعمّيه : اختارا من هؤلاء. فقال أحدهما : اخترت جعفرأ. وقال الآخر : اخترت عقيلأ. فقال : خيرتكما فأخترتما، فأختار الله لي عليأ)^(٢٣).

وقد أخبر الإمام بنفسه عن ذلك وقال :
(وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلى صدره، ويكنفي في فراشه ويمسّني جسده، ويسمّي عرفة، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما

(٢٢) مستدرک الصحيحین ٥٧٦/٣ .

(٢٣) مستدرک الصحيحین ٥٧٦/٣ - ٥٧٧ .

وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاورني كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رثة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرثة؟^(٢٤) فقال:

«هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا إنك لست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك لعلی خير».

ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملا من قريش، فقالوا له: يا محمد، إنك قد أذعيت عظيماً لم يدعه أبؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب. فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم، قال: فإن سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تغيثون إلى خير^(٢٥)، وإن فيكم من يطرح في القليب^(٢٦)، ومن يحزب الأحزاب. ثم قال

(٢٤) الرثة: الصيحة المزعجة.

(٢٥) لا تغيثون: لا ترجعون.

(٢٦) القليب: كامر- البئر، والمراد منه قليب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش، والأحزاب: طوائف متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه (ص) في وقعة الخندق.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا آيَتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُعَلِّمِينَ
أَنْبِيَاءَ رَسُولِ اللَّهِ فَانْقَلِمِي بِعُرْوَتِكَ حَتَّى تَقْفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ . وَالَّذِي بَعَثَهُ
بِالْحَقِّ لَا تَقْلَعْتُ بِعُرْوَتِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِّي شَدِيدٌ ، وَقَصَفَ كَقَصَفِ أَجْنَحَةِ
الطَّيْرِ^(٢٧) ، حَتَّى وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَرْفُوقَةً ، وَأَلْقَيْتُ
بِغَضَبِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا
عَلَوْا وَأَسْتَكْبَارًا : فَمَرَّهَا فَلْيَأْنِكْ نَصْفُهَا وَيَبْقَى نَصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ
إِلَيْهِ نَصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدَّهُ دَوِيًّا ، فَكَادَتْ تَلْتَفِتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ ، فَقَالُوا كُفْرًا وَعَتْوًا : فَرَفَعُوا النِّصْفَ فَلِجَرَجٍ إِلَى نَصْفِهِ كَمَا كَانَ ، فَأَمَرَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ ، فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ بَأَنَ الشَّجَرَةِ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقًا بِنَبِيِّتِكَ
وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السَّحَرِ خَفِيفٌ
فِيهِ ، وَهَلْ يَصْذَقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا ؟ - يَعْنُونِي -^(٢٨) .

هكذا كان رسول الله (ص) يرفع للإمام في صغره كل يوم من أخلاقه علماً
ويأمره بالافتداء به ، ويزقه العلم زقاً في كبره ، ويخصه بمناجاته .

وقد جاء في صحيح الترمذي وغيره واللفظ للترمذي عن جابر قال :
(دعا رسول الله (ص) علياً (ع) يوم الطائف فأتته ، فقال الناس : لقد
طال نجواه مع أبيه ! فقال رسول الله (ص) :
« ما أنتجته ولكن الله أنتجاه »^(٢٩) .

٢٧) الفصف : الصوت الشديد . و (ريح قاصف) أي : شديدة . و (رعد قاصف) أي :
شديد الصوت .

٢٨) الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة ، ١٨٢/٢ - ١٨٤ .

٢٩) سنن الترمذي . كتاب المناقب . باب مناقب علي بن أبي طالب ١٣/١٧٣ . وتاريخ
بغداد للخطيب ٤٠٢/٧ .

وفي رواية :

(لَمَّا كَانَ يَوْمُ الطَّائِفِ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلِيًّا فَنَاجَاهُ طَوِيلًا فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ . . .) الْحَدِيثُ (٣٠).

وفي رواية جندب بن ناجية أو ناجية بن جندب :

(لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ قَامَ النَّبِيُّ (ص) مَعَ عَلِيٍّ (ع) مَلِيًّا ثُمَّ مَرَّ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ طَالَتْ مَنَاجَاةُكَ عَلِيًّا مِنْذُ الْيَوْمِ! فَقَالَ: «مَا أَنَا أَنْتَجِيتهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْتَجَاهُ» (٣١).

وكان الإمام عليّ حريصاً على أن يتلقى من رسول الله (ص). ولَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ الْمَجَادِلَةُ/١٢ (٣٢).

قال الطبري :

(نَهَوْا عَنْ مَنَاجَاةِ النَّبِيِّ (ص) حَتَّى يَتَصَدَّقُوا، فَلَمْ يَنَاجِهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ) (٣٣).

وفي أسباب النزول للواحدي وغيره عن الإمام عليّ :

(كَانَ لِي دِينَارٌ فَبِعْتُهُ وَكُنْتُ إِذَا نَاجَيْتُ الرَّسُولَ (ص) تَصَدَّقْتُ بِدَرَاهِمٍ حَتَّى نَفِدَ) (٣٤).

وفي رواية :

(كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ فَصَرَفْتُهُ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ فَكُنْتُ إِذَا جِئْتُ إِلَى

(٣٠) أسد الغابة ٢٧/٤.

(٣١) كنز العمال ط. الثانية، ٢٠٠/١٢ ح ١١٢٢. والرياض النضرة ٢٦٥/٢.

(٣٢) تفسير السيوطي ١٨٥/٦.

(٣٣) تفسير الطبري ٢٨/١٤ - ١٥. والدر المنثور ١٨٥/٦.

(٣٤) أسباب النزول للواحدي ص ٣٠٨، والطبري في تفسير الآية.

النبي (ص) . . . (٣٥).

وروى الزعزعي في تفسير الآية :

«أنه تصدق في عشر كلمات سألن رسول الله (ص)» .

وفي رواية عن الإمام :

«إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي :

آية النجوى : «يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم . . . » الآية ، كان عندي

دينار - إلى قوله - ثم نسخت فلم يعمل بها أحد ، فنزلت : «أأشفقتم أن

تقدموا بين يدي نجواكم صدقات . . . » المجادلة/١٣ (٣٦).

هكذا كان مع رسول الله (ص) ولم يفارقه حتى آخر لحظة من حياته .

قالت عائشة :

(قال رسول الله (ص) لما حضرته الوفاة :

«أدعوا لي حبيبي» ، فدعوا له أبا بكر ، فنظر إليه ، ثم وضع رأسه .

ثم قال : «أدعوا لي حبيبي» ، فدعوا له عمر ، فلما نظر إليه ، وضع رأسه .

ثم قال : «أدعوا لي حبيبي» ، فدعوا له علياً (ع) ، فلما رآه أدخله في الثوب

الذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه) (٣٧).

وعن ابن عباس :

(إن النبي ثقل وعنده عائشة وحفصة إذ دخل علي (ع) فلما رآه

النبي (ص) رفع رأسه ثم قال : «أدن مني ، أدن مني» ، فأسنده فلم يزل عنده

٣٥) تفسير الآية في الدر المنثور ١٨٥/٦ . والرياض النضرة ٢٦٥/٢ .

٣٦) تفسير السيوطي ١٨٥/٦ . والرياض النضرة ٢٦٥/٢ . والكشاف ٧٦/٤ .

٣٧) الرياض النضرة ٢٣٧/٢ ، ط . الثانية ، مطبعة دار التأليف مصر ، وذخائر العقبى

حتى توفي (٣٨).

وعن أم سلمة قالت :

(والذي أحلف به أن كان عليّ (ع) لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص). عدنا رسول الله (ص) غداة وهو يقول : جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ مراراً، فقالت فاطمة : كأنك بعثته في حاجة، قالت : فجاء بعد، قالت أم سلمة : فظننت أنّ له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكتب عليه رسول الله (ص) وجعل يسأره ويناجيه، ثم قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهداً).
قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد (٣٩).

* * *

عن ابن عباس، قال : قال رسول الله (ص) :

«من سرّه أن يحبيّ حيائي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنا لهم الله شفاعتي» (٤٠).
إلى هنا ذكرنا ما جاء في حقّ الوصيّ الأوّل بعد الرسول (ص)، وفي ما يأتي نذكر ما جاء في شأن أوصياء الرسول بعد الوصيّ الأوّل.

(٣٨) مجمع الزوائد ٣٦/٩.

(٣٩) مستد أحمد ٦/٣٠٠. وخصائص النساقي ص ٤٠. ومستدرک الصحيحين ١٣٨/٣.

١٣٩ -

(٤٠) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨٦/١.

ما جاء في حق سبطي رسول الله (ص)

ذكرنا في ما سبق شيئاً مما جاء في حق الإمام الأول عليّ بن أبي طالب . وفي ما يأتي نذكر ما جاء في حق سبطي رسول الله (ص) ، منه قوله لكلّ منهما : « هذا منّي » ، وقد عرفنا معنى (منّي) في البحث السابق .

الحسن والحسين من رسول الله وسبطاه

في مسند أحمد عن المقدم بن معدي كرب :

« أن رسول الله وضع الحسن في حجره وقال : « هذا منّي » . . . »^(١) .

وعن البراء بن عازب قال :

قال النبي (ص) للحسن أو الحسين : « هذا منّي »^(٢) .

وروى البخاري والترمذي وأبن ماجة وأحمد والحاكم عن يعلى بن مرة أن

رسول الله (ص) قال :

« حسين منّي وأنا من حسين ، أحب الله من أحبّ حسيناً ، حسين سبط

من الأسباط »^(٣) .

(١) مسند أحمد ١٣٢/٤ . وكنز العمال ٩٩/١٣ و ١٠٠ و ٢٦٢/١٦ . ومتخب الكثر ١٠٦/٥ . والجامع الصغير بشرح فيض القدير ١٤٥/٣ .

(٢) كنز العمال ٢٧٠/١٦ .

(٣) البخاري في الأدب المفرد باب معانقة الصبي ح ٣٦٤ . والترمذي ١٩٥/١٣ في باب مناقب الحسن والحسين . وأبن ماجة ، كتاب المقدمة ، باب ١١ ، ح ١٤٤ . ومسند أحمد ١٧٢/٤ . ومستدرک الحاكم ١٧٧/٣ . ووصف هو والدهي الحديث بأنه صحيح ، وأسد الغاية

وفي رواية:

«الحسن والحسين سبطان من الأسباط»^(٤).

وعن أبي رزمة قال: قال رسول الله (ص):

«حسين مني وأنا منه، هو سبط من الأسباط»^(٥).

وفي رواية:

«الحسن والحسين سبطان من الأسباط»^(٦).

وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله (ص):

«حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب، الحسن والحسين سبطان من

الأسباط»^(٧).

إن قول رسول الله (ص): «مني» في هذه الروايات بحقّ الحسينين نظير

قوله بحقّ أبيهما الإمام عليّ، أراد في جميعها، أنهم منه في مقام تبليغ أحكام

الإسلام.

وكذلك نرى أن قوله في حقهما أنّهما سبطان من الأسباط، لا يعني أنّهما

حفيدان كما أنّ جميع البشر ما عداهما حفدة، فهذا هذر من القول حاشا رسول

الله (ص) منه، بل إنّ الألف واللام في الأسباط للعهد الذهني من القرآن

الكريم، أي: أنّهما من الأسباط المذكورين في كتاب الله في قوله تعالى:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق

١٩/٢ و ١٣٠/٥.

(٤) كنز العمال ١٦/٢٧٠.

(٥) كنز العمال ١٣/١٠٦.

(٦) كنز العمال ١٣/١٠١ و ١٠٥.

(٧) كنز العمال ١٦/٢٧٠.

بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴿ البقرة / ١٣٦ .

وقوله تعالى :

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى...﴾ ﴿ البقرة / ١٤٠ .

وقوله تعالى :

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ...﴾ ﴿ آل عمران / ٨٤ .

وقوله تعالى :

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ...﴾ ﴿ النساء / ١٦٣ .

وعليه فإنَّ الألف واللام في «الأسباط» في حديث رسول الله (ص) بحقَّ الحسينين للعهد الذهني عند المسلمين من هذه الآيات ، وإنَّ قول رسول الله (ص) في حقَّهما نظير قوله في حقَّ أبيهما : أنه منه بمنزلة هارون من موسى ، وقد شرح الله سبحانه تلك المنزلة فيما حكى عن موسى أنه قال :

﴿وأجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنَّك كنت بنا بصيراً قال قد أوتيت سؤالك يا موسى...﴾ ﴿ طه / ٢٩ - ٣٦ .

وقوله تعالى :

﴿وأخي هارون هو أفصح مِنِّي لساناً فارسله معي ردءاً يصدِّقني إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون قال سنشدَّ عضدك بأخيك...﴾ ﴿ القصص / ٣٤ - ٣٥ .

وقوله تعالى :

﴿وقال موسى لأخيه هارون آخلفني في قومي وأصلح ولا تتَّبِعْ سَبِيلَ

المفسدين... ﴿الأعراف/ ١٤٢﴾ .

وفيها أخبر سبحانه عنها وقال :

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً...﴾

الفرقان/ ٣٥

وقال :

﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين...﴾

المؤمنون/ ٤٥ .

في هذه الآيات جعل الله هارون رداءً لموسى ووزيراً وشريكاً في النبوة استخلفه موسى في قومه ، فلما نصّ خاتم الأنبياء على أنّ عليّاً منه بمنزلة هارون من موسى وأستثنى من كلّ ذلك النبوة وأنه لا نبي بعده ، بقي منها للإمام عليّ رداء ووزارة ومشاركة في التبليغ على عهد الرسول (ص) ، ومن بعده الخلافة في قومه وحمل أعباء التبليغ . وكذلك الأمر مع ولديه الحسين . ونستثني النبوة مما كان للأسباط لأنه لا نبيّ بعد خاتم الأنبياء ، ويبقى لهما حمل مسؤولية تبليغ الأحكام الإسلامية عن الله .

ذكرنا في ما سبق ما جاء في حقّ الأوصياء الثلاثة الأول بعد رسول الله (ص) وفي ما يأتي نذكر ما جاء في شأن آخر أوصياء الرسول (ص) في السنة النبوية .

بشارات النبي (ص) بظهور المهدي (ع) في آخر الزمان

المهدي يواطئ اسمه اسم النبي (ص)
سنن الترمذي في باب ما جاء في المهدي (ع)، وأبو داود في كتاب المهدي
وغيرهما قال رسول الله (ص):
ولا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه
اسمي^(١).
في مستدرک الصحيحين ومسنّد أحمد وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري،
قال: قال رسول الله (ص):
ولا تقوم الساعة حتى تغلّ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل
بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً^(٢).

(١) سنن الترمذي ٧٤/٩. ورواه أبو داود في صحيحه في كتاب المهدي ٧/٢، وطبعة دار
إحياء السنّة النبوية (د). (ت) ١٠٦/٤ - ١٠٧، ح ٤٢٨٢، وأبو نعيم في حليته ٧٥/٥. وأحمد
ابن حنبل في مسنده ٣٧٦/١. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٨٨/٤. وكنتز العمال ط.
الأولى ١٨٨/٧ بزيادة: (وخلقه خلقي). والسيوطي في تفسير سورة محمد (ص) في تفسير الآية:
﴿فهل ينظرون إلا الساعة...﴾، الدرّ المنثور ٥٨/٦.

(٢) مستدرک الصحيحين ٥٥٧/٤. ورواه أبو نعيم في حليته ١٠١/٣ باختلاف يسير في
اللفظ، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٦/٣، وغيرهم. والسيوطي في تفسير الآية: ﴿فهل ينظرون
إلا الساعة...﴾ من سورة محمد (ص) ٥٨/٦.

إِنَّ الْمَهْدِيَّ (ع) مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (ص)

في سنن أبين ماجة في أبواب الجهاد عن أبي هريرة، قال:
قال رسول الله (ص): «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله الله عز وجل
حتى يملك رجل من أهل بيتي، يملك جبل الديلم والقسطنطينية».
وفي سنن أبين ماجة - أيضاً - في أبواب الفتن في باب خروج المهدي،
ومسند أحمد وغيرهما، عن عليّ (ع) قال:
قال رسول الله (ص): «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة».
ورواه آخرون أيضاً^(٣).

وفي مستدرك الصحيحين قال: عن أبي سعيد الخدري عن رسول
الله (ص):
أنه قال: «المهديّ منّا أهل البيت، أشمّ الأنف، أقنى، أجلى، يملأ
الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعيش هكذا - ويسط يساره
وإصبعين يمينه المسبحة والإبهام وعقد ثلاثة -».
قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ورواه أبو داود
أيضاً^(٤).

المهديّ (ع) من ولد فاطمة (ع)

وفي سنن أبي داود عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول:

(٣) رواه أبو نعيم في حليته ١٧٧/٣، وزاد فقال: في يومين، ورواه أحمد بن حنبل أيضاً
٨٤/١. وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٦ في تفسير سورة محمد (ص) الآية: «فهل ينظرون
إلا الساعة» وقال: أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وأبن ماجة عن عليّ (ع). كتاب الفتن، باب
خروج المهدي ح ٤٠٨٥.
(٤) مستدرك الصحيحين ٥٥٧/٤. ورواه أبو داود في صحيحه ١٣٦/٦، كتاب المهدي
من سنن أبي داود ١٠٧/٤، ح ٤٢٨٥.

«المهديّ من عترتي من ولد فاطمة»^(١).

وفي كنز العمال قال: عن عليّ (ع):

قال: «المهديّ رجل منّا من ولد فاطمة»^(٢).

المهدي (ع) من ولد الحسين (ع)

وفي ذخائر العقبى عن أبي أيوب الأنصاري قال:

قال رسول الله (ص): «يولد منها - يعني الحسن والحسين (ع) - مهديّ

هذه الأئمة»^(٣).

وفي ذخائر العقبى - أيضاً - قال: عن حذيفة أنّ النبيّ (ص) قال:

«لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً

من ولدي أسمه كآسمي، فقال سلمان: من أيّ ولدك يا رسول الله؟ قال: من

ولدي هذا، وضرب بيده على الحسين (ع).

* * *

أكد رسول الله (ص) في رواياته على إمامة الإمام الأوّل عليّ بن أبي

طالب (ع) أكثر من سائر الأئمة، وعلى البشائر بآخريهم المهديّ، وعلى أنّ

٥) كتاب المهدي ٧/٤، ح ٤٢٨٤ باب خروج المهدي من كتاب الفتن ١٣٦٨/٢. وسنن

أبي داود ١٣٤/٧. ورواه آبن ماجه في صحيحه في أبواب الفتن في باب خروج المهدي وقال:

المهديّ من ولد فاطمة. ورواه الحاكم أيضاً في مستدرک الصحيحين ٥٥٧/٤ وقال: هو حقّ

- يعني المهدي عليه السلام - وهو من بني فاطمة. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٢٤/٢

وقال: المهدي من ولد فاطمة. وذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة محمد (ص) من

تفسير الآية ﴿فهل ينظرون إلّا الساعة﴾ ٥٨/٦ وقال: أخرجه أبو داود وآبن ماجه والطبراني

والحاكم عن أم سلمة.

٦) كنز العمال ط. الأولى ٢٦١/٧.

٧) ذخائر العقبى ص ١٣٦.

عدهم اثنا عشر، لأنه إذا ثبت الأوّل والآخر والعدد، لا يبقى أدنى شك في
من هم الأئمة الذين عددهم اثنا عشر وأولهم الإمام عليّ وآخرهم المهدي،
سلام الله عليهم أجمعين.

نصوص على إمامة أئمة أهل البيت (ع)

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) على إمامة أهل البيت (ع) على الأئمة من بعده كثيرة، منها ما جاء في حق جميع أئمة أهل البيت، وأخرى تخص بعضهم. ومما جاء في عامتهم حديث الثقلين.

حديث الثقلين

أ - في حجة الوداع

روى الترمذي عن جابر، قال:

رأيت رسول الله في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطف فسمعتة

يقول:

«يا أيها الناس إنني قد تركت فيكم، ما إن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله

وعترتي أهل بيتي».

قال الترمذي: وفي الباب عن أبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن

أسيد^(١).

ب - في غدیر خم

في صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن الدارمي والبيهقي وغيرها واللفظ

للاول، عن زيد بن أرقم، قال:

(إن رسول الله قام خطيباً بباء يدعى خماً بين مكة والمدينة . . . ثم قال:

(١) الترمذي ١٩٩/١٣ باب مناقب أهل بيت النبي . وراجع كنز العمال ٤٨/١.

«أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبْ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقْلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ... وَأَهْلُ بَيْتِي...»^(١).

وفي سنن الترمذي ومسنند أحمد واللفظ للأول:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا»^(٢).

وفي مستدرک الصحيحين:

«كَأَنِّي قَدْ دَعَيْتُ فَأَجَبْتُ، إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَعِزَّتِي؛ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ...»^(٣).

وفي رواية:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضَلُّوا إِنْ أَتَبَعْتُمُوهُمَا، وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ وَأَهْلُ بَيْتِي عِزَّتِي...».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين^(٤).

(١) صحيح مسلم باب فضائل علي بن أبي طالب. ومسنند أحمد ٣٦٦/٤. وسنن الدارمي ٤٣١/٢ باختصار. وسنن البيهقي ١٤٨/٢ و٣٠/٧ منه باختلاف يسير في اللفظ. وراجع الطحاوي في مشكل الآثار ٣٦٨/٤.

(٢) الترمذي ٢٠١/١٣. وأسد الغابة ١٢/٢ في ترجمة الإمام الحسن. والدر المنثور في تفسیر آية المودة من سورة الشورى.

(٣) مستدرک الصحيحين وتلخيصه ١٠٩/٣. وخصائص النسائي ص ٣٠، وفي مسند أحمد ١٧/٣: «إِنِّي أُوْشِكُ أَنْ أَدْمِيَ فَأَجِيبْ»، وفي ص ١٤ و٢٦ و٥٩ منه أكثر تفصيلاً. وطبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٢/٢. وكنز العمال ٤٧/١ و٤٨ وفي ٩٧ موجزاً.

(٤) مستدرک الصحيحين ١٠٩/٣ بطريقتين، وقريب منه ما في ١٤٨/٣.

وقد جاء هذا الحديث بالفاظ أخرى في مسند أحمد وحلية الأولياء وغيرهما^(٦) عن زيد بن ثابت.



في الحديث السابق أخبر الرسول في آخر سنة من حياته: أنه بشر، يوشك أن يأتيه رسول ربه، ويدعى فيجيب ويلتحق بربه، وقال: «إني تارك فيكم، ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفترقا حتى يردا علي الحوض، فأنظروا كيف تخلفوني فيها».

قاله مرة في عرفة، وأخرى في غدير خم، وهذا النص من رسول الله في تعيين مرجع الأمة من بعده، عم جميع الأمة من عترته. وفي الروايات التالية:

نص الرسول (ص) على عددهم:

حديث عدد الأئمة

أخبر الرسول أن عدد الأئمة الذين يلون من بعده اثنا عشر، كما روى عنه ذلك أصحاب الصحاح والمسانيد الآتية:

أ- روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه سمع النبي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش».

وفي رواية:

«لا يزال أمر الناس ماضياً...».

(٦) مسند أحمد ٤/٣٦٧ و ٣٧١ و ١٨١/٥. وتاريخ بغداد للخطيب ٨/٤٤٢. وحلية الأولياء ١/٣٥٥ و ٩/٦٤. وأسد الغابة ٣/١٤٧. وجمع الزوائد للهيتمي ٩/١٦٣ و ١٦٤.

وفي حديثين منها:

«إلى أثني عشر خليفة . . .» .

وفي سنن أبي داود:

«حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة» .

وفي حديث:

«إلى أثني عشر»^(٧) .

وفي البخاري، قال: سمعت النبي (ص) يقول:

«يكون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم اسمعها. فقال أبي: قال: «كلهم

من قريش» .

وفي رواية:

ثم تكلم النبي (ص) بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي: ماذا قال رسول

الله (ص)؟ فقال: «كلهم من قريش»^(٨) .

وفي رواية:

«ولا تضرهم عداوة من عاداهم»^(٩) .

(٧) صحيح مسلم ٣/٦ - ٤ بيب الناس تبع لفريش من كتاب الإمارة . وأخترنا هذا اللفظ من الرواية لأن جابراً كان قد كتبها . وفي صحيح البخاري ١٦٥/٤ ، كتاب الأحكام . وسنن الترمذي باب ما جاء في الخلفاء من أبواب الفتن ٦٦/٦ - ٦٧ . وسنن أبي داود ١٠٦/٤ ، كتاب المهدي ح ٤٢٧٩ ، ٤٢٨٠ . ومسند الطيالسي ح ٧٦٧ و١٢٧٨ . ومسند أحمد ٨٦/٥ - ٩٢ و٩٠ - ١٠١ و١٠٦ - ١٠٨ . وكنز العمال ٢٦/١٣ - ٢٧ . وحلية أبي نعيم ٣٣٣/٤ .

وجابر بن سمرة بن جندة العامري ثم السوائي ، ابن أخت سعد بن أبي وقاص ، وحليفهم ، مات في الكوفة بعد السبعين ، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٦ حديثاً ، ترجمته بأسد الغابة . وتقريب التهذيب . وجوامع السيرة ص ٢٧٧ .

(٨) فتح الباري ٣٣٨/١٦ . ومستدرک الصحيحين ٦١٧/٣ .

(٩) فتح الباري ٣٣٨/١٦ .

ب - وفي رواية :

«لا تزال هذه الأمة مستقيماً أمرها، ظاهرة على عدوها، حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يكون المريج أو الهرج»^(١٠).

ج - وفي رواية :

«يكون لهذه الأمة اثنا عشر قتيلاً لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش»^(١١).

د - «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»^(١٢).

هـ - وعن أنس :

«لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»^(١٣).

و - وفي رواية :

«لا يزال أمر هذه الأمة ظاهراً حتى يقوم اثنا عشر كلهم من قريش»^(١٤).

ز - وروى أحمد والحاكم وغيرهم واللفظ للأول عن مسروق قال :

(كنا جلوساً ليلة عند عبد الله (ابن مسعود) يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله : ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال :

(١٠) منتخب الكنز ٣٢١/٥ . وتاريخ أبين كثير ٢٤٩/٦ . وتاريخ الخلفاء للسيوطي

ص ١٠ . وكتر العمال ٢٦/١٣ . والصواعق المحرقة ص ٢٨ .

(١١) كتر العمال ٢٧/١٣ ، ومنتخبه ٣١٢/٥ .

(١٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٢/١٢ . والصواعق المحرقة ص ١٨ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠ .

(١٣) كتر العمال ٢٧/١٣ .

(١٤) كتر العمال ٢٧/١٣ عن أبي النجار .

سألناه فقال: أثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل^(١٥).

ج - وفي رواية قال ابن مسعود: قال رسول الله:

«يكون بعدي من الخلفاء عدّة أصحاب موسى»^(١٦).

قال ابن كثير: (وقد روي مثل هذا عن عبد الله بن عمرو وحذيفة وابن عباس)^(١٧). ولست أدري هل قصد من رواية ابن عباس ما رواه الحاكم الحسكاني عن ابن عباس أو غيره.

نصّت الروايات الأتفة أنّ عدد الولاة اثنا عشر وأنهم من قريش، وقد بين الإمام عليّ في كلامه المقصود من قريش وقال:

(إنّ الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم)^(١٨). وقال:

(اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إماماً ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله ويُناتّه . . .)^(١٩).

(١٥) مسند أحمد ١/ ٣٩٨ و ٤٠٦.

قال أحمد شاكراً في هامش الأول: اسناده صحيح.

ومستترك الحاكم وتلخيصه للذهبي ٤/ ١٠٥. وفتح الباري ١٦/ ٣٣٩ مختصراً. وجمع الزوائد ٥/ ١٩٠. والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠. والجامع الصغير له ١/ ٧٥. وكنز العمال للمتقي ١٣/ ٢٧.

وقال: أخرجه الطبراني ونعيم بن حماد في الفتن.

وفيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٢/ ٤٥٨. وذكر الخبرين ابن كثير في تاريخه عن ابن مسعود باب ذكر الأئمة الاثني عشر الذين كلّمهم من قريش ٦/ ٢٤٨ - ٢٥٠.

(١٦) ابن كثير ٦/ ٢٤٨. وكنز العمال ١٣/ ٢٧. وراجع شواهد التنزيل للحسكاني ١/ ٤٥٥، ح ٦٢٦.

(١٧) ابن كثير ٦/ ٢٤٨.

(١٨) نهج البلاغة الخطبة ١٤٢.

(١٩) يتابع المودة للشيخ سليمان الحنفي في الباب المائة، ص ٥٢٣. وراجع إحياء علوم

وقال آبن كثير:

(وفي التوراة أُلّهي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: أن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل وأنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته أنثى عشر عظيماً).

وقال:

(قال آبن تيمية: وهؤلاء المبشر بهم في حديث جابر بن سمرة وقرّر أنهم يكونون مفرقين في الأمة ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا).

وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فأتبعوهم^(٢٠).

قال المؤلف:

والبشارة المذكورة، أعلاه في سفر التكوين، الإصحاح (١٧) / الرقم: ١٨ - (٢٠) من التوراة المتداولة في عصرنا. وقد جاءت هذه البشارة في الأصل العبري كالآتي:

جاء في سفر التكوين قول (الرب) لإبراهيم (ع) ما نصّه بالعبرية:

«فَإِسْمَاعِيلُ يَبْرَحْنِي أَوْنًا فِي هَفْرَتِي أَوْنٍ
فِي هَرَبَتِي يَبْنُوذُ يَنْوَدُ شَبْعَ عَسَارِيَتِهِمْ يُولِدُ
فِي بَنْتِيفَ بَكْوَيَ كَدُول»^(٢١).

وتعني حرفياً: «وإسماعيل أباركه، وأثمره، وأكثره جداً جداً، اثنا عشر إماماً يلد، وأجمعه أمة كبيرة».

الدين للخرزالي ٥٤/١. وفي حلية الأولياء ٨٠/١ بإيجاز.

(٢٠) تاريخ آبن كثير ٢٤٩/٦ - ٢٥٠.

(٢١) «العهد القديم» سفر التكوين ١٧: ٢٠، ص ٢٢ - ٢٣.

וְלִי־שְׁמָאֵל שְׁמַעְיֵאל ב

דעה | ברכתי אתה והפריתי אתה והרכיית אתה

שְׁמִים-עָשָׂר וְשָׂאם יוֹלִיד וְהָיוּ לְךָ נָדָו:

«بناروت سفر التكوين ١٧ - ٢٠ (الأصل العبري) الرسول محمد (ص) والآنسة (ع)»

أشارت هذه الفقرة إلى أن المباركة، والإثارة، والتكثير إنها يكون في صلب إسماعيل (ع) و«شليم عسار» تعني «اثنا عشر»، ولفظة «عسار» تأتي في «العدد التركيبي إذا كان المعدود مذكراً»^(٢٢)، والمعدود هنا «نسييم» وهو مذكر وبصيغة الجمع لإضافة الـ (يم) في آخر الاسم، والمفرد «ناسي» وتعني: «إمام، زعيم، رئيس»^(٢٣).

وأما قول (الرب) لإبراهيم (ع) في الفقرة نفسها أيضاً:
«في نيتيف كوي كدول»، نلاحظ أن «في نيتيف» مكونة من حرف العطف (في)، والفعل (ناتن) بمعنى: (أجعل، أذهب)^(٢٤)، والضمير «يف» في آخر الفعل «نيتيف» يعود على إسماعيل (ع)، أي «وأجعله»، وأما كلمة (كوي) فتعني: «أمة، شعب»^(٢٥)، و«كدول» تعني: «كبير، عظيم»^(٢٦)، فتصبح (وأجعله أمة كبيرة)، فيتضح من هذه الفقرة أن التكثير والمباركة إنها هما في صلب إسماعيل (ع)، مما يجعل القصد واضحاً في الرسول محمد (ص) وأهل بيته (ع) باعتبارهم امتداداً لنسل إسماعيل (ع)، ذلك لأن الله تعالى أمر إبراهيم بالخروج من بلاد «نمرود» إلى الشام، فخرج ومعه امرأته «سارة»

٢٢) «المعجم الحديث» عبري - عربي، ص ٣١٦.

٢٣) المصدر السابق، ص ٣٦٠.

٢٤) المصدر السابق، ص ٣١٧.

٢٥) المصدر السابق، ص ٨٤.

٢٦) المصدر السابق، ص ٨٢.

و«لوط»، مهاجرين إلى حيث أمرهم الله (تعالى)، فتركوا أرض فلسطين. ووسّع الله (تعالى) على إبراهيم (ع) في كثرة المال، فقال: «ربّ ما أصنع بالمال ولا ولد لي»، فأوحى الله (عزّ وجلّ) إليه «إني مكثرت ولدك حتى يكونوا عدد النجوم». وكانت «هاجر» جارية لسارة، فوهبتها لإبراهيم (ع)، فحملت منه، وولدت له إسماعيل (ع)، وإبراهيم (ع) يومئذ ابن «ست وثمانين سنة»^(٢٧).

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة من خلال توجّه إبراهيم (ع) بالدعاء إلى الله تعالى: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ فِيهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ»^(٢٨)، فالآية الكريمة تؤكد أن إبراهيم (ع) قد أسكن بعضاً من ذريته وهو إسماعيل (ع) ومن ولد منه في مكّة ودعا الله تعالى أن يجعل في ذريته الرّحمة والهداية للبشرية ما بقي الدهر، فاستجاب الله لدعوته بأن جعل في ذريته محمداً (ص) وأثني عشر إماماً من بعده. وقد قال الإمام الباقر (ع): «نحنُ بقية تلك العترة وكانت دعوة إبراهيم لنا»^(٢٩).

خلاصة الأحاديث الأئمة

نستخلص ممّا سبق ونستنتج: أن عدد الأئمة في هذه الأئمة اثنا عشر على التوالي، وأن بعد الثاني عشر منهم ينتهي عمر هذه الدنيا.

فقد جاء في الحديث الأول:

«لا يزال هذا الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر

(٢٧) «تاريخ العقوب»، ج ١، ص ٢٤ - ٢٥، مؤسسة نشر ثقافة أهل البيت (قم).

(٢٨) سورة إبراهيم الآية: ٣٧.

(٢٩) نقلنا ما جاء في الأصل العربي من التوراة والتعليق عليها من مقال للاستاذ أحمد الواسطي في مجلة التوحيد، إصدار منظمة الإعلام الإسلامي في طهران. العدد: ٥٤، ص ١٢٧ - ١٢٨.

خليفة.

فإن هذا الحديث يعين مدة قيام الدين ومحددها بقيام الساعة، ويعين عدد الأئمة في هذه الأمة بآثني عشر شخصاً. وفي الحديث الخامس: «لن يزال هذا الدين قائماً إلى آثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها».

ويدل هذا الحديث على تأييد وجود الدين بامتداد الاثني عشر وأن بعدهم تموج الأرض.

وفي الحديث الثامن: حصر عددهم بآثني عشر بقوله: «يكون بعدي من الخلفاء عدة أصحاب موسى».

ويدل هذا الحديث على أنه لا خليفة بعد الرسول عدا الاثني عشر. وأن ألفاظ هذه الروايات المصرحة بحصر عدد الخلفاء بالاثني عشر وأن بعدهم يكون المرح وتموج الأرض وقيام الساعة تبين ألفاظ الأحاديث الأخرى التي قد لا يفهم من ألفاظها هذا التصريح.

وبناءً على هذا لابد أن يكون عمر أحدهم طويلاً خارقاً للعادة في أعمار البشر كما وقع فعلاً في مدة عمر الثاني عشر من الأئمة أوصياء النبي (ص).

حبرهم في تفسير الحديث

لقد حار علماء مدرسة الخلفاء في بيان المقصود من الاثني عشر في الروايات المذكورة وتضاربت أقوالهم.

فقد قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي:

(فعددتنا بعد رسول الله (ص) آثني عشر أميراً فوجدنا أبا بكر، عمر، عثمان، علياً، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية بن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، مروان بن

محمد بن مروان، السفاح . . .).

ثم عدّ بعده سبعمائة وعشرين خليفة من العباسيين إلى عصره، ثم قال:
(وإذا عددنا منهم اثني عشر، انتهى العدد بالصورة إلى سليمان وإذا
عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز
ولم أعلم للحديث معنى)^(٣٠).

وقال القاضي عياض في جواب القول: أنه ولي أكثر من هذا العدد:
«هذا اعتراض باطل، لأنه (ص) لم يقل: لا يلي إلا اثنا عشر، وقد ولي
هذا العدد، ولا يمنع ذلك من الزيادة عليهم»^(٣١).

ونقل السيوطي في الجواب:
(أن المراد: وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى القيامة
يعملون بالحق وإن لم يتوالوا)^(٣٢).

وفي فتح الباري:
(وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بدّ من تمام العدة قبل قيام
الساعة)^(٣٣).

وقال آبن الجوزي:
(وعلى هذا فالمراد من «ثم يكون المهرج»: الفتن المؤذنة بقيام الساعة من
خروج الدجال وما بعده»^(٣٤).
قال السيوطي:

(٣٠) شرح ابن العربي على سنن الترمذي ٦٨/٩ - ٦٩.
(٣١) شرح النووي على مسلم ٢٠١/١٢ - ٢٠٢. وفتح الباري ٣٣٩/١٦. واللفظ منه
وكثره في ص ٣٤١.
(٣٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.
(٣٣ و ٣٤) فتح الباري ٣٤١/١٦. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.

(وقد وجد من الاثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وأبن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهدي العباسي لأنه في العباسيين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين، والظاهر العباسي أيضاً لما أوتيته من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من أهل البيت)^(٣٥).

وقيل:

(المراد: أن يكون الاثنا عشر في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام وأستقامة أموره، فمن يعز الإسلام في زمنه، ويجمع المسلمون عليه)^(٣٦).

وقال البيهقي:

(وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة ثم ظهر ملك العباسية، وإنما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، إذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عد منهم من كان بعد الهرج المذكور)^(٣٧).

وقالوا:

(والذين اجتمعوا عليه: الخلفاء الثلاثة ثم علي إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك،

(٣٥) الصواعق المحرقة ص ١٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢. وهل هذا يكون لأتباع مدرسة الخلفاء، إمامان منتظران أحدهما المهدي، في مقابل منتظر واحد لأتباع مدرسة أهل البيت.

(٣٦) أشار إليه النووي في شرح مسلم ٢٠٢/١٢ - ٢٠٣. وذكره ابن حجر في فتح الباري ٣٣٨/١٦ - ٣٤١. والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٠.
(٣٧) نقله ابن كثير في تاريخه ٢٤٩/٦ عن البيهقي.

ثم لما مات يزيد أختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام، وتحلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، والثاني عشر هو الوليد ابن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه بعد هشام تولى أربع سنين^(٣٨).

بناءً على هذا فإن خلافة هؤلاء الاثني عشر كانت صحيحة لإجماع المسلمين عليهم وكان الرسول قد بشر المسلمين بخلافتهم له في حمل الإسلام إلى الناس.

قال ابن حجر عن هذا الوجه: (إنه أرجح الوجوه).

وقال ابن كثير:

(إنَّ الَّذِي سلكه البهقي ووافقه عليه جماعة من أن المراد هم الخلفاء المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الَّذي قدمنا الحديث فيه بالذمِّ والوعيد فإنَّه مسلک فيه نظر، وبيان ذلك أنَّ الخلفاء إلى زمن الوليد ابن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كلِّ تقدير، وبرهانه أنَّ الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ خلافتهم محققة . . . ثم بعدهم الحسن بن عليّ كما وقع لأنَّ علياً أوصى إليه، وبإياعه أهل العراق . . . حتَّى أصطلح هو ومعاوية . . . ثمَّ أبنة يزيد بن معاوية، ثمَّ أبنة معاوية بن يزيد، ثمَّ مروان بن الحكم، ثمَّ أبنة عبد الملك بن مروان، ثمَّ أبنة الوليد بن عبد الملك، ثمَّ سليمان ابن عبد الملك، ثمَّ عمر بن عبد العزيز، ثمَّ يزيد بن عبد الملك، ثمَّ هشام بن عبد الملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثمَّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فإنَّ اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك صاروا ستة عشر، وعلى كلِّ تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، وعلى هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن

(٣٨) تاريخ الخلفاء ص ١١ . والصواعق ص: ١٩ . وفتح الباري ١٦/٣٤١.

معاوية ويخرج عمر بن عبد العزيز، الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه وعدوه من الخلفاء الراشدين، واجمع الناس قاطبة على عدله، وأن أيامه كانت من أعدل الأيام حتى الرافضة يعترفون بذلك، فإن قال: أنا لا اعتبر إلا من اجتمعت الأمة عليه لزمه على هذا القول أن لا يعدّ عليّ بن أبي طالب ولا آبنه، لأنّ الناس لم يجتمعوا عليهما وذلك أن أهل الشام بكماهما لم يبايعوهما.

وذكر:

أنّ بعضهم عدّ معاوية وآبنه يزيد وآبن آبنه معاوية بن يزيد، ولم يقيد بأيام مروان ولا آبن الزبير، لأنّ الأئمة لم تجتمع على واحد منهما، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عاداً للخلفاء الثلاثة، ثمّ معاوية، ثمّ يزيد، ثمّ عبد الملك، ثمّ الوليد بن سليمان، ثمّ عمر بن عبد العزيز، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، فهؤلاء عشرة، ثمّ من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، ويلزمه منه إخراج عليّ وآبنه الحسن، وهو خلاف ما نصّ عليه أئمة السنة بل الشيعة^(٣٩).

ونقل آبن الجوزي في كشف المشكل وجهين في الجواب:

أولاً:

(أنّه (ص) أشار في حديثه إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، وإنّ حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكأنّه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بني أمية، وكأنّ قوله: «لا يزال الدين» أي الولاية إلى أن يلي اثنا عشر خليفة، ثمّ ينتقل إلى صفة أخرى أشدّ من الأولى، وأوّل بني أمية يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار، وعدّتهم ثلاثة عشر، ولا يعدّ عثمان ومعاوية ولا آبن الزبير لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحته، أو لأنّه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على

(٣٩) تاريخ آبن كثير ٦/٢٤٩ - ٢٥٠.

عبد الله بن الزبير، صحت العدة، وعند خروج الخلافة من بني أمية وقعت
الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة حتى استقرت دولة بني العباس فتغيرت
الأحوال عما كانت عليه تغيراً بيناً^(٤٠).

وقد ردّ ابن حجر في فتح الباري على هذا الاستدلال.
ونقل ابن الجوزي الوجه الثاني عن الجزء الذي جمعه أبو الحسين بن
المنادي في المهدي، وأنه قال:

(يحتصل أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، فقد
وجدت في كتاب دانيال: إذا مات المهدي، ملك بعده خمسة رجال من ولد
السبط الأكبر، ثم خمسة من ولد السبط الأصغر، ثم يوصي آخرهم بالخلافة
لرجل من ولد السبط الأكبر، ثم يملك بعده ولده فيتم بذلك اثنا عشر ملكاً
كل واحد منهم إمام مهدي، قال: وفي رواية... ثم يلي الأمر بعده اثنا عشر
رجلاً: ستة من ولد الحسن، وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثم
يموت فيفسد الزمان).

علّق ابن حجر على الحديث الأخير في صواعقه وقال:
(إنّ هذه الرواية واهية جداً فلا يعول عليها)^(٤١).

وقال قوم:

(يغلب على الظنّ أنه عليه الصلاة والسلام أخبر - في هذا الحديث -
بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتى يفترق الناس في وقت واحد على اثني عشر
أميراً، ولو أراد غير هذا لقال: يكون اثنا عشر أميراً يفعلون كذا، فلما أعراهم
عن الخبر عرفنا أنه أراد أنهم يكونون في زمن واحد...) ^(٤٢).

(٤٠) فتح الباري ١٦/٣٤٠، عن ابن الجوزي في كتابه (كشف المشكل).

(٤١) فتح الباري ١٦/٣٤١. والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩.

(٤٢) فتح الباري ١٦/٣٣٨.

قالوا:

(وقد وقع في المائة الخامسة، فإنه كان في الأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخلافة ومعهم صاحب مصر والعباسية ببغداد إلى من كان يدعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج)^(٤٣)

قال ابن حجر:

(وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في البخاري هكذا مختصرة...)^(٤٤). وقال:

(إن وجودهم في عصر واحد يوجد عين الافتراق فلا يصح أن يكون المراد)^(٤٥).



قال المؤلف:

هكذا لم يتفقوا على رأي في تفسير الروايات السابقة، ثم إنهم أهملوا إيراد الروايات التي ذكر الرسول (ص) فيها أسماء الاثني عشر لأنها كانت تخالف سياسة الحكم بمدرسة الخلفاء مدى القرون. وحرّجها المحدثون بمدرسة أهل البيت في تأليفهم بسندهم إلى أبرار الصحابة عن رسول الله (ص) ونقتصر هنا على إيراد نزر يسير منها في ما يأتي مما رواه الفريقان:

أسماء الاثني عشر لدى مدرسة الخلفاء:

أ - الجويني^(٤٦) عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله: أنا سيد

٤٣) شرح النووي ٢٠٢/١٢. وفتح الباري ٣٣٩/١٦. واللفظ للاخير.

٤٤) فتح الباري ٣٣٨/١٦.

٤٥) فتح الباري ٣٣٩/١٦.

٤٦) قال الذهبي في ترجمة شيوخه بتذكرة الحفاظ ص ١٥٠٥: الإمام المحدث الأوحى،

النبيين وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين ، وأن أوصيائي بعدي أنا عشر، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي .

ب - الجويني - أيضاً - بسنده عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله : إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثني عشر أولهم أخي وآخرهم ولدي .

قيل : يا رسول الله ، ومن أخوك؟

قال : علي بن أبي طالب .

قيل : فمن ولدك؟

قال : المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه ، وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب .

ج - الجويني - أيضاً - بسنده قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون^(١٧) .



اقتضت سياسة الحكم لدى مدرسة الخلفاء مدى القرون إخفاء أمثال الأحاديث الأنفة عن أبناء الأمة الإسلامية وإسدال الستار عليها . وجاهد القسم الأكبر من أتباع مدرستهم في هذا السبيل كما مرّ بنا فعلهم بأمثالها في بحث دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) التي تحالف

الأكمل ، فخر الإسلام ، صدر الدين إبراهيم بن محمد بن حويه الجويني الشافعي ، شيخ الصوفية . وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء . أسلم على يده غازان الملك .

٤٧) الأحاديث أ ، ب ، ج جاءت في فرائد السمطين نسخة مصورة مخطوطة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم ١٦٦٤ / ١٦٩٠ - ١٦٩١ الورقة ١٦٠ .

أَتَجَاهُهَا .

وليس هذا مجال إيراد تلكم الأحاديث، وإنما نذكر في ما يأتي تراجم الاثني عشر الذين تواترت الإشارة إليهم والتنصيب على أسمائهم في أحاديث الرسول (ص):

تراجم الأئمة الاثني عشر بعد الرسول (ص)
الإمام الأوّل:

أمير المؤمنين عليّ (ع) .

أبوه: أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

أمّه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

كنيته: أبو الحسن والحسين، أبو تراب .

لقبه: الوصي، أمير المؤمنين .

مولده: ولد في الكعبة بيت الله الحرام^(١٨)، سنة ثلاثين بعد عام الفيل .

وفاته: قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة في رمضان سنة أربعين

للهجرة . ودفن خارج الكوفة في النجف الأشرف .

الإمام الثاني:

الحسن بن عليّ بن أبي طالب .

أمّه: فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .

كنيته: أبو محمد .

٤٨) إن أمّه فاطمة بنت أسد كانت تطوف بالبيت وهي حامل بعليّ (ع) ففترها الطلق ففتح لها باب الكعبة فدخلت فوضعت فيه، المستدرک ٤/٤٨٣ . وراجع تذكرة خواصّ الأئمة ص ١٠ . والمناقب لابن المغازي ص ٧ .

لقبه : السبط الأكبر، المجتبى .
مولده : ولد في المدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث بعد الهجرة .
وفاته : توفي لخمس ليال بقين من ربيع الأول سنة خمسين للهجرة ودفن
بالبقيع في المدينة المنورة .

الإمام الثالث :

الحسين بن عليّ بن أبي طالب .
أمّه : فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .
كنيته : أبو عبد الله .
لقبه : السبط ، شهيد كربلاء .
مولده : ولد في المدينة في شعبان سنة أربع للهجرة .
وفاته : قتله جيش الخليفة يزيد مع أهل بيته وأنصاره في محرم سنة إحدى
وستين . وقبره في كربلاء من مدن العراق^(٤٩) .

الإمام الرابع :

عليّ بن الحسين الشهيد .
أمّه : غزالة ، وقيل : شاه زنان .
كنيته : أبو الحسن .
لقبه : زين العابدين ، السّجاد .
مولده : ولد في المدينة سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين .

(٤٩) راجع تراجم الأئمة ، علي وأبيه الحسن والحسين عليهم السلام في ذكر حوادث سنة
٤٠ و ٥٠ و ٦٠ للهجرة بتاريخ الطبري ، وابن الأثير والذهبي وابن كثير ، وفي ذكر تراجمهم بتاريخ
بغداد ودمشق ، والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ، وطبقات ابن سعد ، ولم يطبع في المطبعة
الأوربية والبيروتية من طبقات ابن سعد ترجمة السبطين وإنما طبع بعد ذلك .

وفاته: توفي سنة أربع وتسعين للهجرة. ودفن في البقيع إلى جانب عمّه
الحسن السبط^(٥٠).

الإمام الخامس:

محمد بن علي السجاد.

أمّه: أمّ عبد الله بنت الحسن بن عليّ.

كنيته: أبو جعفر.

لقبه: الباقر.

مولده: ولد في المدينة سنة خمس وأربعين للهجرة.

وفاته: توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة. ودفن في البقيع إلى جانب
أبيه^(٥١).

الإمام السادس:

جعفر بن محمد الباقر.

أمّه: أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

كنيته: أبو عبد الله.

لقبه: الصادق.

مولده: ولد في المدينة سنة ثلاث وسبعين للهجرة.

(٥٠) راجع ترجمته في ذكر حوادث سنة ٩٤ هـ بتاريخ ابن الأثير وابن كثير والذهبي، وترجمته
بطبقات ابن سعد وحلية الأولياء. ووفيات الأعيان. وتاريخ يعقوب ٣٠٣/٢. والمسعودي
١٦٠/٣.

(٥١) راجع ترجمته بتذكرة الحفاظ للذهبي. ووفيات الأعيان. وصفوة الصفوة. وحلية
الأولياء. وتاريخ يعقوب ٣٢٠/٢. وتاريخ الإسلام للذهبي. وتاريخ ابن كثير في ذكرهما
حوادث سنة ١١٥ و١١٧ و١١٨.

وفاته : توفي سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة . ودفن في البقيع إلى جانب أبيه^(٥٢).

الإمام السابع :

موسى بن جعفر الصادق .

أمه : حميدة .

كنيته : أبو الحسن .

لقبه : الكاظم .

مولده : ولد في المدينة سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة .

وفاته : توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة في سجن الخليفة هارون الرشيد ببغداد . ودفن في مقابر قریش في الجانب الغربي من بغداد يومذاك ، وفي مدينة الكاظمية في العراق اليوم^(٥٣).

الإمام الثامن :

علي بن موسى الكاظم .

أمه : الخيزران .

كنيته : أبو الحسن .

لقبه : الرضا .

مولده : ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة في المدينة المنورة .

(٥٢) راجع ترجمته بحلية الأولياء ووفيات الأعيان وتاريخ يعقوب ٣٨١/٢ . والمسعودي ٣٤٦/٣ .

(٥٣) راجع ترجمته في مقاتل الطالبين وتاريخ بغداد . ووفيات الأعيان وصفوة الصفوة ، وتاريخ ابن كثير ١٨/٢ . وتاريخ يعقوب ١٤١٤/٢

وفاته : توفي سنة ثلاث ومائتين . ودفن بطوس خراسان^(٩٩) .

الإمام التاسع :

محمد بن علي الرضا .

أمه : سكينه .

كنيته : أبو عبد الله .

لقبه : الجواد .

مولده : ولد سنة خمس وتسعين ومائة للهجرة في المدينة المنورة .

وفاته : توفي سنة مائتين وعشرين للهجرة ببغداد . ودفن إلى جانب جدّه

موسى بن جعفر بمقابر قريش^(١٠٠) .

الإمام العاشر :

علي بن محمد الجواد .

أمه : سيمانة المغربية .

كنيته : أبو الحسن العسكري .

لقبه : الهادي .

مولده : سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة في المدينة المنورة .

وفاته : توفي سنة أربع وخمسين ومائتين . ودفن بمدينة سامراء (سر من

٥٤ راجع ترجمته بتاريخ الطبري . وأين الأثير . وتاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ ابن كثير في ذكر حوادث سنة ٢٠٣هـ ، ووفيات الأعيان . وتاريخ اليعقوبي ٤٥٣/٢ . والمسعودي ٤٤١/٣ .

٥٥ راجع ترجمته بتاريخ بغداد ٥٤/٣ . ووفيات الأعيان . وشذرات الذهب ٤٨/٢ . والمسعودي ٤٦٤/٣ .

رأى) بالعراق^(٥٦).

الإمام الحادي عشر:

الحسن بن عليّ الهادي .

أمّه : أمّ ولد أسماها سوسن .

كنيته : أبو محمد .

لقبه : العسكري .

مولده : ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين في سرّ من رأى .

وفاته : توفي سنة ستين ومائتين . ودفن في سرّ من رأى^(٥٧) .

وقبور جميع الأئمة الأحد عشر المذكورين يزورها المسلمون اليوم وعليها قباب عالية عدا الأئمة الأربعة المدفونين في البقيع بالمدينة المنورة، فإنّ الحكم الوهابي لما دخل المدينة هدمها مع سائر قبور أزواج الرسول (ص) وقبور صحابته .

الإمام الثاني عشر:

المهدي ، محمد بن الحسن العسكري .

أمّه : أمّ ولد يقال لها نرجس ، وقيل : صيقل .

كنيته : أبو عبد الله ، أبو القاسم .

لقبه : القائم ، المنتظر ، الخلف ، المهدي صاحب الزمان .

(٥٦) راجع ترجمته بتاريخ بغداد ٥٦/١٢ . ووفيات الأعيان . وتاريخ البغوي ٤٨٤/٢ .

والمسمودي ٨٤/٤ .

(٥٧) راجع ترجمته في وفيات الأعيان . وتذكرة خواص الأئمة لسبط ابن الجوزي الحنفي . ومطالب السؤل في مناقب آل الرسول للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٤هـ) . وتاريخ البغوي ٥٠٣/٢ .

مولده : ولد في سامراء سنة خمس وخسين ومائتين .
وهو آخر الأئمة ، وهو حي يرزق^(٥٨) .

تنبيه مهم

جاء في إحدى الروايات الماضية :

« ... يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ، ثم يكون المرج
والهرج » .

وفي أخرى :

« لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش ، فإذا هلكوا ماجت
الأرض بأهلها » .

وكلا اللفظين يدلّان على نهاية العالم بعد الثاني عشر ممن يأتون من بعد
النبي (ص) ، وعلى هذا فلا بدّ أن يطول عمر أحد الاثني عشر إلى نهاية الدنيا ،
وهذا ما وقع فعلاً بطول عمر الوصي الثاني عشر المهدي ، محمد بن الحسن
العسكري (ع) ، فإن مجموع الروايات يصدق على الأئمة الاثني عشر عليهم
السلام المذكورين ولا يصدق على من سواهم . والحمد لله .

٥٨) تذكرة خواص الأئمة لسبط ابن الجوزي . ومطالب السؤل . ووفيات الأعيان .

الفصل الرابع
خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام .
 أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة .
 مناقشة مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والإمامة .
 الاستدلال بكلام الإمام عليّ (ع) .
 وجوب طاعة الحكم وعدم عزله بالفسق وإعلان
 المصيبة .
 الإمامة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام .
 أوصياء النبيّ (ص) الإثنا عشر من بعده .
 اتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً .

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام

ينبغي أن ندرس الواقع التاريخي لإقامة الخلافة قبل البدء بعرض آراء المدرستين في الخلافة والإمامة.

بداية الأمر:

عقد رسول الله في مرض وفاته لواءً بيده لمولاه أسامة بن زيد، وأمره على جيش فيه المهاجرون والأنصار، مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص، فمسكر بالجرف وغضب عليهم لما تكلموا في تأميره أسامة عليهم وقال: إنه لخليق بالإمارة، فذهبوا إلى معسكرهم وثقل رسول الله فجاء أسامة وودعه، وقال الرسول: أنفذوا بعث أسامة، وفي ما هموا بالرحيل يوم الاثنين جاءهم الخبر أن الرسول قد حضر^(١)، فأقبلوا إلى المدينة، وحضروا في بيت الرسول فقال: هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال: قوموا عني، لا ينبغي عند نبي التنازع.

قال ابن عباس: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع، فقالوا: هجر رسول الله، وبكى ابن عباس حتى خضب دمه الحصباء.

(١) حُضِرَ: حضره الموت.

موقف الخليفة عمر:

توفي الرسول وأبو بكر غائب بالسنح فأخذ عمر يقول: ما مات رسول الله ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وغاب عن قومه أربعين ليلة، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال يزعمون أنه مات. وقال: من قال إنه مات علوت رأسه بسيفي، فتلوا عليه الآية: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل آنتقلبتم على أعقابكم﴾ آل عمران/ ١٤٤. وقال له العباس: إن رسول الله قد مات، هل عند أحدكم عهد من رسول الله في وفاته فليحدثنا.

لم ينته عمر من كلامه وتهديده حتى أزيب شذقاءه، ولما أقبل الخليفة أبو بكر وتلا الآية ﴿وما محمد إلا رسول...﴾، سكنت عمر.

سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وجثان رسول الله (ص) بين أهله يغسلونه، وأخرجوا سعد بن عباد - وكان مريضاً - فذكر سابقة الأنصار وقال: استبدوا بهذا الأمر، فأجابوا: قد وفقت في الرأي ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر. فسمع بذلك أبو بكر وعمر فأسرعا مع جماعتهما إلى السقيفة، وذكر أبو بكر سابقة المهاجرين وقال: هم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيثكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن... لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم.

وهَدَدَ أحدهما الآخر بالقتل .

فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ أَوْ بَعْضُ الْأَنْصَارِ: لَا نَبَايَعُ إِلَّا عَلِيًّا . فَتَخَوَّفَ عُمَرُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ وَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: ابْسِطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ . وَسَبَقَهُ بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَبَايَعُ، فَتَادَاهُ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: عَقَقْتَ عَقَاقَ أَنْفَسْتَ عَلَى أَبِيكَ عَمَّكَ الْإِمَارَةَ!؟

وَبَايَعُ عُمَرُ وَأَبُو عَبِيدَةَ، وَقَالَتِ الْأَوْسُ: لَنْ وَلِيَتْهَا الْخَزْرَجُ مَرَّةً لَا زَالَتْ لَهُمُ الْفَضِيلَةُ عَلَيْكُمْ وَمَا جَعَلُوا لَكُمْ فِيهَا نَصِيبًا، فَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ، فَانْكَسَرَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ وَالْخَزْرَجِ وَكَادُوا يَطْلُونُ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: اتَّقُوا سَعْدًا لَا تَطَاوُهُ .

فَقَالَ عُمَرُ: أَقْتُلُوهُ قَتَلَهُ اللَّهُ .

ثُمَّ قَامَ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطَاكَ حَتَّى تَنْدَرَ^(٢) عُضُوكَ . فَاخْذُ قَبْضَ بْنَ سَعْدٍ بِلَحْيَةِ عُمَرَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ حَصَصْتُ مِنْهُ شَعْرَةً مَا رَجَعْتُ فِي فَيْكِ وَاضِحَةً .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَهْلًا يَا عُمَرُ، الرَّفْقُ هَهُنَا أَبْلَغُ . فَأَعْرَضَ عَنْهُ عُمَرُ . فَحَمَلَ سَعْدٌ إِلَى بَيْتِهِ .

وَأَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ السَّقِيْفَةِ، وَجَاءَتْ قَبِيلَةُ أَسْلَمَ فَبَايَعَتْ، فَانْتَصَرَ بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَأَقْبَلَتِ الْجُمُعَةُ تَرْفَهُ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص). فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ، وَشَغَلُوا عَنْ دَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ، فَجَاؤُوا إِلَى الْمَسْجِدِ ثَانِيَةً فَجَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ وَوَقَفَ عُمَرُ وَقَالَ: إِنْ قَوْلُهُ بِالْأَمْسِ لَمْ يَكُنْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عَهْدًا مِنْ رَسُولِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ الرَّسُولَ (ص) سَيَدْبُرُ أَمْرَهُمْ وَيَكُونُ آخِرَهُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ أَبْقَى فِيهِمُ الْقُرْآنَ يَهْتَدُونَ بِهِ، وَقَدْ جَمَعَ أَمْرَهُمْ عَلَى صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ، قَوْمُوا فَبَايَعُوهُ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عِنْدَئِذٍ بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيْفَةِ، ثُمَّ خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ وَلِيْتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ فَإِنْ

(٢) تَنْدَرُ عُضُوكَ: حَتَّى تَسْقُطَ أَعْضَاؤُكَ .

أحسنَت فأعينوني . . .

شغلوا عن رسول الله بقية الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء، وصلى المسلمون على رسول الله زمراً زمراً، وخلّى أصحاب رسول الله (ص) بين جنّاته وأهله، فولّوا إجنّاته^(٣). ولم يشهد أبو بكر وعمر غسل الرسول (ص) وتكفينه ودفنه.

قالت عائشة: ما علمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي في جوف الليل.

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار وبنو هاشم ومالوا مع عليّ بن أبي طالب.

فذهبوا إلى العباس ليستميلوه فجابههم بالردّ.

وتحصّن في دار فاطمة جماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والأنصار، فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فاقبل بقبس نار على أن يضرهم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا أبن الخطاب أجنّت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة.

وإليه أشار أبو بكر في مرض موته حين قال:

(أما إنّي لا أسيّ على شيء في الدنيا إلّا على ثلاث فعلتھنّ وددت أنّي لم أفعلھنّ . . . فوددت أنّي لم أكشف عن بيت فاطمة ولو أغلقت على حرب . . .). ثمّ إنّ عليّاً حمل فاطمة ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة وتسلّم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان أبين عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ: أفكنت

(٣) تولّوا دفنه.

أترك رسول الله (ص) في بيته لم أجهزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟
وتقول فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله
حسبهم .

وكان معاوية يعير أمير المؤمنين علياً بهذا الموقف ويقول :
(وأعهدك أسس تحمل قعدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي أبنيك
الحسن والحسين يوم بويج أبو بكر الصديق ، فلم تدع أحداً من أهل بدر
والسوايق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بأمراتك وأدلت إليهم بأبنيك
وأستنصرتهم على صاحب رسول الله . . . فلم يجيبك منهم إلا أربعة أو
خمس . . ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيحك : لو
وجدت أربعين ذوي عزم لناهضتهم) .

وروى البخاري ما دار بين أبنه رسول الله (ص) وأبي بكر وقال :
مهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى توفيت بعد ستة أشهر ، ودفنها زوجها ولم
يؤذن بها أبا بكر ، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت أنصرفت
وجوه الناس عن علي فلم يبايع علي ستة أشهر ولا أحد من بني هاشم حتى
بايعه علي ، فلما رأى علي أنصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر .
وقال البلاذري : ولم يخرج أحد إلى قتال العدو قبل أن يبايع علي .

وممن تخلف عن بيعة أبي بكر : فروة بن عمرو ، وخالد وأبان وعمر بنو
سعيد الأموي ، فلما بايع بنو هاشم بايعوا .

وسعد بن عباد لم يبايع ، وأشار الأنصار أن يتركوه فإنه لا يبايع حتى يقتل
وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ، فتركوه ،
فقال له عمر في أول خلافته ، من كره جوار جار تحول عنه . فذهب إلى الشام ،
فبعث عمر رجلاً فقال له : أدعه إلى البيعة واحتل له ، فإن أبى فاستعن الله
عليه ، فذهب الرجل إلى الشام ووجد سعداً بحوارين من قرى حلب فدعاه

إلى البيعة فأبى فرماه بهم فقتله .

بيعة عمر

لَمَّا حَضَرَ أَبُو بَكْرٍ دَعَا عُمَانَ خَالِيًا فَقَالَ : اكْتُبْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَذَا مَا عَهْدُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ بَنِي أَبِي قُحَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، أَمَّا بَعْدُ - فَأَغْمِي عَلَيْهِ -
فَكُتِبَ عُمَانُ : فَإِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَلَمْ أَلْكُمْ خَيْرًا ، ثُمَّ أَفَاقَ
أَبُو بَكْرٍ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ فَأَقْرَأَهَا أَبُو بَكْرٍ .

ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ مَعَ الْكِتَابِ إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ (ص) وَقَالَ لِلنَّاسِ : اسْمَعُوا
وَأَطِيعُوا قَوْلَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِنَّهُ يَقُولُ : إِنِّي لَمْ أَلْكُمْ نَصْحًا .
وهكذا بايع الناس عمر .

الشورى وبيعة عثمان

لَمَّا طَمَعَنَ عُمَرُ قَبِيلَ لَهُ : لَوْ اسْتَخْلَفْتُ . قَالَ : لَوْ كَانَ سَالِمٌ حَيًّا لاسْتَخْلَفْتُهُ ،
وَلَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيًّا لاسْتَخْلَفْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : لِأَجْعَلْنَهَا سُورَى بَيْنَ سِتَّةٍ ، وَعَيْنِهِمْ
مَنْ قَرِيشٌ ، وَوَلِيَّ أَبَا طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ الْخَزْرَجِيُّ عَلَى خَمْسِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ ،
وَأَمْرٌ صَهْبِيًّا أَنْ يَصْلِيَ بِالنَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِذَا أَنْتَهَتْ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ وَأَتَّفَقُوا عَلَى
وَاحِدٍ فَلْيَضْرِبْ أَبُو طَلْحَةَ عُنُقَ الَّذِي يَخَالِفُ ، وَإِنْ أَجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ عَلَى رَجُلٍ
وِثْلَاثَةٌ عَلَى رَجُلٍ كَانُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَإِنْ صَفَّقَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَمَنْ أَبَى ضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَلَمَّا
تَوَفَّى الْخَلِيفَةُ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : إِنِّي أَخْرَجْتُ نَفْسِي مِنْهَا وَسَعَدْتُ عَلَى أَنْ اخْتَارَ
أَحَدُكُمْ فَاجَابُوا إِلَّا عَلِيًّا فَإِنَّهُ أَبَى مِنْ ذَلِكَ وَلَمَّا أَصْرُوا عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ أَحْلَفَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ أَنْ لَا يَمِيلَ إِلَى هَوًى وَأَنْ يُوَثِّرَ الْحَقَّ وَأَنْ لَا يُجَابِيَ ذَا قَرَابَةٍ ، فَحَلَفَ لَهُ ،
فَقَالَ : أَخْتَرُ مَسَدَدًا .

ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ :

أمدد يدك أبايك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين .
 فقال : أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما أستطعت .
 ثم مَدَّ يده إلى عثمان فوافق على ذلك .
 ثم مَدَّ يده إلى عليّ فقال مثل مقالته الأولى ، فأجابه مثل الجواب الأول .
 ثم قال لعثمان مثل المقالة الأولى ، فأجابه مثل ما كان أجابه ، ثم انجبه إلى عليّ فقال له مثل المقالة الأولى .
 فقال الإمام عليّ : إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معها إلى طريقة أحد .
 أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني .

فأنجبه عبد الرحمن إلى عثمان وأعاد عليه القول ، فأجابه مثل الجواب الأول ، فصفق على يده وبايعه ، فقال الإمام عليّ لعبد الرحمن : حبوته حبة دهر ، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم في شأن .
 وبايع أصحاب الشورى عثمان ، وكان عليّ قائماً فخرج مغضباً ، فقال له عبد الرحمن : بايع وإلا ضربت عنقك ، ولم يكن يومئذ سيف مع أحد ، ولحقه أصحاب الشورى فقالوا : بايع وإلا جاهدناك ، فأقبل معهم حتى بايع عثمان .

بيعة الإمام عليّ

لما قتل عثمان ورجع إلى المسلمين أمرهم وأنحلوا من كل بيعة سابقة ، تهافتوا على الإمام عليّ ، اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فاتوا عليّاً فقالوا : هلمّ نبايعك .

فقال : لا حاجة لي في أمركم أنا معكم ، فمن اخترتم فقد رضيت به .
 فقالوا : والله ما نختار غيرك . فأختلفوا إليه مراراً ثم أتوه في آخر ذلك .
 فقالوا : إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الأمر ، لا والله ما نحن

بفاعلين حتى نبايعك .

قال : ففي المسجد فإنَّ بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضى المسلمين .

فاجتمعوا في المسجد يهرعون إليه ، وأول من صعد إليه فبايعه طلحة ثم تتابع المهاجرون والأنصار ثم سائر الناس فبايعوا علياً^(٤) .

* * *

بعد هذا العرض ندرس في ما يأتي آراء المدرستين في أمر الإمامة والخلافة .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط . الأولى ١ / ٢٤٠ - ٢٤١ وط . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤ / ٨ - ٩ .

أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة

أولاً - الخليفة أبو بكر، قال يوم السقيفة : لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحمي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقال : رضيت لكم عمرَ وأبا عبيدة فبايعوا أيهما شئتم^(١) .

وفي رواية قال :

هم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم^(٢) .

ثانياً - قال عمر في السقيفة مخاطباً الأنصار :

(والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته؟ إلا مدلّ بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة)^(٣) .

وقال في آخر شهر من عمره عندما بلغه أنّ أحدهم يقول :

لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً .

فقال عمر :

(١) البخاري ، كتاب الحدود ، باب رجم الحيل / ٤ / ١٢٠ .

(٢) تاريخ الطبري ، ط . أوروبا / ١ / ١٨٤٠ .

(٣) تاريخ الطبري ، ط . أوروبا / ١ / ١٨٤١ .

(من بايع رجلاً من المسلمين على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا)^(١).

وقال عندما طعن وعين الستة للشورى:

(لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقته به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبو عبيدة الجراح)^(٢).

وقال:

(لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى)^(٣).

ثالثاً - أتباع مدرسة الخلفاء قالوا:

تنعقد الإمامة بعهد الإمام من قبل ، لأن أبا بكر عهد بها لعمر ولم تتوقف على رضا الصحابة ، وتنعقد أيضاً باختيار أهل الحل والعقد ، وأختلفوا في عددهم ، فمن قائل تنعقد ببيعة خمسة لأن الذين بايعوا أبا بكر أيضاً كانوا خمسة ، ولأن عمر جعلها في ستة ليبايع خمسة منهم السادس .

وقال الأكثر منهم : تنعقد بواحد ، لأن العباس قال لعلي: أمدد يدك أبايع ، ولأنه حكم ، وحكم حاكم واحد نافذ .

وقالوا:

(ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برأ كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين)^(٤).

٤) البخاري ، باب رجم الحبل ٤ / ١٢٠ .

٥) طبقات ابن سعد ط . بيروت ، دار صادر ، ٣ / ٣٤٣ .

٦) بترجمة سالم من الاستيعاب وأسد الغابة ٢ / ٢٤٦ .

٧) راجع قبله بحث الإمامة لدى مدرسة الخلافة .

وروا أن رسول الله (ص) قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك».

وإن الخليفة لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخوفه للأحاديث الواردة بذلك. كانت هذه آراء أتباع مدرسة الخلافة وينبغي لنا أن ندرس المصطلحات التي تدور في هذا البحث أولاً ثم نناقش الآراء المذكورة.

تعريف المصطلحات

أولاً - الشورى

التشاور والمشاورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر، وبهذا المعنى جاء في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي يتشاورون في أمورهم فالكلمة ليست مصطلحاً شرعياً.

ثانياً - البيعة

أ - البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع، وصفق يده وعلى يده بالبيعة والبيع: ضرب يده على يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تبايعوا. وكانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل أنهم كانوا يضعون أيديهم في جفنة مملوءة طيباً ويتعاهدون على أمر، أو في جفنة مملوءة دماً.

ب - البيعة في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرر بينهما ويقال: بايعه عليه مبايعة أي: عاهده عليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾ الفتح / ١٠.

وأول بيعة أخذها رسول الله من المسلمين في العقبة الأولى كانت على

الإسلام.

والثانية: البيعة الثانية الكبرى أيضاً بالعقبة بابعهم على الحرب لإقامة المجتمع الإسلامي.

وسُميت البيعة الأولى ببيعة النساء لأن البيعة كانت على الإسلام دونها قتال.

والبيعة الثالثة: أخذها تحت الشجرة في الحديبية عندما ندب الناس إلى العمرة، فخرجوا محرمين للعمرة، ولما صدّتهم قريش عن البيت وتهيّأت للقتال، تبدّلت السفرة من العمرة إلى القتال وكانت الحالة الثانية مخالفة لما أنتدبهم إليها فأقتضت الحال أن يأخذ منهم البيعة على العمل بالحديد وغير المعهود، وفعل ذلك وأعطت البيعة ثمرها في إرعاب أهل مكّة.

وعلى ما ذكرنا قامت البيعة الأولى: على الإسلام دونها قتال، والثانية: على إقامة الدولة الإسلامية والقتال من أجلها، والثالثة: البيعة على القتال في تلك السفرة. هذا ما كان في سيرة رسول الله (ص) من أمر البيعة. وجاء في حديثه (ص) أنّه كان يأخذ البيعة على الطاعة في ما يستطيعون ولم يكن يبايع الغلام غير البالغ شرعاً.

ويتّضح لنا من دراسة سيرة الرسول (ص) أن للبيعة ثلاثة أركان:

أ - المبايع.

ب - المبايع له.

ج - المعاهدة على الطاعة.

وتقوم البيعة على تفهّم ما يطلب الطاعة بالقيام به ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب المبايع على يد المبايع له، والبيعة على هذا مصطلح شرعيّ وشروط تحقّق البيعة وفق الشرع الإسلامي غير واضحة للكثير من المسلمين وهي:

أ - أن يكون المبايع ممن تصحّ منه البيعة فلا تصحّ من صبيّ أو من مجنون

لأنّهما غير مكلفين شرعاً، وأن يكون مختاراً لأنّ البيعة كالبيع لا ينعقد بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، ولا تنعقد البيعة بأخذها بالجبر وبحذّ السيف.

ب - أن لا يكون المبايع له من المتجاهرين بالمعصية لأنّ الرسول (ص) قال: «لا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى»^(٨).

ج - لا تصحّ البيعة للقيام بما نهى الله عنه وخلافاً لأوامره وأوامر الرسول (ص) لأنّ الرسول قال: «فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٩).

ثالثاً ورابعاً - الخليفة وأمير المؤمنين

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير، والخليفة: من يقوم مقام الغير ويسدّ مسدّه.

وهذا المعنى جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (٦٩).

وفي حديث الرسول (ص): «اللهم أرحم خلفائي» وقال في تعريف الخلفاء: «الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي».

إذاً فالخليفة في القرآن والحديث ليست أسماً للذي يحكم بأسم النيابة عن رسول الله (ص)، وكذلك كان الأمر إلى زمان الخليفة عمر حيث كان يقال له: خليفة خليفة رسول الله، ثمّ قيل له: أمير المؤمنين، وبقي الأمر كذلك إلى عصر العباسيين وعلى عهدهم كانوا يصفونهم بخليفة الله إلى جنب تسميتهم بأمير المؤمنين وفي عصر العثمانيين سمّوا الحاكم الإسلامي الأعلى بالخليفة وبقيت هذه التسمية متداولة بين المسلمين حتى اليوم.

إذاً فإنّ لفظ الخليفة من مصطلحات المسلمين وليست مصطلحاً شرعياً

٨ و٩) راجع فصل المصطلحات، خامساً: البيعة.

وكذلك أمير المؤمنين .

خامساً - الإمام

الإمام في اللغة : من يَأْتَمُّ به الناس ، وهذا المعنى جاء في القرآن الكريم غير أنه قَبِدَ الإمامة بشروط ذكرها في قوله تعالى لإبراهيم : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وقوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

إذا فالإمامة جعلٌ من الله وعهد لا يناله من آتصف بالظلم سواء أكان ظالماً لنفسه أو لغيره وبذلك أصبح (الإمام) مصطلحاً شرعياً وتسمية إسلامية .

سادساً - الأمر وأولو الأمر

إنَّ الأمر آستعمل في لغة العرب وعرف المسلمون والنصوص الإسلامية بمعنى الولاية على الناس والحكم .

أما أولو الأمر فيصحَّ اعتباره مصطلحاً إسلامياً لمجيئه في القرآن بمعنى الولاية على الناس في قوله تعالى :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ النساء / ٥٩ .

وتختلف المدرستان في تشخيص أولي الأمر وولي الأمر بعد رسول الله (ص)، فإن مدرسة أهل البيت ترى أَنَّ تعيين الإمام وولي الأمر بعد الرسول (ص) من الله يعيّن من يشاء ويبلغ الرسول أمته بذلك . وترى مدرسة الخلافة أَنه يتعيّن بالبيعة وبالاستيلاء على الحكم بالقهر والغلبة ، وبعد استيلائه على الحكم كيف ما كان تجب طاعته . ومن ثمَّ أطاعوا الخليفة يزيد وقتلوا وسبوا ذرية الرسول (ص) وأباحوا مدينة الرسول وقتلوا البقية من أصحابه والتابعين ورموا الكعبة بالمنجنيق ، وبعد كلِّ تلكم الأفعال لا يزالون يسمّونه بأمر المؤمنين إلى عصرنا الحاضر .

سابعاً - الوصي ووصي النبي

الوصي في الكتاب والسنة : هو الإنسان الذي أوصى إليه غيره أن يقوم بعد وفاته بأمر يهتمه سواء في ذلك أن يقول الموصي لوصيه : أوصيك أن تفعل كذا وكذا من بعدي ، أو يقول : أعهد إليك أن تفعل كذا وكذا من بعدي ، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بالوصية فإنه سواء في ذلك أن يقول : فلان وصي من بعدي ، أو يقول : فلان يقوم بعدي بعمل كذا وكذا ، وما شابهها من الألفاظ الدالة على الوصية . ووصي النبي : هو الإنسان الذي يعهد إليه النبي بأمر شريعته وأمرته من بعده .



مرکز تحقیقات کلام و تفسیر علوم اسلامی

مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والإمامة

أولاً - الشورى

إن أول من ذكر الشورى لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، ولم يستند في ذلك إلى دليل من الكتاب والسنة بل أعتمد آجتهاده الخاص فمن اتخذ سيرة الصحابة وأقوالهم في عداد كتاب الله وسنة رسوله من مصادر الشريعة الإسلامية فله أن يتخذ من السنة العمرية هذه سنداً لهذا الحكم في إقامة الخلافة. على أن سته هذه مخالفة لسته وسنة الخليفة الأول أبي بكر في إقامة حكم الخليفة الأول أبي بكر فإنها كانت فلتة حسب تعبير الخليفة عمر وتقييمه لها وكذلك مخالفة - أيضاً - لستهما في إقامة حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فإن الخليفة الأول وإلى الخليفة عمر على المسلمين من بعده، وكلاهما لم يستشيرا المسلمين في كلا المقامين، ومخالفة - أيضاً - لقول الخليفة عمر: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، فإن هذا القول يخالف الالتزام بالشورى!

وعلى فرض صحة إقامة الخلافة على أساس الشورى العمريّة، فكيف ينبغي أن تكون الشورى؛ وكم ينبغي أن يكون عدد المشاورين؟ في الأغلب قالوا ينحصر عدد المشاورين في ستة، يبايع خمسة منهم السادس، أضف إلى ما سبق السؤال عن المسوغ لإعطاء عبد الرحمن بن عوف خاصة حق اتخاذ القرار النهائي من دون الآخرين في تلك الشورى. ثم ما المسوغ لقتل من خالف قرار عبد الرحمن ورأيه؟ ثم من الذي كان يُخشى منه المخالفة لرأي عبد

الرحمن من دون الآخرين؟ وأخيراً هل أتبعت مدرسة الخلافة الشورى العمرية مرة واحدة وأقامت الخلافة كذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون؟
هذه أسئلة تتوارد على الشورى العمرية .

أما ما أستدلّ به أتباع مدرسة الخلفاء في هذا الصدد، فما كان من استدلالهم بالآية الكريمة: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ فإنه لا يستفاد منها أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم، فإنه سبحانه وتعالى لو أراد الوجوب في هذا الأمر لقال: كتب الله على المؤمنين أو قال: فرض عليهم، إلى ما شابههما من الالفاظ الدالة على وجوب الفعل على المؤمنين .

وما كان من استدلالهم بآية ﴿وشاورهم في الأمر﴾ فقد أوضحنا في ما سبق بأن الآية في مقام توجيه الرسول (ص) أن يدعو المسلمين إلى القتال بأسلوب المشاورة؛ وليس بأسلوب الملوك الجبابة الذين يلقون أوامره إلى الناس بقولهم مثلاً: اصعدونا أمرنا الملكي بكذا . وقد صرح الجليل سبحانه بعد هذه الجملة بأن رأي المسلمين ليس ملزماً لرسول الله (ص) حيث قال: ﴿فإذا عزم فتوكل﴾، إذا فالقيام بالعمل يكون على أساس عزم الرسول (ص) وليس على ما يريثيه المؤمنون، ويوضح ذلك بجلاء الأمثلة التي ذكرناها من مشاورة الرسول المسلمين في موارد كانت عاقبة الأمر معلومة لرسول الله مسبقاً مثل مشاورته إياهم للقتال في غزوة بدر .

ثم إن مشاوراته (ص) كانت في مقام استجلاء رأي المسلمين في كيفية تنفيذ الأحكام الإسلامية وليست في مقام استنباط الحكم الشرعي بالتشاور، أضف إلى كل ذلك أن الله تعالى قال: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ الأحزاب/ ٣٦ .

إذا فإن رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض الله ورسوله (ص) فيه أمراً

وفي ما قضى الله ورسوله (ص) فيه أمراً، تكون المشاورة معصية لله ورسوله (ص) وضلالاً مبيناً.

ثانياً - البيعة

عرفنا فما سبق: أن البيعة لا تنعقد للقيام بمعصية الخالق ولا لمتجاهر بمعصية الخالق ولا بالإكراه وحدّ السيف.

أما أصحاب مدرسة الخلافة فلأنهم قالوا: تنعقد الخلافة ببيعة خمسة وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد وحضور شاهدين، وأستدلوا بعمل الصحابة.

ثالثاً - عمل الصحابة

يصح الاستدلال بعمل الصحابة في ما إذا أعتقدنا أن سيرة الصحابة مثل كتاب الله وسنة رسوله مصدر للتشريع الإسلامي، ثم إن عمل الصحابة يخالف بعضه البعض الآخر كما رأينا في ما سبق، ومن ثم وقع الخلاف في آراء أتباع مدرسة الخلافة كما شاهدنا في ما سبق. وعلى هذا يعمل أي من الصحابة نفتدي وقول من منهم ومن الأتباع نأخذ؟

الاستدلال بكلام الإمام علي

أما ما أستدلوا به من كلام للإمام علي، فإنه كان في مقام الاحتجاج على معاوية وجماعته بما ألزموا به. على أن إجماع الصحابة بما فيهم الإمام علي وسبطا الرسول (ص) الحسن والحسين حجة. وهذا هو مفهوم كلام الإمام المذكور.

وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية:

قالوا: لا يتعزل الحاكم الذي سمّوه بالإمام بالفسق والفجور وإعلان المعصية.

وقالوا: على المسلم السمع والطاعة للإمام الفاسق وإن ضرب ظهره وأخذ ماله، ولا يجوز الخروج عليه.

وقالوا: إن يزيد بن معاوية المتجاهر بالفسق والفجور بالبيعة أصبح أمير المؤمنين، ونتيجة لاعتقادهم بصحة بيعته استطاع أن يجهز جيشاً من المعتقدين بصحة بيعته ويقتل بهم ذرية الرسول بكريلاء ويسبيهم ويسير بهم أسرى من كريلاء إلى عاصمة ملكه الشام.

وبنتيجة تلك البيعة استطاع أن يجهز جيشاً آخر من المعتقدين بصحة بيعته ويغزو بهم مدينة الرسول (ص) ويبسحها لجيشه ثلاثة أيام، فقتلوا جمعاً من أصحاب الرسول (ص) وتابعيهم، وأخذوا البيعة من الآخرين على أنهم عبيد أقتان ليزيد، وهتكوا أعراضهم وفعلوا ما شاؤوا من جرائم لم يشهد المسلمون نظيرها في تاريخهم الطويل، ثم غزا بهم مكة فضربوا بيت الله الحرام والكعبة بالمتجنق. وبعد كل تلك الجرائم يلقبونه بأمر المؤمنين حتى اليوم ويكتبون في مدحه الكتب وينشرون، فلنا لله وإنا إليه راجعون.

الإمامة لدى مدرسة أهل البيت (ع)

كانت تلكم آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة والخلافة وأدلتهم . أما مدرسة أهل البيت فإنها تستدلّ بخطاب الله لإبراهيم وقوله له : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وجواب الله لطلب إبراهيم حين قال : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ على أَنَّ الإمامة عهد من الله لا يناله الظالم لنفسه أو لغيره . وتستدلّ بقوله تعالى في حقّ أهل البيت : ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ على عصمة أهل البيت عمّد وأهل بيته - صلوات الله عليهم أجمعين - من الذنوب، وكذلك تستشهد بسيرة أهل البيت، حيث لم يسجل منهم في التاريخ أمر مخالف للعصمة .

أما الأدلة على إمامتهم فإننا إذا درسنا سيرة الرسول في أمر تعيين وليّ الأمر من بعده نجد أنّه لم يغب عن بال الرسول (ص) ومن حوله أمر الإمامة من بعده، فإنّ بعضهم طلب من الرسول أن يكون لهم الأمر من بعده فأجابه الرسول : «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» وأخذ منهم البيعة في إقامة المجتمع الإسلامي «أن لا ينازعوا الأمر أهله» وعيّن الإمام عليّاً في أوّل يوم دعا إلى الإسلام وزيراً له وخليفة من بعده، وشاهدناه - أيضاً - يستخلف على المدينة كلّما غاب عنها لأمر ما وإن كانت المسافة ميلاً أو أقلّ من ذلك .

وكذلك لم يترك أمته هملاً أبداً الدهر، وفعل (ص) كما فعل الرسل من قبله في تعيينهم الأوصياء من بعدهم وإخبارهم أمهم بذلك، وعيّن وصيه ووليّ الأمر من بعده في أماكن مختلفة وأزمنة متعددة بأقوال تواترت عنه مثل قوله (ص)

لسلمان عندما سأله عن وصيّه من بعده :

«إِنَّ وصِيَّ وموضع سرِّي . . . عليّ بن أبي طالب (ع)» إلى غير هذا من أحاديث النبي (ص) التي نصّ فيها (ص) على أنّ عليّاً وليّ الأمر من بعده، ولذلك أشتهر الإمام عليّ بلقب الوصيّ مدى القرون، وجاء ذكره في أشعار الشعراء وأقوال الخطباء وأحتجاجات المناظرين صحابة وتابعين وعلماء وخلفاء وأمراء، كما مرّ بنا أمثلة منها .

ولما كان أشتهار الإمام بأنّه وصيّ خاتم الأنبياء يخالف سياسة الخلفاء وأنجاء مدرستهم، بالغوا جيلاً بعد جيل في كتمان أحاديث الرسول (ص) التي نصّ فيها على أنّ عليّاً (ع) وصيّه سواء كان التعيين بلفظ الوصيّ أو بالفاظ أخرى مثل الوليّ وأوليّ الأمر. وقد ذكرنا عشرة أمثلة من أنواع كتمانهم في ما سبق مثل حذفهم بعض الحديث وتبديله بكلمة مبهمّة، كما فعلوا مع نصّ «وصيّي وخليفتي فيكم» الذي جاء في سنّة الرسول (ص) فإنّهم حذفوه وأبدلوه بقولهم : (وكذا وكذا).

وتأويلهم بعض النصوص من سنّة الرّسول في هذا الشأن .

ومثل نهيمهم عن كتابة سنّة الرسول .

وقتلهم من خالفهم في ذلك مثل قتل النسائي أحد أصحاب الصحاح الستّة الذي كتب (خصائص الإمام عليّ) .

ولم يقتصر نهيمهم عن نشر الحقائق بالنصوص الواردة في حقّ الأئمة الاثني عشر، بل شمل النهي كلّ ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة، فقد قال رسول الخليفة يزيد لعبد الله بن الزبير، عندما خلع يزيد وقد اجتمعوا في بيت الله بمكّة :

يا ابن الزبير، أتصعد المنبر وتتكلم في أمير المؤمنين بكلّ قبيح ثمّ تشبه نفسك بحمام مكة؟! ثمّ قال: يا غلام! اثني بقوسي وسهمي . قال: فأتى

بقوسه وسهامه، فأخذ سهماً فوضعه في كبد قوسٍ ثم سدّده نحو حمام مكّة .
 وقال: يا حمامة، أيشرب أمير المؤمنين؟ قولي: نعم! أما والله لو قلت:
 نعم، لمّا أخطأك سهمي هذا. يا حمامة: أيلعب أمير المؤمنين بالقرود والفهود
 ويفسق في الدين؟ قولي: نعم! أما والله لئن قلت: نعم لا أخطأك سهمي
 هذا...^(١).

وفي شأن وصيّ الرسول (ص) خاصّة بالغوا في قلب الحقائق إلى حدّ أنهم
 لعنوه في خطب صلاة الجمعة زهاء تسعين عاماً في جميع بلاد المسلمين عدا
 سجستان (سيستان)، ومع كل ذلك الحجر والشدة المتناهية فيه - إلى حدّ قتل
 من روى عن الرسول (ص) في فضله حديثاً - مع كل ذلك أنتشر شيء مما يضرّ
 بمصلحة الخلفاء في بعض كتب الحديث والتفسير والسيرة وما شابهها فعالج
 ذلك أتباع مدرستهم بإحراق مكتبات كان فيها مئات الألوف من الكتب
 بخطوط مؤلفيها^(٢) لما فيها من شيء يضرّ مصلحة الخلفاء، وبعد كلّ تلك
 الشدة في منع نشر الحقائق بقي في سنّة الرسول (ص) التي بأيدينا من طرق
 مدرسة الخلفاء النصوص الآتية في أئمة أهل البيت. مثل قوله (ص):
 «عليّ مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي».

وفي غدير خمّ لما أمره الله أن يعيّن وليّ الأمر من بعده ونزلت آية: ﴿يَا أَيُّهَا
 الرّسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ
 مِنَ النَّاسِ﴾ صعد منبراً من أحداج الإبل ورفع عليّاً.
 وقال: «الله مولاي وأنا مولاكم فمن كنت مولا فهذا عليّ مولا، اللهم
 وال من والاه وعاد من عاداه» وتوّج عليّاً بعمامته السحاب فنزلت آية:

(١) تمام الخبر مع ذكر مصادره في ذكر خبر (ثورة أهل الحرمين) في ما يأتي من الجزء الثالث
 من هذا الكتاب.

(٢) راجع قبله بحث (إحراق الكتب والمكتبات).

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ .

ونزلت فيه :

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ .

وقال في حقِّ كلِّ من الحسين :

«هذا منِّي» .

وقال : «الحسن والحسين سبطان من الأسباط» .

وفي حقِّ الأئمة من بعده : الإمام عليّ والأحد عشر من بنيهِ . أخبر الرسول : أنهم أولو الأمر في آية :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ .

وفيهم قال رسول الله (ص) :

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .

وجعلهم أعدال القرآن وقال :

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن

تضلّوا من بعدي ، وقد أنبأني اللطيف الخبير أنّهما لا يفترقان حتّى يرثي عليّ الخوض» .

ويظهر من قول الرسول هذا : أنّ أحد الأئمة لابدّ أن يطول عمره ويبقى

مع القرآن إلى يوم القيامة .

وعين عددهم في قوله :

«لا يزال هذا الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر» .

وفي رواية :

«لا يزال أمر الناس ماضياً إلى اثني عشر» .

وفي رواية بعدها:

«ثم يكون المريج والهريج».

وفي رواية:

«فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها».

وفي رواية قال عن عددهم أنهم اثنا عشر عدّة نقيب بني إسرائيل.

ولا تصدق هذه الروايات على غير الأئمة الاثني عشر من أهل بيت رسول الله (ص) الذين طال عمر آخرهم وبعدهم يكون فناء الدنيا. وبما أنّ علماء مدرسة الخلافة لم يرتضوا أئمة أهل البيت، فقد حاروا في تفسير هذه الروايات الصحيحة ولم يستطيعوا تأويلها بما يرضون به أنفسهم.

وفي ما يأتي أسماء أولئك الاثنا عشر كما نصّ عليهم الرسول (ص) في أحاديث أخرى له.

أوصياء النبي الاثنا عشر من بعده:

الأول: عليّ بن أبي طالب، أمير المؤمنين، الوصي.

الثاني: الحسن بن عليّ، السبط الأكبر.

الثالث: الحسين بن عليّ، السبط الأصغر، الشهيد.

الرابع: عليّ بن الحسين، السجاد.

الخامس: محمد بن عليّ، الباقر.

السادس: جعفر بن محمد، الصادق.

السابع: موسى بن جعفر، الكاظم.

الثامن: عليّ بن موسى الرضا.

التاسع: محمد بن عليّ، الجواد.

العاشر: عليّ بن محمد، الهادي.

الحادي عشر: الحسن بن عليّ، العسكري .
الثاني عشر: محمد بن الحسن، المهدي، الحجة، المنتظر.

انجاء السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً

اقتصرنا في ما أوردنا من الأدلة على إمامة أئمة أهل البيت الاثني عشر (ع) في ما سبق على ما جاء في أوثق مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء وبالإضافة إلى ذلك فقد جاءت في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة أهل البيت النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن رسول الله (ص) في النصّ على إمامة الأئمة الاثني عشر (ع) بأسمائهم وصفاتهم .

ويقول أتباع مدرسة أهل البيت (ع): ينبغي أن لا يغرب عن بالنا أن صحة خلافة الخلفاء أمويّين وعباسيّين وعثمانيّين وغيرهم من الخلفاء ومن تبعهم من الأمراء والولاة والقضاة وأئمة الجمعة والجماعة في البلاد الإسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً كانت متوقّفة على كتمان ما جاء في إمامة الإمام عليّ بن أبي طالب والأئمة من ولده (ع) .

فإنّه مثلاً في زمن الخليفة هارون الرشيد أصبح أبو يوسف قاضي قضاة المسلمين بتعيين الخليفة هارون الرشيد ومشروعياً منصبه متوقّفة على صحّة خلافة هارون الرشيد وصحّة خلافة الرشيد متوقّفة على عدم وجود نصّ على إمامة الأئمة الاثني عشر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى وزارة البرامكة، فإنهم أصبحوا وزراء الخليفة المسلمين بسبب صحّة خلافة هارون، وكذلك جميع أمراء جيوش المسلمين في عصره أصبحوا أمراء لجيوش المسلمين بتعيين خليفة المسلمين هارون الرشيد، وكذلك شأن ولاية الخليفة على البلاد، فإن أمير صنعاء وأمير مكة وأمير المدينة والكوفة والشام والإسكندرية والريّ وخراسان وسائر البلاد الإسلامية في جميع الأقاليم، وكذلك أئمة الجمعة والجماعة في جميع

البلاد الإسلامية من أقصى بلاد أفريقيا إلى ما وراء خراسان وبلاد الحجاز واليمن والشام والعراق إلى غيرها من البلاد الإسلامية، كل أولئك أصبحوا في مناصبهم يعيشون معيشة المترفين بشرعية خلافة هارون الرشيد وشرعية خلافة هارون الرشيد متوقفة على عدم وجود إمامة معينة منصوبة من قبل الله ومنصوص عليها من قبل رسول الله (ص) في ذلك العصر وهو الإمام موسى بن جعفر (ع) ولا في إمامة سائر الأئمة (ع) قبله .

وهذا الأمر كان جارياً وسارياً في زمن يزيد ومعاوية وعثمان وغيرهم إلى آخر خلفاء العثمانيين، فإن كل أولئك المتنفعين بخلافة الخلفاء جلّ العصور إنما أنتفعوا بمناصبهم ومعايشهم لعدم وجود نصّ على إمامة أيّ إمام غير الخلفاء على حدّ زعمهم ومع كل ذلك بقيت النصوص السابقة في إمامة الأئمة من أهل البيت (ع) منتشرة في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء إلى اليوم، وذلك لأن الله شاء أن يتمّ الحجّة على الناس مدى العصور، وما شاء الله كان .



بعد الانتهاء من دراسة رأي المدرستين في الصحابة والإمامة نستعين الله وندرس في ما يأتي رأي المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية وكيفية استفادة كلّ منهما منها، إن شاء الله تعالى .



مرکز تحقیقات کلام و تفسیر علوم اسلامی

الملحق

مرّ بنا في ص: ١٢٥ هامش رقم: ١١ ان بمصادر اتباع مدرسة أهل البيت أنّ نفر المنافقين لناقة رسول الله (ص) كان في عقبة هرشى بالقرب من الجحفة وعند رجوعه (ص) من حجة الوداع بسبب ما قام به وقاله في حق الإمام علي بغدير خم^(١).

وجاء في ترجمة هرشى بمعجم البلدان:

هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكل من سلك واحداً منها افضى به إلى موضع واحد ولذلك قال الشاعر:

خذا انف هرشى أو قفاها فانما كلا جانبي هرشى لمن طريق
ولما كانت هذه العقبة قريباً من الجحفة يناسب ان يكون الخبر في هذا المكان اصف اليها أنا لا نعلم وجود عقبة مثلها في طريق تبوك إلى المدينة.

(١) مرّ مصدره في ص ١٢٥ من هذا الكتاب.



مرکز تحقیقات کلام و تفسیر علوم اسلامی

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	٥
مقدمة الطبعة الخامسة.....	٩
مخطّط بحوث الكتاب.....	١١

بحوث تمهيدية

١) توطنه.....	١٥
عوامل التخريب الخارجي.....	١٨
٢) بعض ما شاهدت من آثار الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية.....	٢٤
٣) بعض صفات الله جلّ اسمه ومنشأ الخلاف حولها.....	٣١
حول رؤيته.....	٣٣
في الجنة.....	٣٥
الخلاف على تأويل تلكم الأحاديث.....	٣٧
منشأ الخلاف حول بعض صفات الله ورؤيته.....	٣٨
٤) الخلاف في صفات الأنبياء وما خصهم الله بها ومنشأها.....	٤٢
أ - التبرّك بآثار الأنبياء.....	٤٢
ب - الاستشفاع برسول الله (ص).....	٤٨
التوسّل بالنبي (ص).....	٤٨

- الاستشفاع بالعباس عم النبي (ص) ٥١
- منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص) ٥١
- ٥) الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء وذكرى عباد الله الصالحين ... ٦٠
- انتشار البركة من آدم (ع) والاحتفال بذكره ٦٣
- انتشار الشؤم إلى المكان من المكين ٦٤
- منشأ الشؤم والبركة في المكان ٦٤
- ٦) الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء وأخذها محلاً للعبادة ٦٧
- أ- الحديث الأول ٦٧
- ب- الحديث الثاني ٦٩
- أدلة من رأى جواز أخذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة ٧٠
- ٧) الاختلاف في البكاء على الميت ومنشأه ٧٥
- بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم ٧٥
- بكاء الرسول (ص) على حفيده ٧٦
- ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمه حمزة ٧٧
- بكى الرسول (ص) على قبر أمه وأبكى من حوله ٧٧
- أمر الرسول (ص) بإرسال الطعام لأهل المصاب ٧٧
- عين الرسول (ص) أيام الحداد على الميت ٧٨
- منشأ الخلاف حول البكاء على الميت ٧٨
- الخليفة عمر يروي أن رسول الله (ص) نهى عن البكاء وأم المؤمنين عائشة تستدرك عليه ٧٩
- ٨) آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول تأويلها ٨٢
- دعاء غير الله وحكم غير الله ٨٢

أ - دعاء غير الله	٨٢
ب - حكم غير الله	٨٤
جواب مخالفين في المسألتين	٨٥
صفة الملك لله	٨٦
الخالق والمحيي	٨٧
الولي والشفيع	٨٨
من يتوفى الأنفس	٩٠
دعوة الرسول (ص) والتوسل به إلى الله	٩١
أ - الباعث الحقيقي الأول على ما نشأ من الخلاف	٩٢
أولاً - في بدء الخليقة	٩٢
ثانياً - في الأمم السابقة	٩٢
ثالثاً - في عصر خاتم الأنبياء	٩٣
رابعاً - في عصرنا	٩٤
ب - الباعث الثاني لما نشأ من الخلاف	٩٤
٩) خلاصة وخاتمة	٩٦
منهج البحث في الكتاب	٩٨

القسم الأول

بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية

توطئة	١٠٢
منشأ الخلاف	١٠٢
اللغة العربية والمصطلحات الإسلامية	١٠٤

١٠٤.....	أولاً: تعريف المصطلحات
١٠٤.....	أ - لغة العرب
١٠٥.....	ب - المصطلح الشرعي والمصطلح الإسلامي
١٠٥.....	ج - مصطلح المتشريعة أو تسمية المسلمين
١٠٧.....	د - الحقيقة والمجاز
١٠٨.....	ثانياً: كيفية تأليف مجاميع اللغة العربية
١١١.....	البحث الأول: بحوث المدرستين حول الصحبة والصحابة
١١٣.....	الفصل الأول: تعريف الصحابي لدى المدرستين
١١٤.....	ضابطتهم لمعرفة الصحابي
١١٩.....	الفصل الثاني: عدالة الصحابة لدى المدرستين
١٢٦.....	ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق
١٣١.....	الفصل الثالث: خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين
١٣٥.....	البحث الثاني: بحوث المدرستين في الإمامة
١٣٧.....	الفصل الأول: الواقع التاريخي للخلافة في صدر الإسلام
١٤٠.....	أمر كتابة وصية رسول الله (ص)
١٤١.....	موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول (ص)
١٤٢.....	السقيفة وبيعة أبي بكر
١٥٢.....	دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفنه
١٥٣.....	بعد دفن الرسول (ص)
١٥٦.....	التحصن بدار فاطمة (ع)
١٦٥.....	من تحلف عن بيعة الخليفة أبي بكر

الموضوع	الصفحة
استخلاف عمر وبيعته	١٧١
الشورى وبيعة عثمان	١٧١
بيعة الإمام عليّ (ع)	١٧٩
الفصل الثاني: بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة	١٨٣
رأي مدرسة الخلافة وما استدلّوا به	١٨٥
أولاً - قول الخليفة أبي بكر	١٨٥
ثانياً - قول الخليفة عمر	١٨٥
ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء	١٨٦
وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص)	١٩١
استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة	١٩٣
مصطلحات بحث الإمامة والخلافة	١٩٤
أولاً: الشورى	١٩٤
ثانياً: البيعة	١٩٥
أ) البيعة في لغة العرب	١٩٥
ب) البيعة في الإسلام	١٩٦
١) البيعة الأولى	١٩٦
٢) البيعة الثانية الكبرى بالعقبة	١٩٧
٣) بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة	١٩٨
الخلاصة	٢٠١
ثالثاً: الخليفة وخليفة الله في الأرض	٢٠٢
أولاً: الخليفة والخلافة	٢٠٢
أ - على عهد الخليفة الأول	٢٠٣

ب - على عهد الخليفة الثاني	٢٠٣
ثانياً: خليفة الله في الأرض	٢٠٥
١ - في المصطلح الإسلامي	٢٠٥
جعل الله خلفاءه أئمة للناس	٢٠٥
يؤتي الله خلفاءه ما يعجز عنه البشر	٢٠٨
٢ - الخليفة وخليفة الله في مصطلح المسلمين	٢١٠
أ - في العصر الأموي والعباسي	٢١٠
ب - في العصر العثماني	٢١١
ج - في عصرنا	٢١١
انتقال مصطلح الخلفاء من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة	
أهل البيت (ع)	٢١٢
الخلاصة	٢١٣
رابعاً: أمير المؤمنين	٢١٥
خامساً: الإمام	٢١٥
سادساً: الأمر وأولو الأمر	٢١٦
أ) في لغة العرب	٢١٦
ب) في عرف المسلمين	٢١٨
ج) في النصوص الإسلامية	٢١٩
سابعاً: الوصي والوصية	٢٢٠
دراسة رأي مدرسة الخلفاء	٢٢٣
رأي مدرسة الخلافة وما أستدلوا به	٢٢٣
أولاً - رأي الخليفة أبي بكر	٢٢٣

ثانياً - رأي الخليفة عمر بن الخطاب	٢٢٣
مناقشة الاستدلالات	٢٢٤
ثالثاً - آراء أتباع مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة	٢٢٥
الأول: مناقشة الاستدلال بالشورى	٢٢٥
الاستدلال للشورى بكتاب الله وسنة رسوله (ص)	٢٢٦
أولاً: الاستدلال بآية ﴿وأمرهم شورى﴾	٢٢٦
ثانياً: الاستدلال بآية ﴿وشاورهم في الأمر﴾	٢٢٦
ثالثاً: الاستدلال بمشاورة الرسول (ص) مع أصحابه	٢٢٧
أ - غزوة بدر	٢٢٧
ب - غزوة أحد	٢٣٠
ج - غزوة الخندق	٢٣٣
الثاني: مناقشة الاستدلال بالبيعة	٢٣٦
الثالث: مناقشة الاستدلال بما ورد في نهج البلاغة على صحة الاستدلال	
بالشورى	٢٤٢
الرابع: مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر والغلبة	٢٥١
إطاعة الإمام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)	٢٥٤
خلاصة البحث	٢٥٥
الفصل الثالث: بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة	٢٥٩
عصمة أهل البيت (ع)	٢٦٢
شأن نزول الآية وما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة	٢٦٢
اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده	٢٦٩
باب ذكر من استخلف الرسول (ص) على المدينة في غزواته	٢٧٣

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين ولي الأمر من بعده	٢٨٣
الوصية في الأمم السابقة	٢٨٣
أ - خبر وصية آدم لشيث	٢٨٤
ب - خبر يوشع بن نون وصي موسى	٢٨٥
وجه الشبه بين وصي خاتم الأنبياء ووصي موسى	٢٨٦
ج - خبر شمعون وصي عيسى	٢٨٦
وصي الرسول (ص) ووزيره وولي عهده وخليفته من بعده	٢٨٨
الوصي في أحاديث الرسول (ص)	٢٨٨
الوصية في كتب الأمم السابقة	٢٩٠
الوصية في أحاديث الصحابة والتابعين	٢٩٢
عبدالله بن علي عم الخليفة العباسي السفاح يحتج بالوصية	٢٩٩
محمد بن عبدالله بن الحسن يحتج على الخليفة المنصور بالوصية	٣٠٠
الخليفة هارون الرشيد يخبر بما بلغه من الأوصياء	٣٠١
شهرة لقب وصي النبي للإمام علي (ع)	٣٠٤
في صدر الإسلام	٣٠٤
الوصية في الأشعار التي قيلت في حرب الجمل	٣٠٧
الوصية في الأشعار التي قيلت في صفين	٣٠٩
الوصية في كتاب ابن عباس	٣١٤
الوصية في شعر المأمون	٣١٨
اشتهار لقب الوصي للإمام علي (ع) مدى القرون	٣١٨
مدرسة الخلفاء تبذل جهوداً كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصية وتأويل ما أنتشر منها	٣٢٥

- حديث عائشة يدلّ على أنّ عليّاً (ع) كان وصيّ الرسول (ص) ٣٢٥
- مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة وحديث الإمام عليّ (ع) ٣٣٣
- موقفان مختلفان تجاه الإمام عليّ (ع) ٣٣٦
- كتمان فضائل الإمام عليّ (ع) ونشر سيّئه ولعنه والسبب فيها ٣٤١
- كرهت قریش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم ٣٤١
- منع كتابة حديث الرسول (ص) ٣٥٢
- سياسة الخلافة القرشية وسائر بني أميّة ٣٥٣
- أ - على عهد معاوية ٣٥٣
- تربية أهل الشام منذ زمن معاوية على بغض الإمام عليّ (ع) ولعنه ٣٦٥
- أسباب حقد معاوية على بني هاشم ٣٦٧
- سياسة ابن الزبير ٣٦٧
- ب - على عهد عبد الملك وأبنته الوليد ٣٧٠
- بعض ما فعله الحجاج تنفيذاً للسياسة القرشية ٣٧١
- بعض ما فعله أخو الحجاج محمد بن يوسف زمان ولايته على اليمن ٣٧٣
- ج - على عهد عمر بن عبد العزيز ٣٧٤
- د - على عهد هشام بن عبد الملك ٣٧٦
- عمل خالد بن عبد الله القسري ٣٧٨
- بنو أميّة يقتلون من سُمّي عليّاً ٣٧٩
- على عهد العباسيين ٣٨٠
- أولاً - من عمل طبقة العلماء ٣٨٠
- ثانياً - من عمل طبقة الحكّام ٣٨١
- ثالثاً - من عمل عامّة الناس ٣٨٢

- أ - مثال مما جرى على آل الرسول (ص) على عهد المنصور ٣٨٣
- ب - بعض ما جرى على آل الرسول (ص) على عهد المتوكل ٣٨٣
- نتيجة البحث ٣٨٦
- عداوة الخلافة الأموية للإمام عليّ (ع) وآثارها ٣٩٠
- أولاً - في خلافة آل أبي سفيان وعلى عهد معاوية ٣٩٠
- سياسة حكم الخلافة المروانية من آل أمية ٣٩١
- سياسة حكم الخلافة العباسية ٣٩١
- عشرة أنواع من الكتمان والتحريف لسنة الرسول (ص) وأخبار سيرة
أهل بيته وأصحابه ٣٩٣
- دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة
لأتجاهها ٣٩٤
- إنكار الوصية ٣٩٤
- أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة
مبهمة ٣٩٥
- ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الإشارة إلى الحذف ٣٩٨
- ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص) ٣٩٩
- نظرة تأمل في ما روي في باب من لعنه النبيّ (ص) ٤٠١
- حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية ٤٠٤
- د - حذف بعض من أقوال الصحابة مع عدم الإشارة إليه ٤٠٥
- هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليها ٤٠٨
- و - النهي عن كتابة سنة الرسول (ص) ٤١١
- ز - تضعيف الروايات ورواية سنة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص

السلطان وقتل المخالفين أحياناً	٤١٣
١- انتقاص من يذكر الوصية	٤١٤
٢- الطعن في رواية الحديث	٤١٧
٣- الطعن في أئمة الحديث	٤١٧
٤- النسائي أحد مؤلفي الصحاح الستة وقصة قتله	٤٢١
ح- إحراق الكتب والمكتبات	٤٢٢
ط- حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه	٤٢٥
ي- وضع الروايات والأخبار المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة	٤٢٦
نوع أخباره ورواياته	٤٢٧
انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ وسببه	٤٢٩
نظرة تأمل في سبب اختيار كبار العلماء الأفاضل روايات سيف في أخبار	
صدر الإسلام	٤٣٠
أولاً- قصة الأسود العنسي	٤٣٣
ثانياً- خبر مناجاة كسرى مع الرسول (ص) عند الله	٤٣٥
إشاعة الزنديق أن الإسلام أنتشر بالسيف وإراقة الدماء	٤٣٧
تهويلات وأكاذيب فيما رواها سيف عن أخبار حروب الردة	٤٣٨
ردة عك والأشعرين وخبر طاهر ربيب رسول الله (ص) في روايات	
سيف	٤٣٨
طاهر في أحاديث سيف	٤٣٩
فتح أليس وتخريب مدينة أمغيشيا	٤٤١
كانت شهرة الإمام عليّ بالوصي معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون	٤٤٥
سيف يضع حلاً لمعضلة مدرسة الخلفاء	٤٤٧

دراسة روايات سيف في أخبار الفتن	٤٥١
الاختلاف والتحريف في روايات سيف	٤٥٢
أبو ذر في موسم الحج بمنى	٤٥٧
أبو ذر في بيت الله الحرام	٤٥٨
أبو ذر في مسجد الرسول (ص) وغيره	٤٥٨
خلاصة خبر الفتن في أخريات عهد عثمان	٤٦٠
نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المختلفة في الفتن والروايات	
الصحيحة	٤٦٠
خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء	٤٦٣
منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية	٤٦٥
نتيجة البحوث وحقيقة الأمر	٤٦٦
عود على بدء	٤٧٠
عدد الأخبار والروايات والنصوص التي أسقطوها	٤٧١
ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حق آلِه في الحكم ...	٤٧٣
تعيين الوصي بالفاظ مختلفة	٤٧٣
وزير النبي (ص)	٤٧٤
خليفة النبي (ص)	٤٧٥
ولي المسلمين بعد الرسول (ص)	٤٧٦
أولاً - حديث الشكوى	٤٧٦
ثانياً - نصوص أخرى لم يعين زمانها	٤٧٩
الاحتفال بتنصيب الإمام عليّ ولياً للمهد بعد الرسول (ص) ووصياً على	
الإسلام والمسلمين	٤٨٠

خبر يوم الغدير.....	٤٨٣
ما أشبه تعيين الوصي في هذه الأمة بتعيين الوصي في أمة موسى	٤٩٠
الولاية وأولو الأمر في القرآن الكريم	٤٩٣
أ - ولاية علي في القرآن الكريم	٤٩٣
ب - أولو الأمر علي والأئمة من ولده (ع)	٤٩٧
ج - قول النبي (ص): مثل أهل بيتي كسفينة نوح ومثل باب حطّة	٤٩٨
الأئمة علي وبنوه (ع) مبلغون عن رسول الله (ص)	٥٠١
قصة تبليغ آيات البراءة.....	٥٠٢
علي من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى	٥٠٤
المراد من لفظ «مَنِّي» في أحاديث الرسول (ص)	٥٠٥
حامل علوم الرسول (ص).....	٥٠٦
ما جاء في حق سبطي رسول الله (ص)	٥١٥
الحسن والحسين (ع) من رسول الله (ص) وسبطاه	٥١٥
بشارات النبي (ص) بظهور المهدي (ع) في آخر الزمان	٥١٩
نصوص على إمامة أئمة أهل البيت (ع)	٥٢٣
حديث الثقلين	٥٢٣
نص الرسول (ص) على عددهم	٥٢٥
حديث عدد الأئمة	٥٢٥
خلاصة الأحاديث الآتفة.....	٥٣١
حيرتهم في تفسير الحديث	٥٣٢
أسماء الاثني عشر لدى مدرسة الخلفاء	٥٣٨
تراجم الأئمة الاثني عشر بعد الرسول (ص)	٥٤٠

٥٤٦.....	تنبيه مهم
٥٤٧.....	الفصل الرابع: خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين
٥٤٩.....	الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام
٥٥٠.....	سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر
٥٥٤.....	بيعة عمر
٥٥٤.....	الشورى وبيعة عثمان
٥٥٥.....	بيعة الإمام علي (ع)
٥٥٧.....	أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة
٥٥٩.....	تعريف المصطلحات
٥٦٥.....	مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والإمامة
٥٦٥.....	أولاً - الشورى
٥٦٧.....	ثانياً - البيعة
٥٦٧.....	ثالثاً - عمل الصحابة
٥٦٧.....	الاستدلال بكلام الإمام علي (ع)
٥٦٧.....	وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية
٥٦٩.....	الإمامة لدى مدرسة أهل البيت (ع)
٥٧٣.....	أوصياء النبي (ص) الإثنا عشر من بعده
٥٧٤.....	اتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً
٥٧٧.....	الملحق
٥٧٩.....	الفهرس